(كتاب)

الفتوحات الوهبيه بشرح الاربعين حديثا النوويه

تأليف العالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ ابراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي المالكي نفعنا الله به آمين

وبهامشه كتاب المجالس السنيه في الكلام على الاربعين النوويه للشيخ الامام العالم العلامة والبحر الفهامه سيدنا ومولانا الشيخ أحمد ابن الشيخ حجازي الفشني تغمدهما الله بالرحمة والرضوان آمين

(محل مبيعه)
بالمكتبة الازهريه ادارة راجي عفو ربه القادر
(حضرة مصطفى بك شاكر وأخيه)

(الطبعة الثانية)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢٩ هجرية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي وفق لحمل الحديث من اصطفاه من الانام * وهدى من ارتضاه لفهم ما فيه من الاحكام * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك العلام * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أوتي جوامع الكلام * وبدائع الحكم العظام * صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام * صلاة متضاعفة مترادفة على ممر الشهور والاعوام * وسلم تسليما *(وبعد)* فيقول العبد الفقير الضعيف الملتجئ الى مولاه القوي اللطيف ابراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي المالكي ستر الله عيوبه * وغفر ذنوبه * وبلغه في الدارين مطلوبه * ان أولى ما أنفقت فيه نفائس الاعمار * وصرفت اليه جواهر الافكار * واستعملت فيه الاسماع والابصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكانت الاربعون التي ألفها ولي الله العلامة محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النواوي من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم المشتملة على أبلغ المعاني وأحكم المباني * حتى وصف أكثرها بان عليه مدار الاسلام واثبات الاحكام فلذا عن لي أن أكتب عليها شرحا متمثلا بقول القائل

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج * مؤملا جبر ما لاقيت من عوج
فان لحقت بهم من بعد ما سبقوا * فكم لرب السما في الناس من فرج
وان ظللت بقفر الارض منقطعا * فما على عرج في ذاك من حرج

جعله الله خالصا لوجهه الكريم * محصلا للفوز بجنات النعيم * ونفع به في الحياة وبعد الممات انه قريب مجيب الدعوات *(وسميته)* الفتوحات الوهبيه بشرح الاربعين النوويه * ثم انه ينبغي أن ننبه على المصنف بالتعريف بذكر نسبه وبعض مآثره على وجه لطيف لانه كان علما بين أقرانه فريدا في عصره وأوانه فنقول هو يحيى بن شرف الدين بن مري بضم الميم وكسر الراء كما وجد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي وفقنا لاداء أفضل العبادات * وأوقفنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارضين والسموات * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيد بأفضل الآيات والمعجزات * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بحسب تعاقب الاوقات والساعات (وبعد) فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني أحمد بن حجازي الفشني غفر الله تعالى له ذنوبه وستر في الدارين عيوبه هذه مجالس سنيه في الكلام على الاربعين النوويه وضعتها لتكون تذكرة لنفسي وللقاصرين مثلي من ابناء جنسي ضاما اليها من الفوائد الظريفة والمواعظ الشريفة والنكت اللطيفة والنوادر والحكايات ما تقر به أعين أولي الرغبات خاتما لها بما يحتاج اليه قارئ الميعاد وتشتاق اليه العين ويشتاق اليه الفؤاد من مجلس يتعلق بالختام ليكون كفاية

المواعظ في الرقائق والمواعظ وأرجو من الله تعالى ان يكون خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز بالنعيم الابدي المقيم فانه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير آمين * (المجلس الاول في الحديث الاول) * الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست الحسيب على الخواطر اذا اختلجت الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت أو سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الافعال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اله لا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون والسموات وهو الى العبيد أقرب من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى رقت رتبته في سماء نبوته وأسرعت الخوارق الى جنابه حين دعاها الاظهار معجزته ودعا الناس الى الله سبحانه وتعالى فاستجابت الخلائق لدعوته وتوافقت القلوب على صدق محبته والتذ الخلق بسماع حديثه وأخباره الواردة عنه في غيبته شوقا الى رؤيته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين بدوام ملته آمين (وبعد) فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنية وفي رواية بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه رواه امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم

مضبوطا بخطه ابن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام بكسر الحاء المهملة وبالزاى المعجمة الحزامي النواوي ثم الدمشقي والنووي نسبة لنوى والنسبة اليها بحذف لالف على الاصل ويجوز كتبها بالالف على العادة وقد أقام الشيخ بدمشق نحوا من ثمانية وعشرين سنة واستدل ابن المبارك بقول من قال من أقام ببلد أربع سنين نسب اليها ولد في العشر الاول من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة وقيل في العشر الاوسط منه سنة ثلاثين وستمائة وهذا هو المعتمد ونوى قرية من قرى دمشق ونشأ بها وقرأ بها القرآن ولله در القائل حيث قال

اقيت خيرا يانوى * ووقيت من ألم النوى * فلقد نشا بك عالم
لله أخلص ما نوى * وعلا علاه وفضله * فضل الحبوب على النوى

فلما بلغ سبع سنين وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان نام جنب والده فانتبه نحو نصف الليل وأيقظه وقال يا أبت ما هذا النور الذى قد ملأ الدار فاستيقظ أهله جميعا فلم يروا شيأ فعرف والده أنها ليلة القدر فلما بلغ عشر سنين وكان بنوى الشيخ يس بن يوسف المراكشي من أولياء الله تعالى فرأى الصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لاكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحال قال فوقع في قلبي محبته وجعله أبوه في دكان يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن قال الشيخ يس فأتيت الذى يقرئه القرآن فوصيته به وقلت له هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به فقال أمنجم أنت فقلت لا وانما أنطقني الله الذى أنطق كل شئ بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه الى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام قال الشيخ فلما كان عمرى تسع عشرة سنة قدم بي والدى الى دمشق سنة تسع وأربعين يعني وستمائة فسكنت المدرسة الرواحية وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي الى الارض وكان قوتي بها جراية المدرسة لا غير قال بعضهم وكان يتصدق منها أيضا ومن قوة يقينه ملازمته لحية عظيمة في بيته بالرواحية ويراها كل ليلة تخرج اليه ويقدم لها البابا تاكله حتى ان بعضهم رآه في غفلة وهو يطعمها اللباب فقال له يا سيدى ما هذه وخاف فقال له هذه خلق من خلق الله لا تضر ولا تنفع أسألك بالله أن تكتم ما رأيت ولا تحدث أحدا قال وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف وبقية المهذب في باقي السنة قال فلما كانت سنة احدى وخمسين حججت مع والدى وكانت الوقفة بالجمعة وكانت رحلتنا من أول رجب فأقمت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من شهر ونصف قال والده ولما توجهنا للرحيل من نوى أخذته الحمى الى يوم عرفة ولم يتأوه قط فلما عدنا الى نوى ونزل الى دمشق صب عليه العلم صبا قال الشيخ ومرضت بالمدرسة الرواحية فبينا أنا في بعض الليالي في الصفة الشرقية منها أنا ووالدى واخوتي وجماعة من أقاربي نائمون الى جنبي اذ نشطني الله تعالى وعافاني من ألمي فاشتاقت نفسي الى الذكر فجعلت أسبح فبينما أنا كذلك بين السر والجهر اذا بشيخ حسن الصورة جميل المنظر يتوضأ على حافة البركة وقت نصف الليل أو قريب منه فلما فرغ من وضوئه أتاني وقال لي يا ولدى لا تذكر الله تشوش على والدك واخوانك ومن في هذه المدرسة فقلت له يا شيخ من أنت فقال

ابن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن بسم الله الرحمن الرحيم كلمة من تحقق بها أوله جزيل النوال ومن ذكرها بلغ نهاية الآمال ومن لازمها خلعت عليه خلع الاقبال أمن قلبه من الانفصال وأفرد روحه بشهود ذي الجلال واستخلص سره بكشف الجلال فهي كلمة توسل بها نوح عليه السلام في الزمن القديم وعادت بركتها على الهدهد فكسي تاجا من السميع العليم وقالت بلقيس يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يقرأها سليمان الا خضع له كل شيء وأمره الله عز وجل يوم أنزلت عليه أن ينادي في أسباط بني اسرائيل الا من أحب منكم أن يحضر أمان الله فليحضر الى سليمان في محراب داود فانه يريد أن يقوم خطيبا فلم يبق محبوس في العبادة ولا سائح حتى هرول اليه حتى اجتمعت عليه الاحبار والعباد والزهاد والاسباط كلهم عنده فقام فوق منبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثم تلا عليهم أمانة الامان بسم الله الرحمن الرحيم (قال النسفي) رحمه الله في تفسيره قيل ان الكتب المنزلة من السماء الى الارض مائة وأربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني كل الكتب مجموعة في القرآن ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في بائها ومعناها بي كان ما كان وبي يكون ما يكون زاد بعضهم ومعاني الباء في نقطتها أي في ذلك اشارة الى الوحدة وهي عدم التعدد فيه والواحد الذي لا نظير له وعدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد خزنة النار تسعة عشر خازنا كما قال الله تعالى عليها تسعة عشر (قال) ابن مسعود فمن أراد أن ينجيه

أنا أصيح للشارع فوقع في نفسي انه ابليس فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورفعت صوتي بالتسبيح فاعرض عني ومشى الى ناحية باب المدرسة فتبعته فوجدته مقفلا وفتشتها فلم أجد فيها أحدا غير من كان فيها فقال والذي ما أخبرك فأخبرته فخلوا يتعجبون وقعد كانا نسبح ونذكر * قال ابن العطار وأخبرني الشيخ القدوة ولي الدين أبو الحسين قال مرضت فعادني الشيخ محيي الدين فلما جالس عندي جعل يتكلم في الصبر فلما تكلم جعل الالم يذهب قليلا قليلا حتى زال فعرفت انه ببركته وكان شديد الورع والزهد صابرا على خشونة العيش حتى أن رجلا من أصحابنا قشر خيارة ليطعمه اياها فامتنع من أكلها وقال أخشى أن ترطب جسمي وتجلب النوم وكان لا يدخل الحمام وقلع ثوبه بقلة بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه وقال دعه وكان تاركا لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج ولا يأكل في اليوم والليلة الا أكلة واحدة بعد العشاء مما يؤتى به من عند أبويه ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب المبرد أي الملقي فيه الثلج وكان لا يجمع بين أدمين ولا يأكل اللحم الا عندما يتوجه الى نوى وكان يلبس ثوب قطن وعمامة سنجابية ولم يتناول فواكه دمشق لشبهة فيها قال ابن العطار فسألته عن ذلك فقال دمشق كثيرة الاوقاف وأملاك من هو تحت الحجر والتصرف وهي لا تجوز الا على وجه الغبطة والناس لا يفعلونها وقال الشيخ تقي الدين السبكي ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي ووجد في مجموع بخط الشيخ شمس الدين النووي ان بواب الرواحية يحكي ويقول ذهب الشيخ في الليل فتبعته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج ومشيت معه خطوات فاذا نحن بمكة فأحرم الشيخ وطاف وسعى ثم طاف وسعى ثم طاف الى أثناء الليل ورجع فمشيت خلفه فاذا نحن بالرواحية قال الذهبي وتولى مشيخة دار الحديث الاشرفية بعد وفاة أبي شامة سنة خمس وستين وفي البلد من هو أسن منه وأعلى سندا فلم يأخذ من معلومها شيئا الى أن مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح فجيء له به فلم يأكله فلما مات رآه بعض أهله فقال ما فعل الله بك فقال أكرم نزلي وتقبل عملي وأول قرى جاءني التفاح وتوفي في يوم الاربعاء رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه روى انه أنشد أبياتا عند الوفاة منها هذان البيتان وزيد ما بعدهما

تباشر قلبي في قدومي عليهم * وبالسير روحي يوم تسري اليهم
وفي رحلتي تصفو مقامي وحبذا * مقام به حط الرحال لديهم
ولا زاد لي الا يقيني بأنهم * لهم كرم يغني الوفود عليهم

واشتهر ان الخضر عليه السلام كان يجتمع به قال بعض الاخيار انه رأى فيما يرى النائم قبابا كثيرة قال وسمعت نوبة تضرب فعجبت من ذلك فقلت ما هذا فقيل لي الليلة قطب يحيى النووي فاستيقظت من منامي ولم أكن أعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك واتفق أني دخلت المدينة يعني في حاجة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ في دار الحديث في الاشرفية وهو الآن جالس فيها الميعاد فاستدللت عليها فدخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله جماعة فوقع بصره علي فنهض قائما الى جهتي وترك الجماعة

ومشى

ومشى الى طرف ابوابها ولم يتركني اكلمه وقال اكتم ما معك ولا تحدث به احدا ثم رجع الى موضعه ولم أكن رأيته قبلها ولم اجتمع به بعدها وحكى اليافعي في آخر الحكاية الثانية والثلاثين من روض الرياحين فيما بينه ان الشيخ خطف سارق عمامته وهرب فتبعه الشيخ يعدو خلفه ويقول ملكتك اياها قل قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك وقد افتتح رحمه الله كتابه بقوله * (بسم الله الرحمن الرحيم) * اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال أي شأن يهتم به شرعا لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر وفي رواية اقطع وفي رواية اجذم بالجيم والذال المعجمة وفي بعض الروايات بحمد الله وهو من التشبيه البليغ في العيب المنفر ومعنى الجميع انه ناقص وقليل البركة أو مقطوعها وان تم وكمل حسا فلا يرد ما قيل انا نرى كثيرا من الامور التي يبدأ فيها ببسم الله لم تتم ونرى أمورا بالعكس وخرج بذي البال المحرم والمكروه وفي وصف الامر بذي البال فائدتان الاولى رعاية اسم الله حيث يبدأ به في الامور التي لها بال وشأن وخطر والثانية التيسير على الناس في عدم طلبها في محقرات الامور وأورد أن البسملة أمر ذو بال فتحتاج الى سبق مثلها ويتسلسل وأجيب بأن المراد الامر الذي يقصد لذاته بحيث لا يكون وسيلة لغيره وأورد عليه طلبها في الوضوء مع انه غير مقصود لذاته دون الصلاة مع كونها مقصودة لذاتها والاولى ان يقال انها كما تحصل البركة لغيرها تحصل مثل ذلك لنفسها أيضا كالشاة من اربعين تزكي نفسها وغيرها والباء للاستعانة متعلقة بمضمر يحتمل أن يكون اسما وان يكون فعلا عاما أو خاصا مقدما أو مؤخرا والاولى ان يكون فعلا وان يكون خاصا وان يكون مؤخرا اما أولوية الفعلية فلأن العمل للافعال بالاصالة واما أولوية كونه خاصا فلأن التالي لها في كل محل يعين العامل المحذوف ولذا يضمر كل فاعل ما تجعل التسمية مبدأ له قال الشيخ سعد الدين لا خفاء ان العامل المضمر هو الفعل النحوي والتسمية انما جعلت مبدأ للفعل الحسي ففي الكلام حذف مضاف أي لفظ ما جعلت التسمية مبدأ له اه أي فيضمر المسافر أسافر والآكل آكل واما أولوية التأخير فلأن المقصود الاهم البداءة باسمه تعالى ردا على الكفار في ابتدائهم باسماء آلهتهم ولانه أدل على الاختصاص وأورد على أن التقديم للاختصاص قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانه لو كان التقديم مفيدا لذلك لوجب أن يؤخر الفعل ويقدم باسم ربك لان كلام الله تعالى أحق برعاية ما يجب رعايته وأجيب بان الاهم فيه القراءة لانها أول ما نزل الى ما لم يعلم فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله أهم في نفسه وبان باسم ربك متعلق باقرأ الثاني ومعنى اقرأ الاول أوجد القراءة من غير اعتبار تعديته الى مقروء كما في فلان يعطي والجواب الاول للزمخشري والثاني للسكاكي قال ابن عادل وفي الثاني نظر لان الظاهر على هذا الجواب أن يكون اقرأ الثاني توكيدا للاول فيكون قد فصل بمعمول المؤكد بينه وبين ما أكده مع الفصل بكلام طويل اه وأجيب عن ذلك بانه لا يمتنع الفصل بين المؤكد والمؤكد ولو بأجنبي ألا ترى أن قوله كلهن توكيد للنون في قوله ولا يحزن مع الفصل بقوله ويرضين بما آتيتهن ويبحث في هذا الجواب بان التاكيد هنا معنوي وما نحن فيه لفظي وربما يجوز

الله تعالى من الزبانية فليقلها ليجعل الله بكل حرف جنة أي وقاية من كل واحد ... (وقال) أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدته (وروى) الطبراني انه لا يدخل أحد الجنة الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله تعالى لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية (وروى) أنه اذا دخل أهل الجنة الجنة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين واذا دخل أهل النار النار يقولون بسم الله الرحمن الرحيم وما ظلمنا ربنا ولكن ظلمنا أنفسنا (وفي الاخبار) عن النبي المختار أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسري بي الى السماء عرض علي جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر من عسل مصفى كما قال الله تعالى في القرآن فيها أنهار من ماء الآية فقلت لجبريل من أين تجيء والى أين تذهب قال تذهب الى حوض الكوثر ولا أدري من أين تجيء فاسأل من الله أن يريك ذلك فدعا ربه فجاء ملك فسلم عليه ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عيني ثم قال لي افتح عينيك ففتحت عيني فاذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب أحمر وقيل من زمرد أخضر لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والانس وقفوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل أو كورة القيت في البحر فرأيت هذه الانهار الاربعة تجري من تحت هذه القبة فلما أردت أن ارجع قال لي الملك ألم تدخل القبة فقلت كيف أدخلها وعلى بابها قفل من ذهب وكيف أفتحه قال لي في يدك مفتاحه فقلت أين مفتاحه فقال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل فدخلت القبة فرأيت هذه الانهار

تخرج من أربعة أركان القبة فلما أردت الخروج من القبة قال لي ذلك الملك هل رأيت يا محمد فقلت رأيت قال انظر ثانيا فلما نظرت
رأيت مكتوبا على اربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يجري من ميم بسم الله ونهر اللبن يجري من هاء الله ونهر
الخمر يجري من ميم الرحمن ونهر العسل يجري من ميم الرحيم فعلمت ان أصل هذه الانهار الاربعة من البسملة فقال الله تعالى يا محمد
من ذكرني بهذه الاسماء من أمتك ٦ وقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الانهار الاربعة ومن فوائدها
انها أربع كلمات والذنوب أربعة ذنوب بالليل وذنوب بالنهار وذنوب بالسر وذنوب بالعلانية فمن ذكرها على الاخلاص والصفاء غفر الله تعالى له الذنوب والجفاء وفضائلها كثيرة أفردتها بمجلس مستقل في كتاب تحفة الاخوان وفي هذا القدر كفاية (قال بعضهم) مدار الاسلام على حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فكل واحد منها ربع الاسلام (وقال بعضهم) لو صنفت مائة كتاب لبدأت في أول كل كتاب بهذا الحديث أي انما الاعمال بالنيات وهو حديث عظيم كان السلف الصالح يحبون افتتاح مصنفاتهم به تنبيها للطالب على حسن النية واهتمامه بذلك
ولانها من أجل أعمال القلوب والطاعة المتعلقة بها وعليها مدارها (وقال أبو عبيدة) ليس شئ من فقال
أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أجمع وأغنى وأكثر فائدة وأبلغ من هذا الحديث وقبل الكلام عليه نتكلم على نكتة تتعلق
بترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فانه سمع هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول ليس في الصحابة من
اسمه عمر بن الخطاب الا هو وهو أول من سمي بأمير المؤمنين على العموم سماه بذلك عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه

في الاول الفصل دون الثاني لانه لما كان التأكيد في اللفظ موافقا للاول في لفظه ومعناه فالفصل بينهما
كالفصل بين أجزاء الكلمة ولا كذلك المعنوي وبان الثاني لا يصلح أن يكون توكيدا لان الاول عام
والثاني خاص اذ الاول أمر بايجاد القراءة مطلقا والثاني بقراءة مقيدة ونظيره الذي خلق خلق الانسان
من علق وكسرت الباء ومن حق الحروف المفردة أن تفتح قال البيضاوي لاختصاصها بلزوم الحرفية
والجر اه قال بعضهم مبينا التعليل المذكور لاختصاصها من بين حروف الجر بمجموع أمرين كونها
لازمة للحرفية وكونها لازمة للجر لا توجد بدونه وفي كل منهما مناسبة للكسر أما الجر فلموافقة حركتها
اياه وأما الحرفية فلاقتضائها السكون الذي هو عدم الحركة وكون الكسر بمنزلة العدم لقلته حيث
لا يوجد في الافعال ولا في غير المنصرف من الاسماء ولا في الحروف الا نادرا كجير وانما جعلنا المقتضي
للعدول الى الكسر اختصاصها بمجموع لامرين ولم يجعل كل واحد منهما مقتضيا على حدته لئلا ينتقض
لزوم الحرفية بواو العطف وفائه فانهما الازمان للحرفية ولزوم الجر بكاف التشبيه اذ هي لازمة وان
انفكت عن الحرفية فان قيل فكل من واو القسم وتائه لازم للحرفية والجر معا وليس مبنيا على
الكسر فلينتقض بهما أجيب بان هذه ليست عللا حقيقية وانما هي مناسبات وحكم لا يلزم اطرادها
ولا انعكاسها وقال بعضهم ان عملها لم يكن بطريق الاصالة بل بطريق النيابة عن الباء لحملهما عليها
وحذفت الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال ولذا لم تحذف من اقرأ باسم ربك وغيره وطولت الباء
عوضا عنها ولانهم أرادوا أن لا يفتتح كلام الله تعالى الا بحرف معظم مطول والاسم عند البصريين أصله
سمو بضم أوله أو بكسره فهو من الاسماء التي حذفت أواخرها لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على
السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن
واشتقاقه من السمو أي بضم السين وكسرها وهو العلو وأما عند الكوفيين فاصله وسم بفتح الواو
حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل واشتقاقه عندهم من السمة وهي العلامة وأيد مذهب
البصريين بان الحذف من الاواخر أولى قال أبو العباس بن عطاء الباء بره لارواح الانبياء بالهام الرسالة
والنبوة والسين سره مع أهل المعرفة بالهام القدرة والانس والميم منته على المؤمنين بدوام النظر اليهم
بعين الشفقة والرحمة وقال أبو بكر بن طاهر الباء بره للعارفين والسين سلامه عليهم والميم محبته لهم وقال
جعفر بن محمد الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه واضافته للجلالة من اضافة العام للخاص والله
علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله عند البصريين اله فدخلت عليه أل
فاجتمع همزتان بينهما ساكن غير حصين وهو اللام فصار كانه اجتمع همزتان فحذفت الثانية ونقلت
حركتها للام الساكنة قبلها فاجتمع لامان متحركان فاسكنت الاولى لانه حقها وأدغمت في الثانية وفخم
وانما لم تحذف الهمزة الاولى لانها مجتلبة لسكون اللام وعند الكوفيين لاه فادخل عليها الالف واللام
وأدغم وفخم وأصل لاه لوه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا وهو اعرف المعارف وحكى ابن جني
أن سيبويه رؤي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا وذكر كرامة عظيمة فقيل له بم

فقال بقولي ان اسم الله تعالى أعرف المعارف وبه يؤيد قول النحاة أعرف المعارف الضمير والمختار انه ليس بمشتق وروى الخليل بن أحمد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بقولي في اسمه انه غير مشتق وقيل انه مشتق من أله يأله كعلم يعلم اذا تعبد وقيل اذ تحير لان العقول تتحير في معرفته وفي عظمته وقيل غير ذلك قال بعضهم وحيث ذكر الاشتقاق في أسماء الله فالمراد به ان المعنى ملحوظ في ذلك الاسم والافشرط المشتق أن يكون مسبوقا بالمشتق منه وأسماء الله تعالى قديمة لانها من كلامه على ان لا اختلاف المذكور انما هو في لفظة اله لا في الجلالة والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة وفعله رحم بالكسر كغضبان من غضب وهو متعد كرحمك الله والصفة المشبهة انما تبنى من اللازم كظريف وشريف من ظرف وشرف لتنزيل رحم المتعدي منزلة اللازم أو بجعله لازما بنقله الى فعل بالضم والفرق بين ما تنزل منزلة اللازم وما جعل لازما ان الاول متعد للمفعول لكن بقطع النظر عن مفعوله لفظا وتقديرا كما في فلان يعطي ومنه قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما فرأيت الاول لازم أي أوجدت الرؤية بخلاف ما يجعل لازما فانه يعتبر غير متعد ولا مفعول له أصلا والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان وهذا المعنى محال في حقه تعالى فهي في حقه بمعنى الانعام أو ارادته فهي صفة فعل على الاول وصفة ذات على الثاني والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع بتخفيف أحدهما وتشديد الآخر وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية أي الافراد وأخرى باعتبار الكيفية أي الصفات فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة ودقيقة ونقض كون زيادة البناء دالة على زيادة المعنى بحذر فانه أبلغ من حاذر وأجيب بان ذلك أكثري لا كلي وبأن ذلك عند اتحاد نوع المشتقات قال الزمخشري وسمعت على أذني انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس فيه ثقل محامل أهل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال أليس اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وانما قدم الرحمن والقياس يقتضي الترقي لتقدم رحمة الدنيا لانه صار كالعلم فلا يوصف به غيره تعالى بل قيل انه علم واما قول الشاعر * وانت غيث الورى لازلت رحمانا * فأجاب عنه الزمخشري بأن ذلك من شدة تعنتهم في كفرهم قال التاج السبكي وهو غير سديد لانه لا يفيد جوابا بل ذكر السبب الحامل لهم على الاطلاق والجواب السديد ان المختص به تعالى هو المعرف باللام دون غيره * (تنبيهان) * الاول قال أبو بكر بن عبد الله المزني الرحمن بنعم الدنيا من المال والاهل والولد والرحيم بنعم الدين من المعرفة والايمان والشهادة وقال جعفر بن محمد الصادق الرحمن للمرادين والرحيم للمريدين وقيل الرحمن بنعمه الباطنة والرحيم بنعمه الظاهرة وقيل الرحمن بالدفع والرحيم بالنفع الثاني نقل الدماميني في حاشية البخاري عن بعض المتأخرين انه قال صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كرحيم وغفور كلها مجاز اذ هي

من العراقي وقيل سماه بذلك المغيرة بن شعبة وقيل انه رضي الله تعالى عنه قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمي بأمير المؤمنين وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدلوا عن تلك العبارة لطولها وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي حفص والحفص الاسد وكان سبب ذلك ما رآه فيه من الشدة كما رواه زيد بن أسلم عن أبيه انه قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمسك أذن فرسه باحدى يديه ويمسك الاخرى اذنه ثم يثب حتى يقعد عليه وكان مولده رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وعاش ثلاثا وستين سنة (قال) عبد الله بن مسعود ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان سبب اسلامه ان أخته بنت الخطاب رضي الله عنها زوجة سعيد ابن زيد أحد العشرة كانت قد أسلمت هي وزوجها فسمع عمر بذلك فقصدهما ليعاقبهما فقرأت عليه القرآن فاوقع الله في قلبه الاسلام فأسلم ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار عند الصفا فاظهر اسلامه فكبر المسلمون فرحا باسلامه ثم خرج الى مجامع قريش فنادى باسلامه (قال) عبد الله ابن مسعود كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة للمسلمين ولقب بالفاروق أيضا لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق بين الحق والباطل وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام وبه أعز الله الاسلام لقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام يعني أبا جهل وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان شديدا على الكافرين والمنافقين وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد كبراء علماء الصحابة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا واجمعوا

قلى كثرة علمه و وفور عقله وفهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين وانصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه ومتابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين واكرامه أهل الفضل والخير ومناقبه كثيرة منها قصة سارية الجبل ا

* ومنها ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أتت زلزلة عظيمة فى زمن عمر حتى كادت الجبال أن تقع على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذى يسمونه فصل عمواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكنى أما عدل ان لم اكن انا عدلا فويل لعمر فسكنت ولم يتب بعدها مثلها

* ومنها ما كتبه لنيل مصر لما كتب اليه عمرو بن العاص ان النيل لا يزيد زيادته المعتادة لان تلقى فيه امرأة بكر فامره ان يلقى فيه كتابه بدل المرأة ومن جملة ما هو مكتوب فيه انك ان كنت تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فطلع ولم تلق فيه بعد ذلك امرأة * ومنها ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أيضا كانت تأتى نار كل عام الى المدينة الشريفة فشكى المسلمون ذلك لسيدنا عمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار فافرده فى وجهك وقل يانار هذا رداء عمر ابن الخطاب فهى ترجع لوقتها فلما جاءت النار ضجت المسلمون فاخذ الغلام الرداء وخرج به الى ظاهر المدينة وفرده على وجهه كما أمره سيده وقال يانار ارجعى هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت فى الحال ولم تعد ومناقبه لا تحصى وفضائله لا تستقصى رضى الله عنه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) أى سمعت كلامه لان الذات لا تسمع (انما الاعمال بالنيات) قال جماهير العلماء لفظة انما موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفى ما سواه فتقدير الحديث ان الاعمال انما تحسب اذا كانت بنية ولا تحسب اذا كانت بغير نية فلا عمل الا بالنية فقوله انما الاعمال أى الشرعية البدنية أقوالها وافعالها الصادرة من

مرضوعة للبالغة ولامبالغة فيها لان المبالغة هى ان تثبت للشئ أكثر مما له وانما يكون ذلك فيما يقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك قال وهى فائدة حسنة اه ولاشك ان هذا انما يتأتى تفريعا على ان هذه الاسماء صفات فان قلنا انها اعلام لا يرد ذلك لان العلم لا يقصد مدلوله الاصلى من مبالغة ولا غيرها الثالث الرحمن الرحيم فيهما تسعة أوجه جائزة رفعهما ونصبهما وخفضهما ورفع الاول مع نصب الثانى وعكسه وخفض الاول مع رفع الثانى أو نصبه ووجهان ممتنعان رفع الاول أو نصبه مع خفض الثانى لامتناع الاتباع بعد القطع (فائدة) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لمن قال تعس الشيطان لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير أقل من الذباب وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام مرض واشتد وجع بطنه فشكا الى الله تعالى فدله على عشب فى المفازة فاكله فعوفى باذن الله ثم عاوده ذلك المرض فى وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فكلم ربه فقال يارب أكلته أولا فانتفعت به وأكلته ثانيا فضرنى فقال له لانك فى المرة الاولى ذهبت منى الى الكلا فحصل لك الشفاء وفى المرة الثانية ذهبت منك الى الكلا أما علمت ان الدنيا سم قاتل وترياقها اسمى (الحمد لله) مصدر حمد وهو لغة الوصف بالجميل على الفعل الجميل الاختيارى على وجه التعظيم سواء كان فى مقابلة نعمة أولا وسواء تعلق بالفضائل أى الصفات التى لا يتعدى أثرها للغير كالحسن واللطافة أم بالفواضل أى الصفات المتعدى أثرها اليه كالانعام والتعظيم والشجاعة وعلم من قولنا الوصف انه لا يكون الا بالكلام لان الوصف قول الواصف فمورده أى محله خاص ومتعلقه أى السبب الباعث اليه عام ولا حاجة لزيادة على وجه التعظيم لان من أثنيت عليه بجميل صفاته فقد عظمته ولا حجة فى قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم لخروج ذلك بالجميل اذ لم تكن صفة الكافر اذ ذاك العز والكرم بل ضدهما وهو الذل والاهانة وأورد على قيد الاختيار وصفه تعالى بصفاته الذاتية كالعلم والقدرة والارادة لان تلك الصفات ليست بأفعال ولا يوصف ثبوتها بالاختيار وأجيب بانها لما كانت مبدأ الافعال اختيارية كان الحمد عليها باعتبار تلك الافعال واما الحمد عرفا فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان ذلك الفعل قولا باللسان بان يثنى عليه به أو اعتقادا بالقلب بان يعتقد اتصافه بصفات الكمال أوعملا وخدمة بالاركان والجوارح بان يجهد نفسه فى طاعته فمورده عام وهو اللسان وغيره ومتعلقه خاص وهو النعمة وهذا هو الشكر لغة وأما اصطلاحا فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله من الطاعات كان يصرف البصر الى الاطلاع على ما فى مصنوعاته من دقائق الصنع العجيب والحكمة الانيقة ويصرف القلب الى التفكر فيها والاستدلال بها على وجود الصانع وصفاته بان يستدل بوجود الاثر على وجود المؤثر وبتعلق الاثر واحكامه على علم المؤثر وقدرته وكان يصرف السمع الى تلقى ما ينبئ عن مرضاته عن الاوامر والنواهى وقس على ذلك سائر النعم الظاهرة والباطنة ولعز هذا المقام قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وأل فى الحمد للاستغراق وقيل للجنس * وحكى عن الشيخ أبى العباس المرسى نفعنا الله به انه

المؤمنين بالنيات جمعت النية وان كانت مصدرا قصدا للتنويع اذ المصدر لا يجمع الا باعتبار الانواع وهنا لما قابلت الاعمال وكان
كل عمل له نية جمعت باعتبار عمل العاملين ومقاصد الناوين ومعناه لغة القصد وشرعا قصد الشيء مقترنا بفعله فان تراخى عنه سمي
عزما والكلام على احكامها مبسوط في كتب الفقه ثم اعلم ان الحصر فيما ذكر اكثري لا كلي اذ قد يصح العمل بلا نية كالاذان
والقراءة كما يصح ترك العمل بدونها كترك الزنا وان افتقر حصول الثواب فيه الى النية بان يقصد بترك الزنا
امتثال الشرع وازالة النجاسة من قبيل الترك وللعلماء في هذا المحل كلام طويل وانما غرضنا الفائدة والتقريب للافهام (قوله صلى الله عليه وسلم وانما لكل امرئ ما نوى) اي جزاؤه ان خيرا فخير وان شرا فشر فنية المؤمن خير من عمله واخلاص النية لله تعالى لم يزل شرعا عاما لمن قبلنا ثم لنا من بعدهم قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال ابو العالية وصاهم بالاخلاص لله تعالى وعبادته لا شريك له و ينبغي لمن اراد فعل شيء من الطاعات ان يستحضر النية فينوي به وجه الله تعالى فالنية رأس الاعمال كلها وهي الاساس وعلى الاساس قواعد البنيان فمن فتح على نفسه باب حسنة فتح الله عليه سبعين بابا الى التوفيق ومن فتح على نفسه باب سيئة فتح الله عليه سبعين بابا الى

قال قلت لابن النحاس النحوي ما تقول في الالف واللام من الحمد لله أجنسية هي أم عهدية فقال ياسيدي قالوا انها جنسية فقلت له الذي أقول انها عهدية وذلك ان الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه من الازل نيابة عن خلقه قبل ان يحمدوه ثم امرهم ان يحمدوه بذلك الحمد فقال ياسيدي أشهد أنها عهدية وهو معنى حسن وقدم الحمد على الجلالة لاقتضاء المقام مزيد اهتمام به وان كان ذكر الله أهم في نفسه كما مر في اقرأ باسم ربك واختار المصنف الجملة الاسمية لانها مفتتح الكتاب العزيز ولانها تدل على الدوام والثبوت فان قيل حمد العباد حادث والله تعالى قديم ولا يجوز قيام الحادث بالقديم فما معنى حمد العباد له تعالى فالجواب ان المراد به تعلق الحمد ولا يلزم من التعلق القيام كتعلق العلم بالمعلوم وجمع بين الابتداء بالبسملة والحمدلة عملا بالروايتين السابقتين واشارة الى انه لا تعارض بينهما اذ الابتداء حقيقي واضافي فالحقيقي حصل بالبسملة والاضافي بالحمدلة وقدم البسملة عملا بالكتاب والاجماع ﴿(تنبيهات)﴾ الاول اختلف في الفاضل من الحمد فقيل الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم وقيل اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وفي رواية الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي الخ وقيل ليس كمثله شيء ويبنى على ذلك فرع وهو ما اذا حلف المكلف ليحمدن الله بأفضل المحامد ومن أراد أن يخرج من الخلاف فليحمدن الله بجميعها وسيأتي في الحديث الثالث والعشرين شيء من هذا أيضا ولو حلف ليثنين على الله عز وجل أحسن الثناء يقول لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وزاد بعضهم فلك الحمد حتى ترضى الثاني قال ابن ناجي الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قالها فتحت له أبواب الجنة الثمانية الثالث قال ابن عطية اختلف العلماء هل الافضل قول العبد الحمد لله رب العالمين أو قوله لا اله الا الله فذهبت طائفة الى الاول لان في ضمنه التوحيد ففي قوله الحمد لله توحيد وحمد وفي قوله لا اله الا الله توحيد فقط واحتجوا بما روي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة وذهبت طائفة الى الثاني لانها تنفي الكفر وعليها يقاتل الخلق واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله قال ابن عطية بعد أن اختار هذا والحاكم بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له (رب) يحتمل معاني ثلاثة الاول كونه اسم فاعل وأصله رابب ادغمت احدى الباءين في الاخرى وحذفت ألفه لكثرة الاستعمال ورد بانه خلاف الاصل الثاني صفة مشبهة وأصله ربب على وزن فعل الثالث كونه مصدرا بمعنى أصل التربية وهي تبليغ الشيء شيئا فشيئا الى الحد الذي أراده المربي ثم سمي به السيد المطاع ومنه قوله تعالى اذكرني عند ربك أي عند سيدك والمعبود ومنه ربنا الله والمالك ومنه قوله تعالى رب

الخذلان فباب الحسنة من حسن النية وباب السيئة من سوء النية فاذا نوى العبد خيرا أثيب عليه وان لم
يفعله كما في مسند أبي يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الاجر
فيقولون يا رب لم نحفظ ذلك ولا هو في صحيفته فيقول الله تعالى انه نواه (وحكي) عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا
على نفسه وكان العابد يتمنى أن يرى ابليس قال فظهر له ابليس يوما وقال له وا أسفاه عليك ضيعت عمرك أربعين سنة في حصر

السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل أرب ابل أنت أم رب غنم فقال من كل آتاني الله فأكثر وأطيب وقول صفوان لابى سفيان لان يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازان والمعبود ومنه قول الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والثابت ومنه قولهم رب بالمكان وأرب به أى أقام والمربى ومنه الربانيون سموا بذلك لتمسكهم بالرب أو لانهم يربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره أى بالتدريج ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية مات ربانى هذه الامة والمصلح ومنه الحديث ألك نعمة تربها أى تصلحها وقيل سمى الربانيون بذلك لقيامهم بالكتب واصلاحهم لها ويصح اطلاقه بالمعانى الخمسة على الله تعالى الا أنه بالثلاثة الاول من صفات الذات وبالباقى من صفات الفعل ويطلق على الصاحب ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف انه ربى أحسن مثواى وذكر الحسن بن الفضل ان فى الرب قولا شاذا وهو ان الرب بمعنى الثابت من قولهم رب بالمكان وأرب به وألب به وفى الحديث أنه كان يتعوذ بالله من فقر مرب أو ملب قال * رب بأرض ماتخطاها غنم * واعلم ان وجوه تربيته تعالى لخلقه لايحيط بها غيره سبحانه وتعالى فمنها تربيته النطفة اذا وقعت فى الرحم حتى تصير علقة ثم تصير مضغة ثم يصير منها عظاما وغضاريف ورباطات وأوتارا وأوردة وشرايين ثم يتصل بعضها ببعض ثم يصير فى كل قوة خاصة كالبصر والسمع والنطق كذا فى ابن حجر وقوله غضاريف بالضاد المعجمة جمع غضروف وهو ألين من العظم وأصلب من غيره أى سائر الاعضاء ومنفعته ايصال العظام بالاعضاء اللينة لئلا يتأذى اللين بمجاورة الصلب بلا واسطة ويليه العصب وهو جسم أبيض لدن لين صعب الانفصال لدنه سهل الانعطاف لينه ومنفعته اتمام الحس والحركة للاعضاء والرباطات جمع رباط وهو جسم يشبه العصب لاحس له والاوتار جمع وتر وهو جسم ينبت من أطراف اللحم شبه المفصل وعبارة القانون شبه العصب تصل بين العظام اذ لا يمكن اتصالها بالعصب للطافته وصلابتها ولا به مع الرباط لعدم زيادة حجمه بزيادة تبلغ ذلك والاوردة جمع وريد وهى العروق غير الضوارب ونباتها من الكبد ومنفعتها توزيع الدم على الاعضاء والشرايين جمع شريان بكسر المعجمة وسكون الراء وتحتية ونباتها من القلب ومنفعتها ترويح القلب ونفض البخار عنه وهى العروق الضوارب اه ملخصا من شرح النقاية للجلال السيوطى ويختص المحلى بال دون المضاف بالله تعالى وقول الجاهلية للملك من الناس الرب من كفرهم قال القرطبى فى تفسير سورة الفاتحة متى دخلت الالف واللام على رب اختص بالله تعالى لانها للعهد وان حذفتا صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده اه وهو مخالف لقول البيضاوى ولا يطلق على غيره لا مقيدا كقوله ارجع الى ربك فان قضية الاول ان الممنوع منه انما هو المعرف فقط وأما المنكر فلا منع منه وان لم يكن مقيدا وقضية الثانى منع المنكر أيضا حيث لم يقيد وهو الذى يصار اليه قال بعضهم وفى لفظ رب خصوصية لا توجد فى غيره من أسمائه تعالى وهى انك اذا قرأته طردا كان من أسماء الله تعالى واذا قلبته كان من أسماء الله تعالى

بقتلك وأتعاب بدنك وقد بقى فى عمرك مثل ما مضى فأطلق نفسك فى شهواتها فقال العابد فى نفسه لى أنزل الى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين التى تبقى من عمرى فنزل على نية ذلك وأما أخوه المسرف فانه استيقظ من سكره فوجد نفسه فى حالة رديئة قد بال على ثيابه وهو مطروح على التراب وفى الظلام فقال فى نفسه قد أفنيت عمرى فى المعاصى وأخى يتلذذ بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعة ربه وأنا بالمعاصى أدخل النار ثم عقد التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى فطلع على نية الطاعة ونزل أخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصى على نية التوبة والطاعة فينبغى للعبد أن يحسن نيته (وقد حكى) أيضا ان العبد يؤتى به يوم القيامة ومعه حسنات كأمثال الجبال فينادى مناد من كان له عند فلان حق فليأت له وليأخذ حقه منه فيأتى الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة فيصير حيران فيقول الله تعالى له عبدى ان لك عندى كنزا لم يطلع عليه أحد من خلقى فيقول يارب وما هو فيقول نيتك التى كنت تنوى بها الخير كتبتها لك عندى سبعين ضعفا (وحكى) أيضا انه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة مافعلها فيقول يارب ليس هذا كتابى فانى مافعلت شيأ من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لى مال حججت منه لو كان لى مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيت ثواب ذلك كله فياأخوانى من نوى شيأ حصل له فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله يقال انه ورد عن سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضى

وهو

الله عنه أن يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعني عثمان خير من عمله يعني الكافر ويقال ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية (وذكر بعضهم) ان العمل بالنية تحته فردان عمل ونية فاذا القصد وقع لاحد الفردين لان في كل منهما أجرا وأجر النية أكثر من أجر العمل الواقع بلا نية (وقال بعضهم) ان نية المؤمن تبلغ الى حيث لا يبلغ العمل لان نيته أن يعبد الله تعالى ولو عاش ألف سنة وعمله لا يبلغ ذلك وهذا الحديث رواه الطبراني في المعجم (قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) أى نية وقصدا (فهجرته الى الله ورسوله) حكما وشرعا (قوله ومن كانت هجرته الى دنيا) بضم الدال وبالقصر بلا تنوين هي هذه الدار التي نحن فيها سميت بذلك لدنائها وسبقها الآخرة وهى دار الهموم والاحزان والاكدار والتعب والنصب ترفع الجاهل وتضع العالم كما قال بعضهم

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل
وخفض لذى علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم
وأهل التقى أبناء ضرتي الاخرى
أأترك أولادي يموتون ضيعة
وارضع أولادا لضرتي الاخرى

وفي حقيقة الدنيا قولان للمتكلمين أحدهما اما على وجه الارض من الهواء والجو وثانيهما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الدار الآخرة (قوله يصيبها) أى يحصلها اشبه تحصيل الدنيا اصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود وقوله (أو امرأة ينكحها) أى يتزوجها كما في رواية وخصت بالذكر مع دخولها في دنيا تنبيها لانها فتنة عظيمة ففي الحديث ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ولان سبب ورود هذا الحديث ان رجلا هاجر الى المدينة بنية أن يتزوج بامرأة يقال لها أم قيس فسمي مهاجر أم قيس وقد خرج في الظاهر للهجرة وفي الباطن لاجل المرأة فلما أبطن خلاف

وهو بر بفتح الباء بمعنى محسن * (العالمين) * جمع عالم بفتح اللام اسم لما يعلم به غيره وهو مشتق من العلم فيختص بذوى العلم أو العلامة لانه علامة على موجده وانه متصف بصفات الكمال والمحتاج لتحقق شموله لكل جنس مما سمي به واختلف في العالمين فقال قتادة والحسن ومجاهد هم جميع المخلوقات وقال الفراء وأبو عبيدة هم عبارة عما يعقل وهم أربع أمم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وقال مقاتل هم ثمانون ألف عالم نصفها في البر ونصفها في البحر وقال الضحاك ثلثمائة وستون عالما يلبسون الثياب وقال ابن المسيب لله عز وجل ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال وهب ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط ضرب في الصحراء وقال أبو سعيد الخدري ان لله تعالى أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد ونقل أيضا عن أبي أنه قال العالمين هم الملائكة وهم ثمانية عشر ألف ملك منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب وأربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الثالث من الدنيا وأربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الاعوان ما لم يعلم عددهم الا الله تعالى ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام عرضها مسيرة الشمس أربعين يوما وطولها لا يعلمه الا الله تعالى مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الارض من هول صوته منتهاهم الى حملة العرش وقال معاذ النحوي هم بنو آدم فقط وقال أبو الهيثم خالد بن يزيد هم الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ورواه ابن جبير عن ابن عباس وقال أبو عمرو بن العلاء هم الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس كل ذي روح دب على وجه الارض لكن قال الشارح الهيتمي تخصيصه بذي الروح أو بالناس أو بالثقلين والملائكة أو بالثلاثة مع الشياطين أو ببني آدم أو بأهل الجنة والنار أو بالروحانيين يحتاج لدليل وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين أحد الا الله سبحانه وتعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وأل في العالمين للاستغراق ومنع ابن مالك كون العالمين جمع العالم وقال بل هو اسم جمع له لئلا يلزم أن المفرد أعم من جمعه لاختصاص العالمين بالعقلاء وشمول العالم لهم ولغيرهم فهو نظير قول سيبويه ليس أعراب لكونه لا يطلق الا على البدو جمعا لعرب لشموله له وللحضر وجوابه منع اختصاص العالمين بالعقلاء بل يشمل غيرهم كما صرح به الراغب والتغليب وانما غلب وأتي في جمعه بالواو والنون لشرفهم وعلى التنزيل وأن العالمين خاص فهو جمع لعالم مرادا به العاقل فلا محذور وحينئذ * (قيوم) * وزنه فيعول من القيام وحينئذ فاصله قيووم بواوين قبلهما ياء ساكنة فابدلت الواو الاولى ياء وادغمت في الياء الساكنة فصار قيوم واختلفوا في معناه فقال قتادة معناه القائم بتدبير خلقه وقال سعيد بن جبير معناه القائم على كل نفس بما كسبت وقال ابن عباس معناه الدائم الوجود الذي لا يحول ولا يزول وقبل العالم بالاشياء وقال القشيري معناه الدائم القائم بتدبير خلقه وحفظهم وهو أحسن الاقوال وأجمعها قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وعليه فمعنى القيوم في وصفه تعالى انه المدبر والمتولي لجميع الامور التي تجري في العالم والحافظ لها ومعنى قيوم

فالظاهر استحق العتاب واللوم ويقاس به من فعل مثله وقوله (فهجرته الى ما هاجر اليه) جواب لقوله من والهجرة فعلة من الهجر
وهو لغة الترك والمراد هنا ترك الوطن الى غيره لان المقصود الهجرة من مكة الى المدينة وبالجملة فحكم الهجرة من دار الكفر الى
دار الاسلام مستمر على التفصيل المذكور في كتب الفقه وقد تعلق الهجرة على هجرة ما نهى الله عنه فقد ثبت في الحديث المجاهد
من جاهد نفسه والمهاجر من هجر ١٢ ما نهى الله عنه فيهجر الانسان الارض التي تغلب على اهلها اكل الحرام ويهجر البلد
التي يسب فيها العلماء والصلحاء واما هجر المسلم أخاه فوق ثلاثة ايام فحرام الا من عذر وللزوج هجر زوجته في مضجعها اذا تحقق نشوزها فانظر يا أخي ما اشتمل عليه هذا الحديث من المحاسن وقد رواه اماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه بباء مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة مكسورة وزاي ساكنة وباء مفتوحة وهاء البخاري ومسلم رضي الله تعالى عنهما في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة مناقبهما كثيرة شهيرة لا نطيل بها وفي كلام البخاري شعرا

اغتنم في الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

السموات والارضين مقيمهما وموجدهما وحافظهما وقال عبد القاهر ان أخذنا القيوم من معنى
القيام على النفوس بارزاقها وآجالها والجزاء لها على اكتسابها كما قال عز وجل أفمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت كان من أوصافه المشتقة من أفعاله ولم يكن من صفاته الازلية وان أخذناه من معنى
الدائم لقوله عز وجل الا ما دمت عليه قائما أي مواظبا بدوام القيام كان من صفاته الذاتية لانه يكون
من معنى الباقي وبقاؤه صفة أزلية اه وفيه أربع لغات قيوم بتشديد الياء وقيوم بالهمزة وقيم وقيام
وبهما قرئ شاذا * (السموات) * جمع سماء وهي الجرم المعهود وتطلق على كل مرتفع وقدمها لشرفها
وعلوها ومكانها وجمعها لتباين أجناسها قال الاستاذ القشيري الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس
والثالثة من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من الزمرد والسابعة
من النور والعرش من جوهرة خضراء والكرسي من النور وقال الربيع بن أنس السماء الدنيا موج
مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة
والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسي لكن بسند واه السماء الدنيا
من زمردة خضراء والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة من
ذهب والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور * (والارضين) * بفتح الراء وقد تسكن جمع
أرض مؤنثة وكان حق الواحد منها أرضة لكن لم يقولوه وجمعها بالياء والنون شاذ وقيل وانما جمعت جمع
العقلاء جبرا لنقصها بعدم ظهور علامة التأنيث فيها وهي مشتقة من أرضت القرحة اذا اتسعت
فسميت أرضا لاتساعها ولا عبرة بقول من قال سميت أرضا لانها ترض بالاقدام لان الرض مكرر الضاد
ولا همزة فيه وجمعها وان كان خلاف ما في الآيات لرعاية الفواصل وللاشعار بان الاصح انهن سبع
لقوله تعالى ومن الارض مثلهن أي في العدد لا في الهيئة والشكل فقط فهي سبع طباق بين كل طبقتين
كما بين السماء والارض خلافا للضحاك الذي يزعم انه لا فتق فيها ويدل لكونها سبع طباق الحديث
المتفق عليه من ظلم قيد بكسر القاف أي قدر شبر من أرض طوقه من سبع أرضين وزعم ان المراد من
سبع أقاليم خروج عن الظاهر لغير دليل ولا وجه لتحمل شبر لم يأخذه ظلما لاختلاف طباق الارض فانها
تابعة ملكا وغصبا وفي حديث البيهقي اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما
أقللن وانما افردت في القرآن لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم أن الحكمة في افرادها في القرآن
ثقل جمعها لفظا وخص السموات والارضين بالذكر لان المقر والمنكر يعترف بهما لقوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فان قلت ما الحكمة في خلق السماء بغير عمد وما
الحكمة في خلقها قبل الارض فالجواب كما قال النيسابوري خلقها قبل الارض ليعلم ان فعله خلاف
أفعال الخلق لانه خلق أولا السقف ثم الاساس ورفعها على غير عمد ليدل على قدرته وجعل لها سبعة
أبواب باب المطر وباب الرزق وباب التدبير وباب تنزل منه الملائكة والروح وباب صعود الاعمال وباب
تنزل منه الملائكة بالبشارة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة وباب الرحمة فان قيل لم جعلها خضراء ومن

(خاتمة المجلس) اخواني من كان عاقلا ويعلم انه ميت فانه يرضى في الدنيا بالقوت فيما يناسب أي
ذلك ويشتغل بعمل الآخرة فان الآخرة هي دار القرار والدنيا دار الفناء قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد ارتحلت الدنيا
مدبرة والآخرة مقبلة فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل (وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في المسجد اذ دخل عليه رجل أبيض اللون حسن الشعر عليه ثياب بيض فسلم على النبي صلى

الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم سأله عن الدنيا فقال الدنيا كحلم النائم وأهلها مجازون ومعاقبون فقال فالآخرة فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية فريق في الجنة وفريق في السعير فقال يا رسول الله ما الجنة فقال أن تترك الدنيا طالب نعيمها أبدا قال فما خير هذه الامة قال الذي تعمل بطاعة الله قال فكيف يكون فيها الرجل قال مشمرا كطالب القافلة قال فكم القرار فيها قال كالمتخلف عن القافلة قال فكم بين الدنيا والآخرة قال غمضة عين قال فذهب الرجل فلم يره أحد فقال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا جبريل أتاكم يزهدكم في الدنيا (قال ابن عباس) رضي الله عنهما يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بارزة لا يراها أحد الا كره رؤيتها فيقال لهم هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها (وفي كتاب المنبهات) لا تحبوا الدنيا فانها ليست بدار المؤمنين ولا تصاحبوا الشيطان فانه ليس برفيق المؤمنين ولا تؤذوا أحدا فليس ذلك بحرفة المؤمنين فيا من بين يديه أهوال الحساب والصراط يا قليل الوفاء يا كثير الغدر والانبساط يا متكاسلا في طاعة مولاه وفي لذات هواه في نشاط يا مبارزا مولاه بالمعاصي أسرفت في الافراط يا ضعيفا عن حمل أثوابه كيف تقوى على حمل السياط فارفع يديك معي وقل الهي بحق كرمك استعملنا في جميع الطاعات ووفقنا لما تحب وترضى في جميع الاوقات واغفر لنا بجودك يا ذا الجود جميع الزلات وأيقظنا بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من سنة الغفلات وارزقنا التيقظ فيما بقي والتذكر لما قد فات وسلمنا في الدارين من جميع الآفات آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس الثاني في الحديث الثاني) * الحمد لله الذي بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للانام واختصه بشريعة سمحة مشتملة على الحكم والاحكام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام

أي شيء خضرتها قيل انما جعلها خضراء لتكون أوفق للبصر لان الاطباء يأمرون بادمان النظر الى الخضرة ليكون قوة للبصر قال الغزالي رحمه الله تعالى وفي النظر الى السماء عشرة فوائد منها انه يعرف ويذهب السواد ويقوي البصر وزينة للناظرين وعندك من الانشراح بقدر ما في يديك من السماء وأما خضرتها فقيل من جبل ق لانه من زمرد أخضر وهو خلف مغيب الشمس بسنة وخضرة السماء منه وقيل خضرتها من الصخرة التي تحت الارض السفلى تحت النون المشار له بقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله وجعل الله الشمس طباخة للثمار والفواكه ولولا الشمس ما نبت زرع ولا خرجت فواكه وجعلها تطبخ من فوق والناس تطبخون بالنار من تحت وجعل القمر طباخا لسائر أنواع الفواكه وجعل الله في الشمس من الخواص انها تذبل الورد وتجفف القصب والورق وتجمد الملح وترطب بدن الانسان اذا نام في الشمس وتجعل الماء حارا والبطيخ باردا وتبيض الثياب وتسود وجوه القصارين * (تنبيه) * الارض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعنا بها ودفن الانبياء بها وهي مهبط الوحي وغيره من الملائكة قاله في كشف الاسرار ونقل عن بعضهم ان السماء الدنيا أفضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي قلت ورد الاثر بخلافه أخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها وقد رفع للعلامة السيوطي رحمه الله تعالى سؤال صورته

يا عالم العصر لا زالت أناملكم * تهمي وجودكم نام مدى الزمن
فقد سمعت خصاما بين طائفة * من الافاضل أهل العلم واللسن
في الارض قد خلقت قبل السماء وهل * بالعكس جاء أثر يا نزهة الزمن
فمنهم قال ان الارض منشأة * بالخلق قبل السما قد جاء في السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستندا * الى كلام امام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفي من مشكل وأبن * نجاك ربك من وزر ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر * ماحي الضلالة هادي الخلق للسنن

(فأجاب رحمه الله تعالى بما صورته)

الحمد لله ذي الافضال والمنن * ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الارض قد خلقت قبل السماء كما * قد قصه الله في حم فاستبن
ولا ينافيه ما في النازعات أتى * فدحوها غير ذاك الخلق للفطن
فالحبر أغنى ابن عباس أجاب بذا * لما أتاه به قوم ذوو السنن
وابن السيوطي قد خط الجواب لكي * ينجو من النار والآثام والفتن

قال القاضي عياض وليس في غلظ الارض وطبقاتها وما بينهما حديث ثابت ثم ان الارض وردت في

وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أفضل الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الكرام وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين آمين * (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل قال فاخبرني عن أماراتها قال ان تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم رواه مسلم) *

القرآن لمعان الاول أرض الجنة كقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض يعني أرض الجنة والثاني الارض المقدسة بالشام كقوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها يعني الارض المقدسة الثالث أرض المدينة خاصة كقوله تعالى في العنكبوت يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون يعني أرض المدينة الرابع أرض مكة خاصة كقوله تعالى في الرعد أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قال بعضهم يعني ذهاب العلماء الخامس أرض مصر كقوله تعالى في يوسف اجعلني على خزائن الارض وكذا قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر السادس أرض العرب كقوله تعالى في المائدة أو ينفوا من الارض وكقوله تعالى في الكهف ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يعني أرض العرب السابع جميع الارضين كلها كقوله تعالى في هود وما من دابة في الارض الا على الله رزقها * (مدبر) * أمور (الخلائق) جمع خليقة بمعنى مخلوقة وترد بمعنى الخلق والطبيعة ومنه * وان تك قد ساءتك مني خليقة * البيت وبمعنى الجديرة قال الشاعر * خليقته بكل مدح جديرة * أي طبيعته بكل مدح جديرة والمراد الاول أي مصرف أمور الخلق بقدرته على وفق مشيئته من ايجاد واعدام واعطاء ومنع وغير ذلك على ما تقتضيه حكمته البالغة ولا يحسن ان يقال مدبر الخلائق على حسب ما تقتضيه المصلحة لان في الخلق من عاقبتهم النار وهم الكفار الا أن يراد تدبير الخلائق في الدنيا فيصح لان عموم رحمته تعالى اقتضت افاضة المصالح الدنيوية على المؤمن والكافر وأما حمل الخلائق على انه جمع خليقة بمعنى الخلق والطبيعة فهو خلاف الظاهر والتدبير في صفات البشر التفكر في عواقب الامور قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن ومعناه أفلا يتفكرون في معانيه يقال تدبرت الامور اذا تفكرت في عواقبها ولا يوصف الاله سبحانه وتعالى بالتفكر في الامور فانه لم يزل عالما بها قبل وقوعها واختلفوا في تأويل قوله عز وجل في صفة الملائكة فالمدبرات أمرا فمنهم من قال معناه انها تأتي بالتدبير من عند الله عز وجل ومنهم من قال معناه انهم يحدثون بالوحي عن الله عز وجل قال أبو عبيد يقال دبرت الحديث أي حدثت به عن غيري فالمدبرات أمرا المحدثون عن الله عز وجل بأمره ونهيه واخباره وفي الحديث أما سمعت عن معاذ بن جبل تدبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جمع الخلائق ليعلم ان التدبير اليه في العالم العلوي والسفلي من أعلى العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن قال الله عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض فان قيل اذا كان تدبير الاله نافذا في السماء والارض وما بينهما فلم انتهى التدبير الى الارض في الذكر فالجواب ان الى بمعنى مع كما في قوله تعالى الى المرافق وفي قوله من أنصاري الى الله فهو من باب دخول الحد في المحدود فهو المدبر للارض والسماء وما بينهما * (أجمعين) * تأكيد ناص على شمول تدبيره سبحانه وتعالى لكل مخلوق وأتى به للتسجيع (باعث) أي مرسل لطفا منه وفضلا منه تعالى لا وجوبا خلافا للمعتزلة مشتق من البعث وهو الارسال كما في قوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وقوله ثم بعثنا من بعده رسلا ويطلق بمعنى النشر والاحياء بعد الموت ومنه قوله عز وجل فاماته الله مائة عام ثم بعثه وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه الامام مسلم بهذا اللفظ والبخاري عن أبي هريرة بمعناه وهو عظيم الموقع والجلالة وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة (قوله قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد) يستفاد من طلوعه على تلك الهيئة الحسنة استحباب التجمل لاتيان العلم والقدوم على الغير وهو

تشكر ورؤ وكذلك البعث من النوم أي الايقاظ ومنه قوله عز وجل في أصحاب الكهف وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ويطلق بمعنى الاثارة والانهاض يقال منه بعث فلان بعيره فانبعث أي أثاره فثار ونهض *(الرسل)* جمع رسول وهو من البشر انسان حر ذكر اكمل معاصريه غير الانبياء عقلا وفطنة وقوة رأي وخلقا بالفتح وعقدة موسى عليه الصلاة والسلام ازيلت بدعوته عند الارسال كما في الآية معصوم ولو من صغيرة سهوا ولو قبل النبوة على الاصح سليم من دناءة أب وخنا أم وان عليا ومن منفر كعمى وبرص وجذام ولا يرد بلاء أيوب وعمى يعقوب بناء على انه حقيقي لطروه بعد الانباء والكلام فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة مروءة كالأكل بطريق ومن دناءة صنعة كحجامة أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ كيوشع فان لم يؤمر فنبي فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق وهو أفضل من النبي اجماعا لتميزه بالرسالة التي على الاصح هي أفضل من النبوة خلافا لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة على النبوة كما قال القرافي ان الرسالة تثمر هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ثم ان محل الخلاف فيهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معا بشخص واحد أما مع تعدد المحل فلا خلاف في افضلية الرسالة على النبوة قطعا ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة ولما كانت الصلاة على الانبياء مطلوبة اذا ذكروا لقوله صلى الله عليه وسلم صلوا على النبيين اذا ذكرتموهم فانهم بعثوا كما بعثت رواه ابن عساكر قال *(صلاته)* أي رحمته المقرونة بتعظيم وخص لفظها بهم تعظيما لهم وتمييزا لرتبتهم على غيرهم وتنظير بعض الشراح في تفسيرهم لها بالرحمة لانها عطفت عليها في أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولانها مستحيلة في حقه تعالى وتعويه انها المغفرة غير سديد لانها اخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص صحيح مفيد ولان المراد بها كما مر في حقه تعالى غايتها كسائر الصفات المستحيل ظاهرها عليه تعالى كذا في شرح الهيتمي نعم يرد ان الرحمة فعلها متعد والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدي كذا قيل وفيه بحث وفي بعض النسخ صلواته بالجمع (وسلامه) اسم مصدر بمعنى تسليمه أي تحيته أو تسليمه اياهم من كل آفة ونقيصة (عليهم) كلمة على هنا مجردة عن المضرة كما في قوله تعالى فتوكل على الله فلا يرد ان الصلاة بمعنى الدعاء واذا استعمل الدعاء مع كلمة على يكون للمضرة مع انه يمكن الفرق بين صلى عليه ودعا عليه *(الى)* متعلق بباعث *(المكلفين)* جمع مكلف وهو البالغ العاقل من الانس وكذا من الجن بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ هو مرسل اليهم اجماعا خلافا لمن وهم فيه كما بينه السبكي في فتاويه وأما بقية الرسل فلم يرسل احد منهم اليهم كما قاله الكلبي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وأما حكم سليمان فيهم واطاعتهم له فليس من جهة رسالته بل لكونه ولي عليهم فكان له عليهم تسلط بالملك وايمانهم بالتوراة كما دل عليه قوله تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى لا يدل على انهم كانوا مكلفين به لجواز ايمانهم به تبرعا منهم وليس منهم رسول عن الله تعالى عند جماهير العلماء وأما قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم فالمراد به من أحدكم وهو الاكثر على حد قوله يخرج منهما اللؤلؤ

كذلك قال أبو العالية كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم أحسن ما زرتم به الله في قبوركم ومساجدكم البياض وقال ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسألوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما اخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا فاذا لبسها لمثل ذلك كان فيه أجر لانه سبب لامتثال أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه قال العلماء ويكره لبس الثياب الخشنة لغير غرض شرعي قيل ان الحسن جذب فرقدا فأخذ بكسائه وقال له يا فرقد يا فريقد يا ابن أم فريقد ان البر ليس في لبس هذا الكساء انما البر ما وقر في الصدور وصدقه العمل (قوله حتى جلس) أي جاء حتى جلس قريبا منه وقوله (الى النبي صلى الله عليه وسلم) لم يقل بين يديه قيل لان حاله يدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معلما وقوله (فاسند ركبتيه الى ركبتيه) ظاهره انه جلس بين يديه وهو كذلك اذ لو جلس الى جانبه لما امكنه الاسناد ركبة واحدة وهو غير جلوس المتعلم بين يدي شيخه للتعلم وانما فعل ذلك جبريل عليه السلام للتنبيه على ما ينبغي للسائل من قوة النفس وعدم الاستحياء عند السؤال وان كان المسؤل ممن يحترمه ويهابه وعلى ما ينبغي للمسؤل من التواضع والصفح عن السائل وان تعدى ما ينبغي من الاحترام للمسؤل والادب معه (قوله ووضع كفيه على فخذيه) أي وضع الرجل كفيه على فخذيه صلى الله عليه وسلم وفعل ذلك للاستئناس باعتبار ما بينهما من الانس في الاصل حين يأتيه بالوحي وقد جاء مصرحا بهذا في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر حيث قالا حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وقال يا محمد) ناداه باسمه كما تناديه الاعراب مع انه حرام لان حاله يدل على انه لم يجئ متعلما وانما جاء معلما كما قدمناه أو قبل العلم بتحريمه قال بعضهم ومما تقرر علم ان

بذاته غيره ممن يستحق التوقير باسمه غير حرام وانما هو خلاف الاولى الا ان يتأذى به فيقوى تحريمه (قوله أخبرنى عن الاسلام) أى
عن حقيقته (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبا له (الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله) اى تعلم أن لا اله معبود بحق فى الوجود
الا الله الواجب الوجود (وأن محمدا رسول الله) اى وان تشهد أن محمدا رسول الله وتصدق بذلك (قوله وتقيم الصلاة) اى بان تأتى
بها باركانها وشروطها وتواظب عليها فى أوقاتها (وتؤتى الزكاة) أى تؤديها على وجهها الشرعى (وتصوم رمضان)

سمى بذلك لاشتداد حر الرمضاء فيه حين وضع له هذا الاسم ويستفاد من قوله رمضان بدون شهر انه لا يكره ذكره بدون شهر كما يأتى أيضا زيادة على ما هنا (قوله وتحج البيت) أى تقصد بيت الله الحرام للنسك بافعال مخصوصة (ان استطعت اليه سبيلا) والمراد بالاستطاعة هنا وجود الزاد والراحلة وغيرهما وقيد الحج بالاستطاعة دون المذكورات قبله مع انها مشروطة فيها أيضا لوجود عظم المشقة فيه دونها *(تنبيه)* ظاهر الحديث انه لا بد فى حصول الاسلام من مجموع الشهادتين حتى لو اقتصر على احدهما لم يكف وهو كذلك وقدم الكلام على الشهادتين لان بهما حصول الايمان الذى هو ملاك الامر وأصله اذ الباقى مبنى عليه مشروط به وبه النجاة فى الدارين ثم
الصلاة لانها عماد الدين وبين العبد والكفر ترك الصلاة ولشدة الحاجة اليها ولتكررها كل
يوم خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة فى أكثر المواضع ولوجوبها فى مال المكلف وغيره عند أكثر العلماء ثم صوم رمضان
لتكرره فى كل سنة وكثرة افراده عليه بخلاف الحج ثم الحج للتغاليظ الواردة فيه من نحو قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
ونحو قوله صلى الله عليه وسلم فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وسنذكر ان شاء الله تعالى فى المجلس الآتى بعد هذا زيادات

والمرجان وجعل القمر فيهن نورا وكذا الملائكة بالنسبة لنبينا أيضا لانه مرسل اليهم على الاصح عند جمع
من المحققين كما يدل عليه خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة وزاد السبكى انه مرسل الى جميع الانبياء والامم
السابقة وان قوله بعثت الى الناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة بل أخذ بعض المحققين
بعمومه حتى للجمادات واستدل له بشهادة الحجر والشجر له صلى الله عليه وسلم قال الحافظ السيوطى
وأزيد من ذلك انه مرسل الى نفسه وقول الرازى فى تفسيره ليكون للعالمين نذيرا الشامل لهم اجماعا على
ان المراد الانس والجن دون الملائكة مردود او مؤول بان مراده اجماعا الخصمين اذا جمعنا انما يقال
لذلك غالبا الاجماع كل الامة على ان هذا لا يؤخذ من مثل الرازى بل من مثل ابن المنذر وابن جرير واما
غير نبينا فغير مرسل اليهم قطعا ومعنى ارساله للملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان
به واشتهار ذكره وللجمادات انه ركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شئ الا يسبح بحمده
أى حقيقة بلسان المقال كما قاله الحافظ ابن عبد البر والقاضى عياض والسهيلى فى الروض الانف
فى غزوة أحد وابن المنير والسيوطى فى حاشية الموطأ وغيرهم وهو المعول عليه لا بلسان الحال خلافا
للبيضاوى فى سورة الاسراء اذا تقرر هذا فاطلاق المصنف بعث الرسل الى المكلفين ليس المراد به
عمومه كما عرفت فان قلت تكليف الملائكة من أصله مختلف فيه فالجواب كما قال الشارح الهيتمى ان
الحق تكليفهم بالطاعات العملية قال الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف
نحو الايمان لانه ضرورى فيهم فالتكليف به تحصيل الحاصل وهو محال *(تنبيهات)* الاول ذكر ابن
جماعة ان المكلفين ثلاثة أقسام قسم مكلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء وقسم لم
يكلف من أول الفطرة قطعا وهم أولاد آدم وقسم فيه نزاع والظاهر انهم مكلفون من أول الفطرة
وهم الجن الثانى قال فى شرح الترغيب والترهيب ما نصه سئل النووى هل يأجوج ومأجوج من ولد
حواء عليها السلام وكم ثبت انه يعيش كل واحد منهم فأجاب هم ولد حواء وآدم عليهما السلام عند أكثر
العلماء وقيل انهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون اخواننا من الاب أى انهم خلقوا من منى خرج من
آدم فى غير حال الجماع ووقع فى الارض وخلقوا منه ولم يثبت فى قدر أعمارهم شئ ونقل ابن عبد البر
الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح وان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل
بلغتهم دعوتك يا رسول الله فقال جزت ليلة أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا فهم من أهل النار وصرح بان
الصحيح انه لم يرسل اليهم وانهم من ذرية آدم بدليل حديث ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا آدم أخرج
بعث النار الحديث وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال يأجوج لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج
لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف فارس من ولده انتهى المراد منه وانظر على هذا الصحيح من انه لم
يبعث اليهم لم عذبوا وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ودعوى انه أرسل اليهم غيره
خلاف ما يظهر من كلام الجماعة وكيف يدعوهم مع انه لم يرسل اليهم *(لهدايتهم)* مصدر
مضاف للفاعل أو المفعول أى لاجل ارشادهم ودلالتهم اياهم على سلوك سبيل الهدى وتجنب طريق
الردى

على ماهنا (قوله قال) يعني السائل للنبي صلى الله عليه وسلم (صدقت) أي فيما أجبت به قال عمر رضي الله عنه (فعجبنا منه يسأله و يصدقه) أي لأن تصديقه يقتضي أن له علما بهذه الاشياء وهو لا يعلم الا من قبله صلى الله عليه وسلم وليس هو ممن عرف بالسماع منه أو من حيث ان سؤاله مؤذن بعدم علمه بما سأل عنه وتصديقه فيه مؤذن بانه عالم به فظاهر حاله أنه عالم به غير عالم به ثم زال عجبهم بقوله بعد هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم فظهر أنه كان عالما في صورة متعلم تعليما لهم وتنبيها (قوله قال فاخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله) أي ان تؤمن بوجوده وصفاته التي لا تتم الالوهية الا بها قال العلماء رضي الله تعالى عنهم الايمان بالله جل جلاله يتضمن معنيين الاول الايمان بذاته والثاني الايمان بوحدانيته فاما الايمان بذاته الكريمة فهو أن تعلم أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تشبه الصفات وكل ما تصورته في ذهنك أو توهمته في وهمك فالله تعالى بخلافه لان ذلك مخلوق وكل ما تصورته أو توهمته فهو مخلوق مثلا لان الله جل جلاله تقدس وتنزه عن أن يحل في مخلوق أو يحل فيه مخلوق وأنت جسم و جوهر وعرض والله تعالى بخلاف ذلك ولك جنس ونوع والله تعالى لا جنس ولا نوع له (فائدة) قال أبو اسحق الاسفرايني جمع أهل الحق جميع ما قيل في التوحيد في كلمتين احداهما ان كل ما تصور في الاوهام فالله تعالى بخلافه الثانية اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد وهذا في غاية الجودة والايجاز و رحم الله القائل

كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء

(وحكى) عن امامنا الشافعي رضي الله عنه انه قال من انتهض لطالب مدبره فانتهى الى موجود ينتهي اليه فكره فهو مشبه وان اطمأن الى

الردي قال المولى سعد الدين التفتازاني في شرح العقائد والمشهور ان الهداية عند المعتزلة هي الدلالة الموصلة الى المطلوب وعندنا الدلالة على طريق توصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء أو لم يحصل اه وكل من القولين منقوض أما الاول فمنقوض بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وأما الثاني فمنقوض بقوله تعالى انك لا تهدي من أحببت واحتمال التجوز مشترك والهداية من كل شئ أوله وما يتقدم منه ولهذا قيل أقبلت هوادي الخيل اذا امتدت أعناقها وأما الذي روي عنه انه عليه السلام خرج في مرضه يهادى بين اثنين فمعناه انه يمشي بينهما ويعتمد عليهما من ضعفه وكل من فعل ذلك باحد فهو يهاديه وتهادت المرأة في مشيتها اذا تمايلت وفي أمثال العرب في معنى الهداية قولهم أهدى من الانسان الى فيه وأهدى من يد الى فم وأهدى من قطاة وأهدى من حمامة لان القطا والحمامة يسيران من وكريهما ومثليهما مسافة أيام كثيرة ثم يهتديان اليهما واللام في كلام المصنف لبيان حكمة الارسال وغايته لا للعلة الباعثة عليه لان أفعاله تعالى لا تعلل بالاغراض لما يلزم على ذلك الذي ذهب اليه المعتزلة قبحهم الله مما هو مقرر في محله والهدى يتعدى بنفسه و بحرف الجر يقال هداه الطريق والى الطريق دله عليه (وبيان) البيان والتبيين عبارة عن الظهور بعد الخفاء وذلك لانهما مشتقان من البينونة والابانة وهي عبارة عن التفريق بين أمرين متصلين فاذا حصل في القلب اشتباه صورة بصورة ثم انفصلت احداهما عن الاخرى فقد حصلت البينونة فلهذا سمي بيانا وتبيينا (شرائع) جمع شريعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي لغة مشرعة الماء أي مورده الذي للشارب واصطلاحا ما شرعه الله لعباده من الاحكام من شرع بمعنى بين و بمعنى سن ومنه قوله تعالى شرع لكم من الدين أي سن (الدين) هو لغة يطلق على أمور منها الطاعة ومنه قول زهير

لئن حللت بواد في بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فدك

أراد في طاعة عمرو والجزاء ومنه قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي جزاءهم الحق الذي وعدوا به وقوله تعالى ان الدين لواقع أي الجزاء لواقع يوم التلبية والحساب ومنه قوله تعالى ذلك الدين القيم أي الحساب الصحيح وقوله تعالى انا لمدينون أي لمجزيون وقال لبيد

حصادك يوما ما زرعت وانما * يدان الفتى يوما بما هو دائن

ومن كلام العرب كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى والتوحيد ومنه قوله تعالى ألا لله الدين الخالص أي التوحيد وبمعنى الملة ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ويعبر به عن داء من أدواء القلب ومنه قول الشاعر * يا دين قلبك من سلمى وقد دينا * والعادة والعمل ومنه قوله

اذا أدرت لها وضيني * فهذا دينه أبدا وديني

والوضين الموذج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج والسياسة ومنه قول ذي الاصبع * ولا أنت دياني فتخزوني * والحال ومنه قول النضر بن شميل سألت اعرابيا عن شئ فقال لو لقيتني على دين غير هذا لأخبرتك أي على حال غير هذا والقهر والخضوع ومنه قول العرب دنته فدان أي

قهرته فخضع واصطلاحا وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات فخرج بقوله الهي الاوضاع الصناعية وبقوله سائق الوضع الالهي غير السائق كانبات الارض وأمطار السماء وقوله لذوي العقول الحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع السائقة لا بالاختيار كالوجدانيات وبقوله المحمود الكفر وقوله بالذات متعلق بسائق أي ان الوضع الالهي بذاته سائق لانه ما وضع الا كذلك ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير وهو ما وضعه الكريم بذاته خير والاضافة في شرائع الدين بيانية لان ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام هو الدين ويصح أن تكون على معنى اللام بان يراد بالشرائع الاحكام وبالدين الملة والاسلام وفي اثباته الشرائع للدين استعارة تخييلية ويصح أن تكون من اضافة المشبه به للمشبه فيكون تشبيها وكما أي وبيان الدين الذي هو لعذوبته كالشريعة كما قال الشاعر

والريح تلعب بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

(بالدلائل) متعلق ببيان جمع دلالة بتثليث الدال بمعنى الدليل قال ابن قاسم في الآيات البينات الدليل بزنة فعيل وفعيل جمعه على فعائل غير مقيس وأجيب بأنه يحتمل أن يراد بالدلائل جمع دلالة والدلالة تصدق على الدليل كما قال المحلي وجمعه على دلائل حينئذ مقيس والدليل في اللغة المرشد الى المطلوب وفي اصطلاح أهل الميزان ما يلزم من العلم به العلم بشئ آخر وفي اصطلاح أهل الاصول ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى علم أو ظن فالاول كالنصوص المثبتة للبعث والحساب والثاني كخبر انما الاعمال بالنيات وذهب أكثر المتكلمين الى انه لا يستعمل الدليل الا فيما يؤدي الى العلم وأما ما يؤدي الى الظن فليس بدليل ثم هو كما قال الزركشي في البحر ثلاثة أقسام سمعي وعقلي ووضعي فالسمعي كالكتاب والسنة والاجماع والعقلي ما دل بنفسه كدلالة الحدوث على المحدث والوضعي ما دل باسناده كالعبارة الدالة على المعاني ووصفها بقوله (القطعية) وهي الادلة المؤدية للعلم ليخرج الدلائل الظنية ووصفت المؤدية للعلم بالقطعية لانها تقطع معارضة الخصم أو القطع بمقدماتها نحو كل انسان جسم وكل جسم مركب فكل انسان مركب قال الشارح الهيتمي فان قلت أكثر أدلة الشريعة ظنية لان مقدماتها كذلك نحو الطمأنينة ركن في الصلاة وكل ركن واجب والوضوء عبادة وكل عبادة يشترط لها النية فكان ينبغي له حذف القطعية قلت انما صارت ظنية بالنسبة الينا لخلافها لمن سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم فانها بالنسبة اليه قطعية والكلام انما هو في بيان الرسل للشرائع وذلك جميعه قطعي ويصح أن يراد بدلائلهم معجزاتهم الدالة على صدقهم وكلها قطعية لاستفادتها من دليل مؤلف من مقدمتين قطعيتين نحو الرسل جاؤا بالمعجزات وكل من جاء بالمعجزات صادق فالرسل صادقون أما الصغرى فضرورية حسية والكبرى ضرورية عقلية اذ المعجزة خارقة للعادة وخرقها لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى وهو لا يؤيد بذلك كاذبا وقد أيدهم بها فلم يكونوا كاذبين بل صادقين (وواضحات البراهين) هو من اضافة الصفة للموصوف أي البراهين الواضحة التي لا اشكال فيها جمع

العلم الصرف فهو معطل أو لغيره وجود واعترف بالعجز عن ادراكه فهو موحد فالعجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق الاكبر رضي الله تبارك وتعالى عنه وقال بعض العارفين سبحان من رضي في معرفته بالعجز عن معرفته وقال الجنيد والله ما عرف الله الا الله وأما الايمان بوحدانيته تبارك وتعالى فهو أن تعلم انه منفرد بالملك والتدبير واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله واحد في أقواله سبحانه وتعالى (قوله صلى الله عليه وسلم وملائكته) جمع ملك وهم أجسام علوية مشكلة بما شاؤا من الاشكال ومعنى الايمان بهم التصديق بوجودهم وبانهم كما وصفهم الله تعالى بقوله عباد مكرمون * واعلموا أن ملائكة الرحمن عليهم السلام خلقهم الله جل جلاله وعز سلطانه من النور بقوله كن ولا يحصي عددهم الا الله سبحانه وتعالى وهم أنواع متفرقة ذكر ان من أعجب ما خلق الله فيهم ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يسبح الله تعالى ويقدسه ويمجده ويوحده ويقول في كلامه اللهم يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين وهو أكثر الملائكة نصحا لاهل الارض (نكتة) قسم الله تعالى الخلائق ثلاثة أقسام قسم خلقوا بعقل بغير شهوة وهم الملائكة وقسم خلقوا بشهوة بغير عقل وهم الدواب وقسم خلقوا بعقل وشهوة وهم بنو آدم فمن غلب عقله على شهوته كان مع الملائكة ومن غلب شهوته على عقله كان مع الدواب (قوله وكتبه) معنى الايمان بالكتب التصديق بانها كلام الله المنزل على رسله عليهم الصلاة والسلام وكل ما تضمنته فهو حق *(فائدة)* عدد ما أنزل الله على رسله مائة صحيفة وأربعة كتب واختار من الجميع أربعة كتب واختار من الاربعة القرآن واختار من القرآن سورة الفاتحة فهي خيار من خيار من خيار وهي الفاتحة والشافية والكافية والراقية والواقية والكنز

والاناس ولهما سلاثون اسما وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (قوله ورسله) معنى الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام التصديق بما جاؤا به عن الله تعالى وقدمت الملائكة على الرسل اتباعا للترتيب الوجودي فان الملائكة مقدمة في الخلق أو للترتيب الواقع في تحقيق معنى الرسالة فان الله تعالى أرسل الملائكة الى الرسل * واعلموا ان أنبياء الله ورسله خير الخلق اصطفاهم واختارهم وعصمهم وارتضاهم وجعلهم أمناء على دينه وتوحيده وجعلهم بركة وأمناء لخلقه في أرضه وجعلهم شفعاء مرضيين مقبولي الشفاعة وهم الرحمة وبهم ترحم أهل الارض صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعددهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي وورد غير ذلك أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأولوا العزم منهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد نظم أسمائهم بعض الفضلاء على ترتيبهم في الفضل فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

(قوله واليوم الآخر) هو يوم القيامة ومعنى الايمان به التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه وسمي آخرا لانه آخر أيام الدنيا وآخر الازمنة المحدودة وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى في الختام (قوله وتؤمن بالقدر خيره وشره) ومعنى الايمان به أن تعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريد لها ويكفي اعتقاد جازم بذلك من غير نصب برهان (نكتة) كان السلف الصالح رضي الله عنهم يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بأن يقولوا أن تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وقد سأل سائل الامام عليا رضي الله عنه عن القضاء والقدر فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه الى أن سأله الرابعة فأقبل عليه فقال له أخلق الله تعالى خلقك خلقك كيف يشاء أم كيف تشاء فقال بل كيف يشاء

برهان ودوافع الحجة وايضاحها من البرهنة وهي البيضاء من الجواري واصطلاحا ما تركب من تصديقين متى سلما لزم عنهما لذاته ما قول ثالث كالعالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث وعطفه على ما قبله من عطف المغاير لان البرهان لا يكون الا مركبا والدليل بخلافه (أحمده) أي أصفه بجميع صفاته الجميلة وذكر الحمد مرتين للجمع بين نوعيه الواقع في مقابلة صفاته تعالى والواقع في مقابلة نعمه وخص الأول بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار والثاني بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والتعاقب لقدم الصفات واستمرارها وتجدد النعم وتعاقبها (على جميع نعمه) جمع نعمة بكسر النون بمعنى المنعم به واما بفتح النون فهي التنعم قال تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين وبضمها السرور وجعل بعض المحققين النعمة في كلام المصنف بمعنى الانعام لا بمعنى المنعم به لان الاول وصف قائم بذاته تعالى دائم مستمر والثاني أثره والحمد على الانعام الذي هو من أوصاف المنعم أبلغ منه على أثره الواصل الينا وفي الحديث ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده واختلف الناس في ذلك فذهب الصوفية أثر النعمة في الاعتناء بالاخلاق وان عرى هو وجاع ومذهب الفقهاء حسن اللبس والنعمة هي المنفعة الخالية من الضرر ولذا اختلف هل لله نعمة على كافر في الدنيا فقيل نعم وعليه القاضي الباقلاني وصوبه الرازي لقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وذكر آيات كثيرة فيها دلالة لذلك وقيل لا وعزي للاشعري لانه وان وصل اليه نعم لكنها قليلة حقيرة لا اعتداد بها بالنسبة الى الضرر الدائم في الآخرة ومن ثم قال الله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما الآية قال بعض المحققين والخلاف لفظي اذ لا خلاف في وصول نعم اليه وانما النزاع في انها اذا حصل عقبها ذلك الضرر الابدي هل تسمى حينئذ في العرف نعما أولا فهو نزاع في مجرد التسمية واستبعده بعضهم وقد اختلف أيضا هل هو منعم عليه في الآخرة أو لا فذهب الى الاول المعتزلة رائين ان ما من عذاب الا وفي قدرة الله ما هو أشد منه لكن لا يقال انه في نعمة وذهب غيرهم الى الثاني قال بعضهم وأول نعمة أنعم الله بها على العبد المؤمن من النعم الدنيوية الحياة التي توصل بها الى ادراك اللذة التي لا يعقبها ضرر لاجماعها خلافا للمعتزلة في أن أولها الحياة في الجملة ويلزمهم ان أصحاب النار المقيمين فيها منعمون والاجماع على خلافه وأعظم النعم الدنيوية الايمان خلافا للمعتزلة في انه ليس من النعم البتة انما انه سبب الخلود في الجنة دون سائر الاعمال فوجب كونه أعظمها وأعظم النعم الاخروية مشاهدة الذات العلية في جنة عالية قطوفها دانية (واسأله) من السؤال وهو كما قال الراغب استدعاء معرفة أو ما يؤدي الى معرفة واستدعاء مال أو ما يؤدي الى مال فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتاب والاشارة واستدعاء المال جوابه على اليد واللسان خليفة لها اما بوعد أو برد والسؤال اذا كان للتعريف تعدى للمفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار نحو سألته كذا وسألته عن كذا وبعن أكثر نحو ويسألونك عن الروح واذا كان السؤال لاستدعاء مال فانه يتعدى بنفسه أو بمن نحو واذا سألتموهن متاعا واسألوا الله من فضله والسؤال من الادنى للاعلى دعاء وعكسه أمر ومن المساوي

قال فيحييك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيميتك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيبعثك يوم القيامة كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال فيحاسبك كيف يشاء أم كيف تشاء قال بل كيف يشاء قال اذهب فليس لك من الامر شئ ومعنى خير القدر وشره ان الايمان والطاعة وجميع الاعمال الصالحة من خير القدر وان الكفر والمعصية والغفلة وجميع أفعال المعاصي من شر القدر وفي رواية حلوه ومره فحلو القدر مالايم الطبع ووافق النفس كالنعم والتلذذ بجميع الملاذ كالعافية والأكل والشرب والنكح ومر القدر جميع مانفر الطبع وخالفه كالآلام والاسقام والامراض والاوجاع والجوع والعطش والخوف فكل ماذكر يجب الايمان به (تنبيه) جاء في رواية الترمذى تقديم السؤال عن الايمان على السؤال عن الاسلام قال بعضهم وهو أولى عاعملنا اذ السنة مبينة لكتاب الله عز وجل فالاولى بالتقديم الايمان لموافقته لكتاب الله عز وجل بدليل قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قدم فيها الايمان على الاسلام وغير ذلك من الآيات كقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اذ فيه تقديم التوحيد الذى هو من قبيل الايمان على الاستغفار الذى هو من قبيل الاسلام (قوله قال صدقت) تقدم الكلام عليها (قوله قال فاخبرنى عن الاحسان) يعنى به الاخلاص لانه فسره بما معناه ذلك ويجوز أن يعنى به اجادة العمل من أحسن فى كذا اذا أجاد فعله وهذا التفسير أخص من الاول وهو السؤال عن الحقيقة كالذى قبله ليعلمه الحاضرون (قوله قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانه شمل مقام المشاهدة ومقام المراقبة بيان ذلك وايضاحه ان للعبد فى عبادته ثلاث

التماس وقال بعضهم السؤال والدعاء مترادفان وليس بينهما وبين الامر والالتماس فرق من جهة الصيغة التى تدل على طلب الفعل دلالة وضعية وانما يحصل الفرق بالمقارن وذلك لانها ان قارنت الاستعلاء فهى أمر وان قارنت التساوى فهى التماس وان قارنت الخضوع فهى سؤال ودعاء فالسؤال مادل على طلب الفعل دلالة وضعية مقارنة للخضوع وهكذا (المزيد) اللام عوض عن المضاف اليه أى مزيد النعم (من فضله) هو لغة ضد النقص واصطلاحا العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تقول الحكماء ولا عن وجوب كما تقول المعتزلة اهـ ومعنى لا عن ايجاب انه تعالى تصدر عنه أفعاله باختيار لا بغيره كما تقول الحكماء فانهم يجعلونه علة وطبيعة تحصل آثارها من غير اختيار كالعلة ومعلولها والطبيعة ومطبوعها ومعنى قوله ولا عن وجوب انه لا يجب عليه تعالى ذلك خلافا للمعتزلة القائلين بانه يجب عليه فعل الصلاح والاصلح وزد بانه لو وجب عليه لما وقعت محنة دنيا واخرى ولا تكليف بأمر أو نهى وعلى هذا فمن للتعدية وتصح كونها للتعليل أى من أجل اتصافه بالفضل وسائر صفات الكمال اذ لا يسئل حقيقة الامن هو كذلك (وكرمه) فيه الوجهان المذكوران وهو بذل أى عطاء الكثير لغير علة أى دنيوية أو أخروية وضده اللؤم ويطلق الكرم بمعنى ايثار الصفح عن الجانى ومن عجيب ما يقال كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الدين وحكى اليافعى فى روض الرياحين أن شخصا أنشد ليحيى بن خالد هذين البيتين فاعطاه بكل حرف من الحروف ألف درهم وهما

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى من والد بعد والد

(وأشهد) أى أعلم وأتحقق وأذعن فلا يكفى العلم من غير اذعان كما هو شأن كثير من أهل الكتاب الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم (أن لا اله) أى لا معبود بحق موجود أى فى الوجود (الا الله) بالرفع على البدلية من الضمير المستتر فى الخبر المقدر العائد على اسم لا على المختار عند أبى حيان وهو الاشهر وقيل على البدلية من لا اله لان محل لا مع اسمها رفع بالابتداء ويجوز نصبه على الاستثناء لا على البدل من اسمها الان لا انما تعمل فى نكرة منفية ولفظ الله معرفة مثبت وأتى بالشهادة لما رواه أبو داود وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء * (الواحد) * فى ذاته فلا يتبعض ولا يتجزأ وصفاته وأفعاله بمعنى عدم مشارك غيره له فيها فهو الغنى على الاطلاق الذى لا يحتاج الى غيره قال بعض المحققين فان قلت نطق القرآن بالواحد والاحد فقال تعالى والهكم اله واحد وقال تعالى قل هو الله أحد فهل بينهما فرق من جهة المعنى قلت من الناس من يفرق بينهما معنى وهو الحق ومنهم من قال الوحدة راجعة الى الذات والاحدية راجعة الى الصفات أى واحد فى ذاته واحد فى صفاته ومنهم من عكس ومنهم من قال الوحدة راجعة الى نفى المثل والاحدية الى نفى الجزء ومنهم من عكس كذا فى شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام الانصارى * (القهار) * من القهر لانه ما من موجود الا وهو مقهور وتحت قدرته ومسخر بقضائه أو الذى قهر الجبابرة فى الدنيا بالدمار وقهر جميع أعدائه

مقامات الاول أن يفعلها على الوجه الذي تسقط معه الطلب بان تكون مستوفية للشروط والأركان الثاني ان يفعلها كذلك وقد استغرق في بحار المكاشفة حتى كانه يرى الله تعالى وهذا مقامه صلى الله عليه وسلم كما قال وجعلت قرة عيني في الصلاة الثالث ان يفعلها كذلك وقد غلب عليه ان الله تعالى يشاهده وهذا هو مقام المراقبة فقوله فان لم تكن تراه نزول عن مقام المكاشفة الى مقام المراقبة أى ان لم تعبده وأنت من أهل الرؤية فاعبده وأنت بحيث تعتقد أنه يراك فكل ٢١ من المقامات الثلاثة احسان لان الاحسان الذي هو شرط في صحة العبادة انما هو الاول لان الاحسان في الاخيرين من صفة الخواص ويتعذر من كثير * وهنا نكتة لطيفة (حكى) عن بعض أهل الطريق أنه ذكر هذا الحديث يوما فقال اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه ثم وقف وهى اشارة صوفية أى انك ان أفنيت نفسك ولم ترها شيأ شاهدت ربك لانها حجاب دونه فاذا ألقيت الحجاب شاهدت الجناب وهذا يشبه ما حكى عن بعضهم أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يارب كيف الطريق اليك قال خل نفسك وتعالى * قيل وأوحى الله تعالى الى بعض الصديقين اذا نفسك فليس في المملكة من ينازعني غيرها (قوله قال فاخبرني عن الساعة) أى عن وقت القيامة وسميت بذلك لسرعة قيامها أو لانها عند الله تعالى كساعة وليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون كالمسؤل عنه في الاسئلة السابقة اذ هو مقطوع بانه تعالى مخصوص به بل لينزجروا عن السؤال عنها فانهم أكثروا منه كما قال الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها فلما وقع الجواب بانه لا يعلمها الا الله تعالى كفوا عن ذلك (قوله قال ما المسؤل عنها) أى عن وقتها باعلم من السائل أى أنت لا تعلمها وأنا لا أعلمها فالمراد التساوي في نفي العلم بوقتها لا التساوي في العلم بوقتها (قوله قال فاخبرني عن أماراتها) بفتح الهمزة أى علاماتها وهى عبارة وهى أماراتها بالجمع وأما

أعدائه في الآخرة بالبوار (الكريم) المنعم المتفضل الذي يعطى من غير مسئلة ولا وسيلة أو المتجاوز الذي يقيل العثرات ويضاعف الاجر على الحسنات أو الذي يعطى ولا يكدر عطاءه بالمن والاذى أو السيد الذي يمتنع عن ان ينال بامتهان من قولهم أكرم نفسك عن الهوان وقد سمى الله عز وجل القرآن كريما لامتناعه عن أن يعارض بمثله والكريم يطلق على الله تعالى بخلاف السخى لعدم وروده ولاشعاره بجواز الشح *(الغفار)* من الغفر وهو ستر الشئ وتغطيته أى ستار القبائح والذنوب باسبال الستر عليها في الدنيا وترك المؤاخذة بها في العقبى ويقال لجنة الرأس مغفر لانه يغفر الرأس أى يغطيه والعرب تقول اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ واعلم أن الغفور أبلغ من الغافر لان فعولا موضوع للمبالغة والغفار أبلغ من غفور لانه للتكثير بغير حصر فاذا ستر الله على عبده مرة فهو غافر له وان ستر عليه مرارا فهو غفور وان أدام الستر عليه فهو الغفار له فاذا ستر على عبده في الدنيا وعفا عن عقوبته في الآخرة ولم يفضحه بذنبه فهو غفار له وقيل من غفر له بعض ذنوبه في الآخرة وعاقبه على الباقي فهو غافر له وان غفر له أكثر ذنوبه وعاقبه على القليل فهو غفور له وان غفر له جميع ذنوبه فهو غفار له وبين الغفار والقهار طباق معنوي لاشعار الاول بالقهر واستحضاره يبعث على الخوف والثاني بالرحمة واستحضارها يبعث على الرجاء *(وأشهد أن محمدا)* علم منقول لا مرتجل من اسم مفعول المضعف مشتق من الحمد الذي هو ضد الذم سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله ليكون على وفق تسمية الله تعالى له به قبل الخلق بالفي عام على ما ورد عند أبي نعيم وليطابق اسمه صفته لكثرة خصاله المحمودة ورجاء أن يحمده أهل السموات والارض وقد حقق الله رجاءه ومحمد أبلغ من محمود باعتبار فعليهما وان تساوى الاسمان في عدد الحروف اذ الاول من الثلاثي المضعف والثاني من الثلاثي المجرد وذكر المصنف هذا الاسم دون غيره لانه أشهر أسمائه ولذكره في القرآن منكرا دون غيره واشرفه اذ هو مشتق من اسمه تعالى كما قال حسان رضى الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

روى ابن عساكر عن كعب الاحبار أن آدم رآه مكتوبا على ساق العرش وفي السموات وعلى كل قصر وغرفة في الجنة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة ولم يسم به أحد قبله لكن لما قرب زمنه صلى الله عليه وسلم ونشر أهل الكتاب نعته وشاع قبل ظهوره للوجود الرجى أن نبيا يبعث اسمه محمد سمى قليل من العرب أولادهم به رجاء النبوة لهم والله أعلم حيث يجعل رسالته ومنع الله كلا منهم أن يدعى النبوة أو يدعيها له أحد او يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره وعدتهم اما خمسة أو ستة أو أربعة عشرة أو خمسة عشر أو سبعة عشر والذي اقتصر عليه الشارح الهيتمى انهم خمسة عشر كما بينه بعض المحققين قال شيخ الاسلام واما أحمد فلم يتسم به أحد قبله فيما اعلم (عبده) قدمه امتثالا لما في الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله وللرد على اليهود والنصارى حيث زعمت الاولى ان عزيرا ابن الله والثانية المسيح ابن الله تعالى الله

عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانظر الى أول ما قال المسيح لما طلبت منه أمه اجابة القوم عنها وهي اني عبد الله ولان العبودية أشرف أوصافه عليه الصلاة والسلام ولذلك وصف بها في أشرف المقامات فذكره في انزال القرآن عليه في مما نزلنا على عبدنا أنزل على عبده الكتاب نزل الفرقان على عبده وفي مقام الدعوة عليه وانه لما قام عبد الله يدعوه وفي مقام الاسراء والوحي في أسرى بعبده فأوحى الى عبده ما أوحى فلو كان له وصف أشرف منه لذكره به في تلك المقامات العلية وليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية ولقد أحسن القاضي عياض حيث قال

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

وعن أحمد أخي الغزالي ان القارئ قرأ عنده يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم فقال شرفهم بياء الاضافة الى نفسه بقوله يا عبادي ثم أنشد

وهان على اللوم في جنب حبها * وقول الاعادي انه لخليع
أصم اذا نوديت باسمي وانني * اذا قيل لي يا عبدها لسميع

وقد خيره الله تعالى بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار الثاني ومن ثم لم يقل لشيء فعله خادمه أف قط ولا ضرب عبدا ولا أمة وهذا شيء لا يسعه الطوق البشري الا بتأييد الهي (ورسوله) الواو فيه للعطف فعول بمعنى مفعول وهو لغة المرسل واصطلاحا مر تفسيره كالنبي وأخر ذكره اشارة الى رد ما عليه ابن عبد السلام من تفضيل النبوة على الرسالة وقد سلف رده اه والاضافة فيه وفيما قبله للتشريف (وحبيبه) فعيل بمعنى الفاعل وحبيب يأتي بمعنى محب كأليم بمعنى مؤلم قال الشاعر

اني تودكم نفسي وأمدحكم * حي ورب حبيب غير محبوب

وقيل بمعنى المفعول أي محبوبه الاعظم مأخوذ من المحبة وهي خالص كل شيء وقيل من حبب الاسنان وهو صفاء بياضها ونضارتها اذ هي صفاء المودة وقيل من الحباب وعليه فهي غليان القلب وثورانه عند التعطش الى لقاء المحبوب *(وخليله الاعظم)* فعيل بمعنى مفاعل وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أي خصالك أو يسايرك في طريقك والخل الطريق في الرمل أو يسد خللك أو يدخلك خلال منزله أو الذي تخلل الحب شغاف قلبه من الخلة بالفتح وهي الحاجة لانقطاعه الى ربه وقصر حاجته عليه ولذا وصف بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قصر حاجته على ربه حين جاءه جبريل عليهما الصلاة والسلام وهو في المنجنيق بفتح الميم وكسرها ليرمى به في النار فقال له ألك حاجة فقال أما اليك فلا أو من الخلة بالضم وهي صفاء المودة وتخللها في القلب فلا تدع فيه محلا الا ملأته وهي توجب الاختصاص بالاسرار قال أبو العلاء المعري

والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

أو من الخلة بالكسر وهي نبت تستحليه الابل ومن أمثالهم الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها والثاني

الامارة بالكسر فالولاية والمراد علامة الساعة السابقة عليها او مقدماتها الاقارنة الغاية لها كطلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة فلذا قال (ان تلد الامة ربتها) وفي رواية ربها واختلف في معناه على أقوال أصحها انه اخبار عن كثرة السراري وأولادهن وان ولدها من سيدها بمنزلة سيده لان مال الانسان صائر الى ولده وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين اما بالاذن أو بقرينة الحال أو عرف الاستعمال وعبر بعضهم بان يستولي المسلمون على بلاد الكفر فتكثر السراري فيكون ولد الامة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه ثانيها أن معناه أن الاماء تلد الملوك فتكون أمه من جملة رعيته اذ هو سيدها ثالثها أن معناه أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الاولاد في آخر الزمان فيكثر ترددها في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها من غير علم أنها أمه ومن ذلك أن يكثر العقوق في الاولاد فيعامل الولد أمه بما يعامل السيد أمته من الاهانة والسب ويشهد لذا حديث أبي هريرة المرأة مكان الامة وحديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا وقيل هو كناية عن رفع الاسافل لان الامة اذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها ويشهد لهذا المعنى حديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وقيل غير ذلك (قوله وان ترى الحفاة) بالمهملة جمع حاف وهو من لا نعل في رجله (قوله العراة) جمع عار وهو من لا شيء على جسده (قوله العالة) بتخفيف اللام المخففة جمع عائل وهو الفقير والعيلة الفقر (قوله رعاء الشاء) بكسر الراء والمد جمع راع وأصل الرعي الحفظ والشاء الغنم وخصهم بالذكر لانهم أهل البادية (قوله يتطاولون في البنيان) أي يتباهون في ارتفاعه والقصد من الحديث الاخبار عن تبدل الحال وتغيره بان يستولي أهل البادية والفاقة الذين هذه صفاتهم على أهل الحاضرة ويتملكون بالقهر والغلبة فتكثر أموالهم ويتسع في الحطام آمالهم فتنصرف هممهم

الى تشييد البنيان وقد جاء في الحديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع كما مر وجاء اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة وهذا مشاهد في زماننا وفيه دلالة على كراهية ما لا تدعو الحاجة اليه من تطويل البناء وتشييده وجاء في الحديث يؤجر ابن آدم على كل شيء الا ما يضعه في هذا التراب ومات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة (قوله ثم انطلق) أي الرجل السائل عما ذكر (فلبث النبي صلى الله عليه وسلم) أي استمر ساكتا عن الكلام في هذه القضية (مليا) بتشديد الياء أي زمانا كثيرا وجاء في رواية فلبثت بتاء مضمومة فيكون عمر هو المخبر عن ذلك بنفسه وكان ذلك لزمن بعد ثلاث كما جاء في رواية أبي داود والترمذي وغيرهما (قوله ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) أي قواعد دينكم ففيه اشارة الى أن الدين اسم للثلاثة الاسلام والايمان والاحسان وفهم منه انه تستحب للعالم تنبيه تلامذته وللرئيس تنبيه أتباعه على قواعد العلم وغرائب الوقائع طالبا انفعهم وفائدتهم (تنبيه) ظاهر هذا الحديث مخالف لحديث أبي هريرة رضي الله عنه فادبر الرجل فقال عليه الصلاة والسلام ردوه على فاخذوا يردونه فلم يروا شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل فيحمل على ان عمر رضي الله عنه لم يحضر قوله هذا بل كان قام عن المجلس فاخبر به بعد ثلاثة أيام (خاتمة المجلس) اعلم ان جبريل عليه السلام ملك متوسط بين الله ورسله وهذا الاسم سرياني ومعناه عبد الله والخبر دال على ان الله تعالى شكل الملائكة بما شاء من الصور كما مر وقد كان جبريل يتمثل لنبينا صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وفي رواية ما جاءني جبريل في صورة لم اعرفه فيها الا في هذه المرة قال ابن عادل رحمه الله يروى أن جبريل عليه السلام نزل على آدم عليه السلام اثنى عشر مرة وعلى ادريس أربع

هو المختار كما قال الواحدي لان الله تعالى خليل محمد ومحمد خليل الله ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل محمد من الخلة بالفتح التي هي الحاجة واختلف هل درجة المحبة أرفع أو الخلة أقوال ثالثها هما سواء واحتج للاول بخبر البيهقي انه تعالى قال ليلة الاسراء يا محمد سل تعطه فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له ألم أعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا أو ما في معناه وبان الحبيب وصل بلا واسطة بخلاف الخليل قال الله تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين أو أدنى وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ورجح الزركشي تبعا لابن القيم وغيره الثاني لان المصطفى صلى الله عليه وسلم اخبر ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة وأبيها وفاطمة وبنيها ولعمر بن الخطاب وكثير من الصحابة وأهل بيته قال ابن القيم وظن ان المحبة أرفع وان ابراهيم خليل ومحمد حبيب غلط وجهل واما ما احتج به الاولون مما مر فانه يقتضي تفضيل ذات محمد على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لا نزاع فيه انما النزاع في الافضلية المستندة الى احد الوصفين والذي قامت عليه الادلة استنادها الى وصف الخلة الموجودة في كل من الخليلين فخلة كل منهما أفضل من محبته واختصاصها التوفر معناها السابق فيهما اكثر من بقية الانبياء ولكون هذا التوفر في نبينا أكثر منه في ابراهيم كانت خلته أرفع من خلة ابراهيم صلى الله عليهما وسلم اه وفيه دلالة على ثبوت وصف الخلة والمحبة لكل منهما لقوله فخلة كل منهما أفضل من محبته *(أفضل المخلوقين)* كلهم من الجن والانس والملائكة حتى أمين الوحي لخبر أنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وفي رواية أنا اكرمكم على ربي وقوله أنا سيد الناس يوم القيامة وقوله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي ومن آخر هذا وصريح الاولين علمت أفضليته على آدم وقوله أنا سيد ولد آدم اما للتأدب مع آدم أو انه علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم فاذا افضل نبينا الافضل من آدم فقد فضل آدم بالاولى ولفظ ولد في الحديث يطلق على الواحد والجماعة فيهم كما قال التلمساني فاندفع ما قيل انه لا يقتضي العموم الا لو قال أولاد واما التفضيل بين باقي الانبياء والملائكة ففيه طرق سيأتي ذكرها ولا ينافي التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم ولا قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني وفي رواية لا تخيروني على الانبياء ولا قوله أيضا لا تفضلوا بين الانبياء ولا قوله لا تخيروني على موسى ولا قوله ما ينبغي لعبد ان يقول أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك لان عدم التفرقة بينهم انما هو في الايمان بهم وبما جاؤا به واما النهي فانما هو عن تفضيل في نفس النبوة أو الرسالة فان الانبياء كلهم مشتركون

في ذلك من غير تفاوت أو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول أو يؤدي الى الخصومة والفتنة أو قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا واحتراما لاخوانه الانبياء أو قاله قبل ان يعلمه الله تعالى بتفضيله عليهم وان استبعد بأنه رواه أبو هريرة وما أسلم الا متأخرا فيبعد انه لم يعلمه الله بتفضيله عليهم الى بعد هذا واجاب جمع كذلك وامام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله نفي توهم التفاوت بينهما في القرب لاختلاف محلهما الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس الى قعر البحر أي لا تتوهموا من هذا التفاوت تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان وحكى السهيلي عن شيخه القاضي أبي بكر بن العربي عن شيخه أبي المعالي ان سائلا من العوام سأل ابا المعالي في مجلسه عن الدليل على ان الله تعالى لا يوصف بالجهة ولا يحدودها فقال نعم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني عن يونس بن متى فقال الرجل انا اريد ان اعرف وجه الدليل فقال ضافني الليلة ضيف له على ألف دينار وقد شغلت بالي فلو قضيت عني قلته فقام رجلان من التجار فقالا في ذمتنا فقال أبو المعالي لو كان رجل واحد ضمنها لكان أحب الي فقال احد الرجلين أو غيرهما هي في ذمتي فقال نعم ان الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده الى فوق سبع سموات حتى سمع صرير الاقلام فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في علو مكانه بأقرب الى الله من يونس في بعد مكانه فان الله تعالى لا يتقرب اليه بالاجرام والاجسام وانما يتقرب اليه بأحسن الاعمال (المكرم) على غيره من سائر الرسل (بالقرآن) العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الكلام المنزل عليه صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته مصدر قرأ اذا جمع لجمعه السور المختلفة وعلوم الاولين والآخرين والمقراة الحوض اذا جمع فيه الماء وسميت القرية قرية لجمعها أهلها وقيل مصدر قرأ اذا ألف لحسن نظمه وتأليفه (العزيز) من عز الشئ يعز بكسر العين في المضارع اذا لم يكن له نظير فهو البالغ من العزة والعظمة الغاية التي لا ترتقي أو بمعنى الغالب من قولهم عز فلان يعز بضم العين اذا غلب ومنه قوله تعالى وعزني في الخطاب أي غلبني وفي المثل من عز بز أي من غلب سلب لانه غلب فصحاء العرب وبلغاءهم واعجزهم أو بمعنى المنيع والعزة المنعة ومنه قوله تعالى أيبتغون عندهم العزة أي المنعة لامتناعه لرصافة مبانيه وصحة معانيه من الطعن فيه (المعجزة) اسم فاعل مأخوذ من العجز المقابل للقدرة وهي من حيث هي كما قال الرازي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال السعد انما قال أمر ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين الاصابع الشريفة وعدمه كعدم احراق النار ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن اقتصر على الفعل جعل المعجزة ههنا كون النار بردا وسلاما وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير احتراق واحترز بقوله المقرون بالتحدي عن الخارق الواقع من غير تحد فيسمى كرامة والخارق المتقدم على التحدي كتسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وكتظليل الغمام له فانه لم يقع له صلى الله عليه وسلم الا قبل النبوة خلافا لمن وهم فيه فيسمى ارهاصا أي تأسيسا للنبوة من ارهصت الحائط اذا أسسته والمتأخر عنه كنحو

مرات وعلى نوح خمس مرات وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة وعلى موسى أربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين ألف مرة وقد وصف الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام بالقوة فقال علمه شديد القوى وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وكان من قوته ان صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين خامدين وكان هبوطه من السماء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصعوده اليها في أسرع من طرفة عين ويقال له الناموس كما في البخاري ومسلم (ولقد حكى) بعض العلماء في تصنيف له ان الله تبارك وتعالى أوحى الى جبريل عليه السلام أن اهبط الى البلاد الفلانية فاقلب عاليها سافلها فانه قد اشتد غضبي عليهم في هذه الليلة فقال جبريل سبحانك يارب وأي ذنب فعلوا قال انه قد ركب فيهم في هذه الليلة سبعون ألف ذكر سبعون ألف فرج زنا قال فذهب الى تلك القرى وكانت سبعة مدائن فرفعها على حافية من جناحه حتى وصل بها الى عنان السماء وأراد أن يقلبها وكان لامرأة منهم عجين فقامت اليه وطفل نائم في المهد فلما أن وضعت يدها في العجين استيقظ الطفل من مهده وصاح فحارت المرأة في أمرها وماذا تفعل ويدها في العجين وولدها يصيح فقالت من عظم حرقتها تخاطب ولدها ياولدي ان ربي سبحانه وتعالى من كرمه حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه قال فلما تكلمت المرأة بما بذلك سكن غضب الله عز وجل وقال لجبريل ضع القرى مكانها فانه قد سكن غضبي بمناجاة هذه المرأة لولدها فاني حليم لا أعجل بالعقوبة على من عصاني فكان الطفل سببا لاشفاقه فيمن استحقوا العذاب وهم لا يعلمون اللهم ارض عنا ولا تغضب علينا آمين آمين يا ارحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(المجلس الثالث في الحديث الثالث)

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون سبب النعيم المؤبد وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله النبي المفضل المشرف المؤيد فهو حامد ومحمود وأحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما ركع راكع وسجد آمين (عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان رواه البخاري ومسلم) اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم رواه الإمام البخاري في الإيمان والتفسير والإمام مسلم في الإيمان والحج وقد اشتمل على أركان الإسلام فهو من قواعد الدين العظيمة (قوله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام) أي أسس وأصل البناء أن يكون في المحسوسات دون المعاني فاستعماله في المعاني من باب المجاز وقد جاء في غاية الحسن والبلاغة إذ جعل للإسلام قواعد وأركاناً محسوسة وجعل الإسلام مبنياً عليها (قوله على خمس) أي خمس دعائم أي قواعد هي حاصل ما سيذكر (قوله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) هذا هو الركن الأول من أركان الإسلام ولما كان الإيمان هو تصديق القلب بكل ما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وكان تصديق القلب أمراً باطناً لا اطلاع لنا عليه جعله الشارع منوطاً بالشهادتين قال تعالى قولوا آمنا بالله وقال عليه الصلاة والسلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله رواه الشيخان وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على معنى ذلك وعلى شيء من فضل لا إله إلا الله في محله * (تنبيه) * هل النطق بالشهادتين شرط لإجراء أحكام المؤمنين في الدنيا

ما روي بعد وفاته من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الأخبار فيسمى كرامة والتحدي دعوى الرسالة وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوى والراجح الأول ولا يشترط في صدق الدعوى تعيين الخارق بل لو قال أنا آتي بخارق لا يقدر عليه غيري كفى والمتبادر من السياق أن ذلك الخارق موافق للدعوى فيخرج الخارق الكذب للتحدي به كما وقع لمسيلمة اللعين أنه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغار ودعا لشخص أعور فعميت عينه الصحيحة فيسمى استدراجاً وإذلالاً وإهانة ويخرج به أيضاً ما إذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فنطق بأنه مفتر كذاب بخلاف ما إذا قال إحياء هذا الميت فنطق بأنه كاذب لأن المعجزة في إحيائه وهو بعده مختار قدم الكفر على الإيمان وقد يظهر الخارق على يد عاص تخليصاً له من فتنة ويسمى معونة واحترز بقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة فإنه يمكن معارضتهما بتعليمهما ثم إن قيد التحدي لا بد منه لكن يشترط عند كل معجزة لأن أكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم صدر من غير تحد بل قيل لم يتحد بغير القرآن وتمني الموت وإنما الشرط وقوعها أي المعجزة ممن سبق منه دعوى التحدي فتأمل ذلك ليندفع به ما أطال به النقاش في تفسيره من إبطال اشتراط ذلك وتزييفه ولا يرد ما سيقع على يد الدجال من الخوارق العجيبة لأنه مدع للربوبية لا الرسالة وقد دلت القواطع على كذبه وإن ظهور ذلك على يديه لمحض الفتنة لا غير وقد علم مما سبق اشتمال التعريف بالعناية على القيود السبعة التي اعتبرها المحققون في المعجزة أولها أن تكون فعلاً لله تعالى أو ما يقوم مقامه كالترك ليتصور كونه تصديقاً منه تعالى للآتي به وثانيها أن تكون خارقاً للعادة إذ لا إعجاز دونه وثالثها أن يكون ظهوره على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له ورابعها أن يكون مقارناً للدعوى حقيقة أو حكماً بأن تراخى التحدي عن زمان الخارق تراخياً يسيراً بحيث لا يعده العرف منفصلاً منه وخامسها أن يكون موافقاً للدعوى إذ المخالف لا يعد تصديقاً كنتق الجبل عند دعوى مدعي الرسالة أن معجزته فلق البحر حيث عين الخارق وسادسها أن لا يكون مكذباً له إن كان ممن يعتبر تكذيبه كقوله معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب فإنه يدل على كذبه بخلاف ما إذا قال معجزتي نطق هذا الإنسان الميت أو إحياؤه فحيي وشهد أنه مفتر كذاب لأنه لا يدل على كذبه لأن المعجزة إنما هي نطقه أو إحياؤه وبعد ذلك هو مكلف مختار فربما اختار الكفر على الإيمان كما سلف وسابعها أن تتعذر معارضته إلا من نبي مثله فإن هذا هو حقيقة الإعجاز زاد بعضهم ثامناً وهو أن لا يكون الخارق واقعاً في زمان نقض العادات فما يقع عند قيام الساعة وفيه لا يعد مصدقاً ثم إن هذه الشروط جميعها موجودة في القرآن فكان معجزة لأنه صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى معارضته بالإتيان بمثله فعجزوا ثم بعشرة فعجزوا ثم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ثم نادى بذلك على جميع البلغاء والفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء وشهرتهم بأنهم فرسان الفصاحة وشجعان البلاغة وإفراطهم في العصبية وحمية الجاهلية فعجزوا حتى أنهم آثروا مقارعة السيوف على معارضة الألفاظ والحروف ووجه إعجازه كما قال الجمهور كونه في الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب

من الصلاة عليه والتوارث والمناكحة وغيرها فهو داخل في مسمى الايمان أو جزء داخل في مسماه قولان ذهب جمهور المحققين الى
أولهما وعليه من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار فهو مؤمن عند الله وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب كثير من
الفقهاء الى ثانيهما والزموا الاولين بأن من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار يلزمه أنه يكون كافرا وهو خلاف
الاجماع على ما نقله الامام الرازي وغيره لكن يعارض دعوى الاجماع قول الشقفاء الصحيح انه مؤمن مستوجب

قال بلغائهم وعلماء العرب بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم بأساليب الكلام هذا مع اشتماله على
الاخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الالهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم
الاخلاق والارشاد الى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والدنيوية على ما يظهر
للمتدبرين ويتجلى على قلوب المتفكرين ومما يدل على ان فصحاء العرب انما تباعدوا عنه لخروجه في
فصاحته وبلاغته عن طاقتهم انهم كانوا اذا سمعوه تعجبوا من حسن نظمه وبلاغته وفصاحته
وسلاسته وجزالته ويرقصون رؤسهم عند سماعه حتى ان اعرابيا سجد عند سماع قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر وأعرض عن المشركين وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وقالت جارية خماسية أو سداسية
من فصحاء العرب للاصمعي لما رأته تعجب من فصاحة حديثها أو بعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى
وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه الآية فقد جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقال
بعض بطارقة الروم بعد اسلامه لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان آية من القرآن جمعت كل
ما انزل على عيسى من أحوال الدنيا والآخرة وهي ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية
وستأتي هذه بأتم من هذا في شرح قوله بجوامع الكلم * (المستمرة) * أي الدائمة وفي بعض النسخ
المستمر وصفا له باعتبار لفظه * (على تعاقب) * أي توالي * (السنين) * تشهد بصدق دعواه فيما جاء
به وترشد الى الايمان به في كل زمان وأما من قبله من الانبياء فخصه الله تعالى من المعجزات بما ثبتت به
دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقضت معجزته كقلب العصا حية واخراج اليد بيضاء في زمن
موسى لان الغلبة فيه كانت بالسحر فأتاهم بما فوق ذلك وفي زمن سليمان بالملك فأتاهم بملك لم ينله غيره
وفي زمن عيسى بالطب فأتاهم بما هو أبهر منه أعني احياء الموتى وفي حديث البخاري ما من نبي الا
أعطي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى الي وفي معناه قولان غير
متنافيين يرجع حاصلهما الى أن معجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية
تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة صالح لم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة
فيشاهدها كل من جاء بعد الاول وانما كانت أكثر معجزات الامم السابقة حسية لبلادتهم وأكثر
معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم * (والمكرم بالسنن) * جمع سنة فعلة بمعنى مفعولة وهي لغة
الطريقة القويمة يقال فلان على السنة أي على طريق الاستواء لا يميل الى شيء من الاهواء واصطلاحا
أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله والمراد بها هنا ما سنه أو شرعه صلى الله عليه وسلم من
الاحكام فرضا كان أو نفلا من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكان اجراؤه على نهج واحد أو من
سننت النصل اذا أحددته أو من سن الابل اذا أحسن رعيها وتطلق السنن أيضا على الامم قال بعضهم

ما عاين الناس من فضل كفضلهم * ولا رأوا مثلهم في سالف السنن

ونازع الزجاج في ذلك وقال في المعنى أهل السنن فحذف المضاف * (المنيرة) * أي ذات النور المحكي
به عما تضمنته واشتملت عليه هداية العالمين وايقاظ الغافلين بخلاف غير المستنيرة كالبدع فانها

الجنة حيث أثبت فيه خلافا (قوله وإقام الصلاة) هذا هو الركن الثاني من أركان الاسلام والصلاة لغة الدعاء بخير وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة وهي خمس في كل يوم وليلة معلومة من الدين بالضرورة والاصل فيها قبل الاجماع آيات كقوله تعالى وأقيموا الصلاة أي حافظوا عليها دائما بكمال واجباتها وسننها وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي محتمة مؤقتة وأخبار كقوله صلى الله عليه وسلم فرض الله على أمتي ليلة الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة وقوله للاعرابي حين قال هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع وقوله لمعاذ لما بعثه الى اليمن أخبرهم ان الله قد فرض
عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة وأما وجوب قيام الليل فنسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله تنبيه
عليه وسلم أكثر الاصحاب لا والصحيح نعم واختلف في اشتقاق اسم الصلاة فقيل من الدعاء كما مر وقيل سميت بذلك من الرحمة وقيل من
الاستقامة لقولهم صليت العود على النار اذا قومته فالصلاة تقيم العبد على طاعة الله تعالى وخدمته وتنهاه عن خلافه وقيل لانها صلة
بين العبد وربه وقيل غير ذلك قال الرافعي في شرح المسند ان الصبح كانت صلاة آدم والظهر كانت صلاة داود والعصر كانت

صلاة ايمان والمغرب كانت صلاة يعقوب والعشاء كانت صلاة يونس وأورد في ذلك خبرا فجمع الله سبحانه وتعالى جميع ذلك لنبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ولامته تعظيما له ولكثرة الاجور له ولامته وقد قال عليه الصلاة والسلام خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن فلم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون هل يبقى ذلك من دونه شيأ قالوا لا قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وأنشد

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع
لان بها الارقاب لله تخضع
وأول فرض في شريعة ديننا
وآخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة
وكان كعبد باب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته
نجيا فطوبى له حين يخشع

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة قام كانه لم يعرفنا ولم نعرفه فيا أيها الطامع في ثواب الجنان الخاطب من ربه الحور الحسان حافظ على صلواتك وحفها بالنوافل تنل في غدك أعلى المراتب والمنازل فقد قال عليه الصلاة والسلام ما من مسلم يسجد لله تعالى سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة * وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا ان العبد اذا قام

تشبه بالظلمات لما يتخيل فيها من سواد وظلام أو هو للايضاح تشبيه لها بالوضوح واهتداء الناس بها وظهور أحكامها بذات النور لما يتخيل فيها من بياض واشراق ثم ان استنارتها وان ظهرت لكل أحد الا أنها لا تتضح كمال الاتضاح الا * (للمسترشدين) * جمع مسترشد وهو طالب الرشاد ضد الغي * (المخصوص) * من الله تعالى عن سائر الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام * (بجوامع الكلم) * من اضافة الصفة للموصوف أي الكلم الجوامع كما في خبر مسلم أوتيت جوامع الكلم وفي خبر الصحيحين بعثت بجوامع الكلم وفي خبر أحمد أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وتخصيص المروي جوامع الكلم بالقرآن مردود وجوامع واحدها جامعة والمراد انه يجمع القليل من كلامه ما يغني عن الكثير من كلام غيره كقوله فيما سيأتي انما الاعمال بالنيات وقوله أن تعبد الله كأنك تراه وقوله لمن سأله الوصية لا تغضب وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وقوله ومن بطؤ به عمله لم يسرع به نسبه وقوله الناس كاسنان المشط والمرء كثير باخيه والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ما هلك امرؤ عرف قدره رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ليس الخبر كالمعاينة اليد العليا خير من اليد السفلى ما قل وكفى خير مما كثر وألهى البلاء موكل بالمنطق وزعم ابن الجوزي وضعه مردود جمال الرجل فصاحة لسانه الحياء خير كله الدال على الخير كفاعله كل معروف صدقة حبك للشئ يعمي ويصم وليس بموضوع بل حسن خلافا لمن وهم فيه ما جمع شئ الى شئ أحسن من حلم الى علم زر غبا تزدد حبا القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم النساء حبائل الشيطان الظلم ظلمات يوم القيامة وجوز ابن حبيب أن يكون المراد بجوامع الكلم ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يكلم كل قبيلة بلسانها وان لم يكن رآها قبل وجنح ابن العربي الى غير ذلك فقال اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الاسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم ثم قال فعلم ان من حصل الذوات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاة الذات ضوعف لنا الاجر والمشهور الاول ومن القرآن قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي زاد الحسن لم تترك هذه الآية خيرا الا أمرت به ولا شرا الا نهت عنه وذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو نائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من بطارقة الروم عند رأسه وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له عمر ما شأنك قال أسلمت لله قال هل لذلك سبب قال نعم اني قرأت التوراة والانجيل والزبور وكثيرا من كتب الانبياء فسمعت أسيرا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في

يصلي إلي بدنو بمفوضة على رأسه أو على عاتقه فكلما ركع أو سجد تساقطت حتى لا يبقى منها شيء إن شاء الله تعالى والأحاديث
هذه في فضل الصلاة أكثر من أن تحصى وسيأتي إن شاء الله تعالى في المجالس الآتية زيادات على ما ذكرناه هنا * قيل كانت الأمة
المقوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للأنبياء انظروا إلى
امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة (قوله وإيتاء الزكاة) هذا هو الركن الثالث من أركان الإسلام والزكاة
في اللغة هي النمو والبركة وزيادة الخير وفي الشرع اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يصرف لأصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة وسميت بذلك لأن المال ينمو ببركة إخراجها ودعاء الآخذ ولأنها تطهر مخرجها من الإثم وتمدحه حتى تشهد له بصحة الإيمان والأصل في وجوبها قبل الإجماع قوله تعالى وآتوا الزكاة وقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وأخبار كثيرة منها هذا الخبر فيكفر جاحدها وإن أتى بها في الزكاة المجمع عليها دون المختلف فيها كالركاز ويقاتل الممتنع من أدائها وتؤخذ منه قهرا عليه كما فعل الصديق رضي الله تعالى عنه وفرضت في السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر وتجب في ثمانية أصناف من المال الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة والزروع والنخل
والكرم ونصابها معروف في كتب الفقه وهذا وجبت لثمانية أصناف من طبقات الناس وهم الذين وأكد
ذكرهم الله تعالى بقوله إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وجاء في الزكاة أخبار وآثار كثيرة سيأتي بعضها في غير هذا المجلس
(قوله وحج البيت) هذا هو الركن الرابع والحج في اللغة القصد وفي الشرع قصد الكعبة للنسك وهو فرض على المستطيع لقوله
تعالى ولله على الناس حج البيت الآية ولهذا الخبر ولقوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا قالوا كيف نحج قيل أن لا نحج

الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت قال فأنزل هذه الآية قال قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه الآية قال عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم
ولبعضهم   وجوامع الكلام التي فتحت له * سجدت لها البلغاء والأقلام   أي خضعت
ه(وسماحة الدين)ه لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء أي السهلة الخالية عن
التكاليف الشاقة التي كانت على اليهود كتعين القصاص في القتل عمدا كان أو خطأ ولا تجزي الدية
وقطع الأعضاء الخاطئة وفقء العين في النظر إلى ما لا يحل وقتل النفس في التوبة وقرض موضع
النجاسة من الجلد والثوب وربع المال في الزكاة واسترقاق السارق للمسروق منه وتحريم الغنائم
ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها والاشتغال يوم السبت وإذا أذنب أحدهم حرم عليه أكل
الطيب بتشديد المثناة التحتية من الطعام وأصبح ذنبه مكتوبا على بابه وبعد وخلوه عن التفريط
المفرط المفوت لمحاسن الآداب الذي كان في النصرانية من نحو مخامرة النجاسة وجماع الحائض وتعين
العفو عن القود والمراد بالحنيفية الملة الإبراهيمية مقتبسا من قوله تعالى ملة إبراهيم حنيفا والحنيف
عند العرب من كان على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم سمي من اختتن وحج البيت حنيفا
والحنيف المائل عن الباطل إلى الحق سمي إبراهيم عليه السلام حنيفا لأنه مال عن عبادة الأوثان
والسمحاء في الحديث صفة الحنيفية ومعناها السهلة والملة السمحاء هي الملة التي لا حرج فيها ولا تضييق
على الناس وهي ملة الإسلام وجمع كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في
العمل ولما صلى وسلم على جميع الرسل عموما أعادهما عليه صلى الله عليه وسلم خصوصا ثم على الأنبياء
والرسل عموما فقال (صلوات الله وسلامه عليه) إظهارا للعظمة وأداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه
وسلم إذ هو الواسطة بين الله وبين العباد وجميع النعم الواصلة إليهم التي أعظمها الهداية للإسلام
إنما هو ببركته صلى الله عليه وسلم وعلى يديه وامتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما واغتناما للثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل
الملائكة تستغفر له وفي رواية تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب قال الشيخ أحمد زروق يحتمل أن
يكون المراد كتب وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة به وهو أوسع وأرجى اهـ وذكر بعض شيوخنا
أن صوره أربع وأن الفضل المذكور يحصل لمن كتب ذلك أو قرأه إن كان مكتوبا وأما من صلى عليه
باللفظ في كتاب ولم يكتبه ولم يكن مكتوبا فيه فإنه لا يحصل له الفضل المذكور وهو ظاهر ويدل له قوله
ما دام اسمي الخ إذ هو في هذه الحالة لم يدم اسمه في ذلك الكتاب فتأمله ويفهم مما ذكر أنه لو جمع بين
الكتابة والصلاة لفظا يحصل له الفضل المذكور بالأولى فإن قيل لم أكد سلموا دون صلوا في قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قيل لتأكيدهما ولتقدم ذكر الصلاة من الله والملائكة
أولا ولأن الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار وذلك واقع منهم بلا تردد وأما البشر فلما
صدر من بعضهم ما صدر من أذيته وتنقيصهم أمروا مع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد

قال أن تعمد العرب على بطون الاودية بقوت الناس السبيل وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحده الا أن يكون قريب عهد
بالاسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء وهو من الشرائع القديمة * روى ان آدم عليه السلام لما حج قال له جبريل ان الملائكة كانوا
يطوفون بالبيت قبلك بسبعة آلاف عام وقال صاحب التعجيز ان أول من حج آدم عليه السلام وانه حج أربعين سنة من الهند ماشيا
وقيل مامن نبي الا حجه وقال أبو اسحق لم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا وقد حج البيت وادعى بعض من ألف في المناسك
انه لم يجب الا على هذه الامة واختلفوا متى فرض فقيل قبل الهجرة حكاه في النهاية المشهور انه بعدها وعليه قيل فرض في السنة الخامسة وقيل في السادسة وقيل في السابعة وقيل في الثامنة وقيل في التاسعة * (فائدة) * في السنة العاشرة من الهجرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يعرف عددها واعتمر بعد أن هاجر أربعا ولا يجب الحج باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد فرض الحج الا مرة واحدة وهي حجة الوداع كما ذكرناه ولخبر مسلم أحجنا هذا العامنا أم للابد قال لا بل للابد وأما حديث البيهقي الامر بالحج في كل خمسة أعوام فمحمول على الندب لقوله صلى
الله عليه وسلم من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار وقد يجب الحج أكثر
من مرة لعارض كنذر وقضاء عن افساد التطوع والعمرة فرض في الاظهر لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله أي ائتوا بهما تامين
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يارسول الله هل على النساء جهاد قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة ولا تجب في العمر
الا مرة واحدة وفي الدارمي من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا أو نصرانيا وقال عمر رضي

وأ كذلو وقع الانكار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة في العمر مرة كالشهادتين والذي يظهر
ان حكم السلام في الوجوب في العمر مرة حكم الصلاة كما قاله أبو عبد الله محمد الرصاع * (تنبيه) * قال ابن
الجوزي في مفتاح الحصن وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الاولى والاكمل والافضل لقوله تعالى
صلوا عليه وسلموا تسليما ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة فقد جرى عليه جمع منهم مسلم في
صحيحه وهلم جرا حتى الامام الشاطبي في قصيدته اللامية والرائية قال وقول النووي وقد نص العلماء على
كراهة الاقتصار على الصلاة عليه من غير تسليم اه لا أعلم أحدا نص على ذلك من العلماء ولا من
غيرهم وذكر شيخنا أبو الفضل بن الخطيب ان الشافعي اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة
الرسالة وكذا الشيخ أبو اسحق الشيرازي في تنبيهه وكذا النووي في خطبة عقيدته اه من أذكار
الشامي وقال الحطاب في شرح خطبة المختصر شاع في كلام كثير من العلماء كراهة افراد الصلاة عن
السلام وعكسه وممن صرح بالكراهية المؤلف قال السخاوي في القول البديع وتوقف شيخنا يعني
الحافظ ابن حجر في اطلاق الكراهة وقال فيه نظر نعم يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى في
وقت وسلم في وقت فانه ممتثل اه ويتأكد بما في خطبة مسلم والتنبيه وغيرهما من مصنفات أئمة
السنة من الاقتصار على الصلاة فقط وقال قبله استدل بحديث كعب وغيره على ان افراد الصلاة عن
السلام لا يكره وكذا العكس لان تعليم السلام تقدم قبل تعليم الصلاة اه المراد منه وقال بعض
شيوخنا وقع في كتب أهل المذهب للمتقدمين وقوع اشياء اذ كر السلام دون الصلاة عليه حتى أخبرني
من يوثق به أنه رأى نسخة من المنتقى بخط الباجي لم يذكر فيها سوى السلام في كل محل ذكر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يدل على عدم كراهة افراد السلام عن الصلاة خطا واذا كان لا يكره افراد
السلام فافراد الصلاة أولى لان الصلاة واجبة قطعا وجرى خلاف في وجوب السلام وتقدم في كلام
السخاوي ان اقتصار مسلم وصاحب التنبيه وغيرهما على كتابة الصلاة فقط يدل على عدم كراهة
الافراد (وعلى سائر) بمعنى باقي كما قاله الازهري والحريري والقاضي عبد الوهاب والشيخ تقي الدين بن
دقيق العيد وابن الصلاح من السؤر وهو بقية نحو الماء وهو المشهور فيها الذي عليه الاكثر واختلفوا
هل هو الباقي مطلقا قل أو كثر أو الباقي الاقل والاول هو الصحيح وبمعنى الجميع كما قاله الجوهري
والجواليقي وابن بري من سور المدينة وهو حائط محيط بها وعليه قول القائل

ألزم العالمين حبك طرا * فهو فرض في سائر الاديان

(النبيين) جمع نبي بالهمزة من النبأ وهو الخبر لانه مخبر بفتح الباء عن الله بما يوحى اليه أو بنبوته
وبكسرها على ماقاله بعضهم لانه يخبر عن نفسه بذلك والقول بعضهم انه يجب عليه أن يخبر غيره بنبوته
وان نظر فيه وبترك الهمز وهو الاكثر اما تخفيفا من المهموز بقلب همزته ياء واما من النبوة وهي الرفعة
لان النبي مرفوع الرتبة على غيره من الخلق وبعضهم رجح هذا (والمرسلين) وأسماء الانبياء كلها أعجمية
الا أربعة محمد وشعيب وهود وصالح قال التتائي في شرح الرسالة القيروانية وزاد ابن ناجي اسمعيل وفيه

الله تعالى عنه هممت أن أكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه وقد فعله بعض السلف في جار له موسر مات ولم يحج وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وكان يفسر قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا وكان يقول هذه الآية من أشد شئ على أهل التوحيد وقد جاء في تفضيل الحج والعمرة أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا ومات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أول يوم في الدنيا * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وان الله يبعثه يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق وصدق وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وفي الخبر ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعون خلفها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عمرة في رمضان تعدل حجة (نكتة) حكي عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخر

دائما

زائدا لفظ اسمعيل أعجمي نعم لانبياء كلهم عجم الا ستة محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب والحاصل ان محمدا وهودا وصالحا وشعيبا ذواتهم عربية وكذا أسماؤهم وأما اسمعيل فذاته عربية واسمه أعجمي (وآل) أصله أهل أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية ألفا ويدل له تصغيره على أهيل كذا قيل وهو غير متجه اذ يجوز أن يكون أهيل تصغير أهل لا تصغير آل وقيل أصله أول بفتح لواو وتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ولا يضاف الا لمن له شرف من العقلاء الذكور فلا يقال آل الاسكاف ولا آل مكة ولا آل فاطمة وأما قوله تعالى ادخلوا آل فرعون الآية فلشرفه الدنيوي كذا قيل والحق أن القيود كلها أغلبية لقولهم آل الله وآل البيت وقول عبد المطلب

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

والصحيح جواز اضافته للضمير ومنه حديث اللهم صل على محمد وعلى آله وقول عبد المطلب المتقدم (كل) أي كل واحد من النبيين بحذف المضاف اليه لدلالة السياق عليه والذي اختاره الامام مالك والازهري ورجحه النووي في شرح مسلم ان آله صلى الله عليه وسلم أتباعه وهم أمة الاجابة وهو اللائق بمقام الدعاء لكن قيده القاضي حسين وغيره بالاتقياء منهم ويؤيده قوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون قيل فيحمل كلام من أطلق عليه وقيل يبقى على اطلاقه بأن يراد بالصلاة الرحمة المطلقة وخبر آل محمد كل تقي سنده واه جدا وروي عن جابر من قوله بسند ضعيف وجرى فيه خلاف في بابي الزكاة والفئ والمشهور من مذهبنا اختصاصهم فيهما بأقاربه المؤمنين من بني هاشم وزاد الشافعية والمطلب (وسائر الصالحين) وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم ودخل غيرهم ممن اتصف بذلك جعلنا الله تعالى منهم آمين كذا في الشارح الهيتمي وأيضا الصحابة داخلون في آله سواء فسرناه بمطلق أتباعه أو بالاتقياء منهم * (تتمة) * في منع الصلاة على غير الانبياء والملائكة استقلالا وكراهتها وكونها خلاف الاولى خلاف والاصح الكراهة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى فهو من خصائصه وأما تبعا كما هنا فجائزة اتفاقا (أما بعد) أي بعد البسملة والحمدلة والتشهد والصلاة والسلام على من تقدم وأتى بها تأسيا به صلى الله عليه وسلم لانه كان يأتي بها في خطبه وكتبه وهي يؤتى بها للانتقال من أسلوب الى آخر وأصلها مهما يكن من شئ بعد البسملة والحمدلة ومعمولها فأقول قد رويناالخ فوقعت كلمة أما موقع اسم هو المبتدأ وفعل هو الشرط وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الشرط لزمتها الفاء اللازمة للشرط غالبا ولتضمنها معنى الابتداء لزمها لصوق الاسم اللازم للمبتدأ قضاء لحق ما كان وابقاء له بقدر الامكان قاله في المطول وقوله غالبا قيد لقوله اللازمة للشرط لا لقوله لزمتها الفاء لان لزوم الفاء لاما كلي اذ لا تحذف من جزائها الا في ضرورة الشعر كقوله

* فأما القتال لا قتال لديكم *

وقوله لزمها لصوق الاسم يرد عليه قوله تعالى فأما ان كان من المقربين الآية والجواب ان في الكلام حذف مضاف أي فأما المتوفى ان كان الخ كما اختاره صاحب الكشاف وأما الجواب بأن الرضي وصاحب المغني جوزا وقوع الشرطية بعدها فلا يتم وأما هذه حرف شرط وتوكيد

نعمة تحج بها قال وهو بعرفات اللهم انك تعلم اني وقفت بموقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة
عن أمي وأشهدك يا رب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفي هذا ولم تتقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن المنكدر أتتكرم
على من خلق الكرم والجود وعزتي وجلالي اني لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل ان أخلق عرفات بالف عام (قوله وصوم رمضان)
هذا هو الركن الخامس من أركان الاسلام وجاء في رواية تقديمه على الحج وهو رواية الاكثر ووجهه أن الصوم

دائما وتفصيل غالبا وبعد ظرف مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة لمشابهة الحرف لاحتياجه الى معنى ذلك المحذوف وانما بنيت على حركة تنبيها على ان لها عرقا في الاعراب وعلى الضم جبرا باقوى الحركات لما لحقها من الوهن بحذف ما يحتاج اليه وليكمل لها جميع الحركات لانها في الاعراب كانت اما مجرورة بمن أو منصوبة على الظرفية أو لتخالف حركة بنائها حركة اعرابها واختلف في أول من تكلم بها فقيل داود عليه الصلاة والسلام وهو الاشهر وهي فصل الخطاب الذي أوتيه لانها تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب والمواعظ وقيل أول من تكلم بها يعقوب وقيل أيوب وقيل سليمان وقيل قس بن ساعدة الايادي وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان بن وائل وعليها فصل الخطاب الذي أوتيه داود البينة على المدعي واليمين على من أنكر لكن القول بان أول من تكلم بها سحبان فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقولها في خطبه وهو قبل سحبان اجماعا اذ سحبان كان في زمن معاوية وأجيب بان المراد أول من قالها بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحة هذا الجواب تتوقف على أنها لم تصدر من أصحابه بعده ولا من غيرهم الى زمن سحبان والظن خلاف ذلك لما علم من كمال محافظتهم على الاقتداء به في نحو ذلك والاولى في الجواب انه أول من تكلم بها في الشعر كقوله

لقد علم القوم اليمانون انني * اذا قلت أما بعد اني خطيبها

وبعد ظرف زمان باعتبار النطق ومكان باعتبار الرقم *(فقد روينا)* قد للتحقيق وأتى بنون العظمة لاظهار نعمة التلبس بالعلم المتأكد تعظيم أهله امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث مع الامن من الاعجاب ونحوه والا كان مذموما وأيضا العرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجمع ليكون أثبت وأوكد وقد يقال النون ليست للعظمة بل للمتكلم مع غيره اشارة الى أن هذا الحديث قد تداولته الرواة الذين هو منهم طبقة بعد طبقة وانه متعارف مشهور بينهم لا تختص روايته به والرواية الاخبار عن أمر عام لا ترافع فيه الى الحكام وروينا بفتح أوله مع تخفيف الواو المفتوحة عند الاكثرين من روى يروي اذا نقل عن غيره وقال بعض الاجود ضم الراء وكسر الواو مشددة أي من صغيرنا وارووا عنهم باجازتهم لنا *(عن علي)* أول من أسلم من الصبيان وله سبع سنين أو ثمان أو تسع أو عشر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان قال أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي وعنه انه قال انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس وصعد على منكبي فذهبت لانهض به فرأى مني ضعفا فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال اصعد على منكبي قال فصعدت على منكبيه قال فنهض بي فانه يخيل الي اني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله وبين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت

في كل عام ووجه ما هنا ما فيه من تنشيط النفس وارضائها بما فيه من المشقة وبذل المال والصوم في اللغة الامساك ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم اني نذرت للرحمن صوما أي امساكا وسكوتا عن الكلام وفي الشرع امساك عن المفطر على وجه مخصوص مع النية والاصل في وجوبه قبل الاجماع قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم أي من الامم الماضية قيل ما من أمة الا وجب الله عليهم رمضان الا انهم ضلوا عنه وأخبار كهذا الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وفرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة وأركانه ثلاثة صائم ونية وامساك عن المفطرات ويجب صوم رمضان باحد أمرين اما كمال شعبان ثلاثين يوما أو رؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ووجوبه معلوم من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبه فهو كافر الا أن يكون قريب عهد بالاسلام أو نشأ بعيدا عن العلماء ومن ترك صومه غير جاحد من غير عذر كمرض وسفر كأن قال الصوم واجب علي ولكن لا أصوم حبس ومنع الطعام والشراب نهارا ليحصل له صورة الصوم بذلك وقد قيل ان الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص فصوم العموم هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد

من خشية ان يلقانا أحد وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوان يعطاها فقال أين على بن أبي طالب فقيل له يارسول الله انه يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فبرئ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال على يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال أنفذ على رسلك حتى تنزل على ساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم وكان له من الولد أربعة عشر ذكرا وتسعة عشر أنثى وعن الارقم انه قال رأيت عليا وهو يبيع سيفاله فى السوق ويقول من يشترى منى هذا السيف فوالذى فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندى ثمن ازار مابعته وجاء رجل من مراد اليه وهو يصلى فى المسجد فقال احترس فان أناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه ممالم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه فان الاجل جنة حصينة واستشهد غداة الجمعة سنة أربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادى لسبع بقين من رمضان وقيل فيه لثلاث عشرة بقين منه وقيل ليلة احدى وعشرين وقيل يوم الاحد وله ثلاث وستون سنة وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن ودفن فى الصحراء عند مسجد الجماعة فى الرحبة مما يلى أبواب كندة قال الصغانى أوفى قصر الامارة عند المسجد الجامع وغيب قبره ومدة خلافته خمس سنين الاثلاثة أشهر ونقش خاتمه لله الملك وكنيته أبو الحسن وأبو تراب كناه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما فى المسجد وقد علق التراب بجسمه فأيقظه وقال له قم أباتراب ولقب أيضا بحيدرة ومروياته خمسة أوستة وثمانون حديثا *(ابن أبى طالب)* واسمه عبد مناف ابن عبد المطلب *(وعبد الله بن مسعود)* الهذلى صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهوره ونعليه توفى بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين أو سبعين سنة ومروياته ثمانمائة وثمانية وأربعون وسيأتى عند ذكره شئ من مناقبه *(ومعاذ)* بضم الميم وفتح المهملة وبالمعجمة *(ابن جبل)* بالتحريك ضد السهل الانصارى شهد معاذ بدرا ومابعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما مات فى طاعون عمواس بالاردن سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ومروياته مائة وسبعة وخمسون وسيأتى عند ذكره شئ من مآثره *(وأبى الدرداء)* بفتح المهملتين وسكون الراء عويمر بن زيد وقيل ابن عامر الانصارى الخزرجى كان فقيها عابدا زاهدا شهد المشاهد كلها وهو حكيم هذه الامة باخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وسكن الشام وولاه عمر بن الخطاب القضا بدمشق وكان أبو الدرداء يقول اطلبوا العلم فان عجزتم فأحبوا أهله فان لم تحبوهم فلا تبغضوهم وعنه أيضا رضى الله عنه تفكر ساعة خير من قيام ليلة وكتب الى مسلمة بن مخلد الانصارى أما بعد فان العبد اذا عمل بطاعة الله أحبه الله فاذا أحبه الله حببه الى خلقه واذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فاذا أبغضه الله بغضه الى خلقه

والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص هو تصون القلب عن الهمم الدنيئة وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية * وقد جاء فى فضل رمضان أخبار كثيرة شهيرة قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس مافى رمضان من اليمن والبركة لتمنوا أن يكون حولا كاملا وقال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفرله ما تقدم من ذنبه وفى رواية وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفرله ما تقدم من ذنبه وفسروا قيامه بصلاة التراويح وقال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه وقال الصائم لاترد دعوته وقال بعضهم فى المعنى

ولله لوأبصرت قوما تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا بأردية السهاد والتزموا السهدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الاقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم احسن الله فعلهم وأبدلهم من حسن فعلهم الخلدا

وقال صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفرله ما تقدم من ذنبه وهى فى رمضان فى العشر الاخير منه وعن ابن مسعود الغفارى انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد يصوم يوما من رمضان الازوج زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله حور مقصورات فى الخيام على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الاخرى ويعطى سبعين لونا من الطيب ليس منهن ريح لون على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام

خلقه وعنه أيضا استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال أن يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع وقيل له لم لا تقول الشعر فانه ليس رجل له بيت في الانصار الا وقد قال شعرا قال وأنا قد قلته فاسمعوا فقال رضي الله عنه

يريد المرء أن يعطى مناه ❊ ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي ❊ وتقوى الله أفضل ما استفادا

وعنه أيضا أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لا يتركوك قالوا فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك ولما اشتكى دخل عليه أصحابه فقالوا ما تشتكي فقال ذنوبي قالوا فما تشتهي قال الجنة قالوا فندعو لك طبيبا قال هو الذي أضجعني ومات بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين في خلافة عثمان ومرو ياته مائة وتسعة وعشرون (و) عبد الله (ابن عمر) بن الخطاب الرجل الصالح بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ألزم الناس متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله وآدابه توفي بمكة سنة ثلاث أو أربع وسبعين ومرو ياته ألفان وستمائة وثلاثون وسيأتي عند ذكره شيء من مآثره (و) عبد الله (ابن عباس) حبر الامة وعالمها وترجمان القرآن ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة ومرو ياته ألف وستمائة وثمانية وستون وسيأتي عند ذكره شيء مما يتعلق به (و) أبو حمزة (أنس ابن مالك) الانصاري مازحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يا ذا الاذنين وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لم يعد في البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل مات بالبصرة بعد ان عمر أكثر من مائة سنة وهو آخر من مات من الصحابة بها ومات سنة احدى أو اثنين أو ثلاث وتسعين ومرو ياته ألفان ومائتا حديث وستة وثمانون حديثا وسيأتي عند ذكره ايراد شيء مما يتعلق به (وأبي هريرة) عبد الرحمن بن صخر الدوسي على الاصح في اسمه واسم أبيه قال الشافعي أحفظ من روى الحديث في دهره أبو هريرة وكان صاحب قيام وصيام يسبح في اليوم اثني عشر ألف تسبيحة وولي امرة المدينة ومات بها سنة سبع أو تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة وأحاديثه المرفوعة خمسة آلاف وثلثمائة وستون حديثا وسيأتي عند ذكره شيء من أموره (وأبي سعيد الخدري) بالمهملة نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار مات سنة أربع وسبعين وله أربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع ومروياته ألف ومائة وسبعون وسيأتي عند ذكره التعرض لشيء مما يتعلق به (من طرق كثيرات بروايات متنوعات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من) اسم شرط جازم (حفظ) أي نقل وان لم يحفظ اللفظ ولا عرف المعنى اذ به يحصل الانتفاع للمسلمين بخلاف حفظ ما لم ينقل اليهم قاله المصنف واعترض تفسيره الحفظ بما ذكر بان البعث في زمرة الفقهاء والعلماء يستدعي معرفة المعاني اذ لا يسمى فقيها عالما الا به وأجيب بان حفاظ الاربعين تختلف درجاتهم فمنهم مقتصر على الرواية دون الدراية فهذا يحشر في زمرة الفقهاء والعلماء لقوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو

تجد لا آخر لقة منها الذ لم تجده الاولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت لكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات رواه الترمذي الحكيم ❊ وقال وكيع في تفسير قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وفي صحيح النسائي اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهري ان تسبيحة واحدة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره (نكتة عظيمة) عن ثابت رضي الله عنه أنه قال كان أبي من القوامين لله في سواد الليل قال رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لا تشبه النساء فقلت لها من أنت فقالت حوراء أمة الله فقلت لها زوجيني نفسك فقالت أخطبني من عند ربك وامهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وأنشدوا في المعنى

يا طالب الحوراء في خدرها
وطالبا ذاك على قدرها
انهض مجدا لا تكن وانيا
وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم
والتزم الوحدة في وكرها
وقم اذا الليل بدا وجهه
وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك اقبالها
وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشي بين أترابها
وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي
تراه في دنياك من مهرها

❊ واعلم أن وجه الحصر في أركان الاسلام الخمسة المذكورة في الحديث ان العبادة اما قولية وهي الشهادة أو غير قولية وهي اما ترك وهو الصوم أو فعل وهو اما بدني وهو الصلاة أو مالي وهو الزكاة أو مركب منهما وهو الحج فان قيل لم لم يذكر مع الخمس الجهاد فالجواب انه لم يكن فرض أو كان فرضه فرض كفاية بخلاف الخمس فانها فرائض أعيان فهذه أركان الاسلام (خاتمة المجلس) جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله بعبد خيرا سلك في قلبه اليقين والتصديق واذا أراد به شرا سلك في قلبه الريبة قال الله تعالى فمن

يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقد اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشك ونطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله * وحكي عن عبد الواحد بن زيد قال مررت في بعض الجبال بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين

والرجلين ضربه الفالج يصرع في كل وقت والزنابير تنهش من لحمه والدود يتناثر من جنبيه وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه قال فتقدمت إليه وقلت له يا أخي وأي شيء عافاك الله منه والله ما أجد جميع البلايا إلا محيطة بك قال فرفع طرفه إلي وقال لي يا بطال اليك عني فإنه عافاني إذ أطلق لي لسانا يوحده وقلبا يعرفه وفي كل لحظة يذكره وأنشد

حمدت الله ربي إذ هداني
إلى الإسلام والدين الحنيفي
فيذكره لساني كل وقت
ويعرفه فؤادي باللطيف

اللهم اختم لنا منك بخير في عافية بلا محنة آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الرابع في الحديث الرابع)

الحمد لله الذي أتقن المصنوعات وفطر الموجودات وأمات الأحياء وأحيا الأموات إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرضين والسموات وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سيد السادات ومعدن السعادات صاحب الآيات البينات والمعجزات الظاهرات الشفيع فيمن يصلي عليه يوم الحسرات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والكرامات (عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون

منهم فمن تشبه بالعلماء يكرم كما يكرم وإن لم يكن منهم حقيقة ومنهم من ضم إلى الرواية الدراية أي نقل الأحاديث وفهم ظواهر معانيها وفهمها لغيره فهذا يكتب في زمرة العلماء ويحشر مع الشهداء ومنهم من فيه أهلية التخريج واستنباط الأحكام كالبخاري ومسلم وشبههما فهذا فقيه عالم حقيقة فيبعث يوم القيامة على ما مات عليه وأما جواب الشارح الهيتمي بأن بعث الحافظ في زمرتهم لا يستدعي أنه منهم بل يكفي أنه مندوب لهم نسبة ما فهو غير ظاهر لأن قوله في بعض طرق الحديث كتب في زمرة العلماء وإياه إذ الكتابة في قوم تقتضي أنهم منهم ولا يعترض على المصنف بأنهم فسروا الإحصاء في حديث إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة بمن حفظها مستظهرا أو بينوا الاستظهار بأن المراد قراءتها كاملة على سبيل الترتيل أو علمها وتدبر معانيها أو القيام بحقها والعمل بمقتضاها أو جعلوا الأول للعوام والثاني للعلماء والثالث للأولياء لأن القصد ثم التعبد باللفظ وهنا النفع المتعدي وهو لا يحصل بمجرد اللفظ بل بالنقل وصرح جمع منهم العلامة نجم الدين الطوفي بعدم الاكتفاء بالكتابة ولو مرارا وحينئذ فمن حفظها بقلبه ولم ينقلها لم يشمله الوعد وإن كتبها في عشرين كتابا وتعرض فيه الهيتمي بأن كتابتها نقل لها اهـ والحفظ ضبط الشيء ومنعه من الضياع والأنصف أنه لا يدخل في الوعد إلا من حدث بالأربعين له بالرواية أو نقلها لهم عن أحد دواوين المسلمين المعروفة المعول عليها والمرجوع لها (على أمتي) الأمة في الأصل الجماعة قال الأخفش هي في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان أمة وفي الخبر لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها والمراد بها هنا أمة الإجابة (أربعين حديثا) نصبه على التمييز وخص هذا العدد دون غيره لأنه أقل عدد له ربع عشر صحيح وفي الحديث أدوا ربع عشر أموالكم من كل أربعين درهما درهم أي بشرط بلوغ الدراهم مائتي درهم إذ لا وجوب في أقل من ذلك فدل حديث الزكاة على تطهير ربع العشر الباقي فكذلك العمل بربع عشر الأربعين حديثا يخرج باقيها عن كونه غير معمول به ولذا قال بشر الحافي يا أهل الحديث اعملوا من كل أربعين حديثا بحديث *(من)* تبعيضية *(أمر)* أي شأن *(دينها)* احترز به عن المتعلق بأمر دنياها فلا يكون بهذه المثابة *(بعثه الله في زمرة)* الزمرة الجماعة من الناس (الفقهاء) العارفين بالفروع الفقهية من الفقه وهو لغة الفهم (والعلماء) هو أعم مما قبله لأنه يشمل المفسرين والمحدثين والفقهاء من العلم وهو صفة توجب تمييزا بين المعاني لا يحتمل النقيض ومن ثم قال النسفي استفتيت أبا الحسن الكيا الطبري فيمن أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل فيهم كتبة الحديث فكتب نعم كيف لا تدخل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما وأسند أبو الحسن القابسي إلى علي بن الجعد جاء رجل إلى سفيان الثوري فقال حلفت بالطلاق أني عالم فقال إن كان مستندك علم فلان وأبي فلان فقد حنثت وإن كان عندك أربعون حديثا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك لم تحنث ولما كان البعث في زمرة الفقهاء والعلماء لا يستلزم أن يكون منهم بين المراد بذكر الرواية الثانية بقوله (وفي رواية) ذكرها أبو نعيم في الحلية (بعثه الله

فقيها

علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان ٣٥ هذا الحديث حديث عظيم خرج من بين شفتي النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم قال ابن مسعود رضي الله عنهما (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أنشأ لنا خبرا حادثا (وهو الصادق) في خبره (المصدوق) فيه أو الذي يأتيه غيره بالصدق فهو صلى الله عليه وسلم صادق في قوله وفيما يأتيه من الوحي مصدوق اذ الله صدقه فيما وعده به (قوله ان أحدكم) يعني واحدكم وقوله (يجمع) بالبناء للمفعول (خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة) أي يضم ويحفظ ماء خلقه وهو الماء الذي يخلق منه في ذلك الزمن (ثم يكون) بعد أن كان نطفة (علقة) وهي قطعة دم جامد (ثم يكون مضغة) وهي قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (مثل ذلك) المذكور وفيها يصورها الله تعالى ويجعل لها ساقا وسمعا وبصرا وأمعاء وغير ذلك من الاعضاء ثم اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (يرسل الملك) بالبناء للمفعول أي الموكل بالرحم كما ذكره في حديث أنس *(فائدة)* أفتى ابن يونس وغيره أنه لا يحل للمرأة أن تستعمل دواء يمنع الحبل ذكره في العجالة (قوله فينفخ فيه الروح) قال جمهور المتكلمين الروح جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال جمع منهم هي عرض وهي الحياة التي يصير البدن بوجودها حيا وهي باقية لا تفنى عند أهل السنة (قوله ويؤمر) بالبناء للمفعول (بأربع كلمات) أي

فقيها عالما وفي رواية أبي الدرداء وكنت له يوم) اليوم الشرعي من طلوع الفجر الى الغروب وليس مرادا وانما المراد منه القطعة من الزمان ومنه قول الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

(القيامة) مصدر قام يقوم ودخلها التأنيث للمبالغة وسميت بذلك لقيام الخلق من قبورهم وقيل غير ذلك (شافعا) من الشفاعة وهو سؤال الخير للغير والمراد هنا سؤال التجاوز عن الذنوب والجرائم (وشهيدا وفي رواية ابن مسعود قيل له ادخل من أي أبواب الجنة شئت وفي رواية ابن عمر وكتب في زمرة العلماء) هذه الرواية مغايرة للرواية السابقة وهي بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء (وحشر في زمرة الشهداء) جمع شهيد وهو قتيل المعركة فسمي شهيدا لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة يوم القيامة أو لشهادة ملائكة الرحمة له أو لشهادة حاله بصدق نيته أو لشهادته الحساب ولا يحاسب أو لان معه شاهدا وهو الدم لانه يبعث وجرحه ينفث دما أو لسقوطه على الشهادة وهي الارض أو لانه يستشهد به يوم القيامة على الكفار وهي غير متباينة يمكن اجتماعها الا ان الشهادة لا تختص بالقتل في المعترك (واتفق الحفاظ) أي أكثرهم (على انه) أي الحديث المذكور (حديث ضعيف) قال ابن حجر وجمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة واما ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات فهو تساهل منه والصواب انه ضعيف لا موضوع فان قلت سلمنا عدم وضعه لكنه شديد الضعف والحديث اذا اشتد ضعفه لا يعمل به ولا في الفضائل كما قاله ابن السبكي وغيره وحينئذ فكيف عمل به جمع من الائمة أتعبوا أنفسهم في تخريج الاربعينيات اعتمادا عليه قلت لا نسلم انه شديد الضعف لانه هو الذي لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة ولئن سلمنا ذلك فهم لم يعتمدوا في ذلك عليه بل على ما سيذكره المصنف من الاحاديث الصحيحة وأما خبر من حفظ من أمتي حديثا واحدا كان له كاجر أحد وسبعين نبيا صديقا فهو موضوع قاله الشارح الهيتمي (وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات) أي ولي بهم أسوة (فاول من) علمته (صنف فيه) أبو عبد الرحمن (عبد الله بن المبارك) بن واضح الحنظلي التميمي من تابع التابعين أحد الائمة الاعلام قال ابن مهدي الائمة أربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك وقال أحمد لم يكن في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه وكان صاحب حديث حافظا وقال ابن معين ما رأيت من يحدث لله الا ستة منهم ابن المبارك وكان ثقة عالما مثبتا صحيح الحديث وكان كتبه التي حدث فيها عشرين ألفا ولد سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة ثمان وتوفي منصرفا من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان (ثم محمد بن أسلم) بن سالم بن زيد (الطوسي) بضم الطاء نسبة الى قرية من قرى بخارى (العالم الرباني) وصفه بذلك لقول ابن خزيمة هو رباني هذه الامة لم تر عيني مثله والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للدلالة على كمال الصفة وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن المبرد انه منسوب الى رباني الذي يربي الناس بالتعليم واصلاحهم وقال الهروي وفيه انه الكامل من

بكتبها والملائكة بأمره صلى الله عليه وسلم بقوله (بكتب) بالباء الموحدة (رزقه) وهو ما يتناوله الانسان من مأكول وملبوس وغيرهما قليلا أو كثيرا حلالا أو حراما (وأجله) وهو الزمن الذي علم الله ان الشخص يموت فيه أو مدة حياته (وعمله) من خير أو شر (وشقى) بعصيانه الله (أو سعيد) بطاعته له وهما مرفوعان على الخبرية لمبتدأ محذوف اذ التقدير وهو شقى أو سعيد «(فائدة)» الكاتب هو الله تعالى ٣٦ يعنى انه يأمر بالكتابة الملك وقد جاء أيضا فرغ الله تعالى من أربع من الخلق والاجل والرزق والخلق بفتح الخاء اشارة الى الذكورة والانوثة وبضمها الى السعادة والشقاوة وظاهر ما تقدم من أمر الملك بالكتابة انه من قبل سؤاله فيها فقد جاء في الاحاديث الصحيحة المروية عن ابن مسعود وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال أى رب ذكر أم أنثى شقى أم سعيد ما الاجل ما الاثر بأى أرض يموت فيقال له انطلق الى أم الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب فتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها قبضت فدفنت في المكان الذى قدر لها وفي رواية من حديث ابن مسعود ان الملك يقول يا رب مخلقة أم غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الارحام دما وان قال مخلقة قال أى رب ذكر أم أنثى الى آخر ما تقدم وجاء مرفوعا اذا مات الجسد دفن من حيث أخذ ذلك التراب وقال عبد
صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة أو قال بها حاجة وقيل في معناه اذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته اليها حاجة فيطير وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف فتعرض نواحي المدينة فاذا بقبر يحفر فاقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا قيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله

كل الوجوه في جميع المعاني وفي البخاري هو الذي يربي بصغار العلم قبل كباره وقال الشارح الهيتمي هو من أفيضت عليه المعارف الالهية فعرف بها ربه وعرف الناس بعلمه اهـ صنف المسند وجوده وكان من المتقنين الحفاظ والاولياء الابدال واقدم شيخ له النضر بن شميل وكان شيخه أبا أحمد بن حنبل توفي في الحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين (ثم) محدث خراسان (الحسن) دخل البلدان وسمع وصنف وكان له كرامات كثيرة وتوفي سنة ثلاث وثلثمائة (ابن سفيان) بتثليث السين (النسائي) بفتح النون نسبة الى نساء مدينة بخراسان صاحب المسند (وأبو بكر) محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي صاحب كتاب الشريعة والاربعين وله تصانيف كثيرة كان عالما ثقة دينا حدث ببغداد ثم انتقل الى مكة واستطابها وقال اللهم أحيني في هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول له لم سنة ولكن ثلاثين سنة فلما كملت قيل له وفينا بالعهد فمات بمكة في المحرم سنة ستين وثلثمائة (الآجري) بهمزة مفتوحة ممدودة (وأبو بكر محمد بن ابراهيم) بن علي كان ثقة عالي من حفظه (الاصفهاني) بكسر الهمزة وفتحها وبالفاء لا بالباء كذا في الهيتمي وقال السعد بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح أفصح وقال ابن رسلان نسبة الى أصفهان بلدة من بلاد فارس توفي في صفر باصبهان سنة ست وستين وأربعمائة (و) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي صاحب السنن والعلل والافراد وغير ذلك (الدارقطني) بفتح الراء نسبة الى دار القطن محلة كبيرة ببغداد قال الحاكم كان أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع امام القراء والمحدثين لم يخلق على أديم الارض مثله وقال الخطيب كان فريد عصره وامام وقته وانتهى اليه علم الاثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد قال رجاء بن محمد المعدل قلت للدارقطني هل رأيت مثل نفسك فقال قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم فالححت عليه فقال لم أر أحدا جمع مثل ما جمعت وقال أبو ذر الحافظ قلت للحاكم هل رأيت مثل الدارقطني فقال هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا وكان عبد الغني اذا رأى الدارقطني قال أستاذي وقال القاضي أبو الطيب الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث وقال البرقاني أملى على كتاب العلل من حفظه وله في ذي القعدة سنة خمس أو ست وثلثمائة ومات لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين فسنه سبع وسبعون سنة (و) أبو عبد الله (الحاكم) محمد بن عبد الله بن محمد بن رزبة بن نعيم الضبي النيسابوري صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والاكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة في ربيع الاول وكان يعرف بابن البيع رحل وسمع من نحو ألفي شيخ قال عبد الرحمن السلمي سألت الدارقطني أيهما أحفظ ابن منده أو ابن البيع فقال ابن البيع أتقن حفظا وقال ابن طاهر قلت لسعد بن علي أربعة من الحفاظ تعاصروا أيهما أحفظ قال من قلت الدارقطني ببغداد وعبد الغني بمصر وابن منده باصبهان والحاكم بنيسابور فسكت فالححت عليه فقال أما الدارقطني فاعلمهم بالعلل وعبد الغني بالانساب وأما ابن منده فاكثرهم حديثا مع معرفة تامة وأما الحاكم فاحسنهم تصنيفا دخل الحاكم الحمام بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو متزر لم يلبس قميصه وذلك في صفر سنة خمس وأربعمائة (وأبو نعيم) أحمد بن

عبدالله بن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني أجازله مشايخ الدنيا وله ست سنين قال الخطيب لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم وقال ابن مردويه لم يكن في أفق من الآفاق أحفظ منه ولما اشتد صنف الحلية والمستدرك على البخاري والمستخرج على مسلم ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة وتاريخ أصبهان وفضائل الصحابة وصنف في الطب وغيره ولد في رجب سنة ست أو سبع وثلاثين وثلثمائة ومات بكرة يوم الاثنين لعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة (وأبو عبدالرحمن محمد) بن الحسين صاحب الحقائق وطبقات الاولياء كان عدلا ثقة استاذ أبي القاسم القشيري وشيخ أبي سعيد بن الخير وأثنى عليه الشيخ عبدالله الانصاري كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دأبه في شأن الائمة (السلمي) بضم السين وفتح اللام نسبة الى سليم بن منصور قبيلة مشهورة توفي يوم الاحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن بنيسابور (وأبو سعيد) صوابه كما قال ابن الاثير السمعاني أبو سعد محمد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن حفص كان ثقة متقنا صنف وحدث ورحل الى مصر فمات بها في شوال سنة اثنتي عشرة واربعمائة (الماليني) بفتح الميم وكسر اللام ثم بتحتية ثم نون نسبة الى مالين قرى مجتمعة من أعمال هراة يقال لجميعها مالين وأهل هراة يقولون مالان (وأبو عثمان) اسمعيل (الصابوني) نسبة الى عمله (وعبدالله بن محمد الانصاري) الهروي منسوب الى الانصار وهم الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان كثير السهر قويا في نصرة الدين حدث وصنف وتوفي بهراة يوم الجمعة من ذي الحجة سنة احدى وثمانين وأربعمائة (وأبو بكر) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (البيهقي) نسبة الى بيهق قرية من ناحية نيسابور على عشرين فرسخا منها قال امام الحرمين كل شافعي فللشافعي عليه المنة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة ولد في شعبان سنة أربع وسبعين وقيل أربع وثمانين وثلاثمائة ألف شعب الايمان ومات في جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور ونقل في تابوت الى بيهق مسيرة يومين وأورد المصنف لفظ ثم في الاولين اعلاما بالتأخر الزماني فيهما بخلاف الباقين ولما خص المشاهير بالذكر عمم فقال (وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين) ولما كانت الاستخارة مطلوبة في جميع الامور لقوله صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار أي الله ولا ندم من استشار أي من نصحه ولا عال من اقتصد أي ولا افتقر من استعمل القصد في نفقة عياله قدمها المصنف على هذا التأليف لتعود بركتها عليه فقال (وقد استخرت الله) لانه يطلب من كل قادم على أمر يجهل عاقبته أن يستخير الله تعالى في الاقدام والاحجام وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وكان يأمرهم بذلك وفي الحديث الذي رواه ابن السني عن أنس رضي الله تعالى عنه اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم أنظر الى الذي يسبق الى قلبك فان الخير فيه وصفتها أن يصلي ركعتين يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الى قوله يعلنون وقيل قل يا أيها الكافرون الى آخرها وفي الركعة الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله مبينا وقيل قل هو الله أحد الى آخرها ثم يدعو بعد

يبقى من أرضه وسمائه حتى دفن في الارض التي خلق منها * (نكتة) * يقال ان ملك الموت عليه السلام دخل يوما على سليمان ابن داود عليهما السلام فجعل يطيل نظره ويحدد بصره الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك النديم يا نبي الله من كان ذلك الرجل قال انه ملك الموت فقال يا نبي الله رأيته يطيل النظر الي وأخاف انه يريد قبض روحي فخلصني من يده فقال وكيف أخلصك فقال تأمر الريح أن تحملني الى بلاد الهند فلعله يغفل عني ولا يجدني فأمر سليمان عليه السلام الريح ان تحمله في الساعة الى أقصى بلاد الهند فحملته في الوقت والحال فقبض روحه وعاد ملك الموت ودخل على سليمان عليه السلام فقال له سليمان لاى شيء كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل قال كنت أتعجب منه لاني أمرت بقبض روحه بارض الهند وهو بعيد عنها الى أن اتفق وحملته الريح الى هنالك كما قدر الله تعالى فقبضت روحه هنالك * (تنبيه) * يا هذا أنظر الى قدرة مولاك كيف أنشأك وسواك وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم جعلت لك قرارا في بطن أمك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع من الرحم وجعلت وجهك الى ظهر أمك لئلا يؤذيك رائحة الطعام وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك فاما الذي عن يمينك فالكبد وأما الذي عن شمالك فالطحال وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك فهل يقدر على ذلك أحد غيري فلما أن تمت مدة حملك أوحيت الى الملك الموكل بالارحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها وانبعث لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا في الشتاء باردا في الصيف وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوي ظهرك واشتد أزرك بارزتني بالمعاصي واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد علي وتسترت من برك وبارزتني بالمعاصي في خلواتك ولم تستح مني ومع هذا ان دعوتني

أجبتك وإن سألتني أعطيتك وإن تبت إلى قبلتك (قوله فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة) أي بامتثال الأوامر واجتناب النواهي (حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع) هذا تمثيل لشدة القرب منها (فيسبق عليه الكتاب) أي بحكمه الذي كتب له في بطن أمه أو اللوح المحفوظ مستندا إلى سابق علمه القديم فيه (فيعمل بعمل أهل النار) أي من المعاصي (فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) بحكم القدر الجاري عليه فمن سبقت له السعادة صرف الله قلبه إلى الخير بحكم الكتاب له به ومن سبقت له الشقاوة والعياذ بالله تعالى كان بعكسه وفي بعض روايات هذا الحديث وإنما الأعمال بالخواتيم وفي الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فيسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيسر لعمل أهل الشقاوة فقلوب الخلق بيد الله يصرفها كيف يشاء كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله قلوب الخلق بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء فالموفق من بدئ عمله بالسعادة وختم له بها والمخذول عكسه وكذا من بدئ عمله بالخير وختم له بالشر والعياذ بالله تعالى لا عكسه (نكتة) من لطف الله تعالى أن انقلاب الناس من الخير إلى الشر نادر والكثير عكسه *(تنبيه)* ما ذكر في هذا الحديث جامع لجميع أحوال الشخص إذ فيه بيان حال المبدأ وهي خلقه والمعاد وهي السعادة والشقاوة وما بينهما وهو الأجل وما يتصرف فيه وهو الرزق وفيه دلالة على أن التوبة هادمة لما سلف وأن جميع الأمور بقضاء الله وقدره *(مهمة)* المكلفون على أربعة أقسام القسم الأول قوم خلقهم الله تعالى لخدمته وجنته وهم الأنبياء والأولياء والمؤمنون والصالحون والقسم الثاني قوم

السلام من الركعتين بأن يقول اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به اهـ قال ويسمي حاجته قال الشيخ خليل في منسكه ثم ليمض بعد الاستخارة لما انشرحت له نفسه قال ابن حجر ينبغي التفطن لدقيقة يغفل عنها ولم أر من نبه عليها وهي أن الواو في المعاطفات التي بعدها خير على بابها والتي بعد شر على معنى أو لأن المطلوب تيسيره لا بد أن يكون كل من أحواله المذكورة من الدين والدنيا والعاجل والآجل وغيرها خيرا والمطلوب صرفه يكفي فيه أن يكون بعض أحواله المذكورة شرا وفي إبقاء الواو على حالها إيهام أنه لا يطلب صرفه إلا إذا كانت جميع أحواله لا بعضها شرا وليس مرادا كما هو ظاهر قال النووي والظاهر أن صلاة الاستخارة تحصل بركعتين من الرواتب وبتحية المسجد وغيرها من النوافل واعترض طلب الاستخارة هنا إذ لا يستخار إلا في الأمور المبهمة وأما هذه فطاعة لا شك فيها والجواب أنه إنما استخار في هذه مخافة من عدم إخلاص النية فيها أو لأن غيرها من الطاعات قد يكون أولى منها لكونه أهم واعلم أن الاستخارة لا تكون في واجب ولا محرم ولا مكروه ولا في فعل مندوب وتركه وإنما تطلب في الجائز وفي تقديم بعض المندوبات على بعض (في جميع أربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام) جمع علم بفتحتين وهو ما يهتدى به إلى الطريق وتطلق العلم على الجبل لأنه يهتدى به كما قالت الخنساء

وإن صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وفي قولها وإن صخرا وهو اسم أخيها الطيفة اتفاقية لمناسبة الجبل وسمي العالم علما لأنه يهتدي الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم أو لعلو قدره واشتهاره (وحفاظ الإسلام) فائدة قال السيوطي روينا عن البخاري في آداب طالب الحديث أثرا لطيفا أخبرني أبو الفضل الأزهري وغيره سماعا أن أبا القاسم المقدسي قال أخبرتنا عائشة بنت علي أن أبا عيسى بن علاق قال أخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير أن أبا نصر اليوناني سمع أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن محمد بن صالح بن خلف يقول سمعت أبا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد البخاري قال لما عزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى فحملني معلمي أبو إبراهيم الختلي إليه وقال أسألك أن تحدث هذا الصبي بما سمعت من مشايخنا فقال ما لي سماع فقال وكيف أنت فقيه قال لأني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي إلى طلب الحديث فقصدت محمد بن إسمعيل البخاري وأعلمته مرادي فقال لي يا بني لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره واعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كأربع مثل أربع في أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لأربع وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع

مع

مع أربع فان تمت له كلها هان عليه أربع وابتلى بأربع فاذا صبر على ذلك أكرمه الله في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع قلت له فسر لي رحمك الله ما ذكر من اجمال هذه الرباعيات قال نعم أما الاربع التي يحتاج الى كتبها هي أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع أسماء رجالهم وكناهم وأمكنتهم وأزمنتهم كالتحميد مع الخطبة والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبرارى على الأحجار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذى يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه ومن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب أبيه الذى يتيقن انه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله منها ونشرها بين طالبيها والتأليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم هذه الاشياء الا بأربع هي من كسب العبد معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع أربع هي من اعطاء الله تعالى الصحة والقدرة والحرص والحفظ فان صحت له هذه الاشياء هان عليه أربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلى بأربع شماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلة وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن أكرمه الله في الدنيا بأربع بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحسن الادب وأثابه الله في الآخرة بأربع بالشفاعة لمن أراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله ويسقى من أراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة فقد أعلمتك يا بني بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له أودع (وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال) في ذكر الاتفاق نظر لان ابن العربي قال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا قال المؤلف في الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن الا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب اه ومحل كونه لا يعمل بالضعيف في الاحكام ما لم يكن تلقته الناس بالقبول فان كان كذلك تعين وصار حجة يعمل به في الاحكام وغيرها كما قال الامام الشافعي ومن ذلك ما نقله الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري اه وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد كثيرة قال السخاوى في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو أن يكون الضعف غير شديد وشديدا لضعف هو الذى لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب والثاني أن يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا الثالث ان لا يعتقد

خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا كفارا ثم ختم لهم بالايمان أو فرطوا مدة حياتهم وانهمكوا في العصيان ثم تاب الله عليهم هذه الخاتمة فماتوا على حسن الخاتمة والتوبة والاحسان كسحرة فرعون والقسم الثالث قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته ولا لجنته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر حرموا في الدنيا نعيم الايمان وفي الآخرة يعذبون بالعذاب والهوان * والقسم الرابع قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله ثم مكر بهم فطردوا عن باب الله وماتوا على الكفر نسأل الله السلامة بمنه وكرمه واعلموا ان أشد ما يهيج خوف القلوب خوف السابقة والخاتمة فان العبد لا يدرى هل سبقت له في علم الله السعادة أو الشقاوة والخاتمة تجرى على ما جرت عليه السابقة فمن سبقت له في علم الله السعادة ختم له بخاتمة الايمان ومن سبقت له في علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الكفر والخذلان والعياذ بالله وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصي فمن كان في ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنية * ذكر أن فتى من أصحاب الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى مات فرآه الفضيل بن عياض في المنام فسأله عن حاله فأخبره ان الله مكر به ومات يهوديا والعياذ بالله تعالى فقال لم ذلك فقال اني كنت أظن أني أفضل من أصحابك فكنت أتكبر عليهم وكانت بي علة باطنية فوصف لي شرب الخمر فكنت أشرب قدحا في كل سنة وقال سهل بن عبد الله خوف الصديقين خوف سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وكان سفيان الثورى كثير البكاء والجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت اني أموت على التوحيد لم أبال بأمثال الجبال من الخطايا * ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه أقعد عند رأسي حتى أموت فاذا مت على الاسلام فاشتر بجميع

عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي الاتفاق عليه وعن أحمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفى رواية عنه ضعيف الحديث أحب الينا من رأي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس اذا لم يوجد فى الباب غيره وقد تحصل أن فى العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب الاول لا يعمل به مطلقا الثاني يعمل به مطلقا الثالث يعمل به فى الفضائل بشروطه (ومع هذا) الذي ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف فى الفضائل (فليس اعتمادي على هذا الحديث) وحده (بل على قوله صلى الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد) السامع ما أقول (منكم الغائب) عنه بالنصب على المفعولية وهذا تحريض على التعليم والتعلم فانه لولاه لانقطع العلم بين الناس كذا فى بعض النسخ وفى بعضها تقديم حديث نضر الله امرأ على هذا الحديث (وقوله) صلى الله عليه وسلم (نضر الله) بفتح الضاد المعجمة روي مخففا ومشددا قال بعضهم أكثر الشيوخ يشددون وأهل الادب يخففون قال فى البحر وهو أفصح من النضارة وهو حسن الوجه وبريقه ومعناه ألبسه الله النضرة وخلوص اللون يعني جمله الله وزينه أو معناه أوصله الى نضرة الجنة ونعيمها قال تعرف فى وجوههم نضرة النعيم وجوه يومئذ ناضرة ولقاهم نضرة وسرورا وقال جرير

طرب الحمام بذي الاراك فشاقني * لا زلت فى غلل وأيك ناضر

أي مورق غض ومن ثم قال سفيان بن عيينة انى لأرى فى وجوه أهل الحديث نضرة وجمالا لهذا الحديث يعني لانها دعوة أجيبت وخص حامل السنة بالدعاء لانه سعى فى نضرتها وتجديدها فجازاه الله فى دعائه له بما يناسب حاله وذكر سيدي محمد الشاذلي فى كتابه البيان ما نصه اختص أهل الحديث من دون سائر العلماء بانهم لا تزال وجوههم نضرة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم لقوله نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه رواه الترمذي وحسنه عن زيد بن ثابت والنضرة الحسن والرونق والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لانه سعى فى نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه فى دعائه بما يناسب حاله فى المعاملة ومن نظم الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى فى فن الحديث

من كان من أهل الحديث فانه * ذو نضرة فى وجهه نور سطع
ان النبي دعا بنضرة وجه من * أدى الحديث كما تحمل واتبع

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أهل الحديث لهم مفاخر ظاهره * وهم نجوم فى البرية زاهره
فى أي عصر قد نووا بلقائهم * حقا لأعداء الشريعة قاهره
بالنور قد ملئت حشاشة صدرهم * فكذا وجوههم تراها ناضره

وقيل معنى الحديث حسن الله وجهه فى الناس أي جاهه وقدره فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم

اطلبوا

ما بلكه لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد وقل هذا عرس فلان وان لم يبن كذلك فاعلم الناس حتى لا يعلم والجنازة فى تشهد عند رأسه حتى مات على الايمان فاشترى لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد هذا كان خاتمة فلم ومن لم يخف من سلب الايمان فهو على خطر وكان حبيب العجمي يقول من ختم له بلا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكي ويقول من لي بان يختم لي بلا اله الا الله وقال الحسن البصري رحمه الله دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فرأى جارية فافتتن بها فخطبها فابوا أن يزوجوها حتى يتنصر فاجابهم الى ذلك فاحضروا القسيسين وتنصر فخرجت الجارية وبصقت فى وجهه وقالت ويحك تركت دين الحق لشهوة فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الابد أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولنختم مجلسنا هذا بقصة برصيصا العابد ففيها أعظم عبرة (حكى) انه كان له ستون ألفا من التلامذة وكانوا يمشون فى الهواء ببركته فمات كافرا نعوذ بالله من ذلك وكان يعبد الله تعالى حتى تعجبت الملائكة من عبادته فقال الله تعالى لهم لماذا تعجبون منه انى أعلم ما لا تعلمون فى علمى انه يكفر ويدخل النار أبد الآبدين فسمع ذلك ابليس وعلم أن هلاكه على يده فجاء الى صومعته على شبه عابد قد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد فقال أنا عابد أكون عونا لك على عبادة الله تعالى فقال له برصيصا من أراد عبادة الله تعالى فان الله يكفيه صاحبا فقام ابليس لعنه الله يعبد الله ثلاثة أيام لم ينم ولم يأكل ولم يشرب فقال برصيصا أنا أفطر وأنا أنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل وانى عبدت الله تعالى مائتين وعشرين سنة ولا أقدر على ترك الاكل والشرب فما حيلتي حتى أصير مثلك قال اذهب فاعص الله تعالى ثم تب فانه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال كيف أعصيه بعد ان عبدته كذا وكذا سنة فقال ابليس الانسان اذا أذنب يحتاج الى المغفرة والمغفرة

ؤقال فأى ذنب تشير على قال الزنا قال لا أفعل قال تقتل مؤمنا قال لا أفعل قال تشرب مسكرا فانه أهون وخصمك الله وحده قال أين أجد قال اذهب الى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشترى منها الخمر فشرب وسكر و زنى بها فدخل عليه زوجها فقتله ثم ان ابليس تمثل فى صورة انسان وسعى به الى السلطان فاخذه و جلده للخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر بصلبه لاجل الدم فلما صلب جاء اليه ابليس فى تلك الصورة وقال كيف ترى حالك قال من أطاع قرين السوء فحاله ٤١ كذا فقال ابليس كنت فى عبادتك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت أنزلتك قال أريد وأعطيك ماتريد قال اسجد لى سجدة قال كيف أسجد على الخشب قال بالايماء فأومأ برأسه ساجدا فكفر نعوذ بالله من ذلك فلما كفر قال الشيطان انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله استدراجا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الخامس فى الحديث الخامس)

الحمد لله الذى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة بها النفوس مطمئنة وهى لنا ئلها من النار جنة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من رفع الفرض والسنة وشرع المعروف وسنه وصرف فى طاعة ربه عمره وسنته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين أماتوا البدع وأحيوا السنة آمين* (عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)* اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الاسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فانه صريح فى دفع البدع والمخترعات وهو مما ينبغى أن يعتنى بحفظه واستعماله فى

أطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه يعنى الوجوه من الناس وذوى الاقدار الان هذا بعيد لانه مخالف للظاهر من غير حامل عليه وليس نظير أطلبوا الحوائج الخ لذكر الوجوه فيه المحتمل لان يراد بها جمع وجه من الوجاهة وهى التقدم وعلو القدر وحكى ابن العربى عن ابن بشكوال أنه بالصاد المهملة وهو شاذ وقوله نضر الله يحتمل الخبر والدعاء وعلى كل حال فيحتمل كما قال الحافظ العراقى كونه فى الدنيا وكونه فى الآخرة وكونه فيهما (امرأ سمع مقالتى فوعاها واداها كما سمعها) أى من غير زيادة ولا نقص فمن زاد أونقص فهو مغير لا مؤد فيكون الدعاء مصروفا عنه وليس فى قوله كما سمعها منع لرواية الحديث بالمعنى خلافا لمن زعمه لان المراد أدى حكمها لالفظها وقد رأى بعض العلماء المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أنت قلت نضر الله امرأ الخ قال نعم ووجهه يتهلل بالسرور وأنا قلته وكرره ثلاثا وفى الحديث من أدى الى أمتى حديثا واحدا يقيم به سنة أو يرد به بدعة فله الجنة رواه الحاكم فى الاربعين (فائدة) اختلفوا هل ثواب قارئ الحديث كثواب قارئ القرآن أم لا قال الجلال السيوطى فى ألفية الحديث له

وهل ثواب قارئ الاخبار * كقارئ القرآن خلف جارى

وأنظر هل ثواب مستمعه كثواب مستمع القرآن وقد عد ممن يؤتى أجره مرتين أم لا (ثم من العلماء من جمع الاربعين فى أصول الدين) الاصول جمع أصل كفلوس جمع فلس وهو فى اللغة الاساس وفى الاصطلاح ما يبنى عليه غيره وان شئت قلت ما يتفرع عليه غيره والمراد بها هنا الالهيات والنبوات والحشر والنشر (و بعضهم) جمعها (فى الفروع) أى المسائل الفقهية (وبعضهم فى) فضل (الجهاد و بعضهم فى) فضل (الزهد و بعضهم فى الآداب) بالمد جمع أدب كاسباب جمع سبب وهو استعمال ما يحمد قولا وفعلا أى بحسن الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والاخذ و بذل المجهود وترك السفه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه وقيل غير ذلك و ينقسم كما قال بعضهم الى قسمين طبيعى كالكرم والشجاعة وكسبى كمعرفة النحو واللغة والشعر وأضاف بعضهم الى ذلك معرفة الكتاب والسنة وعلومهما وصوفى وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس اه زاد بعضهم وشرعى وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولبعضهم

وما كل وقت ترى مسعفا * فكن حافظا لطريق الادب

ترى الله يكشف ما قد خفى * فتحظى باجر ونيل الرتب

قال بعض المتقدمين كما أن قوة الاجساد بالاطعمة المصنوعة كذا قوة العقل بالآداب المسموعة (و بعضهم فى الخطب) جمع خطبة وهى كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة مشتق من الخطاب لانهم كانوا اذا ألم بهم خطب خطبوا له ليجتمعوا ويحتالوا فى دفعه والمراد الخطب التى كان يخطب بها النبى صلى الله عليه وسلم فى نحو جمعة وعيد واستسقاء و كسوف وبعرفة وعند نزول الامور المهمة وقدوم الوفود عليه ونحو ذلك وقوله فى الخطب كالاربعين الودعانية و بعضهم فى التصوف

(وكلها مقاصد) جمع مقصد بكسر الصاد (صالحة) لشمول الاحاديث السابقة لجميع مقاصد الدين (رضي الله عن قاصديها وقد رأيت) من الرأي (جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثا مشتملة على ذلك) أي على جميع أصول الشريعة وفروعها والجهاد في سبيل الله والزهد في الدنيا والتخلق بالآداب الحسنة وغير ذلك ولا يرد على قوله وقد رأيت جمع أربعين زيادته حديثين لان مفهوم العدد لا يفيد حصرا على الصحيح أو ان ذكر القليل لا ينفي الكثير كما قيل به في رواية صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بخمس وعشرين مع رواية سبع وعشرين أو انه هنا كان عزمه على الاقتصار على الاربعين وعند فراغها عن له زيادة الحديثين الآخرين لما فيهما من المناسبة لان أحدهما فيه الوعظ بمخالفة الهوى وثانيهما من باب الرجاء فكان ختم الكتاب بهما مناسبا (وكل حديث منها قاعدة من قواعد الدين) القاعدة من القعود بمعنى الثبات وهي لغة الاساس والعمد وخشبات يركب الهودج فيها واصطلاحا أمر كلي يتعرف منه أحكام جزئيات موضوعها كالامر للوجوب فانه دليل اجمالي ومن جزئياته أقيموا الصلاة والنهي للتحريم دليل اجمالي ومن جزئياته لا تقربوا الزنا وكيفية استفادة الحكم من ذلك ان يجعل الدليل التفصيلي مقدمة صغرى والدليل الاجمالي مقدمة كبرى فينتج منهما نتيجة هي الحكم كان يقال أقيموا الصلاة أمر والامر للوجوب فينتج ان الصلاة واجبة وبهذا تعلم ان القاعدة بهذا المعنى ليست مرادة للمصنف لان تلك الاحاديث كلها من باب الاحكام التفصيلية دون القواعد الاجمالية وانما أراد بالقاعدة العمدة والاصل الذي ترجع اليه الاحكام أو كثير منها (قد وصفه العلماء بأن مدار) غالب أحكام (الاسلام عليه) كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة قال ابن رسلان كحديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده لان أعمال الشريعة اما معروف يجب الامر به أو منكر يجب النهي عنه فهو نصف بهذا الاعتبار (أو هو نصف الاسلام أو ثلثه) كحديث انما الاعمال بالنيات فان أبا داود قال انه نصف الاسلام والشافعي قال انه ثلثه قال ابن رسلان لان كسب العبد بقلبه وجوارحه ولسانه والنية أحد الثلاث (أو نحو ذلك) كالربع كحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (ثم التزم في هذه الاربعين أن تكون صحيحة) ليعمل بها في الفضائل وغيرها والمراد بالصحيحة غير الضعيفة فتتناول الحسنة (ومعظمها) أي غالبها (في صحيحي) شيخ الحديث وطبيب علله في القديم والحديث * أبو عبدالله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي (البخاري) قال الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته كان البخاري امام المسلمين وقدوة المؤمنين وشيخ الموحدين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين وقال ابن كثير كان امام الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أقرانه قال محمد بن عبد الرحمن كتب أهل بغداد الى محمد بن اسمعيل كتابا فيه شعر

المسلمون بخير ما بقيت لهم * وليس بعدك خير حين تفتقد

قيل انه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا وكان اذا نظر في الكتاب مرة واحدة حفظ ما فيه وقال رضي الله عنه أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح وكان يختم في

ايضاح المنكرات وهو من الاحاديث التي عليها مدار الاسلام وقبل الشروع فيه نتكلم على شيء من فضائل عائشة رضي الله عنها فنقول هي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه وهي أم المؤمنين في الاحترام والتعظيم لا في السفر والخلوة والنظر وما أشبه ذلك وكذا يقال في سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم ويقال لها أم عبدالله كناها به النبي صلى الله عليه وسلم لما سألته أن يكنيها بابن أختها أسماء وهو عبدالله بن الزبير والاصح انها لم تلد قط وقيل أنها أسقطت سقطا ولم يثبت وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خطبها من أبي بكر قال له يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح لك ولكن أنا أرسلها اليك فان كانت تصلح لك فهي السعادة الكاملة فقال ان جبريل أتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله زوجك بهذه قال ثم ذهب أبو بكر الى منزله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي ان كان يصلح فبارك عليك وكان سن عائشة اذ ذاك ست سنين قال فمضت عائشة بالطبق وهي تظن ان أبا بكر نهى عن التمر قالت عائشة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا قبلنا يا عائشة قبلنا وجذب طرف ثوبي قالت فنظرت اليه مغضبة ودخلت على أبي بكر وأخبرته بما وقع فقال يا بنتي لا تظني برسول الله الا خيرا فان رسول الله قد زوجك به من فوق سبع سموات وزوجك اياه في الارض قالت عائشة رضي الله عنها فما فرحت بشيء أشد من فرحي بقول أبي بكر زوجتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان أول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها فكانت أحب الناس اليه وفضائلها كثيرة * منها ان الوحي لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم في فراش امرأة من نسائه الا هي * ومنها ان

جبريل أقرأها السلام عن الله دون غيرها من صواحباتها وهي أفضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث وفي هذا كفاية * ولنرجع الى الكلام على الحديث فنقول (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) أي أتى بشئ لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة (قوله في أمرنا) أي في ديننا وشرعنا ويطلق على الشأن ومنه وما أمر فرعون برشيد

(قوله هذا) اشارة الى ماذكر من دين النبي صلى الله عليه وسلم وشأنه (قوله ماليس منه) أي بأن ينافيه أولا يستند الى شئ من أدلة الشرع (قوله فهو رد) أي مردود ومعناه انه باطل لا يعتد به (رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا) أي احدثه هو أو غيره (ليس عليه أمرنا) أي لا يرجع الى دليل شرعا (فهو رد) أي مردود كما مر وفي هذه الرواية رد على من فعل سوأ قائلا انه لم يحدث ما فعله وان غيره سبقه به وفيه بيان انه لا فرق بين أن يكون محدثا لما فعله أو مسبوقا به اذ كل فعل لم يكن على أمر الشرع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله ويدخل فيما تناوله الحديث العقود الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع * (فائدة) *

قسم ابن عبد السلام الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال البدعة فعل مالم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب والسنة ونحوها مما يتوقف فهم الشريعة عليه ومحرمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس وبناء القناطر وكل احسان لم يعهد في العصر الاول ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ومباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك * واعلم ان في هذا الحديث الحث

رمضان كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة وكان يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وقال دخلت بلخ فسألوني أن أملي لهم لكل من كتبت عنه فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ ومن أعجب العجب ما رواه البغدادي الخطيب انه قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة أنفس فدفعوا لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه فكان الفهماء يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل ومن كان فهم منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب اليه رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الاحاديث المقلوبة والبخاري يقول لا أعرفه فلما علم البخاري انهم قد فرغوا التفت الى الاول منهم فقال له أما حديثك الاول فهو كذا وصوابه كذا والثاني والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى أصله أي الى اسناده وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين كذلك حتى رد متون الاحاديث كلها الى أسانيدها وأسانيدها الى متونها فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل وههنا تخضع للبخاري الرقاب فما العجب من رد الخطأ الى الصواب بل العجب من حفظه للخطأ القليل الفائدة على ترتيب ما ألقوه عليه ولا عجب لانه في سرعة الحفظ طويل الباع وهو امام الحفاظ والنقاد بلا نزاع ولما خرج من بغداد لحصول المحنة فيها بمسألة خلق القرآن وأراد الذهاب الى سمرقند فلما بلغ خرتنك بفتح الخاء المعجمة وفتح المثناة وسكون النون وهي قرية على فرسخين من سمرقند بلغه انه افتتن أهل سمرقند في دخوله فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهون ذلك فأقام بها حتى ينجلي الامر فضجر ليلة فدعا وقد فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضني اليك فمات من ذلك الشهر فان قلت كيف انه دعا بالموت وقد خرج في صحيحه لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فالجواب ان المراد بالضر الضر الدنيوي وأما اذا نزل به ضر ديني فانه يجوز تمنيه خوفا من تطرق الخلل للدين وقال عبد الله بن حماد وهو شيخ البخاري وددت اني شعرة في صدر محمد بن اسمعيل البخاري وقال أبو زيد المروزي وهو من كبار الشافعية وأجل من روى البخاري عن الفربري كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا أبا زيد الى متى تدرس في كتاب الشافعي ولا تدرس من كتابي فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد ابن اسمعيل البخاري يعني هذا الصحيح وقال محمد بن يوسف الفربري سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم

على الاتباع والتحذير من الابتداع * قيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لا تجالس أهل الهوى فيحدثوا في قلبك ما لم يكن
وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن وقال الدقاق من استهان بأدب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة
ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا يذكر عنده باطلا فيوقع في قلبه شبهة وفي الحديث
من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وفي تفسير قوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة

الوراق يقول رأيت محمد بن اسمعيل البخاري في النوم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وكلما رفع النبي
صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه موضعه وقال الفربري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
النوم فقال لي أين تريد قلت أريد محمد بن اسمعيل البخاري فقال اقرئه مني السلام وحكي عنه انه كان
يوما في المسجد وحوله أصحابه للدرس في العلم فرأى بعضهم على لحيته قشة فرماها عن لحيته في المسجد
فأخذها الامام البخاري رضي الله عنه وصرها في خرقة وأخرجها ورماها خارج المسجد وقال للذي رماها
عن لحيته أنت ما رضيت أن تكون هذه القشة على لحيتي وأنا عبد الله وابن آدم فكيف أرضى أن
أرميها في بيت ربي وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رضي الله عنه ما وضعت في كتابي
حديثا حتى استخرت الله تعالى وتيقنت صحته وقال ما كتبت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل
ذلك وصليت ركعتين بين الروضة والمنبر وقرأته على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اضطجعت فيأتيني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقول يا رسول الله بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وأقرأ عليه ذلك
الحديث فيقول نعم صحيح ذلك قال وأرجو أن يبارك الله فيه للمسلمين فحقق الله ظنه ورجاءه وكان اذا
فرغ من التحديث أو التصنيف قام فركع وروي انه كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون
عنه ومن كلامه رضي الله عنه

اغتنم في الفراغ فضل ركوع * فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم * ذهبت نفسه الصحيحة فلته

قال المؤلف اتفقوا على ان البخاري ولد ببخارى بعد صلاة الجمعة الثالث عشر ليلة خلت من شوال سنة
أربع وتسعين ومائة وتوفي رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر وقيل بعد الظهر
بخرتنك وهي قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها سنة ست وخمسين ومائتين وله من العمر اثنان
وستون سنة الا ثلاث عشر يوما قاله في تهذيب الاسماء واللغات وما أحسن قول الكمال بن أبي شريف
ولد في صدق ومات في نور ولما مات فاح من تراب قبره رائحة الغالية أطيب من المسك واستمرت أياما
كثيرة حتى تواترت عند جميع أهل البلاد وسيأتي أيضا شيء مما يتعلق به عند ذكره في استخراج الحديث
الاول (و) أبو الحسين (مسلم) بن الحجاج بن مسلم القشيري واذكرها محذوفة (الاسانيد) جمع اسناد وهو
حكاية طريق المتن والسند الطريق الموصلة الى المتن فقولك أخبرنا فلان الخ اسناد ونفس الرجال
سند وقال البدر بن جماعة الاسناد هو الاخبار عن طريق المتن والسند هو رفع الحديث الى قائله قال
والمحدثون يستعملونهما لشيء واحد وفيه نظر وأخذه اما من السند وهو ما ارتفع وعلا من سفح الجبل
لان المسند يرفعه الى قائله أو من قولهم فلان سند أي معتمد سمي بذلك لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث
وضعفه عليه ولذا قال النووي السند سلاح المؤمن فاذا لم يكن معه سلاح فبم يقاتل وقال بعضهم انه
كالسيف للمقاتل وقال بعضهم مشيرا اليه انه كالسلم يصعد عليه وقال ابن عيينة حدث الزهري
بحديث فقلت له هاته بلا اسناد فقال ترقى السطح بلا سلم وفي أول صحيح مسلم عن عبد الله بن المبارك

الاسناد

ان الحكمة هي السنة
(ويحكى) عن أحمد بن
حنبل رضي الله عنه قال
كنت يوما مع جماعة
يتجردون ويدخلون
الماء فاستعملت حديث
رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يدخل
الحمام الا بمئزر فلم أتجرد
فرأيت تلك الليلة في
المنام قائلا يقول لي أبشر
يا أحمد فان الله قد غفر لك
باستعمال السنة فقلت
من أنت فقال جبريل
وقد جعلك الله اماما
يقتدى بك (ويحكى)
عن بعضهم أيضا انه قال
رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت له
يا رسول الله عسى أن
تشفع لي فقال لي قد
شفعت لك قلت متى قال
من اليوم الذي أحييت
فيه سنتي وقد كانت
أميتت قال ابن عباس
رضي الله عنهما ما أتى
على الناس عام الا
أحدثوا فيه بدعة وأماتوا
فيه سنة حتى تحيى
البدعة وتموت السنة وفي الحديث من مشى الى صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام فيجب
على من من الله عليه بالاتباع ان يجتنب سبيل ذوي الابتداع وان يقف مع الكتاب والسنة والاجماع (خاتمة المجلس) حكى المالقي
في شرحه ان هرون الرشيد وجه الى أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله واستعطفه ليرخص له في نكاح الجارية التي تركها
أخوه موسى الهادي وكان قد بات يحلفه انه متى أفضت الخلافة اليه لا يقربها فحلف له هرون ايمانا كثيرة منها المشي الى بيت الله

الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يتحمل الحطب وفيه افعاء وهو لا يدري قال أبو علي الجياني خص الله هذه الامة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والانساب والاعراب ومن أدلة ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق في قوله تعالى أو أثارة من علم فقال اسناد الحديث وأما المتن فهو ألفاظ الحديث التي تقوم بها المعاني قاله الطيبي وقال ابن جماعة هو ما ينتهي اليه غاية السند وأخذه اما من المتانة وهي المباعدة في الغاية لان المتن غاية السند أو من متنت الكبش اذا شققت جلدة بيضته واستخرجتها فكان المسند استخرج المتن بسنده أو من المتن وهو ما صلب وارتفع من الارض لان المسند يقويه بالسند ويرفعه الى قائله أو من تمتين القوس أي شدها بالعصب لان المسند يقوي الحديث بسنده (ليسهل حفظها) لقلة ألفاظها واذا سهل حفظها كثرت حفاظها فيعم الانتفاع بها ولذا قال (ويعم الانتفاع بها ان شاء الله تعالى) لانه ولي كل شيء والقادر عليه وقد حقق الله ما أراده وأتى بالمشيئة للتبرك امتثالا لامره تعالى أشرف خلقه بالاتيان بها لذلك لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ومن ثم سنت في الامور المستقبلة دون الماضية كما استفيد من الآية فلا يقال فعلت كذا أمس ان شاء الله والاسناد لفعل الغير كهو لفعل النفس ومفعول شاء الله محذوف أي ان شاء الله تعالى ذلك وقد قيل في تفسير قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم ليس لاهل الحديث منقبة أشرف من ذلك لانه لا امام لهم غيره صلى الله عليه وسلم لان سائر العلوم الشرعية محتاجة اليه أما الفقه فواضح وأما التفسير فلان أول ما فسر به كلام الله تعالى ما ثبت عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم (ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها) من اضافة الصفة للموصوف أي ألفاظها الخفية (وينبغي لكل راغب في) عمل أو ثواب (الآخرة أن يعرف هذه الاحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت) من حوى اذا جمع (عليه من التنبيه) أي الايقاظ والتفهيم (على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره) التدبر التفكر وهو انتقال الذهن من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة (وعلى الله) لا على غيره كما أفاده تقديم المعمول (اعتمادي) في هذا الجمع وغيره ولا يرد على الحصر الذي أفاده تقديم المعمول ان الاعتماد كثيرا ما يقع على غيره لان المراد الاعتماد عليه في تحصيل الاسباب وتيسيرها والتحصيل والتيسير مختصان به تعالى وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه) لا الى غيره (تفويضي) التفويض الى الله هو رد الامر كله اليه (و) اليه (استنادي) أي التجائي فيما يتعلق بتأليف العلم وغيره (وله) دون غيره (الحمد) ملكا واستحقاقا واختصاصا (والنعمة) ايجادا وايصالا الى خلقه بسائر أنواعها كالمال وغيره وان وجد لغيره حمد أو نعمة فانما هو باعتبار الصورة دون الحقيقة (وبه) لا بغيره وفي بعض النسخ وبيده أي قدرته (التوفيق) وهو لغة جعل الامر موافقا لآخر واصطلاحا قال الاشعري خلق قدرة الطاعة في العبد واعترضه امام الحرمين بأنه يشمل الكافر والفاسق اذ كل منهما خلق فيه قدرة الطاعة فلا بد من زيادة قيد في التعريف وهو والداعية اليها ورده الدواني لان القدرة

الحزام حافيا على قدميه والقصة مشهورة عند أهل التاريخ فلما مات أخوه موسى الهادي طالب هرون رخصة في نكاحها فلم يسعفه الشافعي فتوعده وهدده فانصرف عنه وقد خامره بعض رعب فما زال يصلي حتى غلب عليه النوم في مصلاه فرأى كانه قائم بين يدي الله تعالى فنودي يا محمد تثبت على دين محمد واياك اياك أن تحيد فتضل وتضل ألست بامام القوم لا وجل عليك منه اقرأ انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون قال فاستيقظت وأنا أقرأها فلما كان وقت صلاة الصبح صليت الفريضة ثم وجدت في نفسي كسلا فقيل لي هرون الرشيد توجه عنك فلا تخف ما دمت شيئا واقرأ في نفسك اذا مشيت اليه دعاء الحزن فانك لا ترى منه الا خيرا فانتبهت وجعلت أقول اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي والى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فما أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ويحل علي سخطك لك الحمد حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك قال فما كملت قراءته حتى سمعت قرع الباب فخرجت فوجدته الربيع بن وزيره فقال يا سيدي الخليفة يأمرك بالوصول اليه فمشيت معه فلما وصلت لقربه قام الي فرحب بي وتبسم وقال نعم المسلم أنت ونعم الامام مثلك لا تأخذه في الله لومة لائم اعلم يا فقيه اني عوتبت الليلة في حقك فانصرف راشدا فانت الملحوظ والمحفوظ وأمر له بعشرة آلاف دينار ففرقها بين يديه وانصرف رضي الله عنه وهذا كله ببركة التمسك بسنة سيد المرسلين أماتنا الله عليها آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس السادس في الحديث السادس) * الحمد لله الملك المتعال المنزه عن الشركاء والامثال الذي بين لعباده الحرام من الحلال

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تصلح القلب واللسان من فساد الافعال واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي
ظهره الله ظاهرا او باطنا او وصفه فوق ما يقال فهو النبي المصطفى والحبيب المجتبى والهادي من الضلال صلى الله عليه وعلى
آله واصحابه بالغدو والآصال آمين (عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه

وعرضه ومن وقع في
الشبهات وقع في الحرام
كالراعي يرعى حول الحمى
يوشك ان يقع فيه
ألا وان لكل ملك حمى
ألا وان حمى الله محارمه
ألا وان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسدت فسد
الجسد كله ألا وهي
القلب رواه البخاري
ومسلم) اعلموا اخواني
وفقني الله واياكم لطاعته
ان هذا الحديث حديث
عظيم وهو أحد الاحاديث
التي عليها مدار الاسلام
قال جماعة هو ثلث
الاسلام اذ الاسلام يدور
عليه وعلى حديث انما
الاعمال بالنيات وحديث
من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه وقال أبو
داود يدور على اربع
ما ذكر وقوله صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم
حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه وحديث ازهد في
الدنيا يحبك الله وازهد
فيما في ايدي الناس
يحبك الناس وقد جمعها
بعضهم بقوله عمدة الدين عندنا كلمات * اربع من كلام خير البرية اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنية فيه
(قوله ان الحلال بين) أي ظاهر منكشف قد انتفت عن ذاته الصفات المحرمة وخلا عن شائبة
ما يتطرق اليه من ذلك وهو عند امامنا الشافعي رحمه الله تعالى ما لم يرد دليل بتحريمه فهو ما لم يمنع منه شرعا سواء أورد بحله دليل
أو سكت عنه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فيما يأتي في الحديث الثلاثين وسكت أي الله عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا

عند الاشعري هي العرض المقارن للفعل فلا توجد قدرة الايمان الا مع وجوده ولا توجد قدرة الطاعة الا
مع فعلها (والعصمة) بالكسر وهي لغة المنع قال الله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله أي لا مانع ويقال
عصمه الطعام اذا منعه الجوع وأبو عاصم كنية السويق واصطلاحا قال الابي عدم خلق القدرة على
المعصية وهو منقوض بالصبي والميت ومن منعه من المعصية مانع والاحسن تعريفها بانها ملكة
نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة ويجوز الدعاء بها مطلقة ومقيدة على المعتمد وأنكر بعضهم جواز
الدعاء بها مطلقة لانها الغاهي للانبياء والملائكة وأجيب بانها في حق الانبياء والملائكة واجبة وفي حق
غيرهم جائزة وسؤال الجائز جائز وان الذي اختص به الانبياء والملائكة وقوعها لهم لا طلبها (الحديث)
ويرادفه الخبر على الصحيح هو لغة ضد القديم وقد استعمل في قليل الخبر وكثيره لانه يحدث شيأ فشيأ
واصطلاحا ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا أو تقريرا أو وصفا حتى الحركات
والسكنات يقظة أو مناما زاد بعضهم أو هما أو ايماء ويعبر عن هذا بعلم الحديث رواية ويحد بانه علم
يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله وأحواله وموضوعه ذات رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حيث انه رسول الله وغايته الفوز بسعادة الدارين واما علم الحديث دراية فهو
علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وموضوعه الراوي والمروي من حيث ذلك
وغايته معرفة ما يقبل وما يرد من ذلك وقال ابن حجر في شرح النخبة الخبر عند علماء الفن مرادف
للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع وقيل الحديث ما جاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ
ونحوها اخباري وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس وقيل لا يطلق
الحديث على غير المرفوع الا بشرط التقييد وقد ذكر المؤلف ان المحدثين يسمون المرفوع والموقوف
بالاثر وان فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالاثر والمرفوع بالخبر (الاول) المشهور ان أصله أوأل على
وزن أفعل فقلبت الهمزة الثانية واوا وادغمت فيها الاولى وهو اسم امام بمعنى قبل فيكون منصرفا ومنه
قولهم أولا وآخرا أو وصفه أي أفعل تفضيل بمعنى أسبق فيكون غير منصرف للوزن والوصف وصدر
المصنف بهذا الحديث كالبخاري لان السلف الصالح كانوا يستحبون تقديمه امام كل شيء يبتدأ من
أمور الدين لعموم الحاجة اليه ولتنبيه الطالب على مزيد الاعتناء والاهتمام بحسن النية والاخلاص
بالاعمال فانه روحها الذي به قوامها وبفقده تصير هباء منثورا وقد قال الحافظ عبد الرحمن بن
مهدي من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث وقال لو صنفت كتابا لبدأت في كل باب منه
بهذا الحديث (عن أمير المؤمنين) هو أول من لقب به على العموم أو من الخلفاء لانه لم خليفة
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقبه بذلك عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من
العراق وقيل لقبه المغيرة بن شعبة وقيل انه قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم لانه أول من لقب به
مطلقا وقد لقب به عبد الله بن جحش حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية اثني عشر رجلا
وقيل ثمانية في أول مقدمه المدينة وكتب له كتابا وأمره ان لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر

ثم يجيئوا فيها الاثم لو كانت حراما بينها * وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ما ورد دليل بحله فهو أخص من قول الشافعي لخروج المسكوت عنه وعلينا الورد أيضا بيانا ولم نعلم أضره هو أم لا أو حيوانا لم تعرفه العرب فالاشبه كما قال الامام الرافعي وغيره بمذهب الامام الشافعي الحل لسكوت الشارع عن تحريمه وبمذهب أبي حنيفة التحريم لعدم ورود نص بحله (قوله وان الحرام) أي وهو ما منع من تعاطيه دليل على مذهب الامام الشافعي وما لم يرد دليل بحله على مذهب الامام أبي حنيفة (قوله بين) أي يعرفه كل أحد لم ينتف عن ذاته صفة محرمة فهو ما منع منه شرعا اتفاقا أما الصفة في ذاته ظاهرة كالسم والبنج وغيرهما أو غير ظاهرة كتحريم بعض الحيوان وأما الخلل في تحصيله كالمغصوب وبيع الغرر والربا (قوله وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس) أي لخفاء حكمهن عليهم ويعلمهن العلماء بنص أو قياس أو استصحاب أو نحو ذلك (قوله فمن اتقى) أي ترك (الشبهات) جمع شبهة وهو ما يخيل للناظر انه حجة وليس كذلك (قوله استبرأ) بالهمزة وقد تخفف أي طلب البراءة (لدينه) أي من ذم الشرع (وعرضه) بكسر العين أي صانه عن كلام الناس فيه والمراد به النفس اذ هي محل المدح والذم وقد جاء في الاثر من وقف موقف تهمة فلا يلومن من أساء الظن به وقال صلى الله عليه وسلم لرجلين مرا عليه ومعه زوجته صفية أسرعا في المشي على رسلكما انها صفية خوفا عليهما ان يهلكا فقالا سبحان الله فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا * (فائدة) * اختلف العلماء في معنى الشبهة المذكورة في الحديث فمنهم من قال انها الحرام عملا بقوله فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومنهم من قال انها الحلال عملا بقوله كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فانه دال على ان ذلك حلال وان تركه ورع وهو الصواب (قوله ومن وقع في

فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا أخبارهم فقال عبد الله وأصحابه سمعا وطاعة وقالوا له ما ندعوك فقال أنتم المؤمنون وأنا أميركم فقالوا أنت اذا أمير المؤمنين ثم مضوا ولقوا عير القريش فقتلوا عمرو بن الحضرمي في أول يوم من رجب كافرا وأسروا اثنين وغنموا ما كان معهم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فأنزل الله قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآيتين وغا وصفه بأمير المؤمنين لما نقله في شرح مسلم عن المطرز وابن خالويه وغيرهما ان كل من ملك المسلمين يقال له أمير المؤمنين ومن ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك الترك خاقان ومن ملك القبط فرعون ومن ملك مصر العزيز ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك اليمن تبع ومن ملك حمير القيل بفتح القاف ثم ان حديث النية هذا فرد غريب باعتبار أوله مشهور باعتبار آخره وليس بمتواتر خلافا لما زعمه بعضهم لان شرطه أن توجد عدة التواتر في جميع طبقاته فان الصحيح انه لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا عمر ولم يروه عن عمر الا علقمة بن وقاص الليثي ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمي ولم يروه عن محمد الا يحيى بن سعيد الانصاري ومنه اشتهر فرواه عن يحيى بن سعيد أكثر من ثلثمائة نفس وقيل سبعمائة الا أن يحمل على التواتر المعنوي فيصح اذ طلب النية في العمل ثابت في عدة أحاديث غير هذا منها خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له وخبر غيره ليس للمرء من عمله الا ما نواه وخبر ابن ماجه انما تبعث الناس على نياتهم (أبي حفص) الحفص الاسد وكان سبب ذلك ما كان عليه من الشدة كما رواه زيد بن أسلم عن أبيه انه قال رأيت عمر رضي الله عنه يمسك أذن فرسه باحدى يديه ويمسك بالاخرى أذنه ثم يثب حتى يركب (عمر بن الخطاب) بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح الياء آخر الحروف ابن عبد الله ابن قرط بضم القاف وبالطاء المهملة ابن رزاح بفتح الراء أوله ثم زاي مفتوحة أيضا ابن عدي بن كعب ابن لؤي العدوي القرشي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب الاب الثامن وأمه حنتمة بالحاء المهملة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح وقيل بنت هشام وعلى الاول فهي بنت عم أبي جهل وعلى الثاني فهي أخته فيكون أبو جهل خاله أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد أربعين رجلا وعشر نسوة كما قاله سعيد بن المسيب أو بعد خمسة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة كما قاله عبد الله بن ثعلب أو بعد تسعة وثلاثين رجلا كما قاله غيرهما وكان ذلك بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما قال عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام فكان أحبهما اليه عمر بن الخطاب قال أنس بن مالك خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال أين تعمد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا فقال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا فقال له عمر ما أراك الا قد صبأت وتركت دينك الذي أنت عليه قال أفلا أدلك على العجب يا عمر ان أختك وختنك سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فمشى مغضبا حتى

الشبهات) أى بان لم يترك فعلها اوقع فى الحرام المحض أوقارب أن يقع فيه معناه أن من كثر تعاطيه الشبهات صادف الحرام وان لم يتعمده وقد يأثم بذلك اذا نسب الى تقصير ومعناه أن يعتاد التساهل ويجسر على شبهة ثم شبهة أغلظ منها ثم أخرى أغلظ وهكذا حتى يقع فى الحرام عمدا وقد دلت الاحاديث أن المعاصى تسوق الى الكفر والعياذ بالله تعالى ومن ذلك قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها فنهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا أى تدرجوا بها أى الى قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أى يتدرج بها الى نصاب السرقة فتقطع يده ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر لما ذكره بقوله (كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه) أى كالراعى يرعى الماشية بحول الحمى أى المحمى وهو المكان من الارض المباحة الممنوع من الرعى فيه يوشك بكسر الشين أى يسرع ويقرب أن يرتع فيه معناه أكل الماشية من المرعى واقامتها به وكفى بهذا دليلا على درء المفاسد وجلب المصالح بالتباعد عما يخاف منه وان ظن السلامة فى مقاربته (قوله ألا وان لكل ملك حمى) وهو ما يحجزه لرعى خيله وغيره من مصالحه ويمنع غيره منه (قوله ألا وان حمى الله محارمه) أى أن تنتهك وهذا ضرب مثل محسوس لتكون النفس متفطنة أشد تفطن فتتأدب معه تعالى كما تتأدب مع الاكابر منذ اذ كل ملك بكسر اللام له حمى يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن خافه ودخله عاقبه والرب جل جلاله حمى محارمه التى حرمها وقد حرم ابراهيم عليه السلام مكة ونبينا صلى الله عليه وسلم المدينة فاحذر يا أخى أن تقع فى محارم الله تعالى فيعاقبك (قوله ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) اعلم ارشدنى الله واياك ان القلب عضو

أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى فى البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم قال وكانوا يقرؤن طه فقال ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر ان كان الحق فى غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فضرب رأسها فأدماه فقالت وهى غضبى كان ذلك على رغم أنفك أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما يئس عمر قال اعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه وكان عمر يقرأ الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى قوله اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى فقال عمر دلونى على محمد وفى رواية أخرى انه وجد فى الكتاب سورة الحديد فقرأ حتى بلغ قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله فقال دلونى على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فانى أرجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام قال وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الدار التى أسفل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار قال وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبى صلى الله عليه وسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبى صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال أما انت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أنك رسول الله ولابن عباس انه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ثم قال يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قال ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق لنخرجن فخرج فى صفين حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالفاروق وفى رواية انه لما ظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتى أجاره خاله قال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام وصح انه لما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله على المصطفى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى شريح بن عبيد عنه أنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخر السورة فوقع الاسلام فى قلبى قال ابن مسعود ما زلنا أعزة

باطن في الجسد وعليه مدار حال الانسان وبه العقل وهو أشرف أعضائه وسمي قلبا لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه وتقلبه ثم قيل
وماسمي الانسان الالنسيه ※ ولا القلب الا انه يتقلب وقد يعبر عنه بنفس العقل لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب أي عقل وانما كان صلاح البدن وفساده تابعا لصلاح القلب وفساده لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فاذا
صدرت عنه ارادة صالحة لسلامته من الامراض الباطنية كالحسد والشح والغل والكبر أو فاسدة لعدم سلامته مما ذكر

تحرك البدن بتلك الحركة فهو كالملك والجسد وأعضاؤه كالرعية ولاشك ان الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا فهو كالعين والجسد كالمزرعة ان عذب ماء العين عذب الزرع أو ملح ملح وأيضا فهو كالارض وحركات الجسد كالنبات قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الا نكدا (تنبيه) قد شق عن قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذه حظ الشيطان منك ثم طهر فطاب قلبه فصار فردا قيل وصلاح القلب في ستة أشياء قراءة القرآن بالتدبر واخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وأكل الحلال وهو رأسها وقد قيل اذا صمت فافطر على طعام من تنظر فان الرجل ليأكل الأكلة فتشغل

قلبه كالسم فلا ينتفع أبدا وقال بعضهم وأحسن وأجاد الطعام بذر الافعال ان دخل حلالا خرج حلالا
وان دخل حراما خرج حراما وان دخل شبهة خرج شبهة (روى) عن بعضهم انه قال استسقيت جنديا فسقاني شربة فصارت قساوتها
في قلبي أربعين صباحا وأنشدوا في معنى ماقدمناه دواء قلبك خمس عند قسوته ※ فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره ※ كذا تضرع ساعة السحر كذا قيامك الليل أوسطه ※ وأن تجالس أهل الخير والخير واعلم أن هذا

منذ أسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن
نصلي الى البيت حتى أسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وقال صهيب لما أسلم عمر جلسنا حول البيت
وتحلقنا وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا وحكمه الله في العناصر الاربعة الريح والتراب والماء والنار
بدليل قصة سارية فانه وجه جيشا وأمر عليهم سارية فبينما هو يخطب نادى ياسارية الجبل الجبل من
سرى الذئب ظلم فاستند الجيش الى الجبل فنصرهم الله وماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال زلزلت زلزلة عظيمة في زمن عمر كادت الجبال ان تقع من على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذي
يسمونه فصل عمواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكني أنا أعدل فويل لعمر فسكنت ولم تأت
بعدها مثلها وما كتبه للنيل بمصر لما كتب له عمرو بن العاص ان النيل لايزيد زيادته المعتادة الا ان ألقي
فيه امرأة بكر فامران يلقي فيه كتابه بدل المرأة وصورته مكتوب فيه ان كنت تطلع من عند الله فاطلع وان
كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فلم يلق فيه بعد ذلك امرأة ومارواه ابن عباس أيضا كانت تأتي
نار كل عام الى المدينة المشرفة فشكا المسلمون ذلك لعمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار
فاقرده في وجهها وقل يانار هذا رداء عمر بن الخطاب فهي ترجع لوقتها فلما جاءت النار ضج المسلمون
فأخذ الغلام الرداء وخرج به الى ظاهر المدينة وقرده على وجهها كما أمره سيده وقال يانار ارجعي هذا رداء
عمر بن الخطاب فرجعت في الحال ولم تعد (رضي الله عنه) أي حفظه من سخطه اذ الرضا والرضوان ضد
السخط (قال سمعت رسول الله) مفعول سمعت أي كلامه لان السمع لايتعلق بالذات والسمع في
الاصل مصدر يطلق على الواحد وعلى الجمع قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (صلى الله
عليه وسلم يقول) جملة يقول من الفعل والفاعل محلها النصب على الحال من رسول الله أي قائلا وهي
حال مبينة لايجوز حذفها هذا ما عليه الجمهور واختار الفارسي ان مابعد سمعت ان كان مما يسمع
كسمعت القرآن تعدت الى مفعول واحد والا كما هنا تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول
ثان (انما) للحصر باتفاق المحققين وهو اثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه وانما اختلفوا
في وجه الحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم بدليل انه يقال انما زيد قائم لاقاعد بخلاف مازيد
الا قائم لاقاعد لانه لو كان الحصر بالمنطوق لكان قوله لاقاعد تكرارا ودعوى أن ان للاثبات
وما للنفي كما زعمه الرازي وان الاثبات للمذكور والنفي لما عداه غير ظاهر لان القاعدة ان مايلي
حرف النفي منفي ولانه لو كانت ما للنفي لصدرت مع كون ان لها الصدر فيلزم اجتماع المتصدرين
على صدر واحد وأيضا فيه اجتماع حرفي الاثبات والنفي بلا فاصل فيلزم اجتماع الضدين وأيضا
يلزم عليه جواز نصب زيد في انما زيد قائم لانها اذا اقترنت بما يجوز اعمالها وان كان نادرا
والاولى ان تجعل ما زائدة لتأكيد الاثبات وتضاعف الاثبات يفيد الحصر (الاعمال) جمع
عمل وهو حركة البدن فيشمل القول لانه عمل اللسان كما قاله ابن دقيق العيد خلافا لمن أخرجه وأورد
على من سمى القول عملا بان من حلف لايعمل عملا لايحنث بالقول وأجيب بأن مرجع اليمين
الى العرف والقول لايسمى عملا في العرف وقد يتجوز بالعمل عن حركة النفس فان قلت النية أيضا

الحديث أصل في الورع أيضا وهو ترك الشبهة والعدول الى غيرها * قال الحسن البصري أدركنا قوما يتركون سبعين بابا من الحلال
خشية الوقوع في الحرام وثبت عن الصديق رضي الله عنه أنه أكل ما فيه شبهة غير عالم بها فلما علم بها أدخل يده في فيه فقاءها وقال
أبو ذر فقال التقوى أن يتقي الله العبد بترك بعض الحلال مخافة أن يكون حراما وقيل لابراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو
كان لي دلو لشربت اشارة الى أن الدلو من مال السلطان فكان شبهة وقال زيد بن ثابت لاشئ أسهل من الورع اذا رابك

عمل لانها من أعمال القلب واذا احتاج كل عمل الى نية فالنية أيضا تحتاج الى نية وهلم جرا فالجواب
ان المراد بالعمل عمل الجوارح نحو الوضوء والصلاة وأما النية فهي خارجة عنه بقرينة العقل دفعا
للتسلسل أولان العرف لا يطلق العامل على الناوي على ان صاحب القاموس ذكر انه حركة المهنة فلا
يتناول توجه القلب وآثر ذكر الاعمال على ذكر الافعال لان لفظ العمل أخص من لفظ الفعل لان
الفعل ينسب الى البهائم والجمادات كما ينسب الى ذوي العقول بخلاف العمل لانه يعتبر فيه القصد
قال بعض الادباء قلبت لفظ العمل من لفظ العلم تنبيها على انه من مقتضاه قال الراغب ولم يستعمل
العمل في الحيوان الا في قولهم البقر والابل العوامل وأما الصنع فهو أخص من العمل لانه لا يقال
الا لما كان من الانسان بقصد واختيار بعد فكر ونحو وأل فيها للجنس أو للعهد الذهني أي غير
العادية لعدم توقف صحتها على نية أو للاستغراق وهو ما حكي عن جمهور المتقدمين ولا يرد عليه نحو
الاكل من العاديات لان من أراد الثواب عليه احتاج لنية كما يأتي لا مطلقا لحصول المقصود بوجود
صورته (بالنيات) جمع نية بتشديد الياء من نوى بمعنى قصد والاصل نوية قلبت الواو ياء وأدغمت
في الياء وتخفيفها لغة من وني يني اذا أبطأ لانه يحتاج في تصحيحها الى نوع ابطاء والالف واللام
بدل من الضمير أي بنياتها فيدل على اعتبار نية العمل من الصلاة وغيرها الفرضية والنفلية
والتعيين من ظهر أو عصر وانما لم يجب تعيين العدد لان تعين العبادة لا ينفك عنه والنية محلها
القلب لا الدماغ وهي لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء وجه الله تعالى وامتثال امره
وجمعت للاشارة الى انها تتنوع كما تتنوع الاعمال لان المصدر اذا اختلفت أنواعه يجمع كالعلوم وفي
معظم الروايات بالنية مفردا لانها مصدر ولان محلها القلب وهو متحد فناسب أفرادها بخلاف
الاعمال فانها متعلقة بالظواهر فناسب جمعها ولان النية ترجع الى الاخلاص وهو واحد للواحد
الذي لا شريك له وأيضا هو مفرد محلى بالالف واللام فيعم وفي صحيح ابن حبان الاعمال بالنيات بحذف
انما وعند البخاري في النكاح العمل بالنية وكل من رواية ابن حبان والبخاري في النكاح
يفيد الحصر لعموم المبتدا أو خصوص الخبر على حد صديقي زيد فان قلت النيات جمع قلة كالاعمال
وهي العشرة فما دونها مع انه لا بد لكل عمل من النية سواء كان قليلا أو كثيرا فالجواب ان القلة
والكثرة انما يعتبران في نكرات الجمع اما في المعارف فلا فرق بينهما قال البيضاوي فالنية في الحديث
محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه لقوله فمن كانت الخ فانه تفصيل لما أجمله
اه وفيه شئ اذ لو حمل على الشرع لكان أنسب وأولى لانه مبين للشرع ويحسن التطبيق ثانيا
اذ المعنى كل عمل شرعي فهو محسوب بالنية الشرعية وما ليس كذلك كالهجرة الى الدنيا لا يعتد به
شرعا على ان قوله فمن كانت الخ تفصيل لقوله وانما لكل امرئ ما نوى وهذا الحديث متروك الظاهر
لان الذوات غير منتفية اذ تقدير انما الاعمال بالنيات لا عمل الا بالنية والغرض ان ذات العمل الخالي
عن النية موجودة فالمراد نفي أحكامها المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال والحمل على الصحة
أولى لانها أكثر لزوما للحقيقة وما كان ألزم للشئ كان أقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ فلا يرد

شئ فدعه وهذا سهل على من سهله الله عليه صعب على كثير من الناس أثقل من الجبال * ومن محاسن الحديث أيضا الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام والامساك عن الشبهات والاحتياط للدين والعرض وعدم تعاطي الامور الموجبة لسوء الظن والوقوع في المحظور ومنها تعظيم القلب والسعي فيما يصلحه وأن الحواس مع العقل كالحجاب مع الملك وكالرعية له وان العقوبة من جنس الجناية وفيه ضرب الامثال للمعاني الشرعية وأن الاعمال القلبية أفضل من البدنية وانها لا تصلح الا بالقلب (خاتمة المجلس) في قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه عاتبنا الله بهذه الآية بعد اسلامنا بسبع سنين وروى أن بعض الناس
أصابتهم فترة في قلوبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال بعض أهل المعاني هذا كلام يشبه الاستبطاء
ومعناه أما حان وقت الخشوع أما آن أوان الرجوع أما حق على المفرط اسبال الدموع أما هذا وقت التذلل والخضوع وفي ذكر
الايمان في أول الآية تعريض بالمنة واشارة الى استبطاء ثمرة هذا الايمان وثمرته ان تخشع قلوبكم بهذا الايمان وثمرته ان تبكوا على
ما سلف من ذنوبكم * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أواني ألا وهي القلوب وأقربها الى الله مارق وصفا وصلب قال أبو عبيد

عمل

عمل كالوضوء عند الثلاثة خلافا لأبي حنيفة رضي الله عنه ولا نسلم أن الماء مطهر بطبعه وكالتيمم خلافا للأوزاعي وصوم رمضان في الحضر خلافا لعطاء الا بنية وخروج بعض الاعمال عن اعتبار النية فيه إما بدليل آخر كالعتق والوقف فهو من باب تخصيص العموم أو استحالة ونحوها كالنية ومعرفة الله تعالى أما النية فلما سبق وأما معرفة الله تعالى فلانها لو توقفت على النية مع ان النية قصد المنوى بالقلب ولا يقصد الا ما يعرف فيلزم ان يكون الانسان عارفا بالله تعالى قبل معرفته له فيكون عارفا به غير عارف به في حالة واحدة وهذا يقتضي ان معرفة الله لا ثواب فيها لان الثواب يتبع النية وقد صرح بذلك القرافي وابن جماعة في شرح بدء الامالي وهو خلاف ما ذكره الغزالي واعلم تشترط النية في ازالة الخبث لانه من قبيل التروك كالزنا فتارك الزنا من حيث اسقاط العقاب لا يحتاجها ومن حيث تحصيل الثواب على الترك يحتاجها وكذا ازالة الخبث لا يحتاج فيه اليها من حيث التطهير ويحتاجها من حيث الثواب على امتثال أمر الشارع وشرعت تمييز العبادة عن العادة كالغسل يكون تنظيفا وعبادة أو لتمييز رتب العبادة بعضها عن بعض كالتيمم يكون للجنابة والحدث وصورتهما واحدة والصلاة تكون فرضا ونفلا والغسل يكون فرضا وسنة ومستحبا وقد جمع بعضهم أحكامها وهي سبعة بقوله

سبع شرائط أتت في نية * تكفي لمن حاولها بلا وسن
حقيقة حكم محل وزمن * كيفية شرط ومقصود حسن

حقيقتها لغة القصد وشرعا قصد الشيء مقترنا بفعله وحكمها الوجوب ومحلها القلب وزمنها أول العبادة وكيفيتها تختلف بحسب المنوي وشرطها اسلام الناوي وتمييزه وتحقق الوجوب أو ظنه وان يكون المنوي من مكتسبات الناوي أو يكون تابعا لمكتسبه كنية فرضية الظهر أو نفلية الضحى فان الفرضية والنفلية تابعان للافعال التي يأتي بها الشخص والمقصود من النية تمييز العبادة عن العادة كالغسل فانه يكون عبادة وعادة للتنظيف أو تمييز رتب العبادة بعضها عن بعض كالغسل فانه يكون واجبا كغسل الجنابة وسنة كغسل الجمعة ومستحبا كغسل اليدين والباء للمصاحبة أو للاستعانة وقال ابن فرحون للسببية أي انما الاعمال ثابت ثوابها بسبب النيات ثم ان هذا الحديث تواتر النقل عن الأئمة بتعظيمه وعظم وقعه وكثرة فوائده وانه أصل عظيم من أصول الدين ومن ثم خطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري فقال يا أيها الناس انما الاعمال بالنيات وخطب به عمر رضي الله تعالى عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه أيضا ولذلك قال أبو عبيد ليس في الاحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه ومن ثم قال بعضهم انه نصف العلم ووجهه انه أجل اعمال القلب والطاعة المتعلقة به وعليه مدارها فهو قاعدة الدين ومن ثم كان أصلا في الاخلاص أيضا واعمال القلب تقابل أعمال الجوارح بل تلك أجل وأفضل بل هي الاصل فكان نصفا بل أعظم النصفين كما تقرر وقيل لان النية عبودية القلب والعمل عبودية القالب بفتح اللام أو لان الدين اما ظاهر وهو العمل أو باطن وهو النية وقال كثيرون منهم الشافعي وأحمد رضي الله تعالى

الله الترمذي الرقة خشية الله تعالى والصفاء للاخوان في الله والصلابة في دين الله ويقال شبه القلوب بالآنية فقلب الكافر اناء مكسور مقلوب لا يدخله شيء من الخير وقلب المنافق اناء مكسور ما ألقي من أعلاه نزل من أسفله وقلب المؤمن اناء صحيح معتدل يلقى فيه الخير فيحصل ويقال قسوة القلب انما تكون لانحرافه عن مراقبة الرب وقيل انما تحصل القسوة من متابعة دواعي الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وأول ما يقع في القلب غفلة فان أيقظه الله والا صارت خطرة فان ردها الله والا صارت فكرة فان صرفها الله تعالى والا صارت عزمة فان محاه الله والا وقعت المعصية فان أنقذه الله بالتوبة والا صارت قسوة فان ألانها الله والا صارت طبعا ورينا قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * قال ابراهيم ابن أدهم قلب المؤمن نقي كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشيء الا أبصره فاذا أذنب ذنبا واحدا ألقى الله في قلبه نكتة سوداء فاذا تاب الله عليه محيت فان عاد الى المعصية ولم يتب تتابعت النكت حتى يسود القلب فما أقل ما تنفع فيه الموعظة وقال الحسن البصري الذنب على الذنب يظلم على القلب حتى يسود وقال الترمذي حياة القلوب الايمان وموتها الكفر وصحتها الطاعة ومرضها الاصرار على المعصية ويقظتها الذكر ونومها الغفلة وفي الخبر لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسى قلوبكم فيا اخواننا البدار البدار فالعمر طيار شعر

المشاهدة لدنيا متاع * فالغرور الغرور من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

كان بعض السلف الصالح يوقد المصباح ولا يزال يبكي الى الصباح كلما رأى النار ذكر النار وكان بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها كلما أحس بالحرارة يقول يا ويلاه لما فعلت كذا وكذا اللهم وفقنا كما وفقتهم آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس السابع في الحديث السابع) * الحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه وغذاه

بذلك كتاب كتبه كتبه ربكم على نفسه الرحمه وأسبغ على خلقه النعمه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اله لا يخيب من توجه اليه وأمه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي الرحمه وسراج الظلمه الذى نصح الامة صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم ما انكشف عنه الغمه آمين (عن أبي رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله ٥٢ قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث عظيم الشان وعليه مدار الاسلام لا يجاوزه لكثرة معانيه بل قالوا ليس فى كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة غير النصيحة (قوله الدين) هو ما سبق فى حديث جبريل من انه الاسلام والايمان والاحسان وعبر عنه بعضهم بقوله ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام (قوله النصيحة) مأخوذة من نصح الرجل ثوبه اذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح بما يسده من خلل الثوب وقيل مأخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع وهى كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له بما يقوم دينه وعماده النصيحة فهى كقولهم الحج عرفة ولقائل ان يقول الدين محصور فيها فان من جملتها طاعة الله ورسوله والايمان والعمل بما قالاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك سوى الدين كما سلف فى حديث جبريل

(قوله قلنا يارسول الله لمن قال لله) بمعنى الايمان به وطاعته بالقلب والبدن ونحو ذلك وما ذكر هو فى الحقيقة راجع الى العبد اذ نصح نفسه اذ هو سبحانه وتعالى غنى عن ذلك (قوله ولكتابه) بمعنى تعظيمه والايمان به والعمل بما فيه وما أشبه ذلك (قوله ولرسوله) بمعنى تصديقه فيما جاء به وطاعته على أمر به قولا وعملا واعتقادا (قوله ولائمة المسلمين) أى ولاة أمورهم أعنى

عنهما أنه ثلث العلم لان الاحكام تدور عليه وعلى حديث من احدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد والحلال بين والحرام بين ووجه البيهقى كونه ثلثا بان كسب العبد اما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه فالنية أحدها وأرجحها لانها ما تابعان لها صحة وفسادا وثوابا وحرمانا ولا يتطرق اليها رياء ونحوه بخلافهما ومن ثم ورد نية المؤمن خير من عمله أى نية بلا عمل خير من عمل بلا نية وهذا على معنى الاتساع لان كل عمل بلا نية لا خير فيه أصلا وفى رواية أبلغ من عمله انتهى قطب عمله ومداره لان بها يرتفع أو يتضع على قدر ما هى عليه من صحة أو سقم وهو ضعيف لا موضوع خلافا لمن زعمه وفى أخرى زيادة وان الله ليعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله قال بعضهم وانما كانت خيرا من العمل لانها تحتمل التعدد والتكثر فى العمل الواحد فيتضاعف أجر العمل بقدر النيات فيه ولا يتأتى ذلك فى العمل كما اذا جلس فى المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القلب والعزلة والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر فانه لا يكون كمن جلس لاحدها فقط وقال بعضهم انما كانت خيرا من العمل لانه لا يتقيد الا بطاقته ووسعه كما اذا نوى ان يعتق عبدا أو يتصدق بمال كثير وهو لا يملك شيئا فى الحال وهذا على تقدير رجوع الضمير للمؤمن كما هو ظاهر وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان أن يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعنى عثمان خير من عمله أى الكافر وفى رواية أخرى ان رجلا من الصحابة نوى بناء قنطرة فى موضع ما فسبقه يهودى لبنائها فاخبر بذلك بحضرة جماعة منهم عمر فتأسف ذلك الرجل وافتعل فقال عمر تسلية له نية المؤمن خير من عمله أى من عمل ذلك الكافر لكن يخدشه ما ذكره أبو زرعة فى البستان من أن هذا القول صادر عن صدر النبوة ثم صار مثلا من الامثال السائرة وقال أبو داود مدار الدين على أربعة أحاديث وقد نظمها طاهر بن معوذ رضى الله تعالى عنه فقال

عمدة الدين عندنا كلمات * أربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنيه

لكن المعروف عن أبى داود عد ما لا يتكلم عنه فاجتنبوه والحديث بدل ازهد فيما فى ايدى الناس وذكر أبو بكر بن فراسة بدل حديث الزهد حديث لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه (وانما الكل) اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو كل نفس ذائقة الموت ولاستغراق اجزاء المعرف نحو أكلت كل الرغيف وحينئذ يقال كل رمانة أكول ولا يقال كل الرمان أكول (امرئ) أى رجل وفيه لغتان امرئ نحو زبرج ومرء بفتح الميم نحو فلس وحكى الضم ولا جمع له من لفظه وعينه تابعة للامه فى الحركات الثلاث قال الله تعالى ان امرؤ هلك ما كان أبوك امرأ سوء ولكل امرئ وفى مؤنثه أيضا لغات امرأة ومرأة ومرة لكن فى الحديث اطلاقه على كلا النوعين بدليل قوله بعد فى الدال على العموم الخ بل قال الكرمانى انه يشترك فيه الرجل والمرأة على انه يمكن ان يقال على الاول

انما خصه بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الاحكام عليه (ما) اسم موصول بمعنى الذي (نوى) صلته والعائد محذوف أى ما نواه من خير او شر ويجوز أن تكون مصدرية أى جزاء نيته فان قلت ما فائدة هذه الجملة بعد قوله انما الاعمال بالنيات فالجواب من وجوه الاول ان هذه الجملة تاكيد للجملة الاولى فذكر الحكم بالاولى وأكده بالثانية تنبيها على شرف الاخلاص وتحذيرا من الرياء المانع من الاخلاص لكنه يرد عليه ان الافادة خير من الاعادة الثانى قال المصنف فى شرح مسلم قال الخطابى ان الجملة الثانية افادت اشتراط تعيين المنوى فاذا كان على الانسان صلاة فائتة لا يكفيه ان ينوى الصلاة الفائتة بل يشترط ان ينوى كونها ظهرا أو عصرا أو غيرهما ما لم تنحصر الفائتة ولولا هذه الجملة الثانية لاقتضت الاولى الصحة بلا تعيين أو اوهمت ذلك وكأنه استنبطه من ما الموصولة لانها من المعارف المفيدة للتعيين وفيه بحث لان اللام فى قوة الاضافة المفيدة للتعيين لانها موضوعة للعهد كما اختاره صاحب المفتاح الثالث قال ابن عبد السلام ان الاولى لبيان ما يعتبر من الاعمال فى سقوط الطلب والثانية لبيان ما يترتب عليها من الثواب والعقاب وهذا فى العبادة التى لا تتميز بنفسها وأما ما يتميز بنفسه فانه ينصرف بقوله الى ما وضع له كالاذكار والاذان والتلاوة الرابع ان الثانية أفادت منع الاستنابة فى النية اذ لو نوى واحد عن غيره لا يصدق عليه انه عمل بنية أفادت الثانية منعه الا فى مسائل كنية الحاكم فى الزكاة اذا أخذها كرها واحرام الولى عن الصبى فى الحج ونحو ذلك لمدرك يخصها الخامس قال السمعانى فى اماليه ان هذه الجملة دلت على ان الاعمال العادية التى لا تتوقف على النية قد تفيد الثواب اذا نوى بها فاعلها القربة كالاكل والشرب اذا نوى بهما التقوى على الطاعة والنوم اذا قصد به ترويح البدن للعبادة والوطء اذا أريد به التعفف عن الفاحشة والتطيب اذا قصد به اقامة السنة والتنظف اذا قصد به دفع الروائح المؤذية عن عباد الله لا استيفاء اللذات والتودد الى النسوان السادس ان الجملة الثانية دلت على ان من نوى شيأ يحصل له ثوابه وان لم يعمله لمانع شرعى كمريض تخلف عن الجماعة وقد ورد فى مسند أبى يعلى الموصلى مرفوعا يقول الله سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذلك منه ولا هو فى صحفنا فيقول انه نواه وفى عقد الدرر واللآلى أنه حصل فى بنى اسرائيل قحط وغلاء فخرج احدهم الى الصحراء فمر على كثيب رمل فقال وددت لو كان هذا ذهبا فتصدقت به أو لو كان طعاما فاقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبى زمانه ان قل لفلان انى قبلت صدقته ولم يتصدق بشئ ولكن صحت منه النية اه ومن الدقائق ما فى التحبير للقشيرى ان بعضهم رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى ورفع درجاتى فقيل له بماذا فقال هؤلاء يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل لا بالفعل وحكى عن بعض فضلاء الصوفية انه كان مريضا فدخل عليه بعض اخوانه يعوده فقال لهم انووا بنا حجا انووا بنا رباطا وعدد لهم انواعا من البر فقالوا له كيف وأنت على هذه الحالة فقال ان عشنا وفينا وان متنا حصل لنا اجر النية وقيل لبعض النساك كيف الناس عند مليكهم فقال على

لهم بقودهم وتنبيههم على ما فيه رشدهم وما أشبهه والدعاء لهم بالتوفيق قال بعضهم وقد يقال المراد بهم هنا علماء الدين ومن نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم فى الاحكام واحسان الظن بهم الى غير ذلك (قوله وعامتهم) أى بان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ونحو ذلك ولم يعد فيهم اللام لانهم تبع لائمتهم (نكتة) قال الاسنوى رحمه الله فى بعض مؤلفاته فى الحديث اذا أراد الله بالعبد خيرا ساق اليه من يذكره اذا غفل واذا أراد به شرا ساق اليه جليس سوء ينهاه عن الاخذ بالموعظة * ولما تولى هرون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه بهلول المجنون فقال له يا أمير المؤمنين احذر جلساء السوء واتخذ جليسا صالحا يذكرك بصالح خلقه اذا غفلت والنظر فيهم اذا الموت فان هذا أنفع لك وللناس وأكثر فى الاجر مما تأتى به من صوم وصلاة وقراءة وصح ان الرجل كان يلقى الكلمة عند ذى السلطان فيعمل بها فيملأ الارض فسادا وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا فيهوى بها فى النار سبعين خريفا ولا تكن يا أمير المؤمنين كمن قال الله تعالى فى حقه واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فقال له زدنى فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد أقادلك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة وأمرك فيهم ماضيا وما ذلك الا لتحملهم على الاتيان بما أمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه وتعطى من هذا المال الارملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل يا أمير المؤمنين أخبرنى فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد أحضر الملوك وغيرهم من ولاة أمور الناس فيقول لهم ألم أمكنكم من بلادى وأطع لكم عبادى لا لجمع الاموال وحشد الرجال بل لتجمعوهم على طاعتى وتنفذوا فيهم أمرى ونهيى وتعزوا أوليائى وتذلوا أعدائى وتنصروا المظلوم من

من الظالمين يا هرون تفكر كيف يكون جوابك عما تسئل عنه من أمور العباد في ذلك الموقف إذا حضرت وبدا لك مغلولا ثاني إلى
عنقك وجهنم بين يديك والزبانية محيطة بك تنتظر ما يؤمر بك قال فبكى هرون بكاء شديدا فقال له بعض الحاضرين كدرت على أمير
المؤمنين مجلسه فقال لهم هرون قاتلكم الله ان المغرور من غررتموه والسعيد من بعدتم عنه ثم خرج من عنده فانظر يا أخي إلى هذه
النصيحة ما أعظمها * (فائدة) *

شاردة في تفسير قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قال ابن عطاء تكلمت النملة بكلام جمعت فيه عشرة أجناس من الكلام فنادت ونبهت وسمعت وأمرت ونصحت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وأعذرت فأما النداء فيا وأما التنبيه فقولها أيها وأما التسمية فقولها النمل وأما أمرت فقولها ادخلوا وأما نصحت فقولها مساكنكم وأما حذرت فقولها لا يحطمنكم وأما خصت فقولها سليمان وأما عمت فقولها وجنوده وأما أشارت فقولها وهم وأما أعذرت فقولها لا يشعرون قال ابن عطاء قضت النملة خمسة حقوق حق الله وحقا لسليمان وحقا لها وحقا للنمل وحقا لكم فأما الحق الذي لله عز وجل فإنها كانت استرعيت على النمل فأذنتهم وأما الحق الذي لسليمان فإنها نبهت على حق النمل وأما الحق الذي
لها فإنها أسقطت حق الله تعالى عنها بنصيحتها له وأما الحق الذي للنمل فقوله ادخلوا مساكنكم
وهي النصيحة وأما الحق الذي لكم فأدت بفعلها احقا قضته وحقا لله أدته * قال ابن عطاء وذلك أنه ما ضحك سليمان الا مرتين المرة
التي ظفر بالضحاك فيها والمرة التي أشرف فيها على وادي النمل لما سمع النملة تقول ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون فيا أخي وانظر كم في القرآن العظيم من آية تدل على النصيحة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي

قدر نياتهم وحكي عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى أن يرى
ابليس قال فظهر له ابليس يوما فقال له واأسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة في حصر نفسك
وإتعاب بدنك وقد بقي من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك في شهواتها فقال العابد في نفسه لعلي أنزل
إلى أخي في أسفل الدار وأوافقه على الأكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله في العشرين
التي تبقى من عمري فنزل على نية ذلك وأما أخوه المسرف فإنه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة
رديئة قد بال على ثيابه وهو مطروح على التراب في الظلام فقال في نفسه قد أفنيت عمري في المعاصي
وأخي يتلذذ بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعة ربه وأنا بالمعاصي أدخل النار ثم عقد التوبة
ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى فصعد على نية الطاعة ونزل أخوه على نية
المعصية فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين فيحشر العابد على نية المعصية ويحشر العاصي على نية
التوبة وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال كانت قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل من الظالمة
يريد الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله تعالى فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله
ما عصاني قط وقال الملك إنه خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر إلى أيهما أقرب فوجدوه أقرب
إلى القرية الصالحة وأخرج الشيخان أنه كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم
أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال له إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله
فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة
فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا وجاء في الطبراني أن اسم الأرض نصرة
فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا
بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
جاء تائبا وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم وقال
قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته
ملائكة الرحمة وفي رواية لهما فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي أخرى لهما فأوحى
الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر
الله تعالى له وللطبراني أنهم وجدوه أقرب إلى دار التوابين بأنملة وحكي أن رجلا عبد الله سبحانه وتعالى
سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة فوقفت امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم
يلتفت إليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر إليها فأعجبته وملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة
وتبعها فقال إلى أين فقالت إلى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والأحرار عبيدا ثم
جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع
عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت له يا هذا أنت ما عصيت الله
مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك وإني أرى في وجهك أثر الصلاح فبالله عليك إذا صالحت مولاك
فاذكرني

فاذكرني فخرج هاربا على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقريب منهم راهب يبعث لهم فى كل ليلة عشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فمد ذلك الرجل العاصي يده فاخذ رغيفا فبقي رجل منهم لم يأخذ شيأ فقال أين رغيفي فقال قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله ملك الموت بقبض روحه فاختلفت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فقالت ملائكة الرحمة انه فر من ذنبه وجاء تائبا وقالت ملائكة العذاب بل تم عاصيا فاوحى الله اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبعة أيام فوزنوها فرجحت المعصية على السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل توبته وهروبه الى ربه ونقل الاستاذ أبو القاسم ان زبيدة رؤيت فى المنام فقيل لها مافعل الله بك فقالت غفر لى فقيل لها بكثرة عمارتك الآبار والبرك والمصانع فى طريق مكة وانفاقك فيها فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله لاربابه وانما نفعنا منه النيات فغفر لى بها ويحكى أيضا انه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة مافعلها فيقول هذا ليس بكتابى فانى مافعلت شيأ من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لى مال حججت منه لو كان لى مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيتك ثواب ذلك كله (فمن كانت هجرته) الفاء رابطة للجواب وهى واقعة فى جواب شرط مقدر أى واذا كان لكل امرئ مانوى فمن الخ وهو من عطف المفصل على المجمل لان هذا تفصيل لما سبق والهجرة بكسر الهاء فى اللغة الترك وفى الاصطلاح مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة وطلب اقامة الدين وفى الحقيقة مفارقة مايكرهه الله تعالى الى مايحبه وقد وقعت فى الاسلام على وجهين الاول الانتقال من دار الخوف الى دار الامن كما فى هجرة الحبشة وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة الثانى الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان وذلك بعد ان استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر اليه من أمكنه ذلك من المسلمين فكانت الهجرة اليها واجبة اذ ذاك لتكثير عدد المسلمين والغزاة بالدين من الفتن الى أن فتحت مكة لما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لكن روى أبو داود والنسائى من حديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ووفق الخطابى بينهما بان الهجرة كانت فى أول الاسلام فرضا ثم صارت بعد الفتح مندوبة على انه ورد فى الحديث الآخر مايدل على ان المراد بالهجرة الباقية هجرة السيآت (الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله) فان قلت القاعدة تغاير الشرط والجزاء لان الشرط سبب للجزاء والسبب غير المسبب فلا يقال مثلا من أطاع أطاع ومن عصى عصى وانما يقال من أطاع نجا ومن عصى عوقب وقد اتحدا فى هذا الحديث فالجواب ان التغاير يقع تارة باللفظ وهو الاكثر وتارة بالمعنى كما هنا فالمعنى فمن كانت نيته فى الهجرة التقرب الى الله

أصحابه ونفعهم بوصاياه فنعم من نفعته وصاياه صلى الله عليه وسلم ماورد عن أنس رضي الله عنه قال أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أسبغ الوضوء يزد فى عمرك وسلم على من لقيت تكثر حسناتك واذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين قبلك وارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائى يوم القيامة ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لابى ذر أحكم السفينة فان البحر عميق واستكثر الزاد فان السفر طويل وخفف ظهرك فان العقبة كؤد وأخلص العمل فان الناقد بصير ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لبعض أهله لاتشرك بالله شيأ وان قطعت أو مزقت ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فانه من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله واياك والمعصية فان المعصية تحل سخط الله ووصاياه ونصائحه صلى الله عليه وسلم لاتحصى (خاتمة المجلس) عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لبعض اخوانه أوصيك بستة أشياء ان أردت أن تقع فى أحد وتذمه فذم نفسك فانك لاتعلم أحدا أكثر عيوبا منها وان أردت أن تعادى أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه وان أردت أن تترك شيأ فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردت أن تستعد لشئ فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان أردت أن تطلب شيأ فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بان تطلبها وفى هذا المجلس كفاية ونسأل الله تعالى لنا العافية والعناية آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الثامن فى الحديث الثامن) الحمد لله الذى لا يعبد بحق فى الوجود الا اياه الكريم الذى من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن سأله أعطاه ماتمناه * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضد لله ولا ولد لله

ولا والد الله وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد خلقه وخاتم أنبيائه المخصوص بالمقام المحمود الذى لم يقم فيه سواه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم نلقاه آمين (عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى رواه البخارى ومسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث عظيم قاعدة من قواعد الدين (قوله صلى الله عليه وسلم أمرت) بالبناء للمفعول أى أمرنى ربى لانه لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو (قوله أن أقاتل الناس) أى بان أقاتل الناس المراد بهم الانس فقط وان كان لفظ الناس قد يعم الجن بالحقيقة أو الغلبة اذ لم يرد انه قاتل الجن وان أسلم على يده جن نصيبين وكانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة قيل والمراد من الانس عبدة الاوثان ونحوهم دون أهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية قال بعضهم يحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هذا الامر المتناول لقتالهم أيضا (قوله حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفى رواية حتى يقولوا لا اله الا الله اكتفاء بها عن أختها مع ارادتها أى حتى يؤمنوا بان الله واحد لا شريك له وأن محمدا رسوله (قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) أى بشروطهما وأركانهما كما مر وانما لم يذكر فى هذا الحديث الصوم والحج اما لكونهما لم يفرضا اذ ذاك واما لكونهما لم يقاتل تاركهما من حيث ان تارك الصوم يحبس ويمنع الطعام والشراب كما قدمناه وان الحج على التراخى ولذا لم يذكرهما المعاذ حين بعثه الى اليمن (قوله فاذا فعلوا ذلك) أى ما تقدم (فقد عصموا) أى منعوا وحقنوا

ورسوله فهجرته مقبولة عندهما فالجزاء كناية عن قبول الهجرة وقال بعضهم الجزاء محذوف تقديره فله ثواب الهجرة الى الله ورسوله والمذكور مستلزم له دال عليه فاقيم السبب مقام المسبب وقدر أبو الفتح القشيرى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا وقدر غيره ثوابا وأجرا بدل قوله حكما وشرعا فان قلت فما فائدة الاتيان بهما بالاتحاد فالجواب أن الاتحاد هنا للمبالغة فى التعظيم على انه قد يقصد بجواب الشرط بيان الشهرة وعدم التغير فيتحد بفعله لفظا نحو من قصدنى فقد قصدنى أى فقد قصد من عرف بانجاح قاصده ويجرى مثل ذلك فى المبتدا والخبر كقول الشاعر

خليلى خليلى دون ريب وربما ✻ ألان امرؤ قولا فظن خليلا

وقوله ✻ أنا أبو النجم وشعرى شعرى ✻ أى خليلى من لا أشك فى صحة خلته ولا يتغير فى حضوره وغيبته وشعرى على ما ثبت فى النفوس من جزالته والتوصل به من المراد الى غايته وقد يقصد به التحقير نحو قوله الآتى فهجرته الى ما هاجر اليه قال الصفوى وبالحقيقة الاشكال مدفوع من أصله لان الهجرة هى الانتقال وهو أمر يقتضى ما ينتقل اليه ويسمى مهاجرا اليه وما يبعث على الاستقبال هو المهاجر له والفرق بينهما لبيان أن العبرة بالباعث وذلك انما يظهر اذا كانت الى فى جملتى الشرط بمعنى اللام فاذا تركت فى الجزاء على معناها الوضعى الحقيقى فلا اتحاد والمعنى من هاجر لله ولرسوله أى لاتباع أمرهما وابتغاء رضاهما فقد هاجر اليهما حقيقة وان كان ظاهرا منتقلا الى الدنيا ونعيمها ومن هاجر لغيرهما فالمهاجر اليه ذلك وان انتقل الى النبى ظاهرا وقوله الى الله ورسوله اشارة لتعظيم الهجرة والمهاجر اليه ثم ان أصل الهجرة الانتقال من محل الى محل كما تقرر لكن كثيرا ما يستعمل فى الاشخاص والاعيان والمعانى وذلك فى حقه تعالى اما على التشبيه البليغ أى كانه هاجر اليه أو هو على حذف مضاف أى محل رضاه وثوابه ورحمته أو يقال الانتقال الى الشئ عبارة عن الانتقال الى محل يجده فيه ووجدان كل أحد على ما يليق به فالمراد الانتقال الى محل قربه المعنوى وما يليق به ألا ترى الى ما اشتهر على ألسنة القوم من السير الى الله تعالى ونحو ذلك أو يقال ان ذكر الله للتعظيم والتبرك ومثله غير عزيز ألا ترى الى ما قرروه فى ان الذين يبايعونك الآية ان المعاملة مع حبيب الله كالمعاملة مع الله فيده يده وبيعته بيعته والهجرة اليه هجرة اليه وأمثال هذه المسامحات فى كلام الشارع كثيرة وأينما تولوا فثم وجه الله والحاصل انه أريد بالهجرة هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شئ الى شئ صوريا أو معنويا وانما قال الى الله ورسوله ولم يقل اليهما مع ان المحل للاضمار تبركا وتلذذا بذكر الله ورسوله ولئلا يجمع بينهما فى ضمير واحد ولذا قال للخطيب حين قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله فان قيل قد ورد فى حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فى الضمير حيث قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ فالجواب انه انما كان انكاره على الخطيب لانه لم يكن عنده من المعرفة بتعظيم الله وجلاله والوقوف على دقائق الكلام ما كان يعلمه عليه الصلاة والسلام من عظمته وجلاله (ومن كانت هجرته لدنيا)

مني دماءهم وأموالهم) وهي الاعيان من المواشي والنقد وغيرهما (قوله الابحق الاسلام) أي كالقتل بالقصاص والزنا لكن القاتل والزاني لا يباح ماله بخلاف الكافر فكانه جاء على طريق التغليب (قوله وحسابهم على الله تعالى) أي أمر سرائرهم اليه وأما نحن فنعاملهم بمقتضى ظاهر أقوالهم وأفعالهم فرب عاص في الظاهر مطيع في الباطن فيصادف عند الله خيرا وعكسه وقدمنا الكلام في حكم التلفظ بالشهادتين في غير هذا المسجد فليراجع *(تنبيه)* قال الشيخ لاسلام العسقلاني وردت الاحاديث في ذلك زائدا بعضها على بعض ففي حديث أبي هريرة الاقتصار على قوله لا إله الا الله وفي حديث من وجه آخر حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وفي حديث ابن عمر زيادة اقام الصلاة وايتاء الزكاة وفي حديث أنس فاذا صلوا واستقبلوا وأكلوا ذبيحتنا قال القرطبي وغيره أما الاول فقاله في حالة قتاله لاهل الاوثان الذين لا يقرون بالتوحيد وأما الثاني فقاله في حالة قتاله لاهل الكتاب الذين يقرون بالتوحيد ويجحدون نبوته عموما وخصوصا وأما الثالث ففيه اشارة الى أن من دخل في الاسلام وشهد بالتوحيد والنبوة ولم يعمل بالطاعات حكمهم أن يقاتلوا حتى يذعنوا الى ذلك فاقتصر في الاول على قوله لا اله الا الله ولم يذكر الرسالة وهي مرادة كما تقول قرأت

بضم الدال على الاشهر على وزن فعلى مقصورة غير منونة اذ هي غير منصرفة للوصفية ولزوم ألف التأنيث وحكى ابن قتيبة وغيره كسر الدال من الدنو وهو القرب لسبقها الآخرة أو لدنوها الى الزوال أو من الدناءة أي الخسة قال الشاعر

أعاف دنيا تسمى من دناءتها * دنيا والافق مكروها الداني

واللام فيه للتعليل أو بمعنى الى لمقابلته بقوله فهجرته الى ما هاجر اليه قال بعضهم والاول أشبه وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة وقيل الارض مع الهواء والجو قال النووي والاول أظهر واستشكل استعمالها منكرة لانها في الاصل مؤنث أدنى وأدنى افعل تفضيل حقها أن تستعمل باللام نحو الكبرى والحسنى وأجيب بأن دنيا خلعت عن الوصفية وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما وزنه فعلى اسما كرجعى وبهمى ومن ورودها منكرة مؤنثة قول الفرزدق

لا تعجبنك دنيا أنت تاركها * كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

(يصيبها) حال مقدرة أي مقدرا اصابتها أي تحصيلها (فائدة) أكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من بيان الشرائع كيف وهي عدوة لله لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها مذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن أبي حاطب الذي أنزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم أما لك في اسوة أما ترضى ان تكون مثل نبي الله والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت لكن هذا غير صحيح كما قال أهل التفسير وقال الضحاك ان الآية نزلت في رجال من المنافقين الا أن قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يدل على ان الذي عاهد لم يكن منافقا الا أن يكون المعنى زادهم نفاقا ثبتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه وصح انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم أو متعلم وصح ان أبا بكر رضي الله عنه دعا بشراب فاتي بماء وعسل فبكى حتى أبكى أصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوا فيها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم (قال بعضهم نظما)

 الحمد لله وتريد السورة كلها وقيل غير ذلك *(فصل في الكلام على لا اله الا الله وبعض فضائلها)*

اعلم ان الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها فقال سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وذم مشركي العرب بقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها عينك فلا اله الا الله كلمة التقوى كما فسرها صلى الله عليه وسلم وفي حديث ثوبان رضي الله عنه قال سمعت

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ماقد بناه تهدما

(وقال آخر)

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا * نظروا فيها فلما علموا
انها ليست لحي وطنا * جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(أو امرأة) وفي رواية أو الى امرأة (ينكحها) أي يتزوجها كما جاء في رواية البخاري فان قيل لم ذم الدنيا والتزوج وهما مباحان لاذم فيهما فالجواب انه لم يخرج في الظاهر لطلب الدنيا ولا للتزوج بل خرج في صورة طالب الهجرة فأبطن خلاف ما أظهر فلذلك ذم فان قيل فما فائدة التنصيص على المرأة مع كونها داخلة في مسمى الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم انما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شئ أفضل من المرأة الصالحة فالجواب من وجوه الاول ان دنيا نكرة في سياق الاثبات فلا تعم فلا يلزم دخولها فيها ورد ذلك بأنها واقعة في سياق الشرط فتعم الثاني أنه للتنبيه على زيادة التحذير فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال الآية لكن يعكر عليه قول ابن مالك في شرح العمدة ان عطف الخاص على العام يختص بالواو ونحوه للشيخ خالد وأجيب بان الدماميني أشار الى جواز عطف الخاص على العام وعكسه بأو وذهب بعضهم الى أن الاجود جعل أو للتقسيم وجعلها قسما مقابلا للدنيا ايذانا بشدة فتنتها وكذلك روى أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من انسان قط الا وأتاه من قبل النساء وقال سفيان قال ابليس سهمي الذي اذا رميت به لم أخطئ النساء وكذا في خبر أحمد النظر الى محاسن المرأة من سهام ابليس ومن ثم جعلن في القرآن عين الشهوات قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيها الناس لا تطيعوا النساء أمرا ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش فانهن ان تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهوتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فأما صوالحهن ففاجرات وأما طوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويتمنعن وهن الراغبات ويحلفن وهن الكاذبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام الثالث أن الحديث ورد على سبب وهو انه لما أمر بالهجرة من مكة الى المدينة تخلف جماعة عنها فذمهم الله تعالى بقوله الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية ولم يهاجر جماعة لفقد استطاعتهم فعذرهم واستثناهم بقوله الا المستضعفين من الرجال الآية وهاجر جماعة فمدحهم الله في غير موضع من كتابه وكان في المهاجرين رجل أراد أن يتزوج امرأة يقال لها أم قيس واسمها آمنة وقيل قيلة وقال ابن دحية قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية فأبت أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرمه الله تعالى على النار فقال عمر رضي الله عنه أنا
أحدثكم ما هي هي كلمة الاخلاص التي ألزمها محمدا وأصحابه قال وقال التستري ليس لقوله لا اله الا الله ثواب الا النظر في وجه الله
عز وجل والجنة دار الاعمال وقيل ان كلمة التوحيد اذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد واذا قالها
المؤمن في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيأ لم تنفه المرة الاولى وهي أفضل الذكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
وهي دأب الناسكين وعمدة السالكين وعدة السائرين وتحفة السابقين ومفتاح الجنة ومفتاح العلوم والمعارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يفتح الله تعالى أبواب الجنة وينادي مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت فتنادي الجنة وكل ما فيها نحن لاهل لا اله الا الله ولا نطلب الا أهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا أهل لا اله الا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا اله الا الله وعند هذا تقول النار وما فيها من العذاب لا يدخلني الا من أنكر لا اله الا الله ولا أطلب الا من كذب بلا اله الا الله وأنا حرام على من قال لا اله الا الله ولا أمتلئ الا بمن جحد لا اله الا الله وليس غيظي وزفيري الا على من أنكر لا اله الا الله ثم قال فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول أنا لاهل لا اله الا الله وناصرة لمن قال لا اله الا الله ومحبة لمن قال لا اله الا الله والجنة مباحة لمن قال لا اله الا الله والنار محرمة على من قال لا اله الا الله والمغفرة من كل ذنب لاهل لا اله الا الله والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا اله الا الله وقال بعضهم الحكمة في قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت أن يوم القيامة يتجلى نور كلمة لا اله الا الله فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لان أنوار تلك أنوار مجازية ونور لا اله الا الله نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى والمجاز يبطل في مقابلة

الحقيقة وجاء في الآثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب انه لما قال هذه الكلمة فكانه قد رد على كل كافر وكافرة فلا جرم استحق الثواب بعددهم وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا اله الا الله وقيل في قوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يعني قولوا لا اله الا الله وروى أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الطرق ويقول قولوا لا اله الا الله تفلحوا وقال سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من ان عرفهم لا اله الا الله وأن لا اله الا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا وقال سفيان الثوري رحمه الله ان لذاذة قول لا اله الا الله في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة انه لا اله الا الله وقيل ان كل كلمة يصعد الملك بها الا قول لا اله الا الله فانها تصعد بنفسها دليله قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أي قول لا اله الا الله والعمل الصالح يرفعه أي الملك يرفعه الى الله تعالى حكاه الرازي وحكى أيضا انه اذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا اله الا الله لان صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا اخلاص في شيء منها الا كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله والمؤمن لا يذكره الا عن صميم قلبه وفي الخبر يقول الله تعالى لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي ويقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من أبواب النار السبعة عن كل عضو من الاعضاء السبعة (حكي) الامام الرازي رحمه الله ان رجلا كان واقفا بعرفات وكان في يده سبعة أحجار فقال يا أيتها الاحجار اشهدوا الى أني

تزوجه حتى يهاجر فهاجر لاجلها فعرض به تنفيرا عن مثل قصده وذكر الدنيا معها من باب زيادة النص على السبب كما أنه لما سئل عن طهورية ماء البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته فزاد قوله الحل ميتته تمهيدا لقاعدة أخرى ويحتمل أن يكون هاجر للمطامع نكاحها ويحتمل انه كان يطلب نكاحها غيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما فعرض بهما (فهجرته الى ما هاجر اليه) من الدنيا أو المرأة وان كانت صورته صورة الهجرة لله ورسوله وترك الاتيان بالظاهر في هذه الجملة حثا على الاعراض عن الدنيا والنساء وعدم الاحتفال بشأنهما وتنبيها على ان العدول عن ذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما (رواه امام المحدثين) علما واتقانا وتحريرا وورعا وزهدا واجتهادا واستنباطا (أبو عبد الله محمد بن اسمعيل) كان من خيار الناس وأخذ عن مالك وحماد بن زيد وصحب ابن المبارك وروى عنه جماعة منهم مسلم صاحب الصحيح (ابن ابراهيم بن المغيرة) بضم الميم ويجوز كسرها قاله المصنف في شرحه على البخاري (ابن بردزبه) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة مفتوحة ومعناه بلسان أهل بخارى الزراع (البخاري) بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبالراء بعد الالف نسبة الى بخارى بلدة معروفة وراء النهر عمي في صغره وهو ابن سنتين وكانت له والدة عابدة وكانت تدعو الله كثيرا ان يرد اليه بصره فرأت ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام في المنام فقال لها ان الله قد رد بصر ابنك عليه بكثرة دعائك وبكائك فاصبح وقد رد الله عليه بصره قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق قلت لابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث فقال ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب قلت وكم أتى عليك اذ ذاك فقال عشر سنين ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف الى الداخلي وغيره قال فلما طعنت في ستة عشر سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع أبي وأخي أحمد الى مكة فلما حججنا رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنف فضائل الصحابة والتابعين وأقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة وقال قل اسم في التاريخ الا له عندي قصة الا أني كرهت تطويل الكتاب وعن الحسن بن الحسين البزاز بزاءين قال رأيت محمد بن اسمعيل البخاري نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير وروى عن البخاري أنه قال أخرجت هذا الكتاب يعني الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث زهاء الشيء بضم الزاي وبالمد قدره تقريبا لا تحقيقا من زهوته بكذا أي حزرته حكاه الصاغاني وصنفه في ست عشرة سنة وقال محمد بن بشار بندار حفاظ الدنيا أربعة أبو زرعة بالري ومسلم بنيسابور وعبد الله الدارمي بسمرقند والبخاري ببخارى اه وكتب عن زهاء أي قدر ألف عالم وكتب عنه المحدثون وما في وجهه من شعرة وكان يحضر مجلسه زهاء عشرين ألفا وسمع منه الصحيح سبعون ألفا وروى عنه رجال كثيرون نحو مائة ألف أو يزيدون أو ينقصون وروى عنه مسلم خارج الصحيح وكان يقول له دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله ويا أستاذ الاستاذين ويا سيد المحدثين ومناقبه كثيرة أفردت بالتآليف منها ان كتابه لم يقرأ في كرب

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوه إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة والتي نفسه على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ثم سيق به إلى الباب الثاني فكان الأمر كذلك وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى العرش فقال الله سبحانه عبدي أشهدت الأحجار فلم تضيع حقك ٦٠ وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي أدخل الجنة فلما قرب من أبواب الجنان فإذا أبوابها مغلقة فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت الأبواب ودخل الرجل وروى القرطبي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فقال وجبت لك الجنة بقول كلمة الإخلاص يعني لا إله إلا الله وفي الحديث من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة * وفيه أيضا ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والأحاديث والآثار في فضلها كثيرة شهيرة وفي هذا القدر كفاية ولنختم مجلسنا هذا بما رواه البيهقي عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله أن ملكا من الملوك كان متمردا على ربه عز وجل فغزاه قومه فأخذوه سلما فقالوا بأي قتلة نقتله فاجتمع أمرهم على أن يتخذوا قمقما من نحاس عظيما ويجعلونه فيه ويحشوا النار تحته ولا يقتلوه ليذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك فجعلوا يحشون تحته النار وهو يدعو آلهته واحدا واحدا يا فلان ألم أكن أعبدك وأصلي لك وأمسح وجهك وأفعل بك كذا وكذا فأنقذني مما أنا فيه فلما رآهم لا يغنون عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء فقال

الأفرج ولا ركب في مركب فغرق والسبب في تصنيفه له ما رواه عنه إبراهيم بن معقل النسفي قال كنا عند إسحق بن راهويه فقال لو جمعتم كتابا مختصرا الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح وعنه أيضا قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح قال وألفته في بضع عشرة سنة وكان في سعة من الدنيا فقد ورث مالا كثيرا من أبيه وكان يتصدق به وربما كان يمضي النهار ولا يأكل إلا لوزتين أو ثلاثا دخل بغداد مرات وله معهم الحكاية المشهورة في امتحانهم له بقلب الأسانيد والمتون فصححها كلها في الساعة ولما رجع من بغداد إلى بخارى تلقاه أهلها في محفل عظيم وبقي مدة يحدثهم في مسجده فأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي يتلطف به ويسأله أن يحمل له الصحيح ويحدثه في قصره فامتنع البخاري من ذلك وقال لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس فحصلت وحشة بينهما فأمره خالد بالخروج من البلد فيقال إن البخاري دعا عليه فلم يمض شهر حتى ورد أمر الخليفة بأن ينادى عليه في البلد فنودي عليه وهو على أتان وحبس حتى مات ولما خرج من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يطلبونه إلى بلدهم فسار إليهم فلما كان بخرتنك بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه فأقام بها حتى ينجلي الأمر ودعا وقال اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك فمات في ذلك الشهر وتقدم في الخطبة ما يتعلق بمولده وسنه ووفاته (الجعفي) نسبة إلى اليمان بن أخنس الجعفي لأنه أسلم على يديه (وأبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري) بضم القاف مصغر نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين وخلائق من العلماء ومن نسبه من الشراح إلى قشير بطن من أسلم منهم سلمة بن الأكوع فقد وهم (النيسابوري) بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة إلى نيسابور أحسن مدن خراسان وأجمعها للخيرات سميت به لأن سابور ذا الأكتاف لما رأى موضعها وكان قصبا قال يصلح أن يكون هنا مدينة فقطع القصب وبناها فقيل نيسابور والني القصب صنف مسلم صحيحه من ثلثمائة ألف حديث كما في تاريخ ابن عساكر ولد سنة أربع ومائتين وتوفي عشية الأحد لخمس بقين من رجب ودفن يوم الاثنين سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ستون وقيل قاربها ويؤيده أن المعروف أن مولده سنة أربع ومائتين وذكر الحاكم أن سبب موته أنه ذكر له حديث فلم يعرفه فأوقد له السراج وقال لمن بداره لا يدخل منكم أحد فقالوا أهديت لنا سلة تمر فقدموها فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث (في صحيحيهما اللذين) بلامين ليتميز عن الذين جمع فإنه بلام واحدة (هما أصح الكتب) والأول أرجح من الثاني وقول الشافعي ما أعلم على الأرض كتابا أكثر صوابا من كتاب مالك وفي لفظ عنه ما بعد كتاب الله أصح من الموطأ كان قبل وجودهما واستشكل بعض الأئمة إطلاق أصحية كتاب البخاري على الموطأ مع اشتراكهما في اشتراط الصحة والمبالغة في التحري والتثبت وكون البخاري

لا اله الا الله وابتهل الى الله وهو يقول لا اله الا الله ويكررها فبعث الله عليه غيثا من السماء فاطفأ تلك النار وجاءت ريح فاحتملت العمقم فجعل يدور بين السماء والارض وهو يقول لا اله الا الله فقذفه الله تعالى الى قوم لا يعرفون الله وهو يقول لا اله الا الله فاخرجوه فقالوا ويحك ما لك فقال أنا فلان كان من أمري كذا وكان من أمري كذا فآمنوا كلهم بالله وقالوا ما جدهم لا اله الا الله والله أعلم

(المجلس التاسع في الحديث التاسع)

الحمد لله الذي جعل لنا اليه طريقا وسبيلا وأقام لنا على معرفته برهانا واضحا ودليلا وبعث الينا محمد بن عبد الله معلما ورسولا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بكرة وأصيلا (عن أبي هريرة عبد الرحمن ابن صخر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه البخاري وكذا مسلم مطولا وزاد في أوله خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه فقوله (ما نهيتكم) أي منعتكم عنه (فاجتنبوه) وفي رواية فدعوه يعني جميعه اذ لا امتثال الا باجتناب الجميع (قوله وما أمرتكم به) يعني ايجابا وندبا (فافعلوا منه) وفي رواية فأتوا منه (ما استطعتم) أي ما أطقتم اذ الاستطاعة الاطاقة * واعلم ان هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاعدة عظيمة من

أكثر حديثا لا يلزم منه أفضلية الصحة والجواب عن ذلك انه محمول على أصل اشتراط الصحة فالامام مالك لا يرى الانقطاع في الاسناد قادحا فلذلك يخرج في المراسيل والمنقطعات والبلاغيات في أصل موضوع كتابه والبخاري يرى أن الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله الا في غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك أن المنقطع وان كان عند قوم من قبيل ما يحتج به فالمتصل أقوى منه اذا اشترك كل من رواته ما في العدالة والحفظ (الحديث الثاني عن) أبي حفص (عمر أيضا رضي الله عنه) روى البخاري وغيره انه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فقال له يا أخي أشركنا في صالح دعوائك ولا تنسنا وأخي ضبط بضم الهمزة مصغرا وقال له صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال وروى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم شربت لبنا حتى أنظر الى الري يجري في أظفاري فناولته عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأني على بئر أسقي الناس فجاء أبو بكر فأخذ الدلو مني ليريحني فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فأخذها من أبي بكر فاستحالت غربا أي دلوا كبيرة جدا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن أي ارتووا وقوله ذنوبا أو ذنوبين بفتح الذال فيهما والذنوب الدلو العظيم وقيل لا يسمى بذلك الا اذا كان فيه ماء وقوله عبقريا قال أبو عبيدة العبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء ويطلق على السيد والكبير والقوي وقيل منسوب الى عبقر موضع بالبادية يسكنه الجن فأطلقه العرب على كل من كان عظيما في نفسه فائقا في جنسه وقوله حتى ضرب الناس بعطن أي رووا ورويت ابلهم فأقامت على الماء ومنه اعطان الابل أي مواضع اقامتها على الماء وكان ذلك منزلا على حال أبي بكر في الخلافة ثم عمر والضعف ليس من أبي بكر ولكن من الوقت لاجل الفتن التي اتفقت في زمانه من قتال أهل الردة وقتل مسيلمة وفي استخلاف عمر راقت وصفت واتسعت الفتوح والاموال وكثر خير الله وطاب وركب رضي الله تعالى عنه فرسا في بعض الايام فانكشفت فخذه فرأى نصارى نجران على فخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا انه يخرجنا من أرضنا وكان كذلك فانه أجلاهم من بلدتهم بعد ذلك وكان أول كلام تكلم به بعد خلافته حين صعد المنبر قال اللهم اني شديد فليني واني ضعيف فقوني واني بخيل فسخني وعن الاوزاعي ان عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت انه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج عني الاذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعورات عمر تتبع وعنه أيضا انه قال قدمت رفقة من التجار فنزلوا بالمصلى فقال عمر لعبد الرحمن هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لامه اتقي الله وأحسني الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه فعاد الى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد الى مكانه

قواعد الدين ولهذا الحديث دخل في كثير من الاحكام كالصلاة بانواعها فانه اذا عجز عن بعض اركانها او بعض شروطها أو غسل
غسل بعض أعضاء الوضوء أو وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل نجاسة أو وجبت عليه ازالة منكرات أو فطرة جماعة
وأمكنه البعض أو وجد بعض ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن في جميع ذلك وأشباهه لا مستطاع وأشباه
هذا غير منحصرة ومحله في كتب الفقه والمقصود هنا التنبيه على أصل ذلك *(تنبيه)* مصداق ما ذكر في هذا
الحديث قول الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم المبينة لقوله تعالى في الآية الاخرى اتقوا الله حق تقاته اذ حق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى الا بالمستطاع لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج (نكتة لطيفة) يرحم الله الابوصيري حيث قال

صاح لا بأس ان ضعفت عن الطـ ـاعات واستأثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة وأحق النـ ـاس منه بالرحمة الضعفاء
فابق في العرج عند منقلب الذو د فقد تسبق العرجاء
لا تقل حاسدا لغيرك هذا أثمرت نخله ونخلي عقاء
وائت بالمستطاع من عمل البر فقد يسقط الثمار الاناء

قال بعض شراح قصيدته رحمه الله انه جرد من نفسه شخصا ناداه وأمره فقال لا تحزن ان ضعفت قواك عن كثرة الطاعة التي رأيت هي أعمال الخير ففاز بكثرتها ذوو القوة فانه تعالى ذو رحمة واسعة تعم القوي والضعيف والدني والشريف لكن أحق الناس بالرحمة الضعفاء لانكسار خواطرهم بتخلفهم عن مرادهم بواسطة العجز الناشئ عن الضعف فقد يحصل لهم من فيض الرحمة ما لا يحصل للأقوياء لقوله تعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم فلهذا أمره ببقائه في العرج الذين هم الضعفاء لانهم أقوى نية وأصلح سريرة وأبعد

فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه وقال ويحك اني لأراك أم سوء ومالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة اني أربعه لأجل الفطام فيأبى قال ولم قالت لأن عمر لا يفرض الا للفطيم قال وكم له قالت كذا وكذا أشهرا فقال لها ويحك لا تعجليه فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة بكائه فلما سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديا فنادى أن لا تعجلوا على أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وكتب بذلك الى الآفاق وكان لا يجمع في سماطه بين ادامين وقدمت اليه حفصة مرقا باردا وصبت عليه زيتا فقال أدمان في اناء لا آكله حتى ألقى الله عز وجل وعن الحسن انه خطب الناس وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة وعنه أيضا انه كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع وقال الشعراني في الطبقات وكان في قميصه أربع رقاع بين كتفيه وكان ازاره مرقوعا بقطعة من جراب وعدوا في قميصه مرة أربعة عشر رقعة احداها من أدم أحمر وكان رضي الله عنه يشتهي الشهوة وثمنها درهم فيؤخرها سنة كاملة اه وعن مصعب بن سعد ان حفصة قالت لعمر يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله عليك من الرزق وأكثر عليك من الخير فقال اني سأخاصمك الى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها أما والله لأشاركنه في مثل عيشه الشديد لعلي أدرك عيشه الرخي وعن ابن عباس انه كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فأصاب عمر فأمر عمر بقلعه ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس فقال والله انه للموضع الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فيه فقال عمر للعباس وأنا أعزم عليك الا صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ففعل ذلك العباس وعن عبد الله بن عمر أنه قال رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتني لم أك شيئا ليتني كنت نسيا منسيا وعن الاحنف انه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وقتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة في المدينة بعد رجوعه من الحج في آخر ذي الحجة لأربع ليال بقين منه سنة ثلاث وعشرين وروي انه لما طعن ودخل بيته دعا بقدح من لبن فشربه فخرج من جراحته فعلم انه يموت لا محالة فدخل عليه عبد الرحمن فقال الصلاة يا أمير المؤمنين فقال نعم لا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فقام وصلى وجرحه يثعب أي يقطر دما فلما توفي وجيء به وكان على الروضة قفل فبينما عبد الله يريد أن يستأذن أو وهو يستأذن اذ سمعوا انفتاح القفل من غير أن يفتحه أحد وقائل يقول من الروضة أدخلوه فدفن وكانت عائشة رضي الله عنها رأت في المنام كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها فقصتها على أبي بكر فقال لها خيرا

عن الرياء قال ابن الفارض نفع الله به لله بعارض وسر زمنا وانهض كسير الحظ السبطالة ما أخرت عزما الصحة فربما بسبب ذلك سبقوا الاقوياء الى النعيم المقيم الى مقام كريم كما ان الشاة العرجاء من الذود المتخلفة عن السوابق منه اذا رجع الذود الى ربه تصير امامهم فتسبقهم الى الوصول وتفوز قبل بقية الذود بالمطلوب والمأمول ثم نهاه عن مفارقة الحسد بان يقول هذا القوى حصلت له بواسطة قوته الاعمال وبلغ منها الآمال وما حصل له فاني مثله بسبب ضعفي فان الضعيف قد يحصل له بسبب ضعفه ما لا يحصل للقوى الناظر الى قوى نفسه كما انه يحصل من صغار النخل ثمرة لا تحصل من كبارها ان الله لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى قلوبكم فتأمل هذا المعنى البديع (قوله فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم) أي التي لغير ضرورة (واختلافهم على أنبيائهم) اذ الاختلاف يؤدى الى التفريق ومقصود الشارع صلى الله عليه وسلم الاجتماع ومن ثم يروى ان أبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من أفاضل الصحابة كان اذا سئل عن مسئلة يقول أوقعت هذه فان قيل نعم قال فيها بعلمه أو أحال على غيره وان قيل لا قال فدعها حتى تقع *(تنبيه)* الاختلاف المذكور في الحديث قال الامام النووى في نكته هو بضم الفاء لا بكسرها عطفا على كثرة لا على مسائلهم أي أهلكهم كثرة مسائلهم واهلكهم اختلافهم فهو أبلغ لان الهلاك نشأ عن الاختلاف *(تنبيه آخر)* نذكره للمناسبة قال المفسرون في تفسير قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية لو انهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها (والتكلم على قصتها مما المجالس فنقول) القصة في ذلك على ما ذكره الامام البغوى وغيره انه كان في بني اسرائيل رجل غني

رأيت وخيرا يكون سأخبرك بها و بكى فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في حجرتها قال لها أي بنية هذا أحد أقمارك وهو خيرها فلما احتضر عمر قال لها وهذا الثاني والذي بعده ثالثها فكان عمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين ودفن يوم الاحد صبيحة هلال المحرم وعمره ثلاث وستون سنة على الصحيح وغسله ابنه عبد الله وصلى عليه صهيب ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم ولما غسل وكفن وحمل على سريره قال علي رضي الله تعالى عنه والله ما على وجه الارض رجل أحب الى ان ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى بالثوب وقال حذيفة لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وكان العباس خليلا له فلما أصيب جعل يدعو ربه أن يريه اياه فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت قال هذا أوان فرغت من الحساب ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيت رؤفا رحيما (قال) أي عمر (بينما) أصله بين فزيدت عليه ما التي كفها عن عملها وهو الخفض ويجوز أن يضاف بينما بلا ميم وهو ظرف زمان بمعنى المفاجأة ففيه اشارة الى أن ذلك لم يكن عن ميعاد ولا استعداد (نحن) ضمير المتكلم مع غيره بدليل قوله في آخره أتاكم يعلمكم دينكم فلا يتجه جعله ضمير المتكلم المعظم نفسه (جلوس) جمع جالس كشهود جمع شاهد أو مصدر بمعنى جالسين ونحن مبتدأ وجلوس خبره (عند) بتثليث العين ظرف مكان ومعناه القرب اما حسا كما هنا واما معنى كما في قوله تعالى وعنده أم الكتاب ولا يدخل عليه حرف جر غير من (رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم) جمعه أيام وأصله ايوام فادغمت وأورد عليه ان ذات مؤنثة لانها تأنيث ذو بمعنى صاحب ويوم مذكر فكيف أضيف المؤنث الى المذكر وأجيب بان الكلام فيه حذف والتقدير في ساعة ذات مدة من يوم فحذف ذلك لظهور المراد ولما كان بينما ظرفا متضمنا معنى الشرط وهو يحتاج الى جواب يتم به أشار بقوله (اذ طلع) لم يقل دخل اشعارا بتعظيمه ورفعة قدره وفيه استعارة تبعية لانه شبه ظهوره في نباهة القدر وارتفاع الشأن بطلوع الشمس ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر أصلية وفي الفعل تبعية أو شبهه بالشمس استعارة مكنية ثم اثبت له الطلوع تخييلا (علينا رجل) أي ملك في صورة رجل والتنوين فيه للتعظيم وفي رواية للبخاري اذ أتاه رجل يمشي وافاد مسلم في رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث فعنده في أوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني فهابوا ان يسألوه قال فجاء رجل الخ أي لانهم كانوا أولا اكثروا المسائل على النبي صلى الله عليه وسلم فزجرهم كراهية لما قد يقع من سؤال تعنت ونحوه فلما امتثلوا قال لهم سلوني فهابوه ورجعوا عن المسئلة فجاءهم من تعلموا سؤاله قال السبكي نقلا عن ابن العربي للملك أن يتصور في أي صورة شاء وتجري عليه أحكامها وحينئذ فلا يتكلم الا بما يليق بتلك الصورة ومثله الجني فاذا قتلت تلك الصورة التي ظهر بها مات معها بخلاف الانسان فانه اذا تمثل بصورة لا تحكم عليه فاذا تكلم من تلك الصورة تكلم باي لغة شاء واذا قتل بها لا يموت اه وبما تقرر من أن للملك أن يتصور في أي صورة شاء يندفع تردد امام الحرمين في تمثل الملك هل معناه أن الله أفنى الزائد أو أزاله عنه ثم اعاده اليه وجزم ابن عبد السلام

وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فالقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس
الى موسى عليه السلام قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسالوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل فامرهم
بذبح بقرة فقال لهم ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا أي أتستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتامرنا بذبح البقرة
موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق

السؤال فلما علم القوم ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه وكان تحته حكمة عظيمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة أعواما وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت
اليها تخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الغيضة
فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها
يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك
ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل ان ينقطع من

بالازالة دون الفناء وقول ابن جني الظاهر أن الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى عن الرائي وقول البلقيني بالقبض والبسط وذلك أنه يجوز أن يكون أتى بشكله الأصلي من غير فناء ولا ازالة الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل واذا ترك ذلك عاد الى هيئته كالقطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا (شديد بياض الثياب) فيه دليل على استحباب البياض من الثياب عند لقاء الرؤساء والجلوس في المحافل لان مرجع جميع الالوان اليه وهذا في غير العيد وأما فيه فالجديد ولو من غير البياض أفضل من غيره للقادر عليه لانه يوم زينة واظهار للنعمة وفيه دليل على ان السنة النظافة لخبر ان الله نظيف يحب النظافة وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ (شديد سواد الشعر) فيه تنبيه على استحباب تحسين الشعر بالتسريح والدهن وغيرهما عند الدخول على الاكابر وقوله الشعر أي شعر اللحية كما وقع مصرحا به في رواية ابن حبان وفيه اشارة الى ان زمان طلب العلم زمن الشباب فانه اذا صرف أول عمره في طلب العلم يصرف باقيه في العمل بما علم وقدم البياض على السواد لانه خير الالوان وفي رواية النسائي أحسن الناس وجها وأطيب الناس ريحا كأن ثيابه لا يمسها دنس وفيه استحباب تحسين الهيئة وتنظيف الثياب وتطييب الرائحة سيما العالم والمتعلم لانه معلم بدليل أتاكم يعلمكم دينكم ومتعلم بمقاله وحاله وقد قال ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسألوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخلوا به من أدب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا وفيه رد على من آثر رثاثة الهيئة والملابس (لا يرى) بضم المثناة تحت مبني لما لم يسم فاعله وروي بالنون المفتوحة مبنيا للفاعل والرواية الاولى أبلغ من الثانية وعليه اقتصر النووي في نكته (عليه أثر) أي علامة (السفر) من نحو غبرة وشعوثة ولسليمان التيمي ليس عليه سحناء سفر وليس من البلد والسحناء بفتح السين والحاء المهملتين الهيئة (ولا يعرفه منا) أي معشر الصحابة وقدمه للاهتمام (أحد) لا ينافي انه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه لان ذلك كان غالبا لا دائما وأيضا زاد في التعمية عليهم حيث جاء ماشيا في هيئة مقيم وما وقع في رواية النسائي من طريق أبي فروة في آخر الحديث انه جبريل نزل في صورة دحية وهم لان دحية معروف عندهم وانما لم يقل ولم يعرف الا يوهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وليس كذلك وهذا صريح في انهم رأوه وما وقع في رواية أحمد عن غير عمر من أنهم سمعوا كلامه ولم يروه يحمل على ان بعض القوم كان جالسا عنده وبعضهم كان خارجا عن ذلك فسمعوه من وراء نحو جدار جمعا بين الحديثين الصحيحين كذا قرره بعضهم ولا حاجة اليه لان الملك اذا حضر بمجلس قد يراه بعض أهل المجالس دون بعض بحسب حال الرائي في الصفاء والاستعداد وغير ذلك وقدم لفظ منا للاهتمام والجملتان صفة رجل أو حال منه لانه خصص بالوصفين فان قيل كيف عرف عمر انه لم يعرفه منهم أحد فالجواب انه يحتمل انه استند فيه الى ظنه أو الى صريح قول الحاضرين قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر ويعين الثاني انه قد جاء كذلك في رواية عثمان بن غياث فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا ما نعرف هذا (حتى

جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي حتى جلس متعلق بمحذوف يدل عليه طلع أي استأذن ودنا حتى جلس الخ اهـ أي وبه يندفع ما قيل انه ليس في الكلام ما هو غاية له ثم ان هذا التعبير بالى يرد عليه انها لانتهاء الغاية وهو انما يكون في ممتد كالسير دون الجلوس اذ لا امتداد فيه فلتكن بمعنى عند أو مع (فاسند) أي ألصق (ركبتيه الى ركبتيه) لان الجلوس كذلك أقرب للتواضع والادب وأبلغ في الاصغاء وحضور القلب والاستئناس وهو صريح في انه جلس بين يديه لانه لو جلس بجنبه لم يمكنه الاسناد ركبة واحدة وفيه اشارة الى انه ينبغي للمتعلم الجلوس بين يدي شيخه لا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه بحيث كان الموضع واسعا لكن لا يبالغ في القرب منه بحيث يسند ركبتيه اليه كما هنا لانه انما فعل ذلك متجاريا على ما بينهما من مزيد الود والانس حين يأتي عليه الوحي (ووضع كفيه) تثنية كف وهي الراحة مع الاصابع سميت به لانها تكف الاذى عن البدن (على فخذيه) بكسر الخاء أي فخذي النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عباس وأبي عامر الاشعري وأبي هريرة وأبي ذر حيث قال ووضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم خلافا لما جزم به النووي ووافقه عليه التوربشتي شارح المصابيح أن الضمير راجع الى الرجل قال القرطبي وأراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن انه من جفاة الاعراب وصنع صنيعهم لان الصحابة رضي الله عنهم لما تنكروا هيئته وجلوسه كما ذكر اهـ ورده بعضهم بانه لا يكون صنعه المذكور كصنع جفاة الاعراب الا لو لم يفعله باذن وهو قد أذن له مرارا اهـ وفيه نظر فان قربه وان كان مأذونا له فيه لكن وضعه كفيه على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن باذن فصح قول القرطبي انه صنع صنيع جفاة الاعراب وفي رواية أبي داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل فبنيت له مصطبة من طين يجلس عليها فجاءه جبريل وهو عليها فقال السلام عليك يا محمد فرد عليه السلام فقال أدنو يا محمد قال ادن فما زال يقول أدنو مرارا وهو يقول ادن ادن واستنبط منه بعضهم استحباب ابتداء الداخل بالسلام واقباله على رأس القوم وجلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا اذا احتاج الى ذلك لضرورة تعليم ونحوه والاستئذان في القرب من الامام مرارا وان كان الامام في موضع مأذون في دخوله وترك الاكتفاء في الاستئذان مرة أو مرتين على جهة التعظيم والاحترام ووقع للشارح الهيتمي انه عزى لرواية النسائي انه خاطبه بقوله السلام عليكم يا محمد بلفظ الجمع ثم قال فيه ندب السلام على الواحد بصيغة الجمع وهو زلل فان رواية النسائي ليس فيها عليكم بلفظ الجمع وانما وقع ذلك في رواية القرطبي ثم استنبط منه انه يسن للداخل ان يعمم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه وتعقبه خاتمة الحفاظ ابن حجر بان الذي وقف عليه من الروايات انما فيه الافراد وهو السلام عليك يا محمد (وقال يا محمد) علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف أي المكرر العين سمي به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالهام من الله تعالى تفاؤلا بأن يكثر حمد الخلائق له لكثرة خصاله الجميلة وأتى لذلك مزيد بيان وخاطبه به مع انه يحرم نداؤه صلى الله عليه وسلم باسمه لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اما لانه كان قبل التحريم واما لان الحرمة مختصة بالآدميين دون

أجله وينطلق معه لقتل ابن أخيه فلما فاز بالملك قال: أي ملك أبيك بامك فسار الفتى بها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على ان أستأمرها فقال الملك فاني أعطيك اثني عشر دينارا فأبى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها وقدر الله تعالى على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي الى آخر الآيات فطلبوها فلم يجدوها بكمال صفتها الا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل ويريكم آياته لعلكم تعقلون قيل تمنعون أنفسكم عن

المعادى فسبحان من فاوت بين الخلائق قيل لابراهيم عليه السلام اذبح ولدك فتله للجبين وقيل لبني اسرائيل اذبحوا بقرة فذبحوها وماكادوا يفعلون وخرج أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن جميع ماله وبخل ثعلبة بالزكاة وجاد حاتم في حضره وأسفاره وبخل الحباحب بضوء ناره الانام وفقنا أجمعين يارب العالمين

(المجلس العاشر في الحديث العاشر)

الحمد لله الذي أنشأ العالم واخترعه وابتدأ شكله وابتدعه ٦٦ وأتقن كل شئ صنعه وأحكم متفرقه ومجتمعه أحمده على ما وهب من احسانه حمد معترف بالتقصير عن شكر امتنانه وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معلن بلسانه عما في ضميره وجنانه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه بالبينات مرشدا لهدى الايمان مؤيدا بمعجزات القرآن وأظهر دينه على سائر الاديان صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه في كل وقت وأوان آمين

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه مسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث من الاحاديث قالت التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام وفيه فوائد سنذكرها (قوله ان الله طيب) أي منزه عن النقص والخبث ويكون بمعنى القدوس وقيل طيب الثناء وعلى هذا فهو من أسمائه الحسنى المأخوذة من الصفة كالجميل على القول بصحته (قوله لا يقبل الا طيبا) أي لا يقبل من الاعمال ولا من الاموال الا الطيب والطيب من الاموال في الاصل ما يستلذ به ومنه فانكحوا ما طاب لكم

الملائكة لان الخطاب في الآية للآدميين فلا يشمل الملائكة الا بدليل واما جريا على عادة العرب من النداء بالاسم غالبا قصد المزيد التعمية عليهم وفهم منه جواز نداء العالم والرئيس باسمه ولو من المتعلم ان لم تعلم كراهته لذلك ولا كان على سبيل الوضع من قدره لانه أقرب الى التواضع وأولى بالصدق والا فبلقبه أو كنيته توقيرا له وتعظيما وانما خاطبه بهذا الاسم دون غيره من بقية الاسماء لان هذا هو أشهرها (أخبرني عن الاسلام) اللام فيه للحقيقة والماهية الشرعية وكذا في نظائره ولذا وقع في رواية أبي هريرة ما الاسلام هنا وما الايمان فيما يأتي وهي تدل على انه انما سأل عن شرح ماهيتهما لا عن شرح لفظهما لغة والا لم يجب بما يأتي ولا عن حكمهما لان ما في أصلها انما يسئل بها عن الحقائق والماهيات وقد سأل رجل آخر عن الله فقال له ان تسأل عن اسمه فالعزيز الحكيم وان تسأل عن صفته فالرحمن الرحيم وان تسأل عن فعله فخالق المخلوقين وان تسأل عن ماهيته فلا ماهية له نعرفها ولما أقام موسى وهارون بباب فرعون سنة ولم يؤذن لهما في الدخول عليه ثم دخل عليه البواب فقال ههنا انسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك عليه فدخلا عليه وأديا الرسالة قال فرعون وما رب العالمين وما يستفهم بها عن الاجناس ولا جنس لله تعالى لان الاجناس محدثة فاجابه موسى بالصفات الدالة على مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق بقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله ألا تستمعون فزاد موسى بالبيان كقوله ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واعلم أنه بدأ في رواية مسلم هذه بالسؤال عن الاسلام لانه الامر الظاهر واشعارا بان أول واجب على المكلف النطق بكلمة الشهادة عند القدرة كما حققه الدواني وثنى بالايمان لانه الامر الباطن ووجه عكسه الواقع في رواية البخاري ان الايمان هو الاصل فبدأ به وثنى بالاسلام لانه يظهر به مصداق الدعوى وثلث بالاحسان لانه متعلق بهما ورجح الطيبي الاول لما فيه من الترقي فبدأ بالظاهر وترقى الى الاعلى والعلو في الثاني لان السنة بيان للكتاب فاولاها بالتقديم أوفقها له وقد قدم فيه الايمان على الاسلام في آيات كثيرة هذا محصل ما وجه به الترتيب الواقع في الروايتين ووقع في رواية مطر الوراق بالاسلام وثنى بالاحسان وثلث بالايمان ويمكن توجيهها بان الاحسان هو الاخلاص فكان محله القلب ذكر ذلك في القلب أي الوسط والحق كما قال ابن حجر وغيره ان التقديم والتأخير من الرواة لان القصة واحدة اختلفت الرواة في تأديتها وفيه دليل على ان الاسم غير المسمى لان جبريل سأل ما الاسلام ما الايمان ما الاحسان فأتى باسمائها وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بمعانيها ولو كان الاسم هو المسمى لم يحتج الى السؤال عنه ولما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم به بل كان يقول له انك عالم بمسمى ما سألت عنه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبا له عن ماهية الاسلام وحقيقته (الاسلام) هو لغة الدخول في السلم أي الانقياد والاذعان ومنه قوله تعالى

من النساء ويطلق أيضا بمعنى الطاهر ومنه صعيدا طيبا والله تعالى طيب بهذا المعنى أي منزه كما مر فلا يقبل من الاعمال الا طاهرا من المفسدات كالرياء والعجب ونحوهما ولا يقبل من الاموال الا خالصا من شوائب الحرام اذ الطيب ما طيبه الشرع لا ما كان طيبا في الذوق اذ هو من غير مباح وبال على متعاطيه وعذاب أليم وفي الخبر من عمل عملا صالحا أشرك فيه غيري تركته وشركه وفي الخبر أيضا كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وتكره الصدقة بالردئ كدرهم مغشوش وحب مسوس أو عتق ما فيه شبهة

قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وشرعا الانقياد الى الاعمال الواجبة الظاهرة كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (أن) مصدرية (تشهد) منصوب بها وباقي الافعال الآتية من قوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج معطوف عليها والشهادة الاخبار عن أمر متيقن قطعا أي تعلم وتحقق (أن) بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف أي انه أي الشأن (لا اله) أي لا معبود بحق موجود أو في الوجود (الا الله) ولا نافية للجنس واله اسمها مبني على الفتح والخبر محذوف تقديره موجود أو في الوجود كما مر فان قلت نفي الوجود لا يستلزم نفي الامكان بخلاف العكس فالجواب من ثلاثة أوجه الاول انه انما قدر الوجود لانه الذي ادعاه المشركون فاثبتوا وجود آلهة متعددة وقوله تعالى فاعلم ان لا اله الا الله نفي لدعواهم الثاني ان لا التي لنفي الجنس وهي موضوعة لنفي الوجود لا لنفي الامكان الثالث ان نفي الوجود هو المحصل للتوحيد صريحا لانه لو قدر ممكن لزم ان المثبت في الا الله هو الامكان فلا يحصل التوحيد بالصراحة فلذلك اختير تقدير الوجود دون غيره والا أداة استثناء والاسم المكرم الواقع بعدها مرفوع على انه بدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر وهو الاصح وقيل انه بدل من محل لا مع اسمها لان محلها الرفع على الابتداء وقيل غير ذلك (وان محمدا رسول الله) محمد علم منقول من اسم مفعول حمد بتشديد العين سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله المحمودة أي سماه به جده عبد المطلب تفاؤلا بان يكثر حمد الخالق له كما روي في السير أنه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه في سابع ولادته لموت أبيه قبلها على الصحيح لم سميت ابنك أي ابن ابنك محمدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك قال رجوت ان يحمد في السماء والارض وقد حقق الله تعالى رجاه قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

ولرؤيا رآها ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فعبرت بمولود يتبعه أهلها ويحمده أهل السماء والارض قال بعض أهل المعاني الميم الاولى محق الكفر بالايمان أو محو سيآت من اتبعه أو منة الله تعالى على المؤمنين به والحاء حكمه بين الخلق بحكمه تعالى والميم الثانية ملكه الذي أعطاه الله تعالى له ولم يعطه لاحد قبله وذلك انه قرن اسمه مع اسمه في المشرق والمغرب والدال دليل الخلق في الدنيا لانه الداعي الى الله تعالى ودليلهم في الآخرة الى الجنة ويقال ان مما أكرم به الآدمي أن كانت صورته على ترتيب اسمه عليه الصلاة والسلام فالميم الاولى بمنزلة رأس الانسان والحاء بمنزلة اليدين والميم الثانية بمنزلة السرة والدال بمنزلة الرجلين قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها أعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما للصورة اللفظ ولا يشترط مع الاتيان بالشهادتين البراءة من كل ما يخالف دين الاسلام على الاصح الا أن يكون منسوبا بالاعتقادهم اختصاص رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم بالعرب (وتقيم الصلاة) اقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من الزيغ

شبهة (قوله وان الله تعالى) أي لما خلق لعباده ما في الارض جميعا وأباحه لهم سوى ما حرم عليهم أمر (المؤمنين منهم بما أمر به المرسلين) أي سوى بينهم في الخطاب بأمره اياهم بان يتحروا أكل الحلال ويتعاطوا الاعمال الصالحة لان الجميع عباده ومأمورون بعبادته الا ما قام الدليل على تخصيصهم به دون أممهم فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم أمر المؤمنين أن يتحروا أكل الحلال كما ذكر وان يقوموا بحقوقه تعالى فقال واشكروا الله أي على ما أحل لكم ان كنتم اياه تعبدون أي ان صح أي انكم تخصونه بالعبادة فان عبادتكم لا تتم الا بالشكر *(تنبيه)* الخطاب بالنداء لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا به دفعة واحدة اذ هم كانوا في أزمنة وخص الرسل بالذكر تعظيما لهم وفيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم ورد للرهبانية في رفض الطيبات وان الشخص يثاب اذا أكل طيبا قصد به القوة على الطاعة واحياء نفسه بخلاف ما اذا أكل تشهيا وتنعما (واعلم) ان أفضل ما أكلت منه كسبك من زراعة لانها أقرب الى التوكل ثم من صناعة لان الكسب فيها يحصل بكد اليمين ثم من تجارة لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتسبون بها ويحرم ما يضر بالبدن والعقل كالحجر والتراب والزجاج والسم كالافيون

وهو ابن الخشاش وتحريم أكل الحشيشة أي تاكلها الحرافيش وبين ترك التبسط في الطعام المباح لا يليق من أخلاق السلف
هذا الكلام يدح المساحة كقرى الضيف وأوقات التوسعة على العيال كيوم عاشوراء ويومى العيد ولم يقصد بذلك التفاخر والتكاثر
بل تطييب خاطر الضيف والعيال وقضاء وطرهم مما يشتهونه قال علماؤنا وفي اعطاء النفس شهواتها المباحة في مذاهب حكاها
الماوردي منعها وقهرها كيلا تطغى اعطاؤها تحيلا على نشاطها او بعثا لروحانيتها قال والاشبه التوسط بين الامرين
لان في اعطائها الكل سلاطة عليه وفي منعها بلادة ويسن الحلو من الاطعمة وكثرة الايدي على الطعام وأن يحمد الله تعالى عقب الاكل والشرب روى ابو داود باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل أو شرب قال الحمد لله الذي أطعم وأسقى وسوغه وجعل له مخرجا وآداب الاكل والشرب كثيرة شهيرة ثم ذكر أبو هريرة رضي الله عنه بعد ما تقدم ما بقي من الحديث فقال (الرجل يطيل السفر) أي لما هو طاعة كالسفر للحج والجهاد وغيرهما من أسفار الطاعة. (قوله أشعث) أي مغبر الرأس (أغبر) أي البدن والثوب (يمد) أي عند الدعاء (يديه الى السماء) أي الى جهتها يقول (يارب يارب) وفيما ذكره دلالة على ان ذلك من آداب الدعاء وهو كذلك لما ورد انه صلى الله عليه وسلم رفع يديه في دعاء الاستسقاء حتى رؤي بياض ابطه ولقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي من عبده ان يرفع اليه كفه ثم يردهما صفرا أي خائبين ولان السماء قبلة الدعاء (قوله ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى) أي كيف (يستجاب له) أي يبعد ان هذه صفته وهذا حاله ان يستجاب له وفي هذا الحديث فوائد منها بيان شرط الدعاء وموانعه وآدابه ومنها ان لا يدعو بمعصية ولا باستعجال ومنها ان يكون حاضر القلب للنهي عن الدعاء مع

من أقام العود وقومه أو الدوام والمحافظة من قامت السوق أي نفقت أو التشمر لادائها من غير فتور في الامر أو أداؤها كذا في الكشاف ولا يخفى انه على الاول استعارة تبعية شبه تعديل أركانها بتقويم الرجل العود واستعير له الاقامة ثم اشتق منه الفعل وعلى الثاني كناية عن الدوام وعلى الثالث مجاز في الاسناد بمعنى تجعلها قائمة فيفيد التشمر وعلى الرابع كذلك اذ المعنى توجد قيامها فيكون من باب اطلاق بعض الشيء على كله وانه لو حمل على الثاني فقط كان أولى لدلالته على جميع المعاني وأبعد من زعم ان المراد بالاقامة أخت الاذان وأصل الصلاة في اللغة الدعاء قال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول أي دعواته وقال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أي ادع لهم ان صلواتك سكن لهم أي دعواتك طمأنينة لهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الناس بصدقاتهم يدعو لهم وقال صلى الله عليه وسلم من كان صائما فليصل أي فليدع وقال الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * نوما فان لجنب المرء مضطجعا

اي دعوت وادعى السهيلي انه لا يصح ان يكون معناها الدعاء لانه يستعمل في الخير والشر بل هي راجعة الى معنى الحنو والانعطاف وتستعمل بمعنى البركة ومنه عند بعضهم اللهم صل على آل ابي أوفى وبمعنى الاستغفار قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاهل البقيع لاصلي عليهم وفي رواية لاستغفر لهم وفي الشرع قال ابن عرفة قربة فعلية ذات احرام وتسليم أو سجود فقط فيدخل سجود التلاوة وصلاة الجنازة اهـ واختلفوا في اشتقاقها فقال النووي الاظهر الاشهر انها من الصلوين بفتح الصاد واللام وهما عرقان في الردف عن يمين الذنب وشماله ينحنيان في الركوع والسجود ولذلك كتب الصلاة في المصحف بالواو وقيل انها مأخوذة من قولهم صليت العود اذا قومته لان الصلاة تحمل الانسان على الاستقامة وتنهاه عن المعصية قال الله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وروى انه قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته وقيل انها مأخوذة من الصلة لانها تصل بين العبد وخالقه بمعنى انها تدنيه من رحمته وتوصله الى كرامته وجنته وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى ومناجاته بالقراءة والذكر والدعاء وتعظيم القلب بذكره واستعمال الجوارح في خدمته وفرضت في السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع قال بعضهم والحكمة في وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج انه صلى الله عليه وسلم لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم وملئ بالايمان والحكمة ومن شرط الصلاة ان يتقدمها الطهور ناسب ذلك ان تفرض الصلاة في هذه الحالة والاصح انه لم يفرض عليه قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ما كان بمكة تسع سنين ثم فرضت الخمس ليلة الاسراء واختلفوا في كيفية فرضها فروت عائشة رضي

الله عنها انها فرضت ركعتين ركعتين ثم أكملت صلاة الحضر أربعا قال الحسن البصري وجماعة وكان الاكمال بالمدينة وقال ابن عباس وغيره فرضت أربعا الا المغرب فثلاثا والا الصبح فاثنين وهو طريق الجمهور وأول صلاة صلاها جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وبذلك سميت لانها أول صلاة ظهرت ولذلك تسمى الاولى (وتؤتي الزكاة) أي تعطيها المستحقيها أوللامام ليدفعها لهم بحذف المفعول الاول لان الايتاء يتعدى لمفعولين أولهما فاعل في المعنى وأولاها الصلاة موافقة للقرآن وهي لغة النمو والزيادة يقال زكا المال اذا نما وطاب لانها تنمي المال بالبركة أو سبب في نموه وزيادته ومنه قول النابغة وما أخرت من دنياك نقص * وما قدمت عاد لك الزكاء

أي الزيادة والتطهير لانها تطهر المال من الخبائث الحسية والمعنوية ونفس المزكي من رذيلة البخل وغيره والمدح يقال زكى نفسه تزكية مدحها والتنعم يقال زكا الرجل يزكو اذا تنعم وكان في خصب والتصدق يقال زكى اذا تصدق واللائق بالشيء يقال هذا الامر يزكو لفلان أي يليق به وشرعا جزء من المال شرط وجوبها استحقه بلوغ المال نصابا وتسمى صدقة لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة من التصديق الذي هو الايمان اذ دافعها يصدق بوجوبها وحكمة وجوبها مواساة الفقراء (وتصوم رمضان) الصوم في اللغة الامساك والكف عن الشيء ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وامساكا عن الكلام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقولهم صام النهار اذا انتصف لبطء مشي الشمس في وسط النهار فكأنها غير متحركة وصام الفرس قام من غير اعتلاف وشرعا قال القرافي امساك عن شهوتي الفم والفرج أو ما يقوم مقامهما مخالفة للهوى في طاعة المولى في جميع أجزاء النهار بنية قبل الفجر أو فيه ان أمكن عدا زمن الحيض والنفاس وأيام الاعياد اهـ وضمير التثنية في قوله يقوم مقامهما يعود على الفم والفرج ويقوم مقام الفم الانف ونحوه فان الواصل منه للجوف أو للحلق مفطر ويقوم مقام الفرج المس الموجب للفطر وأخره عن الزكاة وان كان أنسب بالصلاة لكونه بدنيا لان اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة أكثر ولهذا كررهما في القرآن كثيرا ولانهما اذا وجبا لا يسقطان عن المكلف أصلا والصوم يسقط بنحو الفدية ذكره الكرماني ورمضان كما قاله الخليل مأخوذ من الرمض أي بالتحريك وهو مطر يأتي أيام الخريف سمي هذا الشهر به لانه يغسل الابدان من الآثام ويطهر قلوبهم وقيل سمي به لانه يرمض الذنوب أي يحرقها وقيل من الارتماض لانه يأخذ فيه أي في رمضان من حرارة الموعظة والفكر في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقيل لانهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق ابتداء الصوم زمنا حارا فسمي به قال السيوطي في حاشيته على البخاري قال بعضهم لما تاب آدم من أكل الشجرة تأخر قبول توبته لما بقي في جسده من تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفا جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته صيام ثلاثين وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة اهـ قال القرطبي فيه جواز استعماله غير مضاف الى شهر وهو مذهب البخاري والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وقيل يكره استعماله بلا

الغفلة وأن يحسن ظنه بالاجابة ومنها أن لا يستعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي اذ هو سوء أدب فيقطعه عن الدعاء فتفوته الاجابة فقد قال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له ومنها ان لا يخرج عن العادة فخروجا بعيدا فانه فيه من سوء الادب أيضا لان الله تعالى قد أجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة قال بعضهم الا ان يدعوه باسمه الاعظم فيجوز تأسيا بالذي عنده علم من الكتاب اذ دعا بحضور عرش بلقيس فاجيب ٦٩ وفي الحديث أيضا الحث على الانفاق من الحلال والنهي عن الانفاق من غيره وان المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ينبغي ان يكون حلالا لاشبهة فيه وأن مريد الدعاء أولى بالاعتناء بذلك من غيره قال وهب بن منبه بلغني ان موسى عليه السلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر اليه فقال موسى يارب أما استجبت لعبدك فاوحى الله تعالى اليه ياموسى انه لو بكى حتى تلفت نفسه ورفع يده حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام وعلى ظهره الحرام وفي بيته الحرام ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا له يا أبا اسحق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدو لكم ووافقتموه ولم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم واعلم والخواني انه ورد في السنة ان الدعاء مخ العبادة ووجهه ان الداعي انما يدعو عند انقطاع الآمال عما

تسوى الله فهو حقيقة التوحيد والاخلاص وورد أيضا ان الدعاء سلاح الانبياء ونعم السلاح والاحاديث فى فضل الدعاء كثيرة شهيرة
(تنبيه) فى رسالة الامام أبى القاسم القشيرى رضى الله عنه قال اختلف فى ان الافضل الدعاء أو السكوت فمنهم من قال الدعاء
عبادة لحديث الدعاء هو العبادة ولان الدعاء اظهار الافتقار الى الله تعالى وقالت طائفة السكوت والجمود تحت جريان الحكم أتم
والرضا بما سبق به القدر أولى وقال قوم يكون صاحب دعاء بلسان ورضا بقلبه ليأتى بالامرين جميعا قال القشيرى
والاولى ان يقال الاوقات مختلفة ففى بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وفى بعض الاحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك بالوقت فاذا وجد فى قلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء أولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت أتم قال ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم *(فائدة)* عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل (تنبيه) قال الغزالى رحمه الله تعالى فان قيل فما فائدة الدعاء مع أن
القضاء لا مرد له فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس البغداديين
سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء وقد قيل
سبحان من لا يخيب من قصده * من قصد الله صادقا وجده قد شمل الخلق فضل نعمته * كل الى فضله يمد يده قال محمد
ابن خزيمة لما مات أحمد بن حنبل رحمه الله رأيته فى المنام وهو يتبختر فى الجنة فقلت أى مشية هذه فقال هذه مشية الخدام الى دار

اضافة شهر ونقله عياض وغيره وقيل يجوز بقرينة كصمت رمضان ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل
انه من أسماء الله والمذهبان الاخيران فاسدان كما قاله النووى ولا يصح أن يكون من أسمائه تعالى فقد
صنف جماعة لا يحصون فى أسماء الله تعالى فلم يثبتوه وما روى فيه من الحديث ضعيف وأول ما فرض
رمضان خير بينه وبين الطعام لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وكان يباح للمكلف الاكل والشرب والجماع بعد الغروب الى أن ينام
أو يصلى العشاء فيحرم عليه ذلك حتى وقع لقيس بن صرمة بكسر الصاد المهملة وسكون الراء انه طلب
من امرأته ما يفطر عليه فذهبت لتأتى به ثم أتت فوجدته قد نام فاصبح صائما وكان يعمل فى حائط فلم
ينتصف النهار حتى غشى عليه وأراد عمر وطء زوجته فزعمت أنها نامت فكذبها ووطئها ثم خون نفسه
وذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وذكره جماعة من الصحابة عن أنفسهم فنزل قوله تعالى علم الله أنكم
كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم الآية وحكمة مشروعيته مخالفة النفس وكسرها وتصفية مرآة
القلب والانصاف بسيما الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع (وحج البيت) الحج لغة القصد وقال
الخطابى القصد مع التكرار ومنه قول الشاعر * يحجون بيت الزبرقان المزعفرا * يريد أنهم
يقصدونه فى أمورهم ويختلفون اليه فى حوائجهم مرة بعد أخرى واصطلاحا قال ابن عرفة يمكن رسمه
بانه عبادة يلزمها وقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة وحده بزيارة وطواف ذى طهر أخص بالبيت عن
يساره سبعا بعد فجر يوم النحر والسعى من الصفا للمروة ومنه اليها سبعا بعد طواف كذلك لا بقيد وقته
باحرام فى الجميع اه والمراد بالطهر الاخص الطهر من الحدث الاصغر والاكبر كما فى شارحه أو من الحدث
المذكور والخبث وقوله لا بقيد وقته أى انه لا يعتبر فى الطواف الذى لا يتوقف عليه السعى حصوله بعد
فجر يوم النحر كما فى طواف الافاضة والبيت اسم جنس ثم غلب على الكعبة كغلبة النجم على الثريا (ان
استطعت اليه) أى الحج أو البيت (سبيلا) مفعول له أو تمييز عن نسبة الاستطاعة الى البيت أى ان
استطعت سبيل البيت فاخر ليكون أوقع وتقديم اليه عليه للاختصاص وسبيلا أى طريقا وتنكير
للعموم اذ النكرة فى الاثبات قد تعم كما ذكره الزمخشرى فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت والسبيل
يذكر ويؤنث فمن التذكير قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ومثله ما هنا ومن التأنيث
قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة والاستطاعة القدرة وهى امكان الوصول من غير مشقة عظيمة
من الامن على النفس والمال ولو بلا زاد وراحلة لذى صنعة تقوم به وقدر على المشى فالاستطاعة ولو
بالبدن وعند الشافعى بالمال لانه فسرها بالزاد والراحلة وعند أبى حنيفة بمجموع الامرين وانما قيد
بالاستطاعة فى الحج مع ان ما مر يقيد بها أيضا اتباعا للفظ القرآن وفائدة التقييد لبيان ان المشقة فيه
ليست كغيره أو لان عدمها فى فرض نحو الصلاة والصوم لا يسقط فرضهما بالكلية وانما يسقط وجوب
الاداء حالا بخلاف الحج فان عدمها يسقط وجوبه رأسا ومقتضى كلام القرطبى ان الصحيح ان الحج
واجب على التراخى وهو تحصيل مذهب مالك فيما ذكر ابن خويز منداد وهو قول الشافعى وذهب بعض

السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال لى يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى ثم قال يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان الثورى وكنت تدعو بها فى دار الدنيا فقلت يارب كل شئ بقدرتك على كل شئ اغفر لى كل شئ ولا تسالنى عن شئ والدعوات كثيرة (خاتمة المجلس) قال الجلال السيوطى رحمه الله فى طبقات النحاة الصغرى له رأيت بخط القاضى عز الدين بن جماعة وجد بخط الشيخ محيى الدين النووى ما نصه ما قرأ أحد هذه الابيات ودعا الله تعالى عقبها بشئ الا استجيب له وهى هذه

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع
أنت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها
يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن
أمنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة
فبالافتقار اليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة
فلئن رددت فاى باب أقرع
ومن الذى ادعو وأهتف باسمه
ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا
الفضل أجزل والمواهب أوسع

وهذه الابيات من كلام عبد الرحمن بن عبد الله بن أصبغ بن حبيش المالقى رحمه الله تعالى آمين

(المجلس الحادى عشر فى الحديث الحادى عشر)

الحمد لله على جميع النعم والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لخير الامم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (عن) أبى محمد (الحسن بن على بن أبى طالب) سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته (رضى الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك رواه الترمذى والنسائى قال الترمذى حديث حسن صحيح) اعلموا اخوانى وفقنى الله

البغداديين الى انه على الفور فلا يجوز تاخيره مع القدرة له عليه وذكر شيخنا الاجهورى فى شرحه على المختصر انه المعتمد والدليل على الاول اجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج اذا أخره العام والعامين ونحوهما وانه اذا حج بعد أعوام من حين استطاعته فقد أدى الحج الواجب عليه فى وقته وكل من قال بالتراخى لا يحد فى ذلك حدا الا ماروى عن سحنون من تحديده الى الستين فان زاد على الستين فسق وردت شهادته لان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وقل من يتجاوزها وقوله معترك المنايا ما بين الستين والسبعين ولا حجة فيه لانه كلام خرج على الاغلب من أعمار أمته لو صح الحديث ولم يقطع بتفسيق من صحت عدالته وامانته بمثل هذا من التأويل الضعيف اه وقدم الاشق وأخر ما وجب فى العمر مرة *(تنبيه)* السبيل ورد فى القرآن على وجوه الاول البلاغ كما فى قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا يعنى بلاغا الثانى الطاعة كقوله تعالى فى البقرة الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله يعنى فى طاعة الله الثالث المخرج كقوله تعالى فى بنى اسرائيل انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا يعنى مخرجا من الحبس ومثله قوله فى النساء حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يعنى مخرجا من الحبس الرابع المسلك كقوله تعالى فى النساء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا أى مسلكا الخامس العلل كقوله تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أى عللا السادس الدين كقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين أى دين المؤمنين السابع الهدى كقوله تعالى فى النساء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أى من يضلل الله عن الهدى فلن تجد له سبيلا أى هدى الثامن الحجة كقوله تعالى فما جعل الله لكم عليهم سبيلا أى حجة التاسع الطريق كقوله تعالى فى النساء والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا أى طريقا الى المدينة العاشر العدوان كقوله تعالى فى حمعسق ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل أى من عدوان انما السبيل على الذين يظلمون الناس الحادى عشر الطاعة كقوله تعالى فى الفرقان الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا أى طاعة الثانى عشر الملة كقوله تعالى فى يوسف قل هذه سبيلى أى ملتى (قال) السائل للمصطفى صلى الله عليه وسلم (صدقت) فيما أجبت به قال عمر (فعجبنا له) أى منه أو لاجله والتعجب حالة تعرض للقلب عند الجهل بسبب الشئ (يسأله) والسؤال قرينة عدم العلم (ويصدقه) لان هذا خلاف عادة السائل والتصديق قرينة العلم ثم زال تعجبهم باعلامه لهم انه جبريل عليه السلام لانه ظهر انه عالم فى صورة متعلم (قال فاخبرنى عن الايمان) هو لغة مطلق التصديق سواء كان مطابقا للواقع أم لا سواء تعلق بحكم شرعى أم لا واصطلاحا تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك تفصيلا فى التفصيلى واجمالا فى الاجمالى فمن علم اسمه كجبريل وجب الايمان به عينا ومن لم يعلم اسمه آمنا به اجمالا وكذلك الكتب والانبياء والرسل والمراد بالتصديق الاذعان والقبول لا مجرد نسبة الصدق له صلى الله عليه وسلم لئلا يلزم الحكم بايمان كثير من الكفار

وايا كلطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو معناه ترك ما في تعلقه بك الى ما لا شك فيه طالبا ان تقدر ذلك ورغبت وهنا
وارجع الى من حديث ان الحلال بين الخ اذ كرهناك يذكرهنا ويتمم به هذا المجلس فيصير هذا مستقلا فقد دار هذا الحديث على
الحاذق وقوله (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) بفتح أولهما وضمه والفتح أشهر وأفصح والله أعلم (المجلس الثاني عشر في الحديث
الثاني عشر الحمد لله الذي أحيا قلوب المؤمنين باتباع رحمته وألهمهم من حسن التوسل ما يدعون به عظيم أجر

وهتو بشه ووهب
لهم من مطايا الحزن
والبكاء ما يتوصلون به
الى منازل جنته ومغفرته
ورحمته فسبحانه من اله
شرفنا بكلمة التوحيد
وأدخل الينا سيد الخلق
والعبيد وجعل صلاتنا
عليه شفيعا بين يديه
فمن أراد تكفير الخطايا
والزلات وبذل العطايا
والصلات والحلول في
أعلى الدرجات فليكثر
من الصلاة على سيدنا محمد
سيد الاحياء والاموات
طيبوا بالصلاة عليه
مسالك قبوركم وزينوا
بها رسائل أعمالكم
صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحابته
واحشرنا والحاضرين في
زمرته آمين (عن أبي
هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا
يعنيه حديث حسن
رواه الترمذي وغيره)
اعلموا اخواني وفقني
الله واياكم لطاعته ان هذا

الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعرفون حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم الا انهم
بدعوا ولم يقبلوا ما جاء به قال تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
يعلمون انه الحق من ربهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وأورد على التعريف ان قوله بالضرورة
متعلق بقوله علم وهو يقتضي ان جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أمر ضروري لا يتوقف على نظر
واستدلال وليس كذلك فان فيه النظري وأجيب بان المراد بقوله بالضرورة انه شاع واشتهر بين أهل
الاسلام حتى صار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة (قال الايمان أن تؤمن) ان وصلتها في موضع
رفع خبر مبتدا محذوف أي الايمان هو ان تؤمن بالله وظاهر الحديث تغاير الايمان والاسلام لان جبريل
سأل عنهما سؤالين وأجيب عنهما بجوابين وفسر الاسلام باعمال الجوارح كالصلاة ونحوها والايمان
باعمال القلب وقد يتوسع فيطلق الايمان على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس فانه أمرهم بالايمان
ثم قال اتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان قيل
هذا تعريف للشيء بنفسه لان تؤمن مشتق من الايمان فالجواب كما قال الكرماني ان المراد من المحدود
الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوي ويظهر انه انما أعاد لفظ الايمان للاعتناء بشأنه تفخيما
لامره وهذا موافق لقول الطوفي هذا ليس من تعريف الشيء بنفسه بل هو من تعريف الشرعي باللغوي
لانه لغة التصديق وشرعا تصديق خاص وهو الايمان بالله وما ذكر بعده فكأنه قال الايمان شرعا
التصديق بهذه الاشياء كما يقال الصلاة شرعا هي الصلاة لغة وهي الدعاء وزيادة أمور أخرى وكلام صحيح
وقال الطيبي وقوله الايمان ان تؤمن يوهم التكرار وليس كذلك فان قوله ان تؤمن مضمن معنى
تعترف ولذلك عدى بالباء كأنه قيل الايمان اعتراف بالله ووثوق به وتعقبه الحافظ ابن حجر بان
التصديق أيضا يعدى بالباء فلا حاجة الى دعوى التضمين (بالله) أي بانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله
موصوف بصفة الكمال منزه عن سمة الاجسام (وملائكته) جمع ملك على غير قياس أو جمع ما
بتقديم الهمزة اذ هو من الالوكة وهي الرسالة ثم أخرت الهمزة عن اللام وحذفت تخفيفا لكثرة
الاستعمال ونقلت حركتها الى اللام وقال في النهاية جمع ملائك في الاصل ثم حذفت همزته لكثرة
الاستعمال اهـ والتأنيث للجمع وقيل للمبالغة وقد ورد بغير تاء كما قال القائل
* أبا خالد صلت عليك الملائك * وهي اجسام لطيفة نورانية أعطيت قدرة على التشكل باشكال
مختلفة تقدر على أفعال شاقة لا يقدر عليها البشر وهم قسمان قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق
والتنزه عن الشغل بغيره وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي الحديث اتاني ملك لم ينزل الارض قبلها قط برسالة من
ربي فوضع رجله فوق السماء الدنيا ورجله الاخرى ثابتة في الارض لم يرفعها وقد ورد ان لله ملكا لو
ثلث الكون وملكا يملأ ثلثيه وملكا يملأ الكون كله وقد ورد في عظم الملائكة ما هو فوق ذلك لا يقال
إذا ملأ الكون كله فاين يكون الآخر لانا نقول الانوار لا تتزاحم الا ترى انه لو وضع سراج في بيت

الحديث حديث عظيم وهو من الاحاديث التي عليها مدار الاسلام كما علم مما مر
(قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) بفتح الياء معناه ما لا تتعلق عنايته به والذي يعني الانسان من
الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه وسلامته في معاده وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه فان اقتصر الانسان على ما يعنيه من
الامور سلم من شر عظيم والسلامة من الشر خير كثير ومن بعض كلام السلف من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومن

ملائكة نور ولو أتينا بعده بألف سراج وسع البيت أنوارهم ذكره العارف بالله ابن عطاء الله عن شيخه المرسي وقد جاء في صفة الملائكة أحاديث منها ما أخرجه الترمذي وابن ماجه والبزار من حديث أبي ذر مرفوعا أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد الحديث ومنها ما أخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعا ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد وللطبراني نحوه من حديث عائشة وذكر في ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب قال الملائكة ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون قلت وفي قصة الملائكة مع ابراهيم وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون وأما ما وقع في قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التي يأكل منها الملائكة فليس بثابت وفي هذا وما ورد من القرآن الشريف رد على من أنكر وجود الملائكة من الملحدة اه قال الطيبي الاطيط صوت الاقتاب وأطيط الابل أصواتها وحنينها أي ان كثرت ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهو مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وانما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله والاشبه كما قال الحليمي أن لا يكتب لهم عمل اذ الملك هو الذي يكتب فكان يحتاج كل ملك الى آخر ولا يحاسبون أيضا اذ لا سيئات لهم وأما الاثابة فقد قيل يثابون برفع التكليف عنهم ويحتمل أن يكون وراء رفع التكليف عنهم نعمة أعدها الله لهم ولا نبالغها عقولنا فان الله تعالى يقول أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اه وذكر القرطبي في تفسير سورة القدر ان الروح طائفة من الملائكة جعلوا حفظة على غيرهم وقيل ان الملائكة ليسوا بحيوان لعدم صدق تعريفه عليهم حيث قيل فيه نام وليسوا كذلك وانما خلقوا كذلك (وكتبه) جمع كتاب وهو لغة ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض مصدر كتب أي جمع والكتب اصطلاحا ما أنزل الله على الانبياء اما مكتوبا على الالواح أو مسموعا من وراء حجاب أو من ملك مشافهة وخص الايمان بها لانها الكلام الازلي القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة في ألواح أو على لسان ملك وعدة الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مائة وأربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني الكتب مجموعة في القرآن ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة ومعانيها مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في بائها زاد بعضهم ومعاني الباء في نقطتها أي في ذلك اشارة الى الوحدة فهو الواحد الذي لا نظير له قاله الخطيب وذكر التتائي في شرح الرسالة خلافه ونصه * فائدة جملة الكتب المنزلة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون على ابراهيم ولا خلاف في هذا واختلفوا في عشرة فقيل أنزلت على آدم وقيل على موسى قبل التوراة والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم اه وفي شرح الشاذلي ما يوافق الاول والحق عدم حصرهم في عدد معين *(ورسله)* أي بانه تعالى أرسلهم الى الخلق لهدايتهم الى طريق الحق وتكميل معاشهم ومعادهم وانهم صادقون في جميع

سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه قال ابن العربي في هذا الحديث فيه اشارة الى ترك الفضول لان المرء لا يقدر أن يشتغل باللازم فكيف يتعداه الى الفاضل وقال ابن عبد البر كلامه صلى الله عليه وسلم هذا من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الالفاظ القليلة وهو مما لم يقله أحد قبله صلى الله عليه وسلم الا انه روي في صحف شيث وابراهيم على نبينا وعليهما وعلى جميع الانبياء أفضل الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال الفاكهاني رحمه الله هذا خاص بالكلام وأما الحديث فهو أعم من الكلام لان عما لا يعنيه التوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة والثناء وغير ذلك وقال بعض العلماء في هذا الحديث ان المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة فينبغي ان يحب له ما يحب لنفسه من حيث انها نفس واحدة ومصداقه الحديث المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر الجسد * وقال بعضهم المراد بهذا الحديث كف الاذى والمكروه عن الناس ويشبه معناه قول الاحنف بن قيس حين سئل عن تعلمت الحلم قال من نفسي قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيري لم أفعل بأحد مثله وذكر مالك في موطئه قيل للقمان ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وروى أبو عبيدة عن الحسن قال من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه (تنبيه) ينبغي للانسان أن يشتغل بما ينفعه من قراءة قرآن واستغفار وذكر ونحوه فان الشيطان يرضى منه بتضييع عمره من غير فائدة لعلمه بان عمره جوهر نفيس كل نفس منه لا قيمة له فاذا صرف الانسان عمره في طاعة سلم وغنم وقد ورد أن بكل تسبيحة صدقة وان من قرأ سورة الاخلاص عشر مرات بني له قصر في الجنة ومن قال سبحان الله والحمد لله الخ غرست له شجرة في الجنة فأين هذا من

فما أخبر وابه عن الله وبلغوا عنه وانهم بينوا المكلفين ما أمر وا ببيانه وانه يجب احترامهم وان لا نفرق بين أحد منهم وفي رواية للبخاري وبرسله وقدم الملائكة على الرسل والكتب نظرا للترتيب لان الله تعالى أرسل الملك بالكتاب الى الرسول لا لانهم أفضل من الانبياء لان الاصح ان الانبياء أفضل منهم وفي الافضلية طرق الاولى طريقة ابن الحاجب وجماعة وقول جماعة من الاشاعرة وأهل الحديث والتصوف انهم أفضل من الملائكة العلوية والسفلية لقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والملائكة من جملة العالمين وان الملائكة ولو غير رسل أفضل من غير الانبياء من البشر ولو كان وليا كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويقابله قول من قال من أهل السنة كالباقلاني والحليمي بافضلية الملائكة العلوية والسفلية على الانبياء ما عدا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لانه أفضل من الملائكة اجماعا كما ذكره الفخر الرازي والمراد اجماع من يعتد باجماعه وما وقع في الكشاف في تفسير قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية من أفضلية جبريل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو نزغة اعتزالية الثانية طريقة الآمدي والبيضاوي في قصر الخلاف على الملائكة العلوية وأما السفلية فلا اختلاف ان الانبياء أفضل منهم لقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا الثالثة طريقة الماتريدية وهي الراجحة عندهم أن خواص البشر وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة كجبريل وميكائيل وخواص الملائكة أفضل من عامة البشر والمراد بهم الصلحاء كأبي بكر وعمر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وأفضل الملائكة جبريل كما جزم به السيوطي وقال بعضهم أفضلهم اسرافيل قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بعد ما قرر ان خواص البشر أفضل من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الانبياء فقد ساد سادات الملائكة فصار أفضل من الملائكة بدرجتين وأعلى منهم بمرتبتين لا يعلم قدر تلك المرتبتين وشرف تلك الدرجتين الا من خاتم النبيين وسيد المرسلين المفضل على جميع العالمين ‌*(واليوم الآخر)* وهو من وقت الموت أو الحشر الى ما لا يتناهى أو الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وقال البيضاوي سمي بذلك لانه آخر الاوقات المحدودة وقال غيره لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم يعني من غير تقييد الا لما يعقبه ليل وقيل لانه آخر أيام الدنيا والمراد الايمان بما فيه من البعث والحساب وتطاير الصحف والميزان وادخال البعض الجنة بالفضل والبعض النار بالعدل الى غير ذلك مما ورد النص القاطع به وفي رواية والبعث الآخر وصفه بالآخر اما تأكيدا كأمس الدابر أو احترازا عن غير الآخر لانه احياء بعد اماتة وقد كنا ميتين قبل نفخ الروح فاحيينا بنفخها ثم متنا ثم أحيينا لسؤال الملكين ثم متنا ثم أحيينا للحشر فهذا هو الآخر (وتؤمن بالقدر) أعاد العامل اما لبعد العهد واما للاهتمام بشأنه اذ لا يعلمه الا الحاذق بامور الدين بخلاف الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر بتحريك الدال المهملة وقد تسكن من قدرت الشيء بفتح الدال مخففة اذا أحطت بمقداره وأل فيه عوض عن المضاف اليه أي بتقدير الله سبحانه الامور

واحاطته

لا يستفيد شيأ وأشر من ذلك ان يتكلم بكلمة يغضب بها مولاه أو يؤذي بها أخاه فقد ورد أن العبد ليتكلم بالكلمة من الشر لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب وربما كانت تلك الكلمة سببا في سنة سيئة يستمر العمل بها بعده فلا يزال يعذب في قبره ما دام يعمل بها فقد قيل يا ويل من مات ولم تمت سيآته لان العبد اذا مات انقطعت أعماله الا من عمل عملا صالحا يعمل به من بعده كعلم أو وقف نسال الله حسن العاقبة وفي الخبر مرفوعا ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يريد بها الا أن يضحك القوم بها يهوي بها بعد ما بين السماء والارض وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم وان أبعد القلوب من الله القلب القاسي (مواعظ تتعلق بالامانة تتميما للمجلس) قال الله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها قيل المراد من الآية جميع الامانات وعن البراء بن عازب وابن مسعود وأبي بن كعب الامانة في كل شيء الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والكيل والوزن والودائع وقال ابن عمر خلق الله تعالى فرج الانسان وقال هذه لامانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها * واعلموا أن في كل عضو من أعضاء الانسان أمانة فامانة اللسان أن لا يستعمله في كذب أو غيبة أو بدعة أو نحوها وأمانة العين أن لا ينظر بها الى محرم وأمانة الاذن أن لا يصغي بها الى استماع محرم وهكذا سائر الاعضاء فهذه كلها أمانات مع الله تعالى وأما مع الناس فرد الودائع وترك التطفيف في كيل أو وزن أو ذرع وشر التجار من اذا اشترى أرخى الذراع واذا باع شد الذراع وأمانة الامراء العدل في الرعية وأمانة العلماء في العامة أن يحملوهم على الطاعات والاخلاق الحسنة وينهوهم عن المعاصي وسائر القبائح كالتعصبات الباطلة وأمانة المرأة في حق زوجها أن لا تخونه في فراشه أو ماله ولا تخرج من بيته بغير اذنه وأمانة العبد في حق سيده أن لا يقصر في خدمته

ولا يخونه فى ماله وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى ذلك كله بقوله كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وأما الامانة مع النفس فبأن يختار لها الانفع فى الدين والدنيا وأن يجتهد فى مخالفة شهواتها وارادتها فانها السم الناقع المهلك لمن أطاعها فى الدنيا والآخرة قال أنس رضى الله عنه فما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقد عظم الله تعالى أمر الامانة فقال انا عرضنا الامانة أى التكاليف التى كلف الله بها عباده من امتثال الاوامر واجتناب النواهى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أى آدم عليه السلام انه كان ظلوما أى لنفسه بقبوله تلك التكليفات الشاقة جدا جهولا أى بمشاقها التى لا تتناهى وليتأمل قوله تعالى ان الله لا يهدى كيد الخائنين فانه شدد كيد من خان أمانته وقيل ان الله تعالى خلق الدنيا كالبستان وزينها بخمسة أشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة الصلحاء ونصيحة المستشار وأداء الامانة فقرن ابليس مع العلم الكتمان ومع العدل الجور ومع العبادة الرياء ومع النصيحة الغش ومع الامانة الخيانة وفى الحديث أول ما يرفع من الناس الامانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل ولا خير فيه وفيه اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وفيه اضمنوا لى أشياء أضمن لكم الجنة أصدقوا اذا حدثتم وأوفوا اذا وعدتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم وفيه اكفلوا لى أشياء أكفل لكم الجنة الصلاة والزكاة والامانة والفرج والبطن واللسان وفيه ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم انى بك فلا أقطع والامانة تقول اللهم انى بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم انى بك فلا أكفر وفيه يؤتى بالعبد يوم القيامة وان قتل فى سبيل الله فيقال له أد أمانتك فيقول أى رب كيف وقد ذهبت الدنيا فيقال انطلقوا به الى الهاوية ويمثل له الامانة كهيئتها يوم دفعت اليه فيراها

واحاطته بها علما ثم قدره بالابدال (خيره وشره) الخير الطاعة والشر المعصية أى بأن الله تعالى قدر الخير والشر فى القدم وان ذلك سيقع فى أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة والاظهر انه بدل كل وأما قول ابن مالك انه بدل بعض فغير ظاهر الا أن يقال ان ذلك باعتبار كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه وفى رواية لمسلم وبالقدر كله وفى رواية عطاء عن ابن عمر بزيادة حلوه ومره والحلو ما تستطيبه النفس وتميل اليه كالغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات والمر ما تكرهه النفس وتنفر منه كالجدب والقحط والمرض والبلاء ولما كان الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء لم يتعرض له وقد خاض فيه قوم وأمسك عنه آخرون تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا وبانه سر ليس لمن عرفه أن يفشيه ولذا لما سئل عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال طريق مظلم لا سبيل اليه فأعيد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فأعيد السؤال فقال سر الله قد خفى علينا فلا نفشيه وأما من خاض فيه فقال القضاء ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه والقدر ايجاده اياها على ما يطابق العلم فالقضاء بمنزلة الاساس والقدر بمنزلة البناء والقضاء بمنزلة آلة الكيل والقدر بمنزلة المكيل والقضاء بمنزلة ما أعد للبس والقدر بمنزلة اللبس والقضاء بمنزلة تصوير النقاش الصورة فى ذهنه والقدر بمنزلة رسمها ونظم ذلك شيخنا الاجهورى فقال

ارادة الله مع التعلق * فى أزل قضاؤه فحقق

والقدر الايجاد للاشيا على * وجه معين اراده علا

وبعضهم قد قال معنى الاول * العلم مع تعلق فى الازل

والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وفى الحديث الرد على القدرية وهم قدرية أولى وهى تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالاشياء قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور أزلا ولم يتقدم علمه بها وانما يأتنفها علما حال وقوعها وهؤلاء انقرضوا قبل ظهور الشافعى رحمه الله واياهم عنى بقوله ان سلم القدرية العلم خصموا اذ يقال لهم أتجوزون أن يقع فى الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منعوا وافقونا وان أجازوا لزمهم نسبة الجهل اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقدرية ثانية وهم مطبقون على ان الله تعالى عالم بافعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف فى زعمهم أن أفعال العباد مقدرة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الاقدار والتمكين وقد اتفق لشخص منهم انه رفع رجله بحضرة رجل من أهل السنة وقال له انى رفعت رجلى عن الارض بقدرتى فقال له السنى فاذن ارفع الاخرى فلم يرد له جوابا وفيه رد أيضا على المعتزلة فى زعمهم انه تعالى لا يخلق الشر اذ لو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهى أكثر وقوعا من الطاعات لكان أكثر ما يجرى فى الوجود على خلاف ارادة رب الارض والسموات وذلك أمر لا يرضاه أمير بلد ولا زعيم قرية تعالى الله عما تقول المعتزلة علوا كبيرا وقد حكى انه دخل القاضى عبد الجبار المعتزلى على الصاحب ابن عباد وكان وزيرا بالمغرب فرأى عنده الاستاذ أبا اسحق الاسفرايينى امام أهل

فيعر فهاقيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى اذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وعد أشياء وأشد ذلك الودائع وقال صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك أى لا تقابله بخيانته الاهم وفقنا أجمعين آمين والحمد لله وحده * (المجلس الثالث عشر فى الحديث الثالث عشر) * الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين

* (عن) أبى حمزة (أنس ابن مالك) خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخارى ومسلم) * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث قاعدة من قواعد الاسلام الموصى به فى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولا شك ان النفس الشريفة تحب الاحسان وتجتنب الاذى فاذا فعل ذلك حصلت الالفة وانتظم حال المعاش والمعاد ومشت أحوال العباد (قوله لا يؤمن أحدكم) أى الايمان الكامل (حتى يحب لاخيه) أى فى الايمان من غير أن يخص بمحبته أحدا دون أحد لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ولانه مفرد مضاف فيعم قال ابن العماد رحمه الله الاولى أن يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب للكافر ما يحب لنفسه من دخوله فى الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام على الاسلام ولهذا كان الدعاء له بالهداية مستحبا (قوله ما يحب لنفسه) أى مثل ما يحب لنفسه والمراد ما يحب من الخير والمنفعة اذ الشخص لا يحب لنفسه الا الخير وفى رواية النسائى حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه أى ويبغض له مثل ما يبغض لنفسه ولفظه عند مسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه واعلم أن الخير

السنة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء فالتفت اليه عبد الجبار وعلم انه فهم مراده فقال له أفيريد ربك أن يعصى فقال له الاستاذ أفيعصى ربنا قهرا فقال له عبد الجبار أرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أساء فقال له الاستاذ ان كان منعك ما هو لك فقد أساء وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب وفى حياة الحيوان ان ملكا قال له منجموه انك تموت فى اليوم الفلانى فى الوقت الفلانى بلدغة عقرب فلما آن الوقت تجرد من ثيابه وركب فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ودخل به البحر حذرا فعطست فرسه فخرج من منخرها عقرب فربها الماء حتى تعلقت به فلسعته فمات وما أغناه الحذر من القدر وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى قال فحج آدم موسى وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أرسلنى فى حاجة فلم تتهيأ الا قال لو قضى كان ولو قدر كان وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عما يرويه عن ربه عز وجل من لم يرض بقضائى وقدرى فليطلب ربا سواى وعن على رضى الله تعالى عنه فى تفسير قوله سبحانه وتعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها وعن عثمان رضى الله تعالى عنه ان الكنز هو اللوح من ذهب فيه سبعة أسطر مكتوب فيها سبع كلمات عجبت لمن عرف الدنيا وهو يرغب فيها وعجبت لمن عرف الامور بالقدر كيف يغتم بالفوات وعجبت لمن عرف الحساب وهو يجمع المال وعجبت لمن عرف النار وهو يذنب وعجبت لمن عرف الجنة يقينا وهو يستريح وعجبت لمن عرف الله يقينا وهو يذكر غيره (قال صدقت قال فاخبرنى عن الاحسان) أراد به الاخلاص وأل فيه للعهد الذهنى المذكور فى الآيات الشريفة نحو للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وان الله يحب المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان اذ احسان العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ويتعدى بنفسه كاحسنت كذا اذا أتقنته وأكملته وأمكنته وبحرف الجر كاحسنت اليه اذا أوصلت اليه النفع وأصله من الحسن خلاف القبح وما هنا من الاول لان المقصود اتقان العبادة وقد يلحظ الثانى بان المخلص مثلا يحسن باخلاصه الى نفسه وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من الرياء كتمييز اللبن من فرث ودم سائغا للشاربين وقال سهل المرور فى الخلق وقيل ترك حب المدح على العمل وقيل سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه ولا شيطان فيفسده جاء فى الحديث المسلسل الربانى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى وانظر قوله لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه هل هو مبنى على ان عمل القلب لا يكتب أو على انه يكتب ويستثنى منه الاخلاص (قال) صلى الله عليه وسلم (ان

اسم جامع للطاعات والمباحات دنيوية وأخروية وقد جاء في حديث انظر أحب ما تحب أن تأتيه الناس اليك فأته اليهم وفي كلام بعضهم ارض للناس ما لنفسك ترضى (تنبيه) لابد أن يكون المعنى فيما يباح والا فقد يكون غيره ممنوعا شرعا وهو مباح له كحب الشخص وطء زوجته أو أمته فلا يدخل في هذا المعنى والتكلم على نكتة ظريفة تتعلق بالايثار مناسبة للمقام* اعلم أن الايثار أمر عظيم مدح الله تعالى أهله في كتابه الكريم فقال وبقوله يهتدى المهتدون ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون قال العلماء الايثار على أنواع ايثار في الطعام وايثار في الشراب وايثار في النفس والروح وايثار في الحياة* فأما الايثار في الطعام فقد روى أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهدى اليه رأس مشوى فقال أخي فلان وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليه وبعثه ذاك الى آخر فلم يزل يبعث به من واحد الى واحد حتى تداولته سبع بيوت فرجع الى الاول وفي ذلك نزل قوله سبحانه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل ان الآية نزلت في ضيف أضافه النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه الى بيت نسائه فقلن ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم ضيفي هذه الليلة فله الجنة فقال رجل أنا فانطلق به الى امرأته فقال لها أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال لها هيئي طعامك وأصلحي سراجك ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء ففعلت ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان وباتا طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله من صنيعكما أو من فعالكما فأنزل الله تعالى الآية (وحكى) عن ابن الحسين الانطاكي انه اجتمع اليه نيف وثلاثون نفسا في قرية تعرف بالري وكان لهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا

(أن تعبد الله) من عبد أطاع والتعبد والتنسك والعبودية الخضوع والذل يقال طريق معبد اذا ذلل بالارجل وفي رواية أبي هريرة وعمارة بن القعقاع أن تخشى الله فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود كالصلاة والقربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب اليه كالعتق والوقف والطاعة امتثال الامر والنهي كالنظر المؤدي الى معرفة الله تعالى قاله شيخ الاسلام (كأنك تراه) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانا لو قدرنا أن أحدا قام في عبادة ربه وهو يعاينه سبحانه وتعالى لم يترك شيأ مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح واجتماعه بظاهره وباطنه الا أتى به قال الكرماني فان قلت كأنك تراه ما محله من الاعراب قلت هو حال من الفاعل أي تعبد الله مشبها بمن تراه اه أي شبيها بمن تنظر اليه خوفا منه وحياء والاولى أن ينزل على معنى التشبيه ويكون التقدير الاحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيا له وهذا التقدير أحسن وأقرب للمعنى من تقدير الكرماني لان المفهوم من تقديره أن يكون هو في حال العبادة مشبها بالرائي اياه وفرق بين عبادة الرائي بنفسه وعبادة المشبه بالرائي بنفسه (فان لم تكن تراه) فاستمر على احسانك العبادة (فانه يراك) اذ هو القائم على كل نفس بما كسبت المشاهد لكل أحد من خلقه في حركته وسكونه وان الشرط وان لم تكن تراه جملة وقعت فعل الشرط فان قلت أين جزاء الشرط قلت محذوف تقديره فان لم تكن تراه فأحسن العبادة فانه يراك فان قلت لم لا يكون قوله فانه يراك جزاء الشرط قلت لا يصح لانه ليس مسببا عنه وينبغي أن يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء كما تقول في ان جئتني أكرمتك فان المجيء سبب للاكرام وعدمه سبب لعدمه وههنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى فان الله سبحانه وتعالى يراه سواء وجدت من العبد رؤية أم لم توجد وحكى عن محمد بن سكران وهو من مشاهير مشايخ بغداد المتأخرين انه وقف على قوله فان لم تكن وهو اشارة الى مقام المحو والفناء وتقديره فان لم تكن أي لم تصر شيأ وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فانك حينئذ تراه فانها الحجاب بينك وبين شهوده فان من ألقى الحجاب رأى الجناب وهو شبيه بما يحكى عن أبي يزيد فانه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف الطريق اليك فقال خل نفسك وتعال قال الصلاح الصفدي وغفل هذا القائل للجهل بالعربية على انه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الالف لانه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط وتعقبه الدماميني بقوله انما تصح هذه الدعوى التي عارض بها الصفدي لو كان الجواب في هذه الصورة مما يجب جزمه وهو ممنوع فقد نص الامام جمال الدين بن مالك في التسهيل على ان الشرط اذا كان منفيا بلم جاز رفع الجواب بكثرة وكفانا به حجة على أن الشراح قبلوا هذا منه ولم يتعقبوه وعليه فيصح قولنا ان لم يقم زيد يقوم عمرو ويتخرج عليه الحديث فلا يكون رفع الفعل المضارع الذي هو تراه مانعا من دعوى كونه جوابا للشرط اه وقوله ان تعبد الله كأنك تراه اشارة الى حال المشاهدة وقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة قال بعضهم من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه وسئل

ابن عطاء ما أفضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام الاوقات ورأى شخص مسافر غلاما يرعى
فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لى فقال قل لصاحبها ان الذئب أخذها
فقال الغلام وأين الله وقال أبو عبد الله الرازى سمعت أبا عثمان يقول قال لى أبو حفص ا
للناس فكن واعظ القلب لك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك و
يراقب باطنك (قال فاخبرنى عن الساعة) أى عن زمن وجودها ووقت قيامها لا عن نفسها الا
مقطوع بها وهى لغة مقدار ما من الزمان غير معين ولا محدد لقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة وفى عرف
أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزأ من أوقات الليل والنهار وفى عرف أهل الشرع عبارة
القيامة وهو المراد هنا وأصلها ساوعة بتحريك الواو قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
ساعة مع طول زمانها اما لوقوعها بغتة لانها تفجأ الناس فى ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة وا
حتى ان من تناول لقمة لا يصل حتى يبتلعها او حتى ان الرجلين يكون بينهما الثوب لا يتبايعا
تطويانه ولذا قال المفسرون فى قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم فيه ويموتون فى مكانهم واما لسرعة حسابها واما تسمية
البعض والمراد أول ساعاتها واما لانها على طولها كساعة عند الله على الخلق واما لانها على طولها
وأما المؤمنون فانها تكون عليهم كساعة لحديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى
وسلم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقلت ما أطول هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذ
بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا (قال ما المسؤ
ما نافية بمعنى ليس وفى رواية أبى فروة فنكس فلم يجبه ثم أعاد فلم يجبه ثلاثا ثم رفع رأ
فقال ما المسؤل (عنها) أى عن زمنها (باعلم) خبر ما وزيدت الباء لتأكيد معنى النفى (من السائل)
كلا ناسواء فى عدم العلم بزمن وقوعها ان الله عنده علم الساعة ان الساعة آتية أكاد أخفيها يسئلو
عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى الآيات وفى الصحيح مفتاح الغيب خمس لا يعلمها الا
الله تعالى وتلا ان الله عنده علم الساعة الآية قال مقاتل نزلت هذه الآية فى رجل من أهل البا
عبد الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان امرأتى حبلى فاخبرنى
وبلادنا جدبة فاخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرنى متى أموت وقد علمت ما
اليوم فاخبرنى ماذا أعمل غدا وأخبرنى متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الآية فان
عنها باعلم من السائل والمقام يقتضى أن يقال لست باعلم بها منك فالجواب انه أتى بذلك ا
بالتعميم تعريضا للسامعين بان كل مسؤل وكل سائل كذلك ووقع هذا السؤال والجواب بين
ابن مريم وجبريل لكن كان عيسى سائلا وجبريل مسؤلا كما أخرجه الحميدى فى أدراده عن
سال عيسى بن مريم جبريل عن الساعة فانتفض باجنحته وقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل
فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يدل على ان عنده منها علما والا

الزعفران واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع اذا الطعام على حاله ولم يأكل منهم أحد ايثارا لصاحبه على نفسه وقال ابن
الله صلى الله عليه وسلم أيها الرجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له (حكى) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه كا
مريضا فعولى من مرضه فاشتهى على جماعة سمكة مشوية فاتى اليه بها فلما وضعت بين يديه اذا السائل على الباب واقف يسأل
لغلامه ادفع اليه هذه السمكة فقال له انت أحببتها ولم تأكلها فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر
مما تحبون (وحكى) ان
ابراهيم بن أدهم وشقيقا
البلخى اجتمعا يوما فقال
شقيق لابراهيم كيف
تعملون اذا لم تجدوا شيأ
فقال ان أعطينا شكرنا
وان منعنا صبرنا فقال
شقيق هكذا عندنا كلاب
بلخ فقال ابراهيم كيف
تعملون أنتم فقال ان
أعطينا آثرنا وان منعنا
شكرنا فقام ابراهيم
وقبل رأس شقيق وقال
أنت الاستاذ * وأما
الايثار بالماء فحكى ان
جماعة استشهدوا
باليرموك فاتى اليهم بماء
وفيهم الروح فاتى الى
واحد منهم بالماء فاشار
اليهم ان اسقوا فلانا
فأتوا اليه فاشار اليهم ان
اسقوا فلانا وهكذا فاتوا
كلهم ولم يشربوا من الماء
ايثارا منهم لاصحابهم
* وأما الايثار بالنفس
والروح فما روى ان عليا
رضى الله عنه بات على
فراش رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاوحى الله
الى جبريل وميكائيل
عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه
بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله سبحانه اليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبيى محمد صلى الله
وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه و
رجليه وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب وربك يباهى بك الملائكة * وأما الايثار فى باب الحياة فعاد

تقتضي أن الله منفرد بعلمها فالجواب كما قال الحليمي ان معناه أنا النبي الاخير فلا يليني نبي آخر وانما تليني القيامة والحق كما قال جمع أن الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه الا انه أمره بكتم بعض والاعلام ببعض فان قلت ما الحكمة في أنه قال له صدقت فيما سبق دون ما هنا وما يأتي فالجواب ان مسلما زاد في رواية عمارة بن القعقاع قول السائل صدقت عقب كل جواب فبعض الرواة اقتصر وبعضهم أتم وفي الحديث دلالة على انه يطلب من العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم ولا يكون ذلك منقصا لمرتبته بل يستدل به على ورعه وتقواه ومن ثم سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي بقاع الارض أفضل فقال لا أدري حتى أسأل جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أسأل العالم ثم ذهب وأتاه فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار وقال علي كرم الله وجهه ما أبردها على كبدي اذا سئلت عما لا أعلم ان أقول لا أعلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا رضي الله تعالى عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري وقيل سئل عن أربعين فاجاب عن أربع وقال في الباقي لا أدري وكان يقول ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري (قال فاخبرني عن أماراتها) بفتح الهمزة بالجمع اذ هي بكسرها الولاية أي علاماتها ومنه سمي الشرط لانهم يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها وقيل مقدماتها وقيل صغارها وورها وقيل أوائلها وروي امارتها بالافراد والمراد أشراطها السابقة لا المقارنة والمضايقة كطلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة ومن ثم قال القرطبي أمارات الساعة قسمان ما يكون من نوع المعتاد وغيره والمذكور هنا الاول واما الغير المعتاد كطلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنة لها ومضايقة (قال ان تلد الامة) أي الجارية وفي رواية البخاري اذا ولدت الامة وهي كما قال الحافظ ابن حجر كالكرماني أولى لاشعارها بتحقيق الوقوع قال الكرماني ولهذا يصح ان يقال اذا قامت القيامة كان كذا الا ان قامت القيامة كان كذا بل يكفر قائله لاشعاره بالشك فيه اه ويتعين حمل كلامه على من عرف هذا المعنى واعتقده والاكثير اما تستعمل ان موضع اذا وبالعكس لاغراض وقد ثبت في علم المعاني وال في الامة لتعريف الماهية أو للعهد وعند الخطابي دون الاستغراق لعدم اطراد ذلك في كل أمة (ربتها) بتاء التأنيث أي سيدتها يقال فلانة ربة البيت أي سيدته وهن ربات الحجال وفي رواية أبي فروة ربها أي سيدها وفي رواية عثمان بن غياث اربابهن بلفظ الجمع وقد اختلف في معناه على أوجه الاول قال الخطابي وأكثر العلماء انه كناية عن كثرة السراري اللازمة لكثرة الفتوح والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم حتى تلد السرية بنتا أو ابنا لسيدها فيكون ولدها سيدها كابيه أي لان قوة الاسلام وبلوغ أمره غايته منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بقرب القيامة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان ابلاد الاماء كان موجودا حين المقالة والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم اتخاذهم سراري كان أكثره في صدر الاسلام والسياق يقتضي الاشارة الى وقوع ما لم يقع مما سيقع

عطاء انه قال سعي بشاب بالصوفية الى بعض الخلفاء وطعن فيهم بعنده فاخذوا النوري وأبا حزة وجماعة منهم فادخلوهم على الخليفة فامر بضرب اعناقهم فبادر النوري الى السياف ليضرب عنقه فقال له السياف مالك بادرت من بين اصحابك الى القتل فقال أحببت ان أوثر اصحابي بحياة هذه اللحظة فاعجب السياف وجميع من حضر فعله وأخبر الخليفة بذلك فرد أمرهم الى القاضي فتقدم اليه النوري فسأله عن الفرائض وسنن الشرائع فاجابه ثم قال وبعد هذا فان لله عبادا يا كاون بالله ويشربون بالله ويسمعون بالله ويلبسون بالله ويصدرون بالله ويردون بالله فلما سمع القاضي كلامه بكى بكاء شديدا ثم دخل على الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فمن الموحد ثم أطلقهم نفعنا الله بهم (سؤال) فان قيل كيف يحصل الايمان الكامل بالمحبة المذكورة في الحديث مع ان له اركانا أخر فالجواب ان ذكر المحبة مبالغة لانها الركن الاعظم نحو والحج عرفة أو هي مستلزمة لبقية الاركان (ولنختم المجلس بحكاية ظريفة) تتعلق باصطناع المعروف وان المعروف لا يضيع ولو مع غير أهله (حكي) ان رجلا كان يعرف بابن جبير وكان له ورد وكان ذا ورع يصوم النهار ويقوم الليل وكان مبتلى بالقنص فخرج ذات يوم يصيد اذ عرضت له حية فقالت يا محمد بن جبير أجرني أجارك الله فقال لها ممن فقالت من عدو ظلمني قال لها وأين عدوك قالت وراثي قال لها ومن أي أمة انت قالت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ففتحت ردائي وقلت ادخلي فيه قالت يراني عدوي قلت لها فالذي اصنع بك قالت ان أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى ادخل فيه قال اخشى ان تقتليني قالت لا والله لا اقتلك الله شاهد على بذلك وملائكته وأنبياؤه ورسله وحملة عرشه وسكان سمواته ان أنا قتلتك قال محمد ففتحت في فانسابت فيه ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة يعني حربة فقال يا محمد قلت وما تشاء قال القيت عدوي قلت

من عدوك قال حية قالت لا واستغفرت ربي من قولي لا مائة مرة وقد علمت أين هي ثم مضيت قليلا فاخرجت رأسها من فيّ وقالت
انظر هذا العدو فالتفت فلم أر أحدا فقلت لها لم أر أحدا ان أردت ان تخرجي فاخرجي فأرى انسانا قالت الآن يا محمد اختر لي
واحدا من اثنين اما ان أفتت كبدك واما ان أثقب فؤادك وادعك بلا روح فقلت يا سبحان الله أين العهد الذي عهدت الي واليمين
الذي حلفتيه وما أسرع ما نسيته قالت يا محمد لم نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة
على أي شئ فعلت المعروف مع غير أهله قلت لها ولا بد من ان تقتليني قالت لا بد من ذلك قلت لها فامهليني حتى أصير تحت هذا الجبل فامهد لنفسي موضعا قالت شأنك قال فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك منه الا ما كفيتني هذه الحية ثم مشيت فعارضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي من الدرن فقال لي سلام عليك قلت وعليك السلام يا أخي قال مالي أراك قد تغير لونك قلت من عدو قد ظلمني قال وأين عدوك قلت في جوفي قال لي افتح فاك قال ففتحت فمي فوضع فيه مثل ورق الزيتون أخضر ثم قال امضغ
وابلع فمضغت وبلعت قال فلم ألبث الا يسيرا حتى مغصني بطني ودارت في بطني فرميت بها من
أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل وقلت يا أخي من أنت الذي من الله علي بك فضحك ثم قال ألا تعرفني قلت لا قال انه لما كان بينك
وبين الحية ما كان ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع الى الله عز وجل فقال وعزتي وجلالي بعيني كل ما فعلت
الحية بعبدي وأمرني سبحانه وتعالى بالمجيء اليك وأنا يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعة ان انطلق الى الجنة فخذ ورقة

قرب قيام الساعة الثاني قال الجرمي انه كناية عن كون الارقاء بلدن الملوك فتكون أم الملاّ من
جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ويؤيده ان الرؤساء في الصدر الاول كانوا يستنكفون
غالبا عن وطء الاماء ويتنافسون في الحرائر ثم انعكس الامر سيما في أثناء دولة بني العباس لكن رواية
ربتها بالتأنيث لا تساعده لشذوذ كون الانثى ملكة الثالث انه كناية عن كثرة بيع المستولدات
لفساد الزمان حتى يشتري الولد أمه وهو عارف بها أو حيث لا يشعر فالعلاقة الاستواتية بالاحكام
الشرعية أو غلبة الجهل الناشئ عنه بيع أم الولد قال المؤلف وهذا لا يختص بامهات الاولاد بل
يتصور في غيرهن فان الامة قد تلد حرا بوطء غير سيدها بشبهة أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ثم تباع بيعا
صحيحا وتدور في الايدي حتى يشتريها ولدها الرابع ان ولد أم الولد لما كان سببا في عتقها بموت أبيه
أطلق عليه ذلك مجازا الخامس انه كناية عن كثرة عقوق الاولاد لامهاتهم فيعاملونهم معاملة السيد
أمته من الاهانة والسب وأطلق عليه ربها مجازا لذلك ويستأنس له برواية ان تلد المرأة بعلها وبخبر لا تقوم
الساعة حتى يكون الولد غيظا السادس ان المراد بالرب المربي فيكون حقيقة قال الحافظ ابن حجر وهذا
أوجه الاوجه عندي لعمومه ومحصله ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الامور بحيث يصير المربي
مربيا والعالم متعلما والسافل عاليا وأيد بانه المناسب لقوله في العلامة الاخرى وان تصير الحفاة العراة
ملوك الارض وحينئذ فقول بعضهم في الرد عليه انه أنس باوجه الاوجه بل أضعفها الا ان النبي صلى الله
عليه وسلم انما عد هذا من أشراط الساعة لكونه على نمط خارج على وجه الاستغراب دال على فساد
أحوال الناس والذي ذكره ليس من هذا القبيل غير ظاهر نعم الانصاف ان قوله ربتها بالتأنيث يقدح
ووقع في بعض الروايات ان تلد الامة بعلها والصحيح ان البعل بمعنى السيد فتكون بمعنى ربها على ما سلف
قال أهل اللغة بعل الشئ ربه ومالكه قال تعالى أتدعون بعلا أي ربا كما قاله ابن عباس وغيره وعن ابن
عباس لم أدر معنى البعل حتى قلت لاعرابي لمن هذه الناقة قال أنا بعلها وضلت ناقة لبعض العرب
فجعل ينادي من رأى ناقة أنا بعلها فجعل الصبيان يقولون له زوج الناقة وقيل المراد هنا الزوج
ويكون معناه انه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الانسان أمه وهو لا يدري وهذا أيضا معنى صحيح
الا ان الاول أظهر لانه اذا أمكن حمل الروايتين في القصة الواحدة على معنى واحد كان أولى فان قيل
كيف أطلق الرب على غير الله وقد ورد النهي عنه بقوله لا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي
فالجواب ان الممنوع اطلاقه على غير الله بدون الاضافة وأما بالاضافة فلا يمتنع ان يقال رب الدار ورب
الناقة * (وان ترى الحفاة) * جمع حاف بالمهملة وهو من لا نعل برجله * (العراة) * من الثياب جمع عار
وهو المتجرد من الثياب التي تلبس على جسده وفي رواية الحفدة أي الخدمة وأل للعموم عند الخطاب
أو لتعريف الماهية لا الاستغراقية لقضاء العادة بان كلا منهم لا يحصل له ذلك * (العالة) * بتخفيف
اللام أي الفقراء جمع عائل من عال افتقر ككاتب وكتبة والالف في العالة منقلبة عن ياء والاصل
عيلة والعيلة باسكان الياء الفقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة * (رعاء) * بكسر أوله وبالمد جمع

خضرا فالحق بها عبدي محمد بن حمير يا محمد عليك باصطناع المعروف فانه يقي مصارع السوء وان ضيعه المصطنع اليه لم يضع عند الله عز وجل *(المجلس الرابع عشر في الحديث الرابع عشر)* الحمد لله على ما خص به من نعمه وآلائه حمدا أستجير به من أليم عقابه وبلائه والصلاة والسلام على خير أحبابه وأوليائه محمد وآله وصحبه وأزواجه وجميع أنبيائه اللهم سددنا في القول والعمل واعصمنا من الخطايا والزلل واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه البخاري ومسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان قتل الآدمي عمدا بغير حق من أكبر الكبائر بعد الكفر وقد سئل صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات وقال صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة (تنبيه) قبل الشروع في معنى الحديث تصح توبة القاتل عمدا لان الكافر تصح توبته فهذا أولى ولا يتحتم عذابه بل هو في خطر المشيئة ولا يخلد عذابه ان عذب وان أصر على ترك التوبة كسائر ذوي الكبائر غير الكفر وأما قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فالمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل تظاهرت على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم أو مخصوص بالمستحيل كما ذكره عكرمة وغيره

راع كجياع جمع جائع ويجمع أيضا على رعاة بضم أوله وهاء آخره مع القصر كقضاة جمع قاض وعلى رعيان كشاب وشبان والرعي حفظ الغير لمصلحته *(الشاء)* جمع شاة وهو من الجموع التي يفرق بينها وبين واحدها بالهاء كشجر وشجرة وتمر وتمرة زاد الاسماعيلي في رواية الصم البكم أي لم يستعملوا أسماعهم ولا ألسنتهم في علم ونحوه من أمر دينهم فلعدم حصول ثمرتي السمع والاسان صاروا كأنهم عدموهما ومن ثم قال الله تعالى في حقهم أولئك كالانعام بل هم أضل وفي رواية لمسلم رعاء البهم بفتح الباء الموحدة جمع بهيمة وهي صغار الضأن والمعز وقيل أولاد الضأن والمعز وقيل أولاد الضأن خاصة واقتصر عليه الجوهري وفي رواية البخاري رعاء الابل البهم بضم الباء لاغير جمع أبهم وهو الذي لا شية له قاله الكرماني وقال القاضي جمع بهيم وهو الاسود الذي لا يخالطه لون غيره وعلى رواية البخاري فيه وجهان الرفع صفة لرعاء والجر صفة الابل والمعنى على الرفع أنهم مجهولو الانساب وقيل سود الالوان وقيل الذين لا شية لهم وعلى الجر الابل السود لانها شر الابل عندهم وخيرها الحمر التي يضرب بها المثل فيقال خير من حمر النعم قال في الفتح ووقع في رواية الاصيلي بفتحها ولا يتجه مع ذكر الابل وانما يتجه مع ذكر الضأن أو مع عدم الاضافة وخص مطلق الرعاء لانهم أضعف الناس ورعاء الشاء لانهم أضعف الرعاء ومن ثم قيل رعاء الشاء أنسب بالسياق من رواية رعاء الابل البهم فانهم أصحاب فخر وخيلاء والسؤال عالة ولا فقراء غالبا ويجاب بأن فخرهم اغناهم بالنسبة لرعاء الشاء لا لغير الرعاء فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه برعاء الشاء أبلغ فان قلت القصة غير متعددة فكيف الجمع بين الروايتين فالجواب كما قال الهيتمي انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فقال رعاء الابل والشاء فحفظ راو الاول وآخر الثاني (يتطاولون في البنيان) أي يتفاخرون بطول البناء وكثرته وقد أخرج ابن أبي الدنيا عن عمار بن أبي عمار انه قال اذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودي يا أفسق الفاسقين الى أين ومثله لا يقال من قبل الرأي والتفاعل فيه بين أفراد العراة الموصوفين بما ذكر لا بينهم وبين غيرهم ممن كان حضرا قيل خلافا لمن وهم فيه وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية قلبية وحال ان جعلت بصرية ومعناه ان أهل البادية وأشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون أهل ثروة وشوكة فيملكون البلاد ويتوطنونها فيبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها وفيه اشارة الى كون الاسافل يصيرون ملوكا أو كالملوك وتولي الرياسة من لا يستحقها وتعاطي السياسة من لا يحسنها وفي الحديث يؤجر ابن آدم في كل شيء الا ما يضعه في التراب ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بنيانا ولا طوله وروى البيهقي في شعب الايمان عن الاعمش بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بناء أكثر مما يحتاج اليه كان عليه وبالا وفي رواية عبد الرحمن بن حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ما أنفق العبد من نفقته فعلى الله خلفها ضامنا فيه الا نفقة في بنيان أو معصية وعن عمر بن عبد العزيز انه كان لا يبني بيتا ويقول سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وعن ميسرة قال ما بنى عيسى عليه السلام بنيانا قط فقيل له ألا تبني بيتا فقال لا أترك بعدي شيئا

من الدنيا أذكره وعن ابن مطيع انه نظر يوما الى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا مانصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته ومن ثم صح لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع قال أهل اللغة لا لكع اللئيم والمرأة لكاع أي لئيم بن لئيم وصح أيضا من اشراط الساعة أن توضع الاخيار وترفع الاشرار قيل الامارات جمع وأقله ثلاثة على الاصح ولم يتكلم الا على اثنين فالجواب ان هذا ورد على من يرى ان أقله اثنان أو حذف الثالث لحصول المقصود بما ذكر كما قيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم أو ان المذكور من الاشراط ثلاثة والثالث بعض الرواة اقتصر على اثنين منها فذكر هنا الولادة والتطاول وذكر البخاري في التفسير الولادة ورؤية الحفاة وذكر في رواية أخرى الثلاثة وذكرها ابن العلامتين لحذر العاضرين وغيرهم منها والافالساعة علامات كثيرة كقبض العلم وكثرة الزلازل وكثرة الفتن وفيض المال حتى لايجد الرجل من يدفع له زكاة ماله وكثرة الهرج يعني القتل واضاعة الصلاة والامانة وأكل الربا وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة المشار اليها بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون قال الترمذي فتخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجوه المؤمنين بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل المائدة الواحدة يجتمعون فينادي بعضهم لبعض يامؤمن ويا كافر لايدركها طالب ولاينجو منها هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه وتقول يافلان الآن تصلي قيل وهذه الدابة هي الفصيل الذي صاح عليه السلام فلما عقرت أمه هرب وانفتح له حجر فدخلت فيه فانطبق عليها وهي وقت خروجها ولقد أحسن من قال

واذكر خروج فصيل ناقة صالح ۞ يسم الورى بالكفر والايمان

قال الشيخ محمد المصري في تفسيره وهي الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان وتسير في الارض لايدركها طالب ولاينجو منها هارب وقيل هي فصيل ناقة صالح وروى على خلقة الآدميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض وانها جمعت من خلق كل حيوان وتخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو المؤمن بالعصى وتختم أنف الكافر بالخاتم فيعلم من المؤمن وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولايؤمن كافر كما أوحى الله الى نوح ان يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انها تخرج من الصفا وروى انه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من تهامة وقيل من الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل غير ذلك ثم ان أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال معظم الارض خروج الدجال ثم نزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج والآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي طلوع الشمس من مغربها ولعل خروج الدابة في ذلك الوقت أو قريب منه

واذا انتقص منه الوارث أو عفا على مال أو مجانا فظواهر الشرع تقتضي سقوط المطالبة في الدار الآخرة كما أفتى به النووي وذكر مثله في شرح مسلم ومذهب أهل السنة ان المقتول لايموت الا بأجله والقتل لايقطع الاجل خلافا للمعتزلة فانهم قالوا القتل يقطعه (قوله صلى الله عليه وسلم لايحل دم امرئ مسلم) أي لايحل اراقة دمه اذ الاصل في الدماء العصمة عقلا وشرعا أما العقل فلما في قتله من افساد صورته المخلوقة في أحسن تقويم والعقل يأباه وأما الشرع فللنهي عنه في الكتاب العزيز بقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ونحوه والسنة الغراء بقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم وذكر المسلم هنا للتهويل والتعظيم فلا يفهم منه جواز قتل المعاهد والذمي ولا الصغير الكافر وان كان حربيا للنهي عن قتلهم (قوله صلى الله عليه وسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني) أي المحصن ذكرا كان أو أنثى والمراد رجمه بالحجارة الى أن يموت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بماعز والغامدية لما زنيا لان الثيب الزاني هتك عصمة الله تعالى فأبيح دمه وفيه مفسدة عظيمة فاقتضت الحكمة درأها بذلك وليعلم ان الزنا أكبر الكبائر بعد القتل ومن ثم قرنه الله تعالى بالشرك والقتل بقوله تعالى والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وسبب نزولها ان ناسا مشركين أكثروا من القتل والزنا فقالوا يامحمد ان ماتدعوا اليه حسن لو تخبرنا أن تكون لما عملنا كفارة فنزلت ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فسخط الله

منه وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس (فانطلق) السائل أي ذهب (فلبثت) بضم المثلثة للمتكلم اخبارا عن نفسه أي مكثت وفي رواية فلبث أي النبي صلى الله عليه وسلم يعني أمسكت عن الكلام (مليا) بتشديد المثناة التحتية من غير همز ومنه واهجرني مليا أي زمنا طويلا وجاء في رواية أبي داود والترمذي أنه لبث ثلاثا وظاهرها أنها ثلاث ليال ولا ينافيها ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس لأن عمر لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم بل كان قام اما مع الذين توجهوا في طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع مع من رجع لعارض فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال ولم يتفق الاخبار لعمر الا بعد ثلاثة ومليا من الملاوة وهي طول المدة يقال غبت عنه ملاوة من الدهر بالحركات الثلاث ومنه يقال لليل والنهار الملوان (ثم قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (يا عمر) تخصيصه من بين الصحابة بالذكر يدل على جلاله ورفعة مقامه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم (أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم) قال زين العرب في شرحه للمصابيح لم يقل أعلما لأن من التفضيلية مقدرة أي الله ورسوله أعلم من غيرهما اهـ وفيه حسن ما كان عليه الصحابة من مزيد الادب معه لردهم العلم الى الله واليه وكذا ذكره الشارح الهيتمي ومن المعلوم أن ذلك انما يحسن عده من الأدب لو كانوا يعلمون من السائل وردوا العلم اليه اجلالا له وهم كانوا غير عالمين قطعا الا أن يقال ان فيه حسن الادب من جهة تفويض العلم اليهما بخلاف لا نعلم (قال هذا جبريل) اسم سرياني غير منصرف للعلمية والعجمة وهو مركب من جبر وهو العبد وايل وهو الله أو الرحمن أو العزيز فمعناه عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز وذهب ابن العربي الى أن هذا وما شابهه اضافته مقلوبة كما هي في كلام العجم يقولون في غلام زيد زيد غلام فيكون ايل عبارة عن العبد وأوله عبارة عن اسم من أسمائه والاكثرون على الاول وجبريل له ستمائة جناح ومن وراء ذلك جناحان أخضران لا ينشرهما الا في ليلة القدر وله جناحان آخران لا ينشرهما الا عند هلاك القرى وقد ورد أنه اقتلع مدائن قوم لوط ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها وفيه لغات كسر الجيم والراء فمثناة تحتية ساكنة والثانية كذلك لكن الجيم مفتوحة والثالثة فتح الجيم والراء وبهمزة بعدها مثناة تحتية وبلا مثناة بعد الهمزة وفيه لغات أخر أوصلها بعضهم ثلاث عشرة لغة (أتاكم يعلمكم) بسبب سؤاله لأن الموصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب ونسبة التعليم اليه مجاز والا فالمعلم حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يعلمكم جملة حالية لكنها حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الاتيان معلما (دينكم) أي قواعده وكلياته واستفيد منه أن الدين مجموع الاسلام والايمان والاحسان ولا ينافيه أن الدين وحده يسمى اسلاما كما يصرح به ورضيت لكم الاسلام دينا لانه كما يطلق على الثلاثة يطلق على الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين اما بالاشتراك أو بالحقيقة والمجاز أو بالتواطؤ ففي الحديث أطلق الدين على مجموع الثلاثة وهو أحد مدلوليه وفي الآية اطلاقه على هذا الفرد وهو الآخر وأما الجواب بان دينا لا عموم له لانه نكرة ونصبه على التمييز والتقدير رضيت لكم الاسلام من

الخناس وعذاب النار وليعلم أيضا أن حد الزاني جلد مائة وتغريب عام ان كان غير محصن وأما المحصن وهو الحر المكلف الذي وطئ في نكاح صحيح ولو مرة في عمره فحده الرجم بالحجارة الى أن يموت كما قدمناه قال العلماء ومن مات من غير حد ولا توبة عذب بالنار بسياط من نار كما ورد أن في الزبور مكتوب بان الزناة يعلقون بفروجهم ويضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه وجاء في السنة الشريفة تغليظ عظيم للزاني لا سيما بحليلة الجار والتي غاب عنها زوجها وأعظم الزنا على الاطلاق الزنا بالمحارم وهو باجنبية لا زوج لها عظيم وأعظم منه باجنبية لها زوج وزنا الثيب أقبح من البكر وزنا الشيخ لكمال عقله أقبح من زنا الشاب والحر والعالم لكمالهما أقبح من القن والجاهل وفي ذلك أحاديث كثيرة وللزنا ثمرات قبيحة منها أنه يورد النار والعذاب الشديد ومنها أنه يورث الفقر ومنها أنه يؤخذ بمثله من ذرية الزاني ولما قيل لبعض الملوك ذلك أراد تجربته في بنت له وكانت غاية في الجمال أنزلها مع امرأة فقيرة وأمرها أن لا تمنع أحدا أراد التعرض لها بأي شيء شاء وأمرها بكشف وجهها وأنها تطوف بها في الاسواق فامتثلت فما مرت بها على أحد الا وأطرق رأسه منها حياء وخجلا ولم يمد أحد نظره اليها فلما قربت من دار الملك أراد الدخول بها فامسكها انسان وقبلها ثم ذهب عنها فادخلتها على الملك فسألها عما وقع فذكرت له القصة فسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله ما وقع مني في عمري قط الا قبلة واحدة لامرأة وقد قوصصت بها فيا اخواني السعيد من حفظ فرجه وغض بصره وكف يده وقيل ان بعض العرب عشق امرأة وأنفق عليها أموالا كثيرة حتى مكنته من نفسها فلما جلس بين شعبها وأراد الفعل ألهمه الله التوفيق ففكر ثم أراد القيام عنها فقالت له ما شأنك فقال من يبيع

جنة عرضها السموات والأرض بقدر هذا القليل الحقير بالساعة ثم تركها وذهب به ووقع لبعض الصالحين أن نفسه حدثته بفاحشة وكان عنده قنديل فقال لنفسه يا نفس إني أدخل أصبعي في هذه القنديل فإن صبرت على حرها مكنتك مما تريدين ثم أدخل أصبعه في القنديل حتى أحست نفسه أن الروح كادت تزهق منه من شدة حرها في قلبه وهو يتجلد على ذلك ويقول لنفسه هل تصبرين وإذا لم تصبري على حر هذه النار اليسيرة التي أطفئت

بالماء سبعين مرة حتى قدر أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حر

الدين وهو خصلة من الخصال الثلاثة فنبه بقوله ان الدين عند الله الاسلام فانه صريح في أن الاسلام جميع الدين لا بعضه (رواه مسلم) في كتاب الايمان

(الحديث الثالث)

(عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر) القرشي العدوي المكي وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي أخت عثمان بن مظعون أسلم بمكة قديما مع أبيه وهو صغير وهاجر معه ولا يصح قول من قال انه أسلم قبل أبيه وهاجر قبله ولم يشهد بدرا وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فرده ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه ثم اتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد العبادلة الاربعة وثانيهم ابن عباس وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص ورابعهم عبد الله بن الزبير ووقع في مبهمات النووي وغيرها ان الجوهري أثبت ابن مسعود منهم وحذف ابن عمرو وليس كذلك لانه مات قبل اشتهار الاربعة بالعبادلة وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية وثانيهم أبو هريرة وثالثهم ابن عباس ورابعهم عائشة وخامسهم جابر بن عبد الله وسادسهم أنس بن مالك وزاد العراقي في شرح الألفية سابعا وهو أبو سعيد الخدري وذكر بعضهم انهم سبعة فزاد الصديق موضع أبي سعيد وذكره وضع جابر سعدا ونظمهم بقوله

سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا * من الحديث عن المختار خير مضر

أبو هريرة سعد عائش أنس * صديقه وابن عباس كذا ابن عمر

فيؤخذ من مجموع ذلك انهم تسعة قلت وفي ذكر الصديق نظر لان جملة ما روى له مائة حديث واثنان وأربعون حديثا كما قاله المصنف في تهذيبه والسبب في قلة الرواية عنه مع تقدمه وسبقه وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم انه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه قال جابر ما منا الا من نالت منه الدنيا ونالت منه الا عمر وابنه وقال طاوس ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر ولا أحدا أعلم من ابن عباس وقال سعيد بن المسيب لو كنت شاهدا لاحد من أهل العلم انه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر وجلس في الحجر هو ومصعب وعروة وعبد الله بن الزبير فقال تمنوا فقال عبد الله بن الزبير أما أنا فأتمنى الخلافة وقال عروة أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم وقال مصعب أما أنا فأتمنى امارة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال عبد الله بن عمر أما أنا فأتمنى المغفرة فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وروى عنه أنه قال كان الرجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني كنت غلاما شابا عزبا فرأيت في النوم كان ملكين أخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البئر وأرى فيها أناسا قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لي لن تراع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان

جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفا فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر ولم يخطر لها بعد فنسأل الله تعالى التوفيق * واعلم أن اللواط من الكبائر وقد سماه الله تعالى فاحشة وخبيثة وأجمعت الصحابة على قتل فاعل ذلك وانما اختلفوا في كيفية قتله فذهب قوم الى أن حد الفاعل حد الزنا ان كان محصنا رجم وان لم يكن محصنا جلد مائة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن وقتادة والنخعي وبه قال الثوري والاوزاعي وهو أظهر قولي الشافعي رحمهم الله وذهب قوم الى غير ذلك والاحاديث في ذم اللواط كثيرة عافانا الله تعالى من ذلك آمين (قوله والنفس بالنفس) أي قتلها ظلما وعدوانا بما يقتل غالبا قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها أي في التوراة أن النفس بالنفس والعين بالعين الآية والمراد النفوس المتكافئة في الاسلام والحرية وشروط القصاص مذكورة في كتب الفقه فلتراجع منها وسبب قتل النفس بالنفس أن القاتل لما هتك عصمة النفس وهي عظيمة أخذت في مقابلتها نفسه المعصومة وهي مصلحة عظيمة ولكم في القصاص حياة (قوله والتارك لدينه) أي المرتد عنه لغير الاسلام والعياذ بالله تعالى فيقتل ان لم يعد الى الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه والردة أفحش أنواع الكفر (قوله المفارق للجماعة) وصف تام للتارك لدينه

تعالى

لانه اذا ارتد عن دين الاسلام فقد أخرج عن دين جماعتهم و يدخل فى هذا الوصف كل من خرج عن جماعة المسلمين وان لم يكن مرتدا كالخوارج وأهل البدع وعلى هذا قال القابسى رحمه الله يقاتل المرتد حتى يرجع الى دينه و يقاتل الخارج عن الجماعة حتى يرجع اليها وليس بكافر و يمكن أن يكون خروجه كفرا أو ردة والحكمة فى قتل التارك لدينه انه لما حل نظام عقد الاسلام حل قتله بالسيف ونحوه * واعلم ان المقصود بهذا الحديث بيان عصمة الدماء وما يباح منها وان الاصل فيها العصمة و يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها الى غير ذلك من الاحاديث (خاتمة المجلس) قال الغزالى رحمه الله تعالى لو زعم زاعم ان بينه و بين الله تعالى حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر وأكل مال السلطان كما زعمه بعض من ادعى التصوف فلا شك فى وجوب قتله وان كان فى خلوده فى النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لان ضرره أكثر اللهم ارزقنا التوفيق لأقوم طريق آمين يارب العالمين

(المجلس الخامس عشر فى الحديث الخامس عشر)

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله واصحابه ذوى الطبع السليم اللهم هب لنا قولا صادقا وعملا صالحا وفرجا عاجلا يا أرحم الراحمين (عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه رواه البخارى ومسلم) * اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم و جميع آداب الخير تتفرع منه كما ذكر بعضهم رحمه الله (قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى

يصلى من الليل فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل الا قليلا وفى رواية أخرى انه قال رأيت فى المنام كان بيدى قطعة استبرق ولا أشير بها الى مكان من الجنة الا طارت بى اليه فقصصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخاك رجل صالح أو ان عبد الله رجل صالح وعن عبد الله بن أبى عثمان قال كان عند عبد الله بن عمر جارية يقال لها رميثة فقال انى سمعت الله عز وجل يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وانى والله كنت لاحبك فى الدنيا اذهبى فانت حرة لوجه الله تعالى ولولا انى لا أعود فى شئ جعلته لله لنكحتها فانكحها نافعا وهى أم ولده وقال نافع كان ابن عمر اذا اشتد عجبه بشئ من ماله قربه لله عز وجل وربما تصدق فى المجلس الواحد بثلاثين ألفا وحج ستين حجة واعتمر ألف عمرة وحمل على ألف فرس فى سبيل الله واعتق ألف رقبة وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له أصحابه يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم الا ان يخدعوك فقال ابن عمر من خدعنا بالله انخدعنا له وراح على نجيب له قد أخذه بمال فلما أعجبه سيره اناخه مكانه ثم نزل عنه فقال يا نافع انزعوا زمامه ورحله وجللوه واشعروه وادخلوه فى البدن وعن أبى هلال ان عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك فقال انى لاشتهى حيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا واحدا فاخذته امرأته صفية بنت أبى عبيد وصنعته ثم قربته اليه فاتى مسكين حين وقف عليه فقال له ابن عمر خذه فقال أهله سبحان الله قد عنيت ومعنا زاد نعطيه فقال ان شوقى ما أريده وعن نافع انه اشتكى فاشترى له عنقود عنب بدرهم فجاء المسكين فقال اعطوه اياه فخالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به اليه فجاءه المسكين يسأل فقال اعطوه اياه ثم خالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم فاراد ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ماذاقه واعطاه ابن جعفر فى رقيقه نافع عشرة آلاف دينار فقال له عاصم بن محمد يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر ان تبيع فقال فهلا ما هو خير من ذلك هو حر لوجه الله عز وجل وعن ميمون بن مهران قال أتى ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار فى مجلس فلم يقم حتى فرقها وبعث اليه معاوية بمائة ألف فما حال الحول وعنده شئ منها وكان لا يسأل أحدا شيأ وكان يقول لا أسأل أحدا شيأ ولا أرد ما رزقنى الله وعنه أيضا ان امرأة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها أما تلطفين هذا الشيخ قالت فكيف اصنع به ما اصنع طعاما الا دعا اليه من يأكله فارسلت الى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه اذا خرج من المسجد فاطعمتهم وقالت لهم لا تجلسوا بطريقه ثم جاء الى بيته وقال أرسلوا الى فلان وفلان وكانت امرأته قد ارسلت اليهم بطعام وقالت اذا دعاكم فلا تأتوه فقال ابن عمر أردتم ان لا اتعشى الليلة فلم يتعش تلك الليلة وعن أبى بكر بن حفص انه كان لا يأكل طعاما الا وعلى خوانه يتيم وعن يحيى الغسانى انه جاءه سائل فقال لابنه اعطه دينارا فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا أبتاه فقال لو علمت ان الله عز وجل تقبل منى سجدة واحدة أو صدقة واحدة بدرهم واحد لم يكن غائب أحب الى من الموت أتدرى ممن يتقبل الله انما يتقبل الله من المتقين وشرب ماء مبردا فبكى واشتد بكاؤه فقيل له ما يبكيك فقال له ذكرت آية فى كتاب الله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون فعرفت

يوم القيامة سمى بذلك لانه لا ليل بعده ولا يسمى يوما الا ما عقبه ليل والمراد باذكر كال الايمان أو المبالغة فى ذلك (قوله فليقل خيرا) هو ما فيه ثواب من القول (قوله أو ليصمت) بفتح الياء وضم الميم وحقيقة الصمت السكوت مع القدرة على النطق فان توقف فيه فهو العى بكسر العين أو فسدت آلة النطق فهو الخرس * قال الله تعالى وقولوا قولا سديدا وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * وقال صلى الله عليه وسلم أمسك عليك لسانك وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم * وقال صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه الا ذكر الله أو أمرا بالمعروف أو نهيا عن المنكر والاحاديث فى ذلك كثيرة شهيرة فيا اخوانى ما أكثر آفات اللسان وقد عدت فوق العشرين آفة قال الامام الشافعى رحمه الله اذا أراد الشخص ان يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يرفع الله تعالى بها درجاته وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذى حديث حسن صحيح وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا أصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فانا نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن الاستاذ أبى القاسم القشيرى رحمه الله فى رسالته قال الصمت سلامة وهو الاصل والسكوت فى وقته صفة الرجال كما ان النطق فى موضعه اشرف الخصال ومما انشدوه

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

وقال الرقاشى رحمه الله تعالى

كم فى المقابر من قتيل لسانه

ان أهل النار لا يشتهون شيأ شهوتهم الماء البارد وقد قال الله عز وجل أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وكان اذا قرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله بكى حتى تغلبه البكاء وكان يقول لا يصيب عبد شيأ من الدنيا الا انتقص من درجاته عند الله عز وجل وان كان على الله كريما توفى بمكة عن أربع وثمانين وقيل ست وثمانين سنة وذلك سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين شهيدا فان الحجاج خطب يوما فأخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذى فيه عيناك فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فتغير من ذلك وأمر رجلا فسم زج رمحه أى الحديدة التى فى أسفله فزحمه فى الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض أياما ولما دخل الحجاج ليعوده قال لو أعلم الذى أصابك لضربت عنقه فقال عبد الله أنت الذى أصبتنى وأوصى أن يدفن فى الحل فلم تنفذ وصيته وصلى عليه الحجاج ودفن بذى طوى فى مقبرة المهاجرين وقيل بفخ بفتح الفاء وبالخاء المعجمة موضع بقرب مكة وقيل بالمحصب وقيل بسرف وكلها مواضع بقرب مكة بعضها أقرب الى مكة من بعض روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستمائة وثلاثون حديثا اتفق الشيخان منها على مائة وسبعين وانفرد البخارى منها بثمانين ومسلم باحد وثلاثين (رضى الله عنهما) أشار به الى أنه ينبغى لكل من ذكر صحابيا له أب صحابى أن يترضى عنهما (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى كلامه وفى نسخة النبى صلى الله عليه وسلم (يقول) فالمسموع الصوت لا الشخص كما مر (بنى) بالبناء للمفعول أى أسس (الاسلام) اذ أصل البناء يكون فى المحسوسات لا فى المعانى ففيه تشبيه معنوى بحسى فان المصطفى صلى الله عليه وسلم لبلاغته أراد أن يفيد أصحابه ما لا عهد لهم فصاغ لهم أمثلة من أساليب كلامهم ليفهموا بما يعرفون ما لا يعرفون ووجه الشبه أن البناء الحسى اذا انهدم بعض أركانه لا يتم فكذلك البناء المعنوى ولذا قال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وكذلك بقية المبانى وفى قوله بنى استعارة بالكناية وهى عند صاحب التلخيص أن يضمر التشبيه فى النفس ولا يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه والدلالة على ذلك التشبيه بذكر شئ من خواص المشبه به يسمى تخييلا لانه يخيل أن المشبه من جنس المشبه به فشبه الاسلام ببناء عظيم محكم له دعائم وأركانه الآتية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به وأسند اليه ما هو من خواص المشبه به وهو البناء وهو تخييل ويجوز أن تكون استعارة تبعية بان تقدر الاستعارة فى بنى والقرينة الاسلام شبه ثبات الاسلام واستقامته على هذه الاركان ببناء الخباء على الاعمدة الحسية ثم اشتق منه لفظ بنى فوقعت أولا فى المصدر ثم سرت فى الفعل والاول أظهر (على) متعلق بقوله بنى (خمس) أى دعائم كما صرح به عبد الرزاق فى روايته وفى رواية لمسلم خمسة أى خمسة أشياء أو أركان أو أصول قال الكرمانى وهنا دقيقة جليلة وهى ان أسماء العدد انما يكون تذكيرها بالتاء وتأنيثها بسقوطها اذا كان المميز مذكورا اما اذا كان محذوفا فيجوز الامران كما صرح به النحاة وذكره النووى فى شرح مسلم فى حديث من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله فان قيل قوله بنى

كأنت شهاب اتقاه الشيطان وقال بعضهم لعمرك ان في ذي لشفلا لنفتى من ذوي بني أميه على ربي حسابهم اليه تناهي علم ذلك لا اليه فليس بضائري ماقدأتوه اذا ما الله أصلح ما لديه (قوله ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى أي القريب منك في الجوار والنسب والجار الجنب أي البعيد منك في الجوار والنسب ٨٧ وقد وردت أخبار كثيرة في اكرام الجار والوصية به منها هذا الحديث ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ما تقولون في الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره ثم قال ما تقولون في السرقة قالوا حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام الى يوم القيامة فقال لان يسرق الرجل من عشرة ابيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره رواه الامام أحمد ومنها قوله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل يارسول الله لقد خاب وخسر من هو قال من لا يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه قال شره رواه البخاري ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل رواه أبو الشيخ ومنها ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال لا يصحبنا من آذى جاره فقال رجل من القوم انا بلت في حائط جاري فقال لا تصحبنا اليوم رواه الطبراني ومنها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رجل يارسول الله ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير انها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار قال يارسول الله ان فلانة يذكر من قلة

الاسلام على خمس يلزم عليه بناء الشئ على نفسه لان الاسلام هو هذه الامور الخمسة والمبني لابد ان يكون غير المبني عليه فالجواب ان المراد بالاسلام التذلل العام الذي هو اللغوي لا الشرعي الذي هو فعل الواجبات الثاني ان على بمعنى الباء أو بمعنى من كما في قوله تعالى الا على أزواجهم وقوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون ولا حاجة الى جواب بعضهم بان الاسلام عبارة عن المجموع والمجموع غير كل واحد من أركانه ومثاله البيت من الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها أوسط والبقية اركان فمادام الوسط قائما فمسمى البيت موجود ولو سقط مهما سقط من الاركان فاذا سقط الاوسط سقط مسمى البيت فالبيت بالنظر الى مجموعه شئ واحد وبالنظر الى أفراده أشياء اه فان قيل الاربعة الاخيرة مبنية على الشهادة اذ لا يصح شئ منها الا بعد وجودها فكيف يضم مبني الى مبني عليه ويدخلان في سلك واحد فالجواب انه يجوز ان يبنى أمر على أمر ويبنى على الامرين أمر آخر الثاني ان الاربعة ليست مبنية على الشهادة بل صحتها موقوفة عليها وذلك غير معنى بناء الاسلام على الخمس وقوله على الخمس وجه الحصر في الخمسة ان العبادة اما قولية أو غيرها الاولى الشهادتان والثانية اما تركية أو فعلية الاولى الصوم والثانية اما بدنية أو مالية أو مركبة منهما الاولى الصلاة والثانية الزكاة والثالثة الحج (شهادة) بجره مع ما بعده بدلا من خمس بدل كل من كل وهو الاحسن ويجوز رفعه بتقدير مبتدأ أي هي أو احداها أو خبر أي منها وهو أولى لايثارهم حذفه على حذف المبتدا الا ان الخبر كالفضلة بالنسبة اليه ويجوز نصبه باضمار أعني (ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله) اضافة تشريف قال الحافظ ابن حجر ولم يذكر الايمان بالملائكة وغيرهم مما في خبر جبريل لانه أراد بالشهادة تصديق الرسول في كل ما جاء به فيستلزم ذلك (واقام) أصله أقوام نقلت فتحة الواو الى الساكن قبلها فحذفت الواو لالتقاء الساكنين وعوض عنها التاء فيقال اقامة والمضاف اليه كما صرح به هنا بقوله (الصلاة) واقامة الصلاة كناية عن الاتيان بها باركانها وشروطها (وايتاء) أي اعطاء (الزكاة) الى أهلها أو الامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول للعلم به وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من فرق بين ثلاث فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة من قال اطيع الله ولا أطيع الرسول والله تعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن قال اقيم الصلاة ولا آتي الزكاة والله تعالى يقول أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى يقول أن اشكر لي ولوالديك وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه أي بكسر اللام والزاي بينهما هاء ساكنة يعني شدقيه أي بكسر الشين المعجمة وهي جانبا الفم ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الآية والشجاع من الحيات هو الحية الذكر الذي يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه وربما بلغ الفارس وربما يكون في الصحارى وقيل كل حية شجاع والاقرع من الحيات الذي تمعط رأسه وابيض من السم والزبيبتان بزاي معجمة مفتوحة فموحدة تثنية زبيبة ساكنة نقطتان منفتحتان في

صلاتها وصيامها غير انها تتصدق بالأثوار من الاقط ولا تؤذي جيرانها قال هي في الجنة رواه الامام احمد وغيره والاثوار جمع ثور وهي القطعة من الاقط بفتح الهمزة وكسر القاف شيء يتخذ من مخيض الغنم ومنها ما جاء عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله ما حق الجار على قال ان مرض عدته وان مات شيعته وان استقرضك أقرضته وان أعوز سترته وان أصابه خير هنيته وان أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها رواه الطبراني وفي رواية من طريق آخر لهذا الحديث فان اشتريت فاكهة فاهد له منها فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده رواه الخرائطي عن ابن عمر رضي الله عنهما وابن شعيب عن أبيه عن جده ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم رواه الطبراني ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه رواه البخاري ومسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هذه الكلمات فليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا قال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه الترمذي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم خير الأصحاب

جانب شدقيه من السم كالزغرتين ويكون ذلك في شدق الانسان اذا غضب وأكثر من الكلام وقال ابن دريد نقطتان سوداوان فوق عينيه ويقال يحدث فيه وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه وفي تلاوة الرسول الآية عقب ذلك دلالة على أنها نزلت في مانع الزكاة وفي الحديث ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها وجهه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وخصت هذه الثلاثة بالكي لبشاعته وشهرته في الوجه والجنب والظهر أو لانه أوجع وأشد ألما وقيل الوجه لتعبيسه في وجه السائل أولا والجنب لازوراره عن السائل ثانيا والظهر لانصرافه اذا أمعن السائل وقيل غير ذلك (وحج) بفتح الحاء لغة الحجاز وكسرها لغة نجد وكلاهما مصدران وقيل المكسور اسم والمفتوح مصدر (البيت وصوم رمضان) الاضافة فيهما من اضافة الحكم الى سببه لان سبب الحج البيت وهذا لا يتكرر لعدم تكرر البيت والشهر يتكرر فيتكرر الصوم ووقع في هذه الرواية تقديم الحج على الصوم وفي رواية لمسلم عن ابن عمر تقديم الصوم عليه وقدم الشهادتين لانهما ملاك الامر كله واصله اذ الباقي مبني عليهما ومشروط بهما وبهما النجاة في الدارين ثم الصلاة لان الله تعالى جعلها في كتابه العزيز تالية للايمان بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ولانها عماد الدين ويقتل تاركها ولشدة الحاجة اليها لتكررها في كل يوم وليلة خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة في أكثر المواضع ولانها قنطرة الاسلام ولاعتناء الشارع بها لذكرها أكثر من غيرها من الصوم والحج في الكتاب والسنة ولتسمية مانعها كافرا وغير ذلك ولهذا ذهب أكثر العلماء ثم الحج للتغليظات الواردة فيه من نحو ومن كفر فان الله غني عن العالمين ونحو قوله صلى الله عليه وسلم من لم تحبسه حاجة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فالتزم بقي الصوم آخرا وقوله من لم تحبسه حاجة أي من مرض أو نحوه وعلى الرواية الثانية تقدم الصوم على الحج لتقدم زمن وجوب الصوم لان وجوبه كان في السنة الثانية وفرضية الحج في سنة ست وقيل تسع بالمثناة الفوقية ولانه أعم وجوبا ولتكرره في كل عام ولوجوبه على الفور اجماعا بخلاف الحج ولان العبادة اما بدنية محضة أو مركبة منهما والمفرد مقدم على المركب طبعا فقدم عليه وضعا ليوافق الوضع الطبع وأفهم ظاهر الحديث ان الكافر لا يكون مسلما عند ترك شيء من الاربعة الاخيرة لكن صرفه عن ظاهره انعقاد الاجماع على ان العبد لا يكفر بترك شيء منها وأما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر فهو محمول على الزجر والوعيد أو مؤول بما اذا كان مستحلا أو محمول على كفران النعمة (فائدة) اعلم ان الحج يكفر الصغائر اتفاقا وكذلك الكبائر على الأظهر كما قاله الأبي وابن حجر وأما التبعات فقال القرافي لا يسقطها وظاهر كلام ابن حجر وغيره اسقاطه اياها للأحاديث الواردة على ذلك أجمعوا على عدم سقوط قضاء ما ترتب عليه من الصلوات والكفارات وحقوق الآدميين من دين وغيره اه قاله شيخنا على الأجهوري وحكى في شرحه على مختصر الشيخ خليل وقال الزواوي في شرح المختصر انه يكفر الصغائر والكبائر حتى التبعات على المعتمد اذا مات في الحج أو بعده ولم يمكنه أداؤها ولم يذكر في الحديث الجهاد مع انه المقصود الأعظم مع كونه ذروة سنام الامر كما يأتي لانه فرض كفاية يسقط باعذار كثيرة ولا يتعين الا في بعض الاحيان بخلاف

المذكورات

المذكورات في الحديث فانها فرائض اعيان بل قد ذهب جماعة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة وذكر انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين ونحوه لسحنون من أصحابنا الا أن ينزل العدو بقوم أو يأمر الامام بالجهاد فيلزم عند ذلك (رواه البخاري) في الايمان والتفسير رباعيا (ومسلم) في الايمان والحج خماسيا

(الحديث الرابع)

(عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود) بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب بن شمخ بن فارس بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وأمه أم عبد بنت عبدود بن سواء بن هذيل أيضا (رضي الله عنه) أسلم لما مر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لعقبة ابن أبي معيط فقال له يا غلام هل عندك من لبن تسقينا قال نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل قال نعم فأتاه بها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا فامتلأ ضرعها باللبن ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها فشرب منه وسقى أبا بكر رضي الله عنه ثم قال للضرع اقلص فقلص ويقال انه كان سادسا في الاسلام وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووساده ونعليه وطهوره في السفر وكان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته وكان خفيف اللحم قصيرا جدا نحو ذراع شديد الادمة وكان من أجود الناس ثوبا وأطيب الناس ريحا وكان دقيق الساقين أخذ يجتني سواكا من الاراك فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون فقالوا يا رسول الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد وفي رواية انه صعد شجرة فانكشف ساقه فضحك بعض القوم فقال عليه السلام لساق عبد الله في الميزان أثقل من أحد وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم ويمشي معه وأمامه بالعصا ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ارى الا ان ابن مسعود من أهل بيته وعن علقمة قال جاء رجل الى عمر وهو بعرفة فقال جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل فقال من هو ويحك قال عبد الله بن مسعود فما زال يطفأ ويسري عنه الغضب حتى عاد الى حالته التي كان عليها ثم قال ويحك والله ما أعلم أحدا بقي من الناس هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الامر من أمور المسلمين وانه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه فاذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته فما كدنا نعرفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد قال ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له سل تعطه سل تعطه قال عمر قلت والله لاغدون عليه ولابشرنه قال فغدوت اليه لابشره فوجدت أبا بكر قد سبقني اليه وبشره ولا والله ما سابقته الى خير الا سبقني اليه وكان قليل الصوم كثير الصلاة فقيل له في ذلك فقال لاني اذا

عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره ولقد بالغ بعض المجتهدين فجعل الجار كالشريك في اثبات الشفعة وكانت الجاهلية تشدد أمر الجار ومراعاته وحفظ حقه والجار يقع على الساكن مع غيره في بيت وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب وعلى من في البلد مع غيره لقوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ثم هو اما كافر فله حق الجوار فقط أو مسلم اجنبي فله حق الجوار والاسلام أو ذو قرابة فله حق الجوار والاسلام والقرابة قال صلى الله عليه وسلم والجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذي له حق واحد فالجار الذي له حق الجوار والذي له حقان الجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام والذي له ثلاثة حقوق الجار القريب المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وذكر الزمخشري في ربيع الابرار انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يدفع بالمؤمن الواحد عن مائة ألف بيت من جيرانه البلاء وفيه بشارة عظيمة وليعلم ان من كان أقرب مسكنا آكد من غيره لما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدى قال الى أقربهما منك بابا ومن اكرام الجار ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعهد جيرانك حث صلى الله عليه وسلم على مكارم الاخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة فان الجار قد يحصل له الاذى برائحة الطعام من بيت جاره وربما يكون له أطفال صغار واذا شموا رائحة الطعام حصل لهم بذلك تشوف ان لم يرسل لهم منها شيأ يكسر شهوتهم التي أثارها طعام الجار ولانه يعظم على الذي هو قائم على الاطفال أن يشترى لهم مثله لاسيما ان كان فقيرا أو كانت امرأة أرملة ومعها أيتام ومثل هذه الواقعة

تهى انى فرقت بين يوسف وأبيه كما قيل ان الله عز وجل أوحى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال
لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت عن جارك وأكلت ولم تطعمه هكذا نقل عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى والله أعلم وينبغى
لك اذا أهدى اليك جارك أو صاحبك أو قريبك هدية أن تقبلها منه ولا تحتقرها لقوله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنين وفى رواية
يا نساء الانصار لا تحقرن احداكن لجارتها ولو كراع شاة (قوله صلى الله عليه وسلم ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليكرم ضيفه) أى لانه من اخلاق الانبياء والصالحين وآداب الاسلام وكان الخليل عليه الصلاة والسلام يسمى أبا الضيفان وكان يمشى الميل والميلين فى طلب من يتغدى معه وقد أوجب الضيافة ليلة واحدة الليث بن سعد رضى الله عنه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم وحمله عامة الفقهاء على الندب وأنها من مكارم الاخلاق ومحاسن الدين لقوله صلى الله عليه وسلم فى الضيف وجائزته يوم وليلة والجائزة العطية والمنحة والصلة وذلك لا يكون الا مع الاختيار وقل استعمالها فى الواجب ومما يدل على الندب اقتران الامر بها بالامر باكرام الجار وتاول بعضهم الاحاديث على انها كانت فى أول الاسلام اذ كانت المواساة
واجبة أو كان ذلك للمجاهدين فى أول الاسلام لقلة الازواد أو على التاكيد كقوله غسل الجمعة واجب
وقد وردت أحاديث كثيرة شهيرة فى اكرام الضيف ومن فوائده انه يدخل البيت بالرحمة ويخرج بذنوب أهل المنزل * ولنختم
مجلسنا هذا بشئ يرشد الى حب المساكين ومجالستهم والرأفة بهم قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا
وبذى القربى واليتامى والمساكين وروى الترمذى عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احينى مسكينا

صمت ضعفت عن الصلاة والصلاة عندى أولى وعن الشعبى قال ذكروا أن عمر بن الخطاب لقى ركبا فى
سفر له فيهم عبد الله بن مسعود فامر عمر رجلا يناديهم من أين القوم فاجابه عبد الله أقبلنا من الفج
العميق فقال أين تريدون فقال عبد الله البيت العتيق فقال عمر ان فيهم عالما فامر رجلا فناداهم أى
القرآن أعظم فاجابه عبد الله الله لا اله الا هو الحى القيوم حتى ختم الآية فناداهم أى القرآن أحكم فقال
ابن مسعود ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية فقال عمر فنادهم أى القرآن أجمع فقال ابن مسعود فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال عمر فنادهم أى القرآن أخوف فقال ابن
مسعود ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به الآية فقال عمر فنادهم أى القرآن
ارجى فقال ابن مسعود قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال عمر
فنادهم أفيكم ابن مسعود قالوا اللهم نعم وعن مسروق قال قال عبد الله والله الذى لا اله غيره ما نزلت آية من
كتاب الله الا وانا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو اعلم ان أحدا اعلم بكتاب الله منى تناله المطية لاتيته وعن
مسروق انه قال انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ستة عمر وعلى وعبد الله بن مسعود
وأبى بن كعب وأبى الدرداء وزيد بن ثابت وجعل الشعبى أبا موسى الاشعرى بدل أبى الدرداء ثم انتهى
علم هؤلاء الستة الى رجلين على وعبد الله وعن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى عبد الله بن مسعود
سنة ما سمعته فيها يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول فيها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انه حدث ذات يوم بحديث يجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه الكرب حتى
رأيت العرق يتحدر من جبهته ثم قال ان شاء الله اما فوق ذلك واما قريب من ذلك واما دون ذلك
وكان يقول وددت أنى اذا مت لم أبعث وخرج ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم ألكم حاجة قالوا لا ولكن
اردنا أن نمشى خلفك قال ارجعوا فانه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن أبى الاحوص انه قال دخلنا على
ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة غلمان كانهم الدنانير حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا
كانكم تغبطونى بهم قلنا أى والله بمثل هذا يغبط المرء المسلم فرفع رأسه الى سقف بيت له قد عشش
فيه خطاف وباض فقال والذى نفسى بيده لان أكون نفضت يدى من تراب قبورهم أحب الى من
أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه وعن الحسن انه قال قال عبد الله بن مسعود ما أبالى اذا
رجعت الى أهلى على أى حال أراهم بسراء أم بضراء وما أصبحت على حال فتمنيت أنى على سواها
وجاء رجل فقال له أوصنى يا أبا عبد الرحمن فقال ليسعك بيتك واكفف لسانك وابك على خطيئتك
ولى قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم سار الى المدينة ومرض بها ودخل
عليه عثمان بن عفان فى مرض موته فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمة ربى قال ألا
آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضنى قال ما تركت لولدك قال انى لا أخشى عليهم الفقر بعد ما علمتهم
سورة الواقعة يقرؤنها كل ليلة ومات بالمدينة على الاصح وقيل مات بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين
عن بضع وستين سنة وكفن فى حلة بمائتى درهم وصلى عليه عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل
الزبير

وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا يا عائشة لا تردي المساكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم يقربك الله تعالى الى يوم القيامة وفي الترمذي أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وهو نصف يوم والجمع بين الحديثين ان الاربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني وأراد بخمسمائة عام الفقير الزاهد على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الى خمسمائة هكذا نقل عن بعضهم وقيل غير ذلك وعن وهب ابن منبه رحمه الله قال أصابت بني اسرائيل شدة وعقوبة فقالوا لنبي لهم وددنا أنا نعلم ما يرضي ربنا فنتبعه فاوحى الله تعالى اليه ان أرادوا رضائي فليرضوا المساكين فانهم اذا أرضوهم رضيت واذا أسخطوهم سخطت عليهم ذكره الامام أحمد في كتاب الزهد له (ويحكى) أن سليمان بن داود عليهما السلام على ما آتاه الله من الملك كان اذا دخل المسجد فنظر الى مسكين جلس اليه ويقول مسكين جالس مسكينا فالسعيد من وفقه الله تعالى لحب المساكين اللهم وفقنا أجمعين والحمد لله رب العالمين

الزبير وهو الاشهر وكان صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما وصلى عليه ليلا ودفن بالبقيع بايصائه بذلك ولم يعلم به عثمان فعتبه على ذلك روى له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعون حديثا اتفقا منها على أربعة وستين وانفرد البخاري باحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين روى عنه الخلفاء الاربعة وكثيرون من الصحابة ومن بعدهم (قال حدثنا) أي أنشأ الناخبر احاديثنا وهو بمعنى أخبرنا وأنبأنا عند مالك والشافعي والجمهور ولمتأخري المحدثين ان حدثنا السامع من الشيخ وأخبرنا المقروء عليه وأنبأنا للاجازه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق) في جميع ما يقوله حتى قبل النبوة والصدق الخبر المطابق للواقع (المصدوق) أي المصدوق فيه أو الذي يأتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالى أو الذي صدق الله وعده والجملة حالية واعتراضية وهو كما قال الطيبي أولى لتعم الاحوال كلها وتؤذن بان ذلك من دأبه وعادته بخلاف الحالية لايهامها اختصاص ذلك ببعض الاحوال اه وعكس ذلك ابن صياد فانه كاذب ومكذوب ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان في أطم بني مغالة وقد قارب يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال لابن صياد ماذا ترى قال يأتيني صادق وكاذب وأرى عرشا على الماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر (ان) جزم ابن الجوزي بان الرواية بالكسر فقط وقال أبو البقاء لا يجوز في أن هنا الا الفتح لانها وما عملت فيه مفعول حدثنا فلو كسرت لكان منقطعا عن قوله حدثنا وجزم النووي في شرح مسلم بانه بالكسر على الحكاية وجوز الفتح وحجة أبي البقاء أن الكسر على خلاف الظاهر ولا يجوز العدول عنه الا لمانع ولو جاز من غير أن يثبت به النقل لجاز في مثل قوله أيعدكم أنكم اذا متم وقد اتفق العلماء على انها بالفتح وتعقبه القاضي جمال الدين الجويني بان الرواية جاءت بالفتح والكسر فلا معنى للرد قال ولو لم تجئ به الرواية لما امتنع جوازا على طريق الرواية بالمعنى وأجاب عن الآية بان الوعد مضمون الجملة وليس لخصوص لفظها فلذلك اتفقوا وأما هنا فالتحديث يكون بلفظه ومعناه (أحدكم) أي معشر بني آدم وخصهم بالذكر لان الانسان أشرف من البهائم لانه اجتمع فيه ما تفرق في غيره قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وأحد هنا بمعنى واحد فلذلك استعملت في الثبوت ويجوز استعمالها أيضا في النفي بخلاف أحد التي للعموم فانها لا تستعمل الا في النفي نحو لا أحد في الدار وأصله وحد قلبت الواو المفتوحة همزة على غير قياس بخلاف المضمومة كوجوه وأوجه فانه مقيس والمكسورة كوسادة وإسادة ووشاح وإشاح فانه قيل سماعي وقيل قياسي (يجمع) بضم الياء وسكون الجيم وفتح الميم مبنيا للمفعول من الجمع وهو ضم ما شأنه الافتراق والتنافر وقيل تقريب الاشياء بضم بعضها الى بعض أي يضم بعضه الى بعض بعد انتشار النطفة في سائر البدن تحت كل شعرة وظفر لان المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافقة متفرقا فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم في المدة المذكورة وقال ابن الاثير في النهاية يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم لتتخمر فيه حتى تتهيأ للتصوير

(المجلس السادس عشر في الحديث السادس عشر) الحمد لله الذي تنزه في كماله عن التشبيه والشبيه والمثال وتوحد في وحدانيته عن المؤانس والموازر والمشير وتغير الحال وتعالى في قدسه عن الصاحب والصاحبة فلا تدرك عظمته ولا تنال وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لهول السؤال وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي بصرنا من العمى وهدانا من الضلال ببعثه ولاه عما يؤيد به كلمة الدين على التفصيل والاجمال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما غرد قمري وناح حمام في الاطلال

الدين (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب فردد مرارا فقال لا تغضب رواه البخاري) * اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم يتضمن دفع أكثر شرور الانسان لان الشخص في حال حياته بين لذة وألم فاللذة سببها ثوران الشهوة كالأكل والشرب والجماع ونحو ذلك والألم سببه ثوران الغضب فاذا اجتنبه يدفع عنه نصف الشر بل أكثره

ولهذا لما تجردت الملائكة عن الغضب والشهوة سلموا من جميع الشرور البشرية وقد اختلفوا في هذا الرجل الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو جارية بن قدامة أو أبو الدرداء أو عبد الله ابن عمر أو غيره ولما سأل الرجل قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تغضب فردد) أي كرر السؤال (مرارا) بقوله أوصني يا رسول الله لانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية أبلغ منها أو أنفع (فقال لا تغضب) فلم يزده عليها لعلمه بعموم نفعها ونظير هذا ما وقع للعباس رضي الله عنه من قوله للنبي صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو به يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم سل الله العافية فعاوده العباس مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية أعطيت كل خير أو كما قال والغضب في حق الآدمي ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه الى الشخص وفي الحديث الغضب جمرة توقد في قلب عوت ابن آدم أما ترون الى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه وأما غضب الله تعالى فهو ارادة الانتقام ولا يخفى ان الغضب انما يذم حيث لم يكن لله تعالى أما اذا كان له تعالى فهو محمود ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا * (نكتة) * من أقوى أسباب دفع الغضب ودفعه التوحيد

(خلقه) كذا رواه مسلم ولفظ البخاري في التوحيد وأبي داود في السنة أن خلق أحدكم يجمع فتح فيكون وهو على حذف مضاف أي مادة خلقه وهو المني الذي يخلق منه أو انه عبر بالمصدر عن الجثة ومنه قوله تعالى يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ويجوز أن يقول ان الله تعالى خلق الخالق خلافا للكرامية الزاعمين منع ذلك أو هو بمعنى المفعول كقولهم هذا ضرب الامير أي مضروبه وهذا شهوة العليل أي مشتهاه (في بطن) أي رحم فهو من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء والرحم جلدة مستديرة معلقة بعرق فيها الى أسفل تنقبض ولا تدخل الا عند شهوة الجماع وأصلها من الرحمة لانه مما يتراحم به وذكر ابن القيم أنه داخل الرحم كالاسفنج وجعل فيه قبول للمني كطلب الارض العطشة للماء فجعله الله طالبا مشتاقا اليه بالطبع فلذلك تمسكه وتشتمل عليه ولا تزلقه بل تنضم عليه لئلا يفسده الهواء قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان للرحم أفواها وأبوابا فاذا دخل المني الرحم من باب واحد خلق الله عز وجل جنينا واحدا واذا دخل من بابين خلق منه ولدين واذا دخل من ثلاثة أبواب خلق الله منه ثلاثة أولاد فيكون عدد الاجنة بتعدد دخول المني من أفواه الرحم (أربعين يوما) زاد البخاري ليلة على الشك وفي رواية سلمة بن كهيل أربعين ليلة بغير شك وجمع بان المراد يوم بليلته أو ليلة بيومها (نطفة) أصلها الماء الصافي في القليل يقال نطفت قربتك أي قطرت ونطف الماء قطر وسمي المني بذلك لقلته وقيل سمي بذلك لنظافته وصفائه لانه من قولهم ماء ناطف أي سائل وأصل ذلك أن ماء الرجل اذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق منه جنينا هيأ أسباب ذلك لان في رحم المرأة قوتين قوة انبساط عند ورود ماء الرجل حتى ينتشر في جسدها وقوة انقباض بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوسا ومع كون المني ثقيلا بطبعه وفي مني الرجل قوة الفعل ومني المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالانفحة للبن وقيل في كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الاول في الرجل أكثر والمرأة بالعكس وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد الا في عقده وانه انما يتكون من دم الحيض وترده أحاديث الباب وحديث ان الله تعالى يخلق الولد وغضاريفه من مني الرجل وشحمه ولحمه من مني المرأة وما قيل من أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام وأخذ الميثاق من ذريته جعل بعض الماء في أصلاب الرجال وبعضه في أرحام الامهات فاذا اجتمع الماآن صارا ولدا وهو صريح قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم انه في الاربعين الاولى لا يختلط ماء الرجل بماء المرأة بل يكونان متجاورين لا يغير أحدهما الآخر وذلك كجمعه في البحرين الماء العذب والملح لا يغير أحدهما الآخر ولا يختلط به قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وفي الاربعين الثانية يختلط أحدهما بالآخر وفي الاربعين الثالثة يصور أعضاء الجنين وسيأتي بعد ذلك ما يتعلق بالتصوير وقد ورد في الحديث أن النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال يا رب مخلقة أم غير مخلقة فان قيل غير مخلقة قذفها في الارحام دما وان قيل مخلقة قال أي رب ذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الاجل ما الاثر بأي أرض

يموت فقال انطلق الى أم الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب فتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها (ثم) بعد تمامها (يكون) أي يصير (علقة) أي دما غليظا سمي بذلك لعلوقه أي ارتباطه ببعضه أو لرطوبته لانه يعلق بما يمر عليه فاذا جف لم يكن علقة والتاء فيها للوحدة أي علقة واحدة فان قلت قال تعالى خلق الانسان من علق والعلق جمع علقة فالجواب أن الانسان في معنى الجمع فلذا قال من علق وأيضا لتوافق رؤس الآي (مثل ذلك) الزمن الذي هو أربعون يوما يقرأ بالنصب صفة لعلقة (ثم) عقب الاربعين الثانية (يكون مضغة) أي قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ كالغرفة أي ما يغرف ومن ثم سميت مضغة (مثل ذلك) أي أربعين يوما وهي الاربعون الثالثة * (فائدتان) * ذكر الاطوار الثلاثة وكذا في القرآن العظيم فذكر النطفة والعلقة والمضغة وذكر في موضع آخر زيادة عليها فقال في سورة المؤمنون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم تنفخ الروح فيه وكان ابن عباس يقول خلق ابن آدم من سبع ثم يتلو الآية وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آدم عليه السلام خلقته الاولى من طين فاقام أربعين سنة ثم صار حمأ مسنونا فأقام أربعين سنة ثم صار صلصالا أي طينا يابسا يسمع له صلصلة أي صوت اذا نقر وقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح اه وقال الصوفية الاربعين لموافقة تخمير طين آدم وميقات موسى عليهما الصلاة والسلام لاختصاصهما بالكمال لتركبها من عشرة وأربع ولكل خاصية في الكمال أما الاول فانها غاية الآحاد من غير تكرار وأما الثاني فلانه استقر كل مستقيم البنيان على الاربعة أركان كالطبائع والفصول الاربعة والحيوان اه وحينئذ فوافق العدد بين مدة خلق آدم وخلق الجنين وذلك جعل الايام التي في خلق الجنين في مقابلة السنين التي في خلق آدم فلكل سنة يوم وموافقة الاطوار فالنطفة في مقابلة الطين والعلقة في مقابلة الحمأ المسنون والمضغة في مقابلة الصلصال فتبارك الله أحسن الخالقين قال مجاهد اذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها فان زادت على التسعة كان تماما لما نقص منه (ثم) اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (يرسل) بالبناء للمفعول اليه (الملك) وفي رواية البخاري يبعث الملك ولمسلم ثم يرسل الله الملك وأل فيه للعهد والمراد ملك مخصوص وهو الملك الموكل بالرحم قال ابن القيم الملك وحده يرسل اليه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه لان الله تعالى أرسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك فان قلت اذا كان المراد بالملك من جعل الله اليه أمر ذلك الرحم فكيف يرسل أو يبعث فالجواب كما قال القاضي عياض أن المراد أنه يؤمر بذلك واختلف في أول ما يتشكل من الجنين فقيل قلبه لانه الاساس وقيل الدماغ لانه مجمع الحواس وجمع بينهما بأن أول ما يتشكل منه من الباطن القلب ومن الظاهر الدماغ وقيل أول ما يتشكل منه السرة وقيل الكبد لان منه النمو المطلوب أولا ورجحه

الحقيقي وهو اعتقاد أن لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى وان الخلائق آلات ووسائط فمن توجه اليه مكروه من غيره وشهد ذلك التوحيد الحقيقي بقلبه اندفعت عنه آثار غضبه لان غضبه اما على الخالق وهو جراءة فاحشة تنافي العبودية واما على المخلوق وهو اشراك ينافي التوحيد المذكور ومن ثم خدم أنس رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعله لم فعلته ولا لشيء تركه لم تفعله ولكن يقول قدر الله ما شاء وما شاء فعل ولو قدر الله لكان وما ذاك الا لكمال معرفته عليه الصلاة والسلام بأنه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله تعالى ولا ينافي هذا ما صح من ضرب موسى عليه الصلاة والسلام الحجر الذي فر بثوبه حين اغتسل بعصاه حتى أثرت فيه لانه لم يغضب عليه غضب انتقام بل غضب تأديب وزجر لان الله تعالى خلق في الحجر المذكور حياة مستقرة فصار كدابة نفرت من راكبها أو انه غلب عليه الطبع البشري فانتقم منه كما غلبه الطبع البشري حين لف كمه على يده عند أخذ العصا حين صارت حية تسعى ومن طب الغضب المذموم الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والوضوء لقوله عليه الصلاة والسلام اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وانما تطفأ النار بالماء وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ فان قيل الغضب من الامور الضرورية التي لا يمكن دفعها بشيء فكيف أمر الشارع بالوضوء عنده فالجواب انه وان كان كما ذكر الا أن له آثارا مترتبة عليه يمكن دفعها ويعضده قول بعضهم الغضبان اما مغلوب للطبع الحيواني وهذا لا يمكن دفعه واما غالب للطبع بالرياضة فيمكن دفعه ولولا ذلك لكان قوله صلى الله عليه وسلم لا تغضب للرجل القائل له أوصني تكليفا بما لا يطاق ومن طب الغضب أيضا الانتقال من مكان الى مكان

واستحضار ما جاء في فضل كظم الغيظ أثنى الله تعالى في كتابه العزيز على كاظمي الغيظ فقال والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس وغير ذلك من الآيات وقد قال صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله تعالى عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته
ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وجاء ان الله تعالى يقول ابن آدم اذكرني اذا غضبت أذكرك اذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك
وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال صلى الله عليه وسلم
من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله أمنا وايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه وقال اذا كان يوم القيامة نادى المنادي أين العافون عن الناس هلموا الى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل امرئ مسلم اذا عفا أن يدخل الجنة والاحاديث الواردة في معنى هذا كثيرة شهيرة (حكي) ان بعض الناس قدم له خادمه طعاما في صحفة فعثر الخادم في حاشية البساط فوقع ما معه فامتلأ وجه الرجل غيظا فقال الخادم يا مولاي خذ بقول الله تعالى فقال الرجل وما قال الله تعالى فقال له الخادم قال الله تعالى والكاظمين الغيظ فقال الرجل كظمت غيظي فقال الخادم والعافين عن الناس فقال عفوت عنك فقال الخادم والله يحب المحسنين فقال أنت حر لوجه الله تعالى ولك هذه الالف دينار وقد كان مسعود
الشدي رحمه الله تعالى مولعا بقول القائل ليست الاحلام حين الرضا * انما الاحلام في حين الغضب وقال سفيان الثوري
والفضيل بن عياض وغيرهما أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع رزقنا الله ذلك آمين وخوف الرب سبحانه وتعالى
يدفع الغضب كما حكي عن بعض الملوك انه كتب في ورقة يذكر فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء اذكرني حين تغضب

بعضهم وفي ايجاده على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور الى طور مع قدرته تعالى على ايجاده كاملا
كسائر المخلوقات في طرفة عين فوائد الأولى انه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الام لكونها لم تكن
معتادة لذلك وربما لم تطقه فجعل أولا نطفة لتعتاد بها مدة ثم علقة مدة وهلم جرا الى الولادة وقد قال
الخطابي الحكمة في تأخير كل أربعين يوما أن يعتاد الرحم اذ لو خلق دفعة لشق على الام وربما لا تقدر
عليه الثانية اظهار قدرته تعالى وتعليمه لعباده التأني في أمورهم الثالثة اعلام الانسان بأن حصول
الكمال المعنوي له تدريجي نظير حصول الكمال الظاهر له (فينفخ فيه الروح) التي بها يحيا الانسان
وحقيقة النفخ اخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ وقد اختلف في الروح على أكثر من ألف قول
والمعتمد انه جسم لطيف سار في البدن مشتبك به اشتباك الماء بالورد وعروق الشجر ولا يلتفت لقول
من قال انها الدم لان من الحيوانات ما لا دم له ولقول من قال انها النفس الداخل الخارج لان من
الحيوانات ما لا يتنفس الا عند الموت كالسمك واسناد النفخ الى الملك مجاز عقلي لان ذلك من أفعال الله
كالخلق وقوله فينفخ فيه الروح أي ويتحرك فيما بين ذلك الى عشرة أيام وتحس أمه حينئذ بحركته
ولذلك صارت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا وظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح في المضغة وليس
مرادا بل انما ينفخ فيها بعد أن تتشكل تشكل ابن آدم وتتصور بصورته كما قال تعالى فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر أي ينفخ الروح فيه ولكن نقول ليس ظاهره ذلك لان
ظاهره ان الارسال بعد الاربعين الثالثة المنقضي اسم المضغة بانقضائها وتلك البعدية لم تحدد فيحتمل
انه بعد الاربعين الثالثة تصور في زمن يسير وبعد تصويره يرسل الملك فينفخ فيه الروح وقد صرح
القرطبي في المفهم ان التصوير تماما في الاربعين الرابعة لكن يرد على هذا انه جاء في حديث حذيفة
ابن أسيد عند مسلم اذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون وفي رواية اثنتان وأربعون ليلة وفي رواية خمس
وأربعون بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يا رب
أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك
ثم يقول يا رب رزقه فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص وأخرجه
الفريابي عن الطفيل عن حذيفة أيضا بلفظ اذا وقعت النطفة في الرحم ثم استقرت أربعين ليلة يجيء
ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه وشعره وبشرته ثم سمعه وبصره ثم يقول أي رب ذكر أم أنثى
الحديث قال عياض وحمله على ظاهره لا يصح لان التصوير بأثر النطفة وأول العلقة في أول الاربعين
الثانية غير موجود ولا معهود وانما يكون في آخر الاربعين الثالثة فمعنى قوله تصورها الخ انه يكتب
ذلك ويفعله في وقت آخر بعد ذلك بدليل قوله أذكر أم أنثى وأورد على قول القاضي ان التصوير
لا يكون الا في آخر الاربعين الثالثة انه شوهد التصوير في كثير من الاجنة في الاربعين الثانية والاشبه
في الجمع ان يقال ان رواية ابن مسعود باعتبار الغالب أو ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم
من يصور بعد الاربعين الاولى ومنهم من لا يصور الا في الاربعين الثالثة أو بعدها على ان حديث ابن

أذكرك حين أغضب وإلا سلطان الارض من سلطان السماء وويل لحاكم الارض من حاكم السماء ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الى فجعل الوزير كلما غضب الملك دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وقد جمع صلى الله عليه وسلم في قوله لا تغضب جوامع الدنيا والآخرة لان الغضب يؤدي الى التقاطع والتدابر والأذى ومنع الرزق *(خاتمة المجالس)* قال وهب ابن منبه رحمه الله كان عابد في بني اسرائيل أراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فخرج العابد ذات يوم الى حاجة له وخرج الشيطان معه لكي يجد منه فرصة فاراده من جهة الشهوة والغضب فلم يستطع منه بشيء فاراده من قبل الخوف وجعل يدلي عليه الصخرة من الجبل فاذا بلغته ذكر الله تعالى ولم ينل منه شيأ ثم تمثل له بالحية وهو يصلي وجعل يلتوي بقدميه وجسده حتى بلغ رأسه فاذا أراد السجود التوى في موضع رأسه فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه فجعل ينحيه حتى استمكن من الارض فسجد ولما فرغ من صلاته وذهب جاءه الشيطان وقال انا فعلت بك كذا وكذا فلم استطع منك شيأ وقد بدا لي أن أصادقك فلا أريد ضلالك بعد اليوم فقال له العابد لا يوم خوفتني بحمد الله تعالى خفت منك ولا لي اليوم حاجة في مصادقتك ثم قال ألا تسألني اليوم عن أهلك ما أصابهم بعدك فقال العبد مات قبلي قال أتسألني عما أضل به بني آدم قال بلى فاخبرني ما الذي تصل به الى اضلال بني آدم قال بثلاثة أشياء الشح والحدة والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قللنا ماله في عينه فيمنعه من حقوقه ويرغب في أموال الناس قال واذا كان الرجل حديدا أدرناه بيننا كما تدير الصبيان الكرة ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم نيأس منه فانه يبني ويهدم في كلمة واحدة قال واذا سكر قدناه الى كل سوء كما تقاد العنز باذنها حيث نشاء فقد أخبر الشيطان ان الذي يغضب يكون في يد الشيطان كالكرة في أيدي الصبيان سلمنا

مسعود القضية فيه مطلقة لا عموم فيها فتتأدى بصورة وقد وقعت في صور كثيرة أو انه عقب الاربعين الاولى يرسل الملك لتصوير العلقة تصويرا خفيا ثم يرسل في مدة المضغة أو بعدها فيصورها تصويرا ظاهرا ولذا قال بعضهم يحتمل ان الملك عند انتهاء الاربعين الاولى يقسم النطفة اذا صارت علقة الى أجزاء بحسب الاعضاء أو يقسم بعضها الى جلد وبعضها الى لحم وبعضها الى عظم فيقدر وذلك كله قبل وجوده ثم يتهيأ ذلك في آخر الاربعين الثانية ويتكامل في الاربعين الثالثة وأجاب بعضهم بان الجنين يغلب عليه في الاربعين الاولى وصف المني وفي الاربعين الثانية وصف العلقة وفي الثالثة وصف المضغة وان كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ثم ان نسبة التصوير الى الملك مجازية والمصور في الحقيقة هو الله تعالى لقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم وذهب بعض الاطباء الى ان التصوير يكون يوم السابع لتصريحهم بان المني اذا نزل في الرحم أزبد وأرغى لستة أيام أو سبعة وفيها يتصور من غير استمداد من الرحم ثم تستمد منه وتبتدأ خطوطه ونقطه بعد ثلاثة أيام من الاستمداد ثم في الخامس عشر ينفذ الدم الى الجميع فيصير علقة ثم تظهر الاعضاء ويتنحى بعضها عن مماسة بعض وتمتد رطوبة النخاع بعد تسعة أيام من صيرورته علقة ينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الاصابع قالوا وأقل مدة تصوير الذكر فيها ثلاثون يوما والزمان المعتدل في تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما وقد يتصور في خمسة وأربعين وعليه فما ورد من أن التصوير يكون بعد أربعين يوما محمول على ان المراد وما قارب ذلك والثلاثون وما بعدها قريبة منها وقال المقري في قواعده الولد يتحرك لمثل ما يتخلق له ويوضع لمثل ما يتحرك فيه وهو يختلف في العادة تارة اشهر فيتحرك لشهرين ويوضع لست وتارة اشهر وخمسة أيام فيتحرك لشهرين وثلث ويوضع لسبعة وتارة اشهر ونصف فيتحرك لثلاثة ويوضع لتسعة فلذلك لا يعيش ابن ثمانية ولا ينقص الحمل عن ستة اه وروي ان عبد الملك ابن مروان ولد لستة أشهر وقال بعض الاطباء ان الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرك للخروج فان تهيأ له الخروج خرج وعاش وان لم يتهيأ استريح في البطن عقب الحركة المتعبة المضعفة فلا يتحرك في الشهر الثامن للخروج ولهذا يقل تحركه في البطن أيضا وان اتفق تحركه في الشهر الثامن للخروج فيضعف الولد غاية الضعف وهو في نفسه غاية الضعف ولا يعيش وقال المنجمون ان في كل شهر يتولى الجنين كوكب من الكواكب السبعة المجموعة في قول القائل

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

ففي الشهر الاول التدبير فيه لزحل وفي الثاني للمشتري الى السابع وفيه التدبير للقمر وهو رطب مناسب للحياة وفي الثامن يعود الى زحل وهو بارد يابس بطئ الحركة وهو على مزاج الموت فيموت في الثامن وفي التاسع يعود الى المشتري وهو نير سعيد فيكون خير أوقات لولد عند انتقاله للتاسع ثم انه رتب الاطوار في الآية الشريفة بالفاء لان المراد انه لا يتخلل بين الطورين طور آخر ورتبها في الحديث بثم اشارة الى المدة التي تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور وانما عبر بثم بين النطفة والعلقة لان النطفة قد

الله تعالى من ذلك آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس السابع عشر في الحديث السابع عشر) * الحمد لله الذي سلك بنا
منهاج الصراط المستقيم واختص بالهداية من أتى إليه بقلب سليم أمات الله قلوبا بالمعاصي وأحيا قلوبا بالطاعة فسبحان من يحيي
العظام وهي رميم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من به يتوله وفيه يهيم وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي
الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما طار طائر وهب نسيم آمين * (عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه مسلم) * اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم جامع لقواعد الدين العامة كما سنبينه إن شاء الله تعالى (فقوله إن الله كتب الإحسان) أي أمر به وحض عليه والمراد به الإحكام والإكمال (قوله على كل شيء) أي إليه أو فيه ويحتمل أن تكون على على بابها أي كتب الإحسان في الولاية على كل شيء حتى ما يذكر إذ التحسين في الأعمال المشروعة مطلوب حق على من شرع في شيء منها أن يأتي به على غاية كماله ويحافظ على آدابه المصححة والمكملة له فإذا فعل على الوجه المذكور قبل وكثر ثوابه (قوله
فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) بكسر القاف أي الهيئة والحالة وبفتحها الفعلة من ذلك (قوله وإذا ذبحتم
فأحسنوا الذبحة) بكسر الذال كالقتلة وجاء في رواية فأحسنوا الذبح (قوله وليحد أحدكم شفرته) بضم الشين وقد تفتح وهي
السكين العظيمة ومثلها كل ما يذبح به (قوله وليرح ذبيحته) أي مذبوحته بإحداد السكين وتعجيل إمرارها وترك إحدادها وذبح
غيرها قبالتها وغير ذلك فقد روي أن سبب ابتلاء يعقوب بفرقة ولده يوسف عليهما السلام أنه ذبح عجلا بين يدي أمه وهي تخور فلم
الحيوان

لا يكون إنسانا وأتى بثم في آخر الآية تنبيها بقوله ثم أنشأناه خلقا آخر ليدل على ما يتجدد له بعد الخروج
من بطن أمه أما الإتيان بثم في أول القصة بين السلالة والنطفة فإشارة إلى ما يتخلل بين خلق آدم
وخلق ولده وقوله تعالى فكسونا العظام لحما وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة له (تنبيهان)
الأول اختلف في تقديم خلق الروح عن الجسم وتأخيرها عنه على قولين مشهورين الأول تقديم خلق
الروح على الجسم وبه جزم ابن حزم واستدل له بحديث إسناده ضعيف جدا وهو أن خلق أرواح العباد
قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والثاني ذهب إليه جماعة واستدلوا
بقوله في هذا الحديث إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما إلى أن قال ثم يرسل الملك فينفخ
فيه الروح وأجيب بالفرق بين نفخ الروح وخلقه الثاني مقر الروح في حال الحياة القلب على ما جزم به
الغزالي قال السيوطي وقد ظفرت بحديث يشهد له أخرجه ابن عساكر في تاريخه وانظر ما قاله الغزالي
فإنه لا يأتي على قول جمهور المتكلمين من أنها جسم لطيف شفاف حي لذاته سار في البدن كماء الورد في
الورد وأما مقرها فاستظهر بعض المتكلمين أنها بقرب القلب ومقرها بعد الوفاة مختلف فيه فأرواح
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة لقوله أولئك المقربون في جنات النعيم وأرواح السعداء من
المؤمنين قيل إنها في أفنية القبور اهـ ابن العربي وهو أصح ما ذهب إليه المتكلمون قال ابن عبد البر
وهي مع ذلك مأذون لها في التصرف وتأوي إلى محلها في عليين أو سجين (ويؤمر الملك) وهو عطف
على ينفخ (بأربع كلمات) وفي رواية بأربعة والمعدود إذا أبهم جاز تذكيره وتأنيثه والمراد
بالكلمات القضايا المقدرة وكل قضية تسمى كلمة وظاهر هذا الحديث أن النفخ قبل الكتابة
وظاهر رواية البخاري أن النفخ بعدها والأولى التعويل على رواية البخاري لأنها أصح ويمكن رد
هذا إليه بأن الواو لا ترتيب أو أن ما هنا من ترتيب خبر على خبر لا من ترتيب الأفعال المخبر عنها أو أن
الكتابة تقع مرتين الأولى في السماء والثانية في بطن المرأة ويحتمل أن تكون إحداهما في صحيفة
والأخرى على الجبين أو أن ذلك يختلف باختلاف الأجنة فمنهم من يكتب له قبل النفخ ومنهم من
يكتب له ذلك بعد والأول أولى وظاهر هذا الحديث أنه يؤمر بهذه الأربعة ابتداء وليس كذلك
بل إنما يؤمر بها بعد أن يسأل عنها بقوله يا رب ما الرزق ما الأجل ما العمل وهل شقي أو سعيد
(بكتب) ضبط بوجهين أحدهما بموحدة مكسورة وكاف مفتوحة ومثناة ساكنة ثم موحدة
بدل من أربع والأخرى تحتانية مفتوحة بصيغة المضارع على الاستئناف وفي رواية البخاري
فيكتب بزيادة الفاء وروي بفتح الياء فيهما مبني للفاعل أو للمفعول وهو أوجه لأنه وقع في رواية
آدم وأبي داود وغيرهما فيؤذن بأربع كلمات فيكتب وقوله يكتب أي على جبهته أو بطن كف
أو ورقة تعلق بعنقه قال مجاهد وقال القسطلاني والظاهر أن الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفة
وقد جاء في رواية لمسلم في حديث حذيفة بن رشيد ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص ووقع
في حديث أبي ذر فيقضي الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه (رزقه) أي تقديره
قليلا أو كثيرا أو صفته حلالا أو حراما أو مكروها وهو عند أهل السنة والجماعة ما ساقه الله تعالى إلى

ترجعها (ومن غريب) ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكى عن بعضهم انه دخل على بعض الامراء وقد أمر بذبح جملة من الغنم فذبح بعضها ثم اشتغل الذابح عن الذبح ثم عاد اليه في الحال فلم يجد المدية التي يذبح بها فاتهم بها بعض الحاضرين فانكر أخذها وحصل بسبب ذلك لغط فاذا رجل كان ينظر اليهم من بعيد وقال السكين التي تتخاصمون عليها أخذتها هذه الشاة بفمها ومشت بها الى هذه البئر وألقتها فأمر الامير شخصا بالنزول الى هذه البئر ليتبين هذا الامر فنزل فوجد الامر كما أخبر الرجل (قوله وليحد) بضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال وقوله (وليرح) بضم الياء وقد ذكرنا أن هذا الحديث جامع لقواعد الدين العامة وبيان ذلك وايضاحه ان الاحسان في الفعل هو ايقاعه على مقتضى الشرع أو العقل وهو ما يتعلق بمعاش الفاعل أو بمعاده فالاول سياسة نفسه وبدنه وأهله واخوانه وملكه والناس والثاني الايمان وهو عمل القلب والاسلام وهو عمل الجوارح كما قدمناه في حديث جبريل عليه السلام فان أحسن الانسان في هذا كله بان فعله على وجهه فقد حصل كل خير وسلم من كل ضير وما ذكرنا من الاحسان عام في كل شئ وقد أفرد صلى الله عليه وسلم بالذكر الرفق في القتل والذبح اما انه ضرب ذلك مثلا للاحسان اتفاقا لا عن مقتض خصه بالذكر وهو عمل الجوارح واما ان سبب الحديث الذي هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون في القتل بجدع الانف وقطع الايدي والارجل ونحو ذلك وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب ونحوه مما يعذب الحيوان أو لان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى فامر صلى الله عليه وسلم بالرفق في كل شئ فيا اخواننا عليكم بالرفق فانه ما كان في شئ الازانه ولا نزع الرفق من شئ الا شانه * (نكتة) * انظروا بعين البصيرة الى حكمة الله تعالى كيف لم يفرض الصلاة على العباد في أول الاسلام بل فرضها ليلة

الحيوان فانتفع به بالفعل أو لا وإن كان ماكولا أو غيره فيتناول العلم ونحوه ولان الرزق نوعان ظاهر للابدان كالقوت وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم وخرج به ما لم ينتفع به وعند المعتزلة انه المملوك مطلقا انتفع به أم لا وهو فاسد الطرد لدخول ملك الله تعالى فيه ولا يسمى رزقا وفاقا والا لكان مرزوقا وفاسد العكس لخروج رزق الدواب بل والعبيد والاماء عند بعض الائمة الذين يرون أن الرقيق لا يملك وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وسبب نزول هذه الآية الثانية انه لما آذى المشركون المؤمنين بمكة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزلها الله تعالى (وأجله) طويلا أو قصيرا وله اطلاقان أحدهما مدة الحياة الثاني منتهاها وهو الوقت الذي كتب الله في الازل انتهاء الحياة فيه ومنه قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وظاهر هذه الآية ان الاجل لا يزيد ولا ينقص وأما قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية فالضمير في قوله من عمره ليس عائدا على قوله من معمر الاول بل هو على طريقة عندي درهم ونصفه أي نصف مثله وأما قوله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره أي يزاد له فيه فليصل رحمه ففيه أجوبة أصحها كما قال النووي ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وصيانته أوقاته من الضياع وقيل ان الزيادة بالنسبة الى ما يظهر للملائكة واللوح المحفوظ لان الحق جواز وقوع المحو والاثبات في اللوح المحفوظ كصحف الملائكة وقيل ان المراد بالزيادة ذكره الجميل فكأنه لم يمت فان قلت ما فائدة تعلق الزيادة بصلة الرحم مع علم الله تعالى بوجودها فيحصل المعلق عليه أو بعدمها فلا يحصل والجواب ان ذلك للترغيب وقد ورد أيضا ان الصدقة تزيد في العمر وكذلك الدعاء وكذلك السلام على كل من لقيه وكذلك اسباغ الوضوء وكذلك حسن الخلق وكذلك المتابعة بين الحج والعمرة وكذلك حسن الجوار وكذلك تسريح الرأس مع اللحية ولذا قال ابن العماد في منظومته

ولازم الرأس بالتسريح مع ذقن * تكفى البلاء وتعطى فسحة الاجل

* (وعمله) * صالحا أو فاسدا * (وشقي) * في الآخرة خبر مبتدا محذوف أي وهو شقي وقدمه ليعلم انه كالخبر من عند الله ردا على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر * (أو سعيد) * فيها وكان ظاهر السياق أن يقول وسعادته وشقاوته فعدل عنه حكاية لصورة ما يكتب لانه يكتب شقي أو سعيد والمراد انه يكتب لكل واحد اما الشقاوة واما السعادة ولا يكتبان لواحد معا فلذلك اقتصر على أربع والا لقال خمس وقد قيل لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشي عليه ثم أفاق فقال أتاني الساعة ملكان فقالا لي قم نحاكمك بين يدي العزيز الحكيم فقرعت منهما فاذا ملك ثالث قد نزل من السماء فقال خليا عنه فانه كتب في بطن أمه سعيدا اه واختلف الاشاعرة والماتريدية في الشقاوة والسعادة فقال الاشاعرة هما أزليتان مقدرتان في الازل لا يتغيران ولا يتبدلان فالسعادة الموت على الايمان لتعلق العلم الازلي

المعراج وكذلك الصيام فرض في السنة الثانية من الهجرة وكذلك تحريم الخمر بعد وقعة أحد كل ذلك تعليم لعباده الحلم والصبر
وأخذ الامور على الاستدراج لئلا يعجلوا في أمورهم فان العجلة ندامة * (نكتة أخرى) * يؤخذ من قول الله تعالى واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين الى قوله وما ملكت أيمانكم الرأفة بالحيوانات والوصية
بها فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وأخرج النسائي عن النبي صلى الله عليه

بها كذلك والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من علم الله في الازل موته على
الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله في الازل موته على الكفر وان تقدم منه ايمان وعلى هذا
فلا يتصور في السعيد أن يشقى ولا في الشقي أن يسعد وقال الماتريدية السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر
والسعادة الاسلام والشقاوة الكفر وعليه فيتصور أن السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان وان الشقي
قد يسعد بان يؤمن بعد الكفر وان السعادة والشقاوة غير أزليتين بل يتغيران ويتبدلان ويتفرع على
ذلك مسئلة الاستثناء في الايمان فعند الاشاعرة يجوز أن يقال أنا مؤمن ان شاء الله تعالى نظرا للمآل
وهو مجهول الحصول في المستقبل ووافقهم الشافعي على ذلك وعند الماتريدية لا يجوز ذلك نظرا
للحال ووافقهم امامنا مالك والامام أبو حنيفة وأحمد لان الايمان يجب فيه الجزم ولا جزم مع التعليق
وقال ابن عبدوس من اتباع مالك بوجوب التعليق لما في تركه من الجزم الذى فيه تزكية النفس وقد
قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقد نظم ذلك بعض شيوخنا مع زيادة فقال

من قال اني مؤمن يمنع من * مقالة ان شاء ربي يا فطن * وذا لمالك وبعض تابعيه
يوجب أن يقال هذا يا نبيه * ومثل مالك للحنفي * والشافعي جوزه هذا اعرف
وامنعه اجماعا اذا أريد به * الشك في ايمانه يا منتبه * كعدم المنع اذا به يراد
تبرك بذكر خالق العباد * فالخلاف حيث لم يرد شكا ولا * تبركا فكن بذا محتفلا

فان قلت قد ورد في الحديث جفت الاقلام وطويت الصحف أي مضت المقادير بما سبق به علم الله في
الازل واذا كانت السعادة والشقاوة أزليتين فما معنى قوله في الحديث الآخر والشقي من شقي في بطن
أمه فالجواب ان معناه من علم الملك شقاوته حين السؤال عنه وهو في بطن أمه والمراد ان هذا أول زمن
اشتهار أمره بالشقاوة والسعادة للملائكة التخليق والا فالله تعالى أن يظهر سعادته وشقاوته ان شاء من
قبل ذلك كما نقل عن بعض العارفين انه كان يقول لم أزل أعرف تلامذتي وأنا بينهم في الاصلاب من يوم
ألست بربكم * (والذى لا اله غيره) * فيه الحلف من غير استحلاف ولا كراهة فيه لانه تعظيم لله تعالى
وأما قول عيسى عليه السلام لبني اسرائيل كان موسى ينهاكم أن لا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون وأنا
أنهاكم أن لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فهو خلاف شرعنا لانه صدر منه صلى الله عليه وسلم كثيرا
وأمره الله به فلا وجه لكراهته ويحتمل أن يكون كراهة عيسى خوف الكثرة منه فيؤول الى حلف
كذب او تقصير في الكفارة وسر الحلف هنا والله اعلم التعجب من وقوع ذلك والعرب اذا تعجبت من شئ
أقسمت عليه ومن ذلك قول عروة رضي الله عنه ان آدم أدخل الجنة يوم الجمعة بعد العصر والله
ما غربت الشمس حتى أخرج منها * (ان أحدكم ليعمل) * بلام التأكيد * (بعمل) * الباء زائدة لان
عمل اما مفعول مطلق أو مفعول به وكلاهما مستغن عن الحرف فزيادة الباء للتأكيد أو ضمن يعمل
معنى يتلبس * (أهل الجنة) * يعني من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية والجنة دار الثواب
وهي في الاصل الحديقة ذات الشجر سميت جنة لكثرة شجرها ونباتها ويقال جنت الرياض

وسلم أنه قال من قتل
عصفورا عبثا عج الى الله
يوم القيامة ويقول يا رب
سل هذا لم قتلني عبثا ولم
يقتلني لمنفعة وفي الصحيح
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال ان الله
غفر لبغي بسقاية كلب
وعذب امرأة في هرة
حبستها حتى ماتت جوعا
وعطشا (ويحكى) عن أبي
سليمان الداراني رحمه
الله تعالى قال ركبت مرة
حمارا فضربته مرتين
أو ثلاثا فرفع الحمار
رأسه الي وقال لي يا أبا
سليمان انما القصاص
يوم القيامة فان شئت
فاقلل وان شئت فاكثر
وهذا فيه زجر لمن يؤذي
الدابة بالضرب أو الاحمال
الثقيلة أو قلة العلف
ونحو ذلك وانه مسؤل
عن ذلك يوم القيامة
فليتق العبد ربه ويحسن
كما أحسن الله اليه
ويخاف من القصاص
يوم القيامة بينه وبين
البهائم اخواني أطيعوا
الله ولا تعصوه * فعن

وهب قال ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني اذا أطعت رضيت واذا رضيت باركت وبركتي ليس لها نهاية واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تلحق السابع من الولد أي وذلك من شؤم
المعصية * (نادرة) * حكى أن الخليفة هرون الرشيد رحمه الله حلف بالطلاق انه من أهل الجنة فاجتمع اليه العلماء فما افتاه أحد
بذلك فدخل عليه ابن السماك فقال يا أمير المؤمنين مالي أراك حزينا مهموما فقال له من شأن كذا وكذا فقال ابن السماك أنا اسألك

عن شيء هل نويت معصية فقط ثم تركتها خوفا من الله تعالى قال نعم قال يا أمير المؤمنين أنت من أهل الجنة فان الله تعالى يقول وأما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى * (حكاية) * تناسب ما تقدم قيل ان رجلا من بني اسرائيل كان
فاجرا مسرفا على نفسه لما ارتكبه من الفواحش فاتى في مسيره على بئر فاذا كلب يلهث من العطش فرق له ورثى له فنزل في البئر
ونزع خفه وسقى الكلب وأرواه فشكر الله عز وجل صنعه وغفر له وأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان بأن قل
لذلك المسرف اني قد غفرت له جميع ما اقترف برحمتي على خلقي (خاتمة المجالس) روى ابن عساكر في تاريخه عن بعض أصحاب الشبلي قال رأيت الشبلي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه الكريمتين وقال يا أبا بكر أتدري بماذا غفرت لك فقلت بصالح عملي قال لا فقلت باخلاصي في عبوديتي فقال لا فقلت بحجي وصومي وصلاتي فقال لم أغفر لك بذلك فقلت بهجرتي الى الصالحين وبادامة أسفاري وطلب العلوم فقال لا فقلت يا رب هذه المنجيات التي كنت أعقد عليها خنصري وظني انك بها تعفو عني قال كل هذا لم أغفر لك بها فقلت الهي فبماذا قال أتذكر حين تمشي على درب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهي تنزوي الى جدار من شدة الثلج والبرد فأخذتها رحمة لها
فادخلتها في فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد فقلت نعم قال برحمتك لتلك الهرة رحمتك اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب
العالمين * (المجلس الثامن عشر في الحديث الثامن عشر) * الحمد لله الحليم الستار المتفضل بالعطاء المدرار النافذ قضاؤه بما
يجري به الاقدار يدني ويبعد ويشقي ويسعد ويهبط ويصعد وربك يخلق ما يشاء ويختار وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
مكور الليل على النهار وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار الشفيع فيمن استحق عليه من النار صلى الله عليه

اذا غم نبتها حتى ستر الارض ومنه الجنين لاستتاره عن العيون وتسمى بالبستان لما فيها من الاشجار المتكاثفة المظلة * (حتى ما يكون) * بالرفع لان ما كفت به حتى قاله الهيتمي وتابله في ذلك قول الشارح القاري كما في يتعين أن يكون بالرفع لان ما النافية قطعت عمل حتى عنه اه وما زعمه من التعيين ممنوع بل لا يصح فقد قال الطيبي في شرح المشكاة حتى هي الناصبة وما نافية ولم تكفها عن العمل وقال غيره لان معنى ما النفي الحال فيتعين رفعه وشرط نصبه ان يكون مستقبلا ونازعه غيره من الاشياخ وقال الفعل هنا مستقبل قطعا وشرط وجوب الرفع أن يكون حالا حقيقة وان يكون مسببا عما قبله وان يكون فضلة فان كان مستقبلا حقيقة أو لم يكن مسببا عما قبله وكان عمدة وجب النصب وان كان مستقبلا مؤولا بالحال جاز فيه الوجهان وما هنا اما مستقبل حقيقة وهو الظاهر فيجب نصبه أو مؤولا فيجوز نصبه ورفعه قال الاشموني ولا يرتفع الفعل بعد حتى الا بثلاثة شروط الاول أن يكون حالا اما حقيقة نحو سرت حتى أدخلها اذا قلت ذلك وأنت في حالة الدخول والرفع حينئذ واجب أو بتأويل نحو حتى يقول الرسول في قراءة نافع والرفع حينئذ جائز والثاني أن يكون مسببا عما قبلها فيمتنع الرفع ويتعين النصب في نحو لأسيرن حتى تطلع الشمس الثالث أن يكون فضلة فيجب النصب في نحو سيري حتى أدخلها وكذلك في نحو كان سيري أمس حتى أدخلها ان قدرت كان ناقصة ولم يقدر الظرف خبرا فتكون منصوبة بحتى ولعل لفظة ما لمجرد النفي فتسلخه عن معنى الحالية لتجامع أن التي للاستقبال وأجاز غيره أن تكون حتى ابتدائية (بينه وبينها) أي وبين الجنة (الا ذراع) زاد البخاري أو باع وهو تمثيل لشدة القرب (فيسبق) أي يغلب (عليه الكتاب) أي مضمون الكتاب فهو على حذف مضاف أو أراد بالكتاب المكتوب والمعنى انه يتعارض عمله في اقتضاء السعادة والمكتوب في اقتضاء الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولانه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانه قرب من الجنة بسبب عمله حتى أشرف على دخولها وانما منعه من دخولها سابق القدر الذي يظهر عند الخاتمة وعلى هذا فالخوف على التحقيق انما هو مما سبق اذ لا تبديل له ولا تغيير فاذا الاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم أي عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال وفي رواية لمسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وحينئذ فعمله لم يكن صحيحا في نفسه وانما كان رياء وسمعة وقد ورد أن راهبا كان يقال له برصيصا فتعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى أعيا ابليس فجمع ابليس مردة الشياطين فقال الا أحد منكم من يكفيني أمر برصيصا فقال الابيض أنا أكفيكه وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فدخل جبريل بينهما ثم دفعه بيده حتى وقع بأقصى الهند فانطلق فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط رأسه حتى أتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان

وعلى آله وأصحابه ما طلع فجر واستنار آمين (عن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه
الترمذي وقال حديث حسن) وفي بعض النسخ حسن صحيح اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث
عظيم اشتمل على ثلاثة أحكام حق الله وحق المكلف وحق العباد أما حق الله تعالى فخشيته كما تقدم فانه ناظر
اليك ورقيب عليك وأما حق المكلف فهو محو الحسنة السيئة وأما حق العباد فهو معاشرتهم بخلق حسن كما سيأتي الكلام على ذلك كله *(فائدة)* جندب بفتح الدال وضمها وكسرها على قلة وجنادة بضم الجيم (موعظة) سئلت أم أبي ذر راوي هذا الحديث عن عبادته فقالت كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر * وعن سفيان الثوري رضي الله عنه أنه قال قام أبو ذر رضي الله عنه فالتقاه الناس فقال أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر القيامة أبعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وكلمة خير تقولونها أو كلمة شر تسكتون
عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو اجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال
ومجلسا في طلب الآخرة والثالث لا يضرك ولا ينفعك فلا ترده اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك في حل ودرهما تقدمه
لآخرتك والآخر لا يضرك ولا ينفعك فلا ترده فتأملوا هذه الموعظة العظيمة عن أبي ذر رضي الله عنه (موعظة أخرى) روي عن أنس
ابن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أصبحت قال أصبحت بالله مؤمنا قال

لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة أيام يوما ولا يفطر الا في كل عشرة أيام وكان يواصل العشرة الايام
والعشرين والاكثر فلما رأى الابيض انه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انفتل من
صلاته رأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم على عدم اجابته وقال له
ما حاجتك فقال أحب أن أكون معك فأتأدب بآدابك وأقتبس من علمك فقال اني في شغل عنك ثم
أقبل على صلاته وأقبل الابيض على الصلاة فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده وعبادته قال ما حاجتك
قال ان تأذن لي فارتفع اليك فأذن له فأقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل أربعين يوما وربما
مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات
يشفى بها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جاء الى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل ثم
تعرض لرجل فخنقه وقال لاهله وقد تصور في صورة الآدميين ان بصاحبكم جنونا فاذهبوا به الى
برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب فجاؤه فدعا بتلك الاسماء
فذهب عنه الشيطان ثم جعل الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق
الى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة اخوة فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل متطبب
ليعالجها فقال ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا رأى
شيطانها دعا لها برئت فقالوا لا يجيبنا الى هذا قال فابنوا صومعة في جانب صومعته ثم ضعوها فيها
وقولوا له هي أمانة عندك فاحتسب فيها فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة ووضعوا فيها الجارية فلما
انفتل من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال فأسقط في يده فجاءها الشيطان فخنقها فانفتل من
صلاته ودعا لها فذهب الشيطان ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان وخنقها وكان يكشف عنها
ويتعرض بها لبرصيصا ثم جاءه الشيطان فقال ويحك واقعها فستجد مثلها ثم تتوب بعد ذلك فلم يزل به
حتى واقعها فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب
فلا تفتضح فان جاؤك فسألوك فقل جاءها شيطانها فذهب بها فقتلها ليلا ودفنها فأخذ الشيطان طرف
ثوبها حتى بقي خارجا من التراب ورجع برصيصا الى صلاته ثم جاء الشيطان الى اخوتها في المنام فقال
ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها فاستعظموا ذلك فقالوا لبرصيصا ما فعلت باختنا فقال
ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاءهم الشيطان في المنام فقال انها مدفونة في موضع كذا وكذا
وان طرف ردائها خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فهدموا صومعته وأنزلوه فخنقوه وحملوه الى
الملك فأقر على نفسه فأمر بقتله فلما صلب قال له الشيطان أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتك
الدعوات أما اتقيت الله أما استحييت وأنت أعبد بني اسرائيل ثم لم يكفك صنيعك حتى فضحت نفسك
وأقررت عليها وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك بعدك قال
فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة وأنجيك منهم وآخذ بأبصارهم قال وما ذاك قال تسجد لي
سجدة واحدة فأطاعه وسجد له من دون الله ورويت هذه القصة على غير هذا الوجه (وان أحدكم ليعمل

ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا رسول الله ما أصبحت صباحا الا ظننت انى لا أمسى وما أمسيت مساء قط الا ظننت أنى لا أصبح ولا خطوت خطوة الا ظننت انى لا أتبعها أخرى وكانى أنظر الى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها ومعها نبيها وأوثانها التى كانت تعبدها من دون الله وكانى أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال قد عرفت فالزم ولنرجع الى الكلام على الحديث فنقول (قوله اتق الله حيثما كنت) سببه ان أبا ذر ١٠١ رضى الله عنه لما أسلم بمكة شرفها الله تعالى قال له النبى صلى الله عليه وسلم الحق بقومك رجاء أن ينفعهم الله بك فلما رأى حرصه على المقام معه بمكة وعلم صلى الله عليه وسلم انه لا يقدر على ذلك قال له اتق الله حيثما كنت الحديث فانه أولى لك من الاقامة بمكة وهو أمر لكل من يتأتى توجيه الامر اليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون مخاطب ومعنى ذلك امتثل أيها المكلف أوامر الله واجتنب نواهيه فى كل مكان وأوان فانه معك أينما كنت وناظر اليك ومطلع عليك كما دلت عليه الآيات والاخبار * واعلموا يا اخوانى ان التقوى كلمة وجيزة جامعة لكل خير جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أوصنى قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله تعالى فانه نور لك فى الارض وذكر لك فى السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاده آمنا وقال وهب رحمه الله الايمان عريان ولباسه التقوى وريشه الحياء ورأس ماله العفة وقال غيره من سره ان تدوم له العافية فليتق الله وقيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والآيات والاخبار فى التقوى كثيرة شهيرة (نكتة) فى بستان العارفين للنووى رحمه الله ان داود عليه السلام

يعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيغلب عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) ثم ان من لطف الله تعالى وسعة رحمته ان انقلاب الناس من الشر الى الخير كثير وأما انقلابهم من الخير الى الشر ففى غاية الندور ونهاية القلة ولا يكون الا لمن أصر على الكبائر وحكى ابن الجوزى فى كتابه ذم الهوى انه كان رجل مسلم يهوى امرأة نصرانية فمرض مرض الموت فقال فى نفسه أنا أعشق هذه ولم أجتمع بها فى الدنيا وان مت على الاسلام لم أجتمع بها فى الآخرة فتنصر ومات على النصرانية وكانت المرأة مريضة فقالت ان فلانا كان يهوانى ولم يجتمع بى فى الدنيا وأخشى ان مت على دين النصرانية ان لا أجتمع به فى الآخرة فاسلمت وماتت فى مرضها * (فائدة) * قال صلى الله عليه وسلم علامة الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الامل وقال ذو النون المصرى علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب اهـ وقال شيخنا الاجهورى فى شرحه لمختصر العلامة الشيخ خليل ما نصه من علامات البشرى للميت ان يصفر وجهه ويعرق جبينه وتذرف عيناه دموعا ومن علامات السوء ان تحمر عيناه وتربد شفتاه ويغط كغطيط البكر اهـ وتربد بالراء المهملة بعدها باء موحدة وفى آخره دال مهملة قال فى القاموس الزبدة بالضم لون الى الغبرة (رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما)

(الحديث الخامس)

(عن أم المؤمنين) فى الاحترام والتعظيم وحرمة النكاح دون الخلوة والنظر وتحريم البنات وكذا يقال فى سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم وهل يقال لاخوتهن أخوالهم واخواتهن خالاتهم ولبناتهن اخواتهم وجمع جمع المنع ولا يقال لآبائهن وأمهاتهن أجداد المؤمنين وجداتهن ويقال لهن أمهات المؤمنات أيضا بناء على ان النساء يدخلن فى خطاب الرجال تبعا وتغليبا وهو صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين فى الرأفة والرحمة ونفى أبوته فى قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أريد بها نفى أبوة النسب والتبنى ولذلك لم يعش له ابن حتى يصير من الرجال (أم عبد الله) كناها النبى صلى الله عليه وسلم بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير لما أتته فى ذلك والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلى فى الروض انها أسقطت سقطا ولم يثبت (عائشة) وعوام المحدثين يبدلونه ياء (بنت أبى بكر الصديق) واسمه عبد الله بن أبى قحافة واسم أبى قحافة عثمان وأمها أم رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب يقال بفتح الراء وضمها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس (رضى الله عنها) تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فى شوال قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وقيل بنحو ثمانية عشر شهرا وهى بنت ست سنين وبنى بها بالمدينة فى شوال منصرفه من بدر وهى بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين وكانت أحب النساء اليه بعد خديجة وماتت بعده صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وفى التفضيل بينها وبين خديجة أوجه ذكرها المصنف فى الروضة ثالثها الوقف واختار السبكى فى الحلبيات تفضيل خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم الباقيات سواء واختلف فى التفضيل بين عائشة وفاطمة على ثلاثة أقوال ثالثها الوقف والاصح

قال يا رب كن لابي سليمان كما كنت لي فاوحى الله اليه قل لابنك يكون لي كما كان لي أكون له كما كنت لك (نكتة أخرى) قال شداد رحمه الله رأيت الكعبة في النوم تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وتقول يا محمد لئن لم تنته أمتك عن المعاصي لانتفضن حتى لا يبقى حجر على حجر ومعنى التقوى امتثال الاوامر واجتناب النواهي وقال بعضهم ان أردت ان تعصيه فاعصه حيث لا يراك أو اخرج من داره أو كل من غير رزقه . قال العلماء رضي الله عنهم فاذا اتقى الشخص الله تعالى وفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه فقد أتى بجميع وظائف التكليف قال الله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر وقال الله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون الآية فمن اتقى الله بما في الآية الاولى من الايمان والاسلام فهو متق والمتقي ولي الله ومن اتقى بما في الآية الثانية فهو ولي الله وللتقوى الله تعالى فوائد كثيرة منها الحفظ والحراسة من الاعداء لقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ومنها التأييد والنصر لقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومنها النجاة من الشدائد والرزق الحلال لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح العمل وغفران الذنوب لقوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومنها النور لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ومنها المحبة لقوله تعالى ان الله يحب المتقين ومنها الاكرام لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ومنها البشارة عند الموت لقوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ومنها النجاة من النار لقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ومنها الخلود في الجنة لقوله تعالى

تفضيل فاطمة لانها بضعة منه وقد صححه السبكي في الحلبيات وبالغ في تصحيحه ولم يتزوج بكرا غيرها
ولما خطبها من أبي بكر رضي الله عنه قال له يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح ولكن أنا أرسلها اليك فان
كانت تصلح فهي السعادة الكاملة فقال ان جبريل أتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله تعالى
زوجك بهذه ثم ذهب أبو بكر الى منزله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي بكر ان كان يصلح فبارك عليك
فمضت اليه عائشة بالطبق وهي تظن ان أبا بكر بعث التمر قالت عائشة فدخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا يا عائشة فما نظر بطرفي نحوي قالت فنظرت اليه
مغضبة ودخلت على أبي بكر فاخبرته بما وقع فقال يا بنية لا تظني برسول الله صلى الله عليه وسلم ظن سوء
ان الله تعالى قد زوجك به واني قد زوجتك منه قالت عائشة فما فرحت بشيء أشد من فرحي بقول أبي
بكر قد زوجتك منه وقد ورد انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت لو نزلت واديا فيه شجرة قد
أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيهما كنت ترتع بعيرك قال في التي لم يؤكل منها يعني ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى
عربا أترابا فقال نساء الدنيا يدخلن الجنة أبكارا فكلما افتضها زوجها ترجع بكرا فقالت عائشة
رضي الله تعالى عنها واوجعاه فقال عليه الصلاة والسلام لا وجع في الجنة يا عائشة وقال عليه
الصلاة والسلام خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء والحميراء تصغير حمراء وأتى عمرو بن العاص الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي النساء أحب اليك يا رسول الله قال عائشة قال ومن الرجال قال أبوها
قال ثم من قال عمر وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام وعن هشام بن عروة عن أبيه قال كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة
فاجتمع صواحباتها الى أم سلمة فقالوا يا أم سلمة ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وانا نريد الخير
كما تريد عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأمر الناس ان يهدوا اليه حيثما كان وحيثما دار قالت
فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنها فلما عاد اليها ذكرت له ذلك فاعرض عنها
فلما كان في الثالث ذكرت له ذلك فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في
لحاف امرأة منكن غيرها ووهبتها سودة يومها وليلتها فكان لها يومان وليلتان دون بقية أمهات
المؤمنين وعن أم سلمة قالت عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا يده على معرفة فرس
دحية الكلبي وهو يكلمه فقلت يا رسول الله رأيتك واضعا يدك على معرفة فرس دحية الكلبي وأنت
تكلمه قال أو رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام جزاه الله من
صاحب ودخيل خيرا فنعم الصاحب الدخيل وقال سفيان الدخيل هو الضيف وروى سعيد بن المسيب
وعلقمة بن أبي وقاص وجماعة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ان يسافر أقرع بين نسائه
فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فاقرع بينهن في غزوة فخرج سهم

وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ورحم الله القائل * من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي * ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي (وقال آخر) يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أراده * يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفاده (حكاية) ركب قوم سفينة فظهر لهم شخص على وجه الماء وقال لهم هي كلمة أبيعها بألف دينار فقال أحدهم هذه ألف دينار فقال اطرحها في البحر فطرحها فقال قل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية فقال له احفظها حفظا جيدا فلما حفظها انكسر المركب وبقي الرجل على لوح يقرأ هذه الآية فرماه الموج في جزيرة فوجد فيها امرأة جميلة فسألها عن أمرها فقالت انا من بلد كذا وكذا وكل يوم تطلع من البحر جني في وقت كذا فيراودني عن نفسي فيحفظني الله منه فقال اجعليني في مكان أراه ولا يراني ففعلت فلما اطلع الجني من البحر ورآه قرأ الآية فالتهب نارا ففرحت المرأة بذلك ثم أخذت بيد الرجل الى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شئ كثير فمرت بهما سفينة فأشار اليها فقصدهما أهلها وأخذ كل واحد من الجوهر واللؤلؤ ما لا يعلمه الا الله (قوله وأتبع السيئة الحسنة تمحها) المراد بالحسنة الصلوات الخمس قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت نزلت في رجل قبل امرأة أجنبية وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو ان نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شئ قالوا لا يبقى من درنه شئ قال كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا أخرجه الأئمة وفي الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما تقدم

عائشة خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما نزل الحجاب وهي تحمل في هودجها حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل راجعا ودنا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت ومشت حتى جاوزت الجيش فلما قضت شأنها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار كان معها الاختها اسماء قد انقطع فرجعت في طلبه فحمل هودجها ظنا انها فيه وسار القوم فرجعت بعدان وجدته فلم تر أحدا فيممت المكان الذي كانت فيه وقالت ان القوم سيفقدوني فيرجعون الى فبينما هي جالسة غلبتها عيناها فنامت وكان صفوان بن المعطل السلمي متأخرا وراء الجيش فرّ بها فرأى سواد انسان نائم فأتاها فعرفها فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه ولم تسمع منه كلمة غير استرجاعه فأناخ راحلته ووطئ على يدها حتى ركبت وانطلق يقود بها الراحلة وهو موليها ظهره حتى ادرك بها الجيش بعدما نزلوا فرموها به وقال عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين والله ما نجت منه ومن نجا منها وشرع في ذلك حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبد الله وغيرهم فلما قدمت المدينة اشتكت واقامت شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك وهي لا تشعر بشئ من ذلك الا انه كان يريبها في وجعها انها كانت لا تعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كانت تراه منه اذا اشتكت وانما كان يدخل عليها فيسلم ثم يقول كيف تيكم حتى خرجت مع أم مسطح قبل المناصع التي كن يتبرزن فيها قريبا من البيوت وذلك قبل ان تتخذ الكنف فلما فرغا من شأنهما وجاءا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت لها عائشة بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت أي بنية ألم تسمعي ما قال قالت وماذاك فاخبرتها بقول أهل الافك فازدادت مرضا على مرضها فلما رجعت الى بيتها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن تأتي أبويها وارادت تيقن الخبر من قبلهما فاذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهما وقالت لامها يا أماه وما الذي يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها فقالت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى أصبحت وهي تبكي ودعا صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب واسامة بن زيد حين لبث شهرا لا يوحى اليه في شأنها ليستشيرهما في فراقها فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة أهله فقال يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شئ يريبك فقالت له والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها قط امرا أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فانتهرها بعض اصحابه وقال لها اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعد المنبر واستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول وقال يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهل بيتي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت

بينها وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة المغرب ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم ان قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ونحن قعود معه اذ جاءه رجل فقال يارسول الله اني أصبت حدا فاقمه علي فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يارسول الله اني أصبت حدا فاقمه علي فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد الثالثة فسكت عنه فاقيمت الصلاة فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو امامة تبع الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف وتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ماذا يرد على الرجل فلحق الرجل برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله اني أصبت حدا فاقمه علي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوضأت فأحسنت الوضوء قال بلى يارسول الله قال ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم يارسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى قد غفر لك حدك أو قال ذنبك فتبين من هذه الاحاديث الشريفة ان الحسنات هي الصلوات الخمس والسيآت هي الصغائر من الذنوب ويجوز ان تكون الحسنة مطلقا والمحو على حقيقته كما هو ظاهر الحديث وفضل الله تعالى واسع وخبر أبي امامة المذكور يؤيد ذلك وقد قيل ان الحسنات هي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال الامام القشيري رحمه الله ينبغي للعبد أن تستغرق جميع الاوقات بالعبادات فان اخلاء لحظة من الزمان من فرض يؤديه المرء أو نفل يأتي به حسرة عظيمة وخسران مبين ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين وقال السلمي

عليه الاخير او ما كان يدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس قبيلتنا ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن ادركته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت واشتد الامر على عائشة فاستأذنت عليها امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معها فبينما هما على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ما قيل فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغني كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالت لابيها أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لامها أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اني والله قد عرفت انكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني بريئة صدقتموني واني والله لا أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشها وما كانت تظن ان الله ينزل في شأنها وحيا يتلى وانما كانت ترجو ان الله تعالى يري نبيه في المنام براءتها فما فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى انزل الله الوحي على نبيه فاخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم اذا به يضحك فكان أول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ابشري يا عائشة فان الله قد برأك فقالت لها أمها قومي اليه فقالت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله عز وجل الذي أنزل براءتي فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات من سورة النور فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره وفاقته والله لا عدت انفق عليه شيئا ابدا بعد ان قال في عائشة ما قال فانزل الله عز وجل ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله ألا تحبون ان يغفر الله لكم فقال أبو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فاعاد الى مسطح النفقة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة فجلدوا الحدود جميعا ثمانين ثمانين (تنبيه) في ضبط بعض ما تقدم قوله من جزع اظفار خرز ملون بفتح الجيم والزاي وقد تسكن وهو مضاف الى اظفار مدينة باليمن وقوله هودجها هو مركب من مراكب النساء يشبه القبة وقوله سواد انسان أي شخصه وقوله يفيضون أي يأخذون ويرفعون في التحدث به ومنه حديث مستفاض وقوله الافك أي الكذب وقوله يريبها أي يشككها وقوله تيكم اشارة للمؤنث والخطاب للجماعة

قال الواسطي أنوار الطاعات تذهب ظلم المعاصي وقال أهل الحقائق حسنات الندم تذهب سيآت الخدم وقال بعضهم اسكاب العبرة يذهب سيآت العثرة وقال بعضهم حسنات الاستغفار تذهب سيآت الاسرار وقيل غير ذلك (تنبيه) قال السلمي رحمه الله تعالى ما آخذ الله أحدا الا بذنوبه فمن لزم الصلاح والطاعة وقاه الله تعالى الآفات ومكاره الدارين ولذلك قال الله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون والاصلاح هو الرجوع الى الله والتضرع والابتهال اليه في كل وقت ولحظة ونفس وقال شقيق الصلاح ثلاثة أشياء أكل الحلال واتباع السنن ومخالفة الهوى وقال القشيري ان الله سبحانه وتعالى من كرمه لم يهلك من كان مصلحا وانما أهلك من كان ظالما (قوله وخالق الناس بخلق حسن) أي عاشرهم بخلق حسن وهو ان تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به من كف الاذى وطلاقة الوجه وما أشبه ذلك لتجلب القلوب وتكمل المحبة وذلك جماع الخير وملاك الامر وجاء في حسن الخلق أخبار وآثار كثيرة سنذكر منها جملة فيما سيأتي ان شاء الله تعالى وهو من شيم النبيين والمرسلين وخواص المؤمنين ويكفي في ذلك مدح الباري سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لعلى خلق عظيم (خاتمة المجلس) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد اللطف بالنساء وقال أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام في بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون (وحكى) ان رجلا جاء الى عمر رضي الله عنه يشكو اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا اذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين

للجماعة الحاضرين وقوله المناصع مواضع التبرز للحدث الواحد منصع وكانت المناصع خارج المدينة وهو صعيد فسيح وقوله يتبرزن فيها المتبرز بفتح الراء موضع قضاء الحاجة وقوله وضيئة أي حسنة وقوله أغمصه أي أعيبها به والغمص العيب والطعن في الناس وقوله الداجن وهو ما يألف البيوت من الحيوان كالشاة وقوله من يعذرني أي من ينصرني عليه والعاذر الناصر أي من يقوم بعذري ان كافأته على سوء فعله وقوله الممت بذنب أي قارفت ووقعت فيه وقوله من البرحاء أي شدة الحمى وقوله مثل الجمان هو بتخفيف الميم حبوب مدحرجة مثل اللؤلؤ تصنع من فضة وغيرها وقد سموا الدر جمانا وقوله في اليوم الشاتي أي البارد اه وكانت عائشة رضي الله عنها صاحبة كرم وزهد قال عطاء بعث لها معاوية بطوق من ذهب فيه جوهر قيمته مائة ألف فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعن أم درة وكانت تغشى عائشة انه بعث اليها عبد الله بن الزبير بمال في غرارتين قالت أراه ثمانين ومائة ألف فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم فلما أمست قالت يا جارية هلمي فطري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت مما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لا تعنفيني لو كنت اذكرتني لفعلت وعن عروة قال لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهي ترقع درعها وعن عوف بن مالك ان عائشة أخبرت ان عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة لتنتهين عائشة أو لاحجرن عليها فقالت أهو قال هذا قالوا نعم فنذرت انها لا تكلمه أبدا فاشتاق ابن الزبير اليها حين طال تركها له فقالت والله لا أحنث في نذري فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود وهما من بني زهرة وقال أنشدكما الله الا ما أدخلتماني على عائشة فانها لا يحل لها ان تنذر قطيعتي فاقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا عليها فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل قالت عائشة أدخلوا قالوا كلنا قالت نعم أدخلوا كلكم ولا تعلم أن معهم ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها الا ما كلمته وقبلت منه ويقولان ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من التهاجر وانه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال فلما أكثروا على عائشة من التذكرة طفقت تبكي وتقول اني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل خمارها وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر الا يوم الاضحى ويوم الفطر وعن القاسم قال كنت اذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوما فاذا هي قائمة تسبح وتقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتدعو وتبكي ترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتي ثم رجعت فاذا هي واقفة كما هي تصلي وتبكي وعن عامر انها كتبت لمعاوية أما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وعن أبي موسى انه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما وعن مسروق

جئت أشكو اليك خلق زوجتي واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال له عمر اني احتملتها لحقوق لها علي انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فانا أحتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي فقال فاحتملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة فانظروا اخواني الى حسن هذا الخلق اللهم حسن أخلاقنا ووسع علينا أرزاقنا يا كريم

(المجلس التاسع عشر في الحديث التاسع عشر)

الحمد لله غافر الذنب وان تكاثرت الذنوب قابل التوبة لمن يتوب شديد العقاب عند قسوة القلوب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له جابر الكسير وميسر العسير ومفرج الكروب وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أطلعه الله تعالى على أسرار الغيوب وملكه زمام الدنيا والآخرة فهو أعظم مخلوق وأشرف محبوب صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه من الشروق الى الغروب آمين (عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته

قال يحلف بالله لقد رأينا الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض وقال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة أكثر ولما مرضت جاءها ابن عباس يستأذن عليها فاخبرها بذلك ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقالت دعني من ابن عباس فقال لها انه من صالحي بنيك جاء يسلم عليك ويودعك فقالت ائذن له ان شئت فلما جلس قال ابشري فما بينك وبين أن تلقي محمدا صلى الله عليه وسلم والاحبة الا خروج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الابواء فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه والناس ليس معهم ماء فانزل الله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا وكان ذلك بسببك وأنزل براءتك مع الروح الامين فاصبح ذلك يتلى في مساجد الله فقالت دعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لوددت اني كنت نسيا منسيا قال الواقدي توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة وقال غيره توفيت سنة سبع وخمسين وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها وصلى عليها أبو هريرة وكان خليفة لمروان بن الحكم على المدينة حين خرج لحجه روي لها ألفا حديث وعشرة وقيل ألف وعشرة اتفقا منها على مائة وأربعة وسبعين وانفرد البخاري بأربعة وسبعين ومسلم بثمانية وستين (قالت) عائشة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث) أي أنشأ واخترع من قبل نفسه أمرا حادثا وهو المسمى بالبدعة وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى بديع السموات والارض اي موجدها على غير مثال سبق وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وتكون في الخير والشر فمن الاول جمع القرآن في المصاحف واخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ومن الثاني المكس ويقرب من ذلك قول من قال هي ما لم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم سواء دل الشرع على حرمته كالمكوس والاشتغال بمذهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة أو كراهته كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف والزيادة في الذكر المحدود بعد الصلاة والاجتماع للدعاء يوم عرفة بغيرها وان استحبه جماعة أو وجوبه كالاشتغال بعلم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة أو ندبه كصلاة التراويح جماعة واقامة صور الائمة والقضاة وولاة الامر بخلاف ما كان عليه الصحابة بسبب ان المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل الا بعظمة الولاة في نفوس الناس وذلك في زمان الصحابة انما كان بالدين وفيما بعدهم انما يعظمون بالصور فيطلب تفخيمها حتى تصلح المصالح وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف الشاة في كل يوم لعلمه بان الحالة التي هو عليها لو عملها غيره لهان في نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج الى أن يضع غيره في صورة تحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ الحجاب والمراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك مسالك الملوك فسأله رضي الله عنه عن ذلك فقال له أنا بأرض نحن فيها محتاجون الى هذا فقال له لا آمرك ولا أنهاك ومعناه أنت أعلم بحالك هل أنت محتاج الى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج

أو اباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل لأن تليين العيش واصلاحه من المباحات فوسائله مباحة وكذا الأكل بالملاعق وقد حضر أبو يوسف صاحب الامام أبي حنيفة مائدة الخليفة هارون الرشيد فطلب الملاعق فقال له يا أمير المؤمنين قد قال جدك ابن عباس في قوله ولقد كرمنا بني آدم أي جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ولم نجعلهم كالدواب تأكل بأفواهها فأبى أن يأكل الا بالملاعق هكذا ذكر بعضهم والذي في الكشاف عن نقل بعضهم انه لما ذكر له أبو يوسف ما ذكره ابن عباس رد الملاعق وأكل بأصابعه وحينئذ فالبدعة تعتريها الأحكام الخمسة واليه ذهب ابن عبد السلام والقرافي وغيرهما وشرعا ما لم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم ودل الشرع على حرمته وعليه فهي خاصة بالحادث المذموم ولما أراد علي رضي الله تعالى عنه لقاء الخوارج قال له مسافر بن عوف يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل فمن صدقك في هذا القول لا آمن عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ندا أو ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال له نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي نهيتنا عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان (في أمرنا) أي ديننا ويطلق الأمر على القول كقوله تعالى في الكهف اذ يتنازعون بينهم أمرهم أي قولهم فيما بينهم وعلى العذاب كقوله تعالى في هود ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر يعني وجب عليهم العذاب وسوء الغرق وعلى فتح مكة كقوله في سورة براءة فتربصوا حتى يأتي الله بأمره يعني فتح مكة وعلى يوم القيامة كقوله تعالى أتى أمر الله يعني يوم القيامة وكقوله في الحديد حتى جاء أمر الله يعني يوم القيامة وعلى الوحي كقوله تعالى في الم تنزيل يدبر الأمر من السماء الى الأرض يعني ينزل الوحي من السماء الى الأرض وعلى الخبر كقوله تعالى في سورة النساء واذا جاءهم أمر من الأمن أي خبر ويطلق ويراد به الشأن كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد ويطلق ويراد به مصدر أمره فالجمع على أوامر والذي بمعنى الشأن يجمع على أمور وعبر عن الدين بالأمر لأنه الأمر المهتم بشأنه ومن ثم جاء في رواية ديننا وهو تفسير له لا الأمر المقابل للنهي فانه اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه أي على الكف بغير لفظ نحو كف فقوله اقتضاء أي طلب وهو يتناول الطلب الجازم وغيره اذا كان غير كف وكذا اذا كان كفا مدلولا عليه بكف ومرادفه كاترك وذر ودع بخلاف الكف المدلول عليه بغير ذلك كلا تفعل فانه نهي وعرفوه بأنه اقتضاء كف عن فعل لا بقول كف ونحوه (هذا) اشارة الى جلالته

أن هذا الحديث حديث عظيم الموقع وأصل كبير في رعاية حقوق الله تعالى والتفويض لأمره (قوله يعني ابن عباس رضي الله عنهما كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم) أي على دابة كما في رواية ففيه جواز الارداف على الدابة ان أطاقته (قوله يوما) أي في يوم (قوله فقال لي يا غلام) هو الصبي من حين يفطم الى تسع سنين وكان سنه اذ ذاك تسع سنين (قوله صلى الله عليه وسلم اني أعلمك كلمات) أي ينفعك الله بهن كما في رواية أخرى أي تتعلمهن وتعلمهن وهي ان كانت قليلة فمعانيها كثيرة جليلة (قوله احفظ الله) أي احفظ الله بحفظ فرائضه وحدوده وملازمة تقواه واجتناب نواهيه وما لا يرضاه (يحفظك) في نفسك وأهلك ودنياك ودينك لاسيما عند الموت اذ الجزاء من جنس العمل ومنه فاذكروني أذكركم ان تنصروا الله ينصركم قد مدح الله تعالى الحافظين لحدوده فقال تعالى هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (قوله احفظ الله تجده تجاهك) أي احفظ الله وكن ممن خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب تجده تجاهك أي امامك أي تجده معك بالحفظ والاحاطة والتأييد والاعانة حيثما كنت فتستأنس به وتستغني به عن خلقه وخص الامام من بين الجهات الست اشعارا بشرف المقصد وبأن الانسان مسافر الى الآخرة غير مقيم في الدنيا والمسافر انما يطلب أمامه لا غيره والمعنى تجده حيثما توجهت وتيممت وقصدت من أمر الدنيا والدين (قوله اذا سألت فاسأل الله) أي اذا أردت سؤال شيء فاسأل الله أن يعطيك اياه ولا تسأل غيره فان خزائن الجود بيده وأزمتها اليه اذ لا قادر ولا معطي ولا متفضل غيره فهو أحق أن يقصد سيما وقد قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب ما أراده له لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الأزلي وان كان يقع في ذلك تبديل في اللوح المحفوظ بحسب تعليق على شرط ومن ثم كان للسؤال فائدة لاحتمال أن يكون اعطاء المسؤول معلقا على سؤاله روي

انه صلى الله عليه وسلم قال ان الروح الامين القى فى روعى ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب اى طلب الحلال قمع النظر لذلك لا فائدة فى سؤال الخلق مع التعويل عليهم فان قلوبهم كما بيد الله يصرفها على حسب ارادته فوجب أن لا يعتمد فى أمر من الامور الا عليه فانه المعطى المانع لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع الا هو الخالق والامر وبيده النفع والضر وهو على كل شئ قدير وقد جاء فى الحديث ١٠٨ من لم يسأل الله يغضب عليه فليسأل أحدكم ربه حاجته حتى شسع نعله اذا انقطع

ومزيد رفعته وعظمته على حد ذلك الكتاب وان اختلفا فى اداء الاشارة اذ ذلك أدل على ذلك من هذا والى احضاره فى ذهن السامع كانه يخبره شاهدا له ليتميز عنده أكمل تميز هذا أى بما يشار به للقريب بيانا لحاله فى القرب (ماليس منه) أى ماليس له فيه مستند من الكتاب والسنة سواء كان قوليا أو فعليا أو اعتقاديا (فهو رد) أى مردود على فاعله لبطلانه من اطلاق المصدر على اسم المفعول كخلق ومخلوق ونسج ومنسوج ومنه قول بعضهم انت رجائى أى مرجوى وكانه قال فهو غير معتد به ولا معول عليه وهو عام مخصوص بالحادث الذى دل الشرع على حرمته لكن يقيد بما اذا كانت حرمته لذاته كصلاة من غير ركوع أو الخارج عنه لازم كصلاة بلا طهارة وأما لو كانت الحرمة لخارج عنه غير لازم كصلاة فى أرض مغصوبة فلا تكون باطلة وقوله فهو أى المحدث بالفتح ويصح الكسر ويكون راجعا لمن أى ناقص مطرود وانظر هل يجرى هنا ماقيل فى زيد عدل من كونه على حذف مضاف أو انه على وجه المبالغة قال أبو العباس الابيانى من علماء الاندلس ثلاث لو كتبن على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع ولا تبتدع اتضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع وروى الديلمى عن ابن مسعود عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة وروى ابن ماجه عن حذيفة مرفوعا لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين وروى الخطيب والديلمى عن أنس اذا مات صاحب بدعة فقد فتح فى الاسلام فتح وروى الطبرانى عن عبد الله بن بشير من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وقال أبو عثمان الحيرى من صح ايمانه يهدى الله قلبه لاتباع السنة وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ويحكى عن أحمد بن حنبل انه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة فى المنام قائلا يقول أبشر يا أحمد فان الله غفر لك باستعمال السنة فقلت من أنت فقال جبريل وقد جعلك الله اماما يقتدى بك (رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم) فى صحيحه (من عمل عملا) أحدثه هو أو أحدثه غيره فعمل به فهو أعم من الاول وفى رواية للبخارى من فعل أمرا (ليس عليه أمرنا) أى حكمنا واذننا (فهو رد) أى مردود عليه وان لم يكن هو المحدث له وقيل اماتة بدعة خير من احياء سنة لان البدعة اذا استمرت صارت سنة وقال صلى الله عليه وسلم من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن أحب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الاكبر وكان الامام مالك رضى الله عنه كثيرا ما ينشد هذا البيت

وخير أمور الدين ماكان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(الحديث السادس)

(عن أبى عبد الله النعمان بن بشير) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام كما ضبطه ابن ماكولا وضبطه المقدسى وغيره بضم الجيم وتخفيف اللام

وأخرج العاملى وغيره قال الله تعالى من ذا الذى دعانى فلم أجبه وسألنى فلم اعطه واستغفرنى فلم أغفر له وانا أرحم الراحمين وفى الحديث ان الله يحب الملحين فى الدعاء أى والمخلوق يغضب وينفر عند تكرار السؤال وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى سلنى فى دعائك وحتى فى صلاتك حتى ملح عجينك وأنشدوا

لا تسألن بنى آدم حاجة
وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله
وبنى آدم حين يسئل يغضب
فشتان مابين هذين وسحقا لمن تعلق بالاثر واعرض عن العين

(موعظة) سأل رجل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يعظه فقال الامام ان كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا (قوله واذا استعنت فاستعن بالله) أى اذا طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله لانه هو القادر على كل شئ وغيره عاجز عن كل شئ حتى عن جلب مصالح نفسه ودفع مضارها كتب ابن

الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله فيكلك الله اليه وما أحسن قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين ألقي في النار قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فان قوله يتضمن ان المنجي من الشدائد والمعطي للسؤال هو الله تعالى دون غيره (قوله واعلم ان الامة) أي سائر المخلوقين (لو اجتمعت) أي كلها (على أن ينفعوك بشئ) ان من خيري الدنيا والآخرة (لم ينفعوك) أي بشئ من الاشياء (الا بشئ قد كتبه الله لك)

أي في علمه أو في اللوح المحفوظ (وان اجتمعوا) أي كلهم (على أن يضروك بشئ) أي من ضرر الدنيا والآخرة (لم يضروك) أي بشئ من الاشياء (الا بشئ قد كتبه الله عليك) ويشهد له قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والمعنى توجه الى الله في حقوق الضرر والنفع فهو الضار النافع ليس لاحد معه شئ في ذلك لان أزمة الموجودات بيده منعا وايجادا واطلاقا فاذا أراد أحد ضرك بما لم يكتبه عليك دفعه الله تعالى عنك وصرفه عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من أصله أو من تأثيره وفي ذلك حث على التوكل والاعتماد على الله تعالى في جميع الامور والاعراض عما سواه (نكتة) لا ينافي هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فاخاف أن يقتلون انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى لان الانسان مأمور بالفرار من أسباب المؤذيات الى أسباب السلامة وان لم يسلم كقوله تعالى خذوا حذركم وقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقول عمر رضي الله عنه انما نفر من قدر الله الى قدر الله (قوله رفعت الاقلام) أي تركت الكتابة بها لفراغ الامر والمعنى انتهت الكتابة بها في اللوح المحفوظ بما كان وبما يكون الى يوم القيامة (قوله وجفت) بالجيم (الصحف) التي فيها مقادير الكائنات كاللوح المحفوظ فلا تبديل بعد ذلك ولا نسخ لما

ابن كعب بن الحرث بن الخزرج الانصاري ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وهو أول مولود ولد للانصار بعد الهجرة كما ان عبد الله بن الزبير المولود معه في عامه أول مولود للمهاجرين قيل مات النبي صلى الله عليه وسلم وللنعمان ثمان سنين وسبعة أشهر وهذا يقتضي صحة تحمل الصبي المميز وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة سكن الكوفة وكان واليا عليها زمن معاوية بن أبي سفيان وكان استعمله على حمص قبلها ولما مات معاوية استعمله يزيد عليها فلما مات يزيد دعا أهلها ودعا لابن الزبير فخالفوه وأرادوا قتله فخرج هاربا فاتبعه خالد الكلاعي فقتله بقرية من قراها يقال لها حرب نيسان غيلة سنة خمس وستين وقيل أربع وستين وقيل ست وستين وله أربع وستون وهو صحابي ابن صحابي ابن صحابية وأبوه بشير هو القائل يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وليس في الصحابة من اسمه النعمان بن بشير غيره هذا وفيهم النعمان جماعات فوق الثلاثين روى له مائة حديث وأربعة عشر حديثا اتفقا منها على عشرة وانفرد البخاري بحديث ومسلم بأربعة وروى عنه ابنه محمد وحميد بن عبد الرحمن والشعبي وسالم بن أبي الجعد وسماك بن حرب وغيرهم ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه أيضا سبعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيه رد على من قال انه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في رواية مسلم والاسمعيلي من طريق زكريا وأهوى النعمان باصبعيه الى أذنيه وهو اشارة الى تأكيد التصريح بالسماع (يقول ان الحلال) هو كالحل ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام وهو من باب ضرب يضرب وأما الحل بالمكان فهو من باب نصر ينصر (بين) أي ظاهر متضح لا يخفى حله كأكل الخبز والفواكه والكلام والمشي وغير ذلك واعلم ان أخذ المال اما أن يكون باختيار المكلف أو بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما أن يكون من غير مالك كالاشياء المباحة التي لم يسبق عليها ملك أو تكون من مالك والذي يؤخذ من مالك اما أن يؤخذ كرها أو تراضيا والمأخوذ كرها اما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم والاستحقاق للأخذ كالزكاة من الممتنعين ومن المأخوذ كرها النفقات الواجبات والمأخوذ تراضيا اما بعوض كالبيع والصداق واما بغير عوض كالهبة والصدقة وجميع هذه الاقسام حلال اذا روعيت شروط الشرع في تحصيلها ثم ان الحلال فسره الامام مالك والشافعي بما لم يرد بتحريمه دليل وأبو حنيفة بما دل دليل على حله وثمرة الخلاف تظهر في المسكوت الذي جهل أصله فعند مالك والشافعي هو من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفي من الحرام ويعضد الاول قل لا أجد فيما أوحي الى محرما الآية وقوله في رواية البخاري وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها (وان الحرام) وفي رواية الطبراني حلال بين وحرام بين بالتنكير وسوغ الابتداء فيه بالنكرة انه خبر لمبتدا محذوف تقديره الاشياء حلال بين وحرام (بين) أي ظاهر منكشف وهو ما منع منه شرعا اما لصفة في ذاته ظاهرة

كتب فيها وقد يوجد فيها محو وتبديل بحسب ما في علم الله تعالى ومصداقه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أي أصله وهو العلم القديم الازلي الذي لا يتغير منه شيء كما قاله ابن عباس وغيره ﴿ (تنبيه) ﴾ من علم هذا ان عليه التوكل على خالقه والاعراض عما سواه روى ابن العربي بسنده انه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله تعالى القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله تعالى ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم القلم فلم يكتب ولم ينطلق ولا ينطلق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال له الجبار ما خلقت خلقا أعجب الي منك وعزتي لاكملنك فيمن أحببت ولانقصنك فيمن أبغضت ثم قال صلى الله عليه وسلم أكمل الناس عقلا أطوعهم لله بطاعته وروى مسلم ان الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماء والارض بخمسين ألف سنة وفيه أيضا يا رسول الله فيم العمل اليوم أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالوا ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴿ (فائدة) ﴾ قيل أول من كتب العربي وغيره آدم عليه السلام وقيل اسمعيل أول من كتب العربي وقيل أول من وضع الخط نفر من طي ولم يصح في ذلك كله شيء والله سبحانه وتعالى أعلم (وفي رواية

كالسم والخمر أو خفية كالزنا وتزكي المجوس وأما الخلل في تحصيله كالربا والغصب والسرقة (وبينهما أمور) أي شؤن وأحوال (مشتبهات) جمع مشتبه وهو ما ليس بواضح الحل ولا الحرمة وقد اختلف فيها على أقوال الاول ما اختلف فيه العلماء كالخيل فانها محرمة عند مالك لان لام العلة في قوله لتركبوها وزينة تفيد الحصر عنده ومباحة عند غيره الثاني المكروه وبه قال الماوردي لانه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه الثالث معاملة الانسان من في ماله شبهة أو خالطه حرام وبه قال الخطابي ومثل ذلك من أراد شراء شيء فقال له صاحبه قبل الشراء ذقه لان اذنه له بذلك لا يحل الشراء وربما لا يقع بينهما بيع وكذا اذا وجد في بيته ما لا يدري أهو له أو لغيره قال في حياة الحيوان قيل اختلط غنم البادية بغنم الكوفة فسأل أبو حنيفة رحمه الله كم تعيش الشاة فقيل له سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين الرابع ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف العرب هل هو مضر أم لا قال في مختصر احياء علوم الدين ومن جملة المتشابه أن يكون الشيء بالشراء في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكل قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب باداء المال في مقابلته من الحرام حراما ولعا لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقبض الثمن فلا يحرم ما أكل وان أبرأ ذمته مع العلم بكون الثمن حراما فهو براءة الذمة والحل انتهى ومحصله ان الاقسام أربعة فان اشتراه في الذمة ودفع الثمن قبل أن يسلم اليه فهو من المتشابه لان الذمة لم تبرأ بدفع الثمن وان سلم له الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب وانشراح وأكله قبل دفع الثمن أيضا فهو حلال وان أبرأ ذمته في القسمين مع العلم بكون الثمن حراما فهو ويوجب براءة الذمة من الثمن وحلية الشيء المشترى انتهى وأفضل كسب الرجل ما أكل من زراعته ثم صناعته ثم تجارته وقد ورد أن آدم كان زراعا وان ادريس كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان ابراهيم كان بزازا وان من الانبياء من رعى الغنم بالاجرة الى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وكان داود لا يأكل الا من عمل يده وقوله مشتبهات بضم الميم وسكون الشين المعجمة وفتح المثناة الفوقية وكسر الباء الموحدة على وزن مفتعلات كذا عند مسلم والبخاري في رواية الاصيلي وهو رواية ابن ماجه وفي رواية الطبراني مشتبهات بفتح التاء والشين وتشديد الباء الموحدة المكسورة وفي رواية السمرقندي مشبهات بفتح الشين وفتح الباء الموحدة المشددة وفي رواية بكسرها على صيغة اسم الفاعل مشبهات أنفسها بالحلال واسناد ذلك اليها مجاز وفي رواية بضم الميم وسكون الشين وكسر الباء الموحدة المخففة ومعناها كالثالثة الا ان هذه من باب الافعال وتلك من باب التفعيل وعند الدارمي متشابهات وفي رواية للبخاري بالافراد وفي رواية لابي داود مشتبهة بالافراد أيضا فهذه ثمان روايات قال العراقي والمشهورة الرواية الاولى قال الخطابي معنى مشتبهات أي تشتبه على بعض الناس دون بعض لا انها في نفسها مشتبهة على كل الناس لا بيان لها بل العلماء يعرفونها لان الله تعالى جعل عليها دلائل يعرفها بها أهل العلم ولذا قال (لا يعلمهن) لفظ ابن ماجه لا يعلمها

وهو غير الترمذي احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء) أن تحبب اليه بالدأب في الطاعات حتى تكون عنده معروفا بذلك (يعرفك في الشدة) بتفريج كربتك وجعله لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا يقال ان العبد اذا تعرف الى الله في الرخاء ثم دعاه في الشدة يقول الله تعالى هذا الصوت أعرفه وفي غيره لا أعرفه وقيل المراد تعرف الى ملائكة الله تعالى في حال اليسر بالظهار العبادة واللزوم

للطاعة تعرف لك في حال الشدة فتشفع لك عند الله بطلب الفرج والمعونة لك وذلك لما روي أن العبد إذا كان له دعاء في الرخاء كدعائه في الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه وإن لم يكن له صوت دعاء في الرخاء فدعا في الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه (قوله واعلم أن ما أخطأك) أي فلم يصل إليك (لم يكن) مقدرا عليك (ليصيبك) لكونه غير مقدر لك (وما أصابك) أي من المقدرات عليك (لم يكن) مقدرا على غيرك (فيخطئك) إذ لا يصيب الإنسان إلا ما قدر له أو عليه وذلك لأن المقدرات سهام صائبة وجهت من الأزل فلا بد أن تقع مواقعها روى الإمام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال إن لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويؤيد ذلك قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها وأخرج الترمذي إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط (قوله واعلم أن النصر) أي من الله للعبد على أعدائه إنما يكون (مع الصبر) على طاعة الله وعن معصيته قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين أي بالنصر والإثابة إلى غير ذلك من الآيات والأخبار ولهذا كان الغالب على من انتصر لنفسه الخذلان فمن صبر واحتسب نصره الله وأيده (قوله وأن الفرج مع الكرب) أي يوجد سريعا معه فلا دوام للكرب وشواهده كثيرة في الكتاب والسنة وفيه تسلية وتأنيس بأن الكرب نوع من النعمة لما يترتب عليه ومنه قول بعضهم

عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

ولعل الفوائد في الشدائد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

ولرب حادثة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وهو أرجح عند أهل العربية لأن الأولى في جمع ما لا يعقل أن يعامل معاملة المؤنث (كثير من الناس) أي لا يعلم حكمهن من التحليل والتحريم وإلا فالذي يعلم الشبهة يعلمها من حيث إنها مشكلة ووقع في رواية البخاري لا يعلمها أي لا يعلم حكمها وجاء ذلك أي مفسرا في رواية الترمذي ولفظه لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام وقوله لا يعلمهن كثير إلخ أي ويعلمهن قليل (فمن اتقى) من التقوى وهي لغة قلة الكلام والحاجز بين الشيئين واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال أمره واجتناب نهيه هذا غير منفك عما قبله كما أن ما قبله كذلك فالاقتصار على أحدهما كاف وأصل اتقى أوتقى لأنه من وقى وقاية فقلبت الواو تاء وأدغمت التاء في التاء وعدل على ترك إلى اتقى ليفيد أن تركها إنما يعتد به إذا خلا عن محذور رياء وسمعة (الشبهات) بدون الميم مع ضم الشين والباء كذا عند مسلم والبخاري جمع شبهة وهي ما يخيل للناظر أنه حجة وليس كذلك والمراد بها هنا المشتبه وفي رواية غير الإسماعيلي المشتبهات بالميم والاختلاف في لفظها من الرواة كالتي سلفت وهي من وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما للشأن اجتنابها والحذر منها (فقد استبرأ) بالهمز وقد يخفف والسين للمبالغة أي بالغ في البراءة كما في قوله تعالى فمن كان غنيا فليستعفف أو للتأكيد كما في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم من قولهم استبرأ الجارية إذا علم براءة رحمها من الحمل فأطلق العلم بالحصول وأراد الحصول (لدينه) مما يشينه (وعرضه) من الطعن فيه وهو في الأصل رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أو منتنة يقال طيب العرض ومنتن العرض وسقاء خبيث العرض إذا كان منتنا والعرض أيضا الجسد وفي صفة أهل الجنة إنما هو عرق يسيل من أعراضهم أي من أجسادهم وأما في الاصطلاح فهو كما في النهاية موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو سلفه أو أهله ولما كان موضعه النفس حمل عليها إطلاقا للحال على المحل قال الشاعر

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فإن ابتذال المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوأة * فعندك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أهدت إليك معايبا * لقوم فقل يا عين للناس أعين

وأشار في الحديث الأول إلى ما يتعلق بالحق وبالثاني إلى ما يتعلق بالخلق وقدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال والله لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا جيدة الوزن فأنا أزن لك قال لا فقالت لم قال لأني أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا وأدخل أصابعه في صدغيه وتمسحين به في عنقك فأصيب فضلا من المسلمين وعن الفضيل أنه كانت له شاة فأكلت شيئا يسيرا من علف لبعض الأمراء فلم يشرب من لبنها من بعد ذلك حكاه في الحدائق وقيل لإبراهيم بن أدهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت وهو إشارة إلى أن الدلو من مال السلطان فهو من المشتبه وقال ابن المبارك لأن أرد درهما من شبهة خير من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف وقد جاء في الأثر من وقف موقف تهمة فلا يلومن من أساء

وقال غيره
توقع صنع ربك سوف يأتى * بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما ناب خطب * فكم فى الغيب من عجب عجيب

وقال غيره
لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به * ولا تبيتن الا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

(قوله وان مع العسر يسرا) أى كما نطق به القرآن العزيز ومن ثم ورد عن جمع من الصحابة وعنه صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين وأخرج البزار وابن أبى حاتم واللفظ له لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فأنزل الله تعالى هذه الآية * (خاتمة المجلس) * من الادعية المستجابة اذا حل لشخص أمر ضيق يطبق اصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج واليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهى فائدة حسنة * حكى عن بعضهم أنه كان اذا طلب منه شئ ادخل يده فى جيبه فاخرج منه ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويعلمون ان ما فيه شئ فسئل عن ذلك فاخبر ان الخضر عليه السلام يأتيه بكل ما طلبت منه فالعجب ممن يتوكل على الله تعالى فى نجاته من النار وفى جوازه على الصراط وفى شربه من الحوض وفى دخوله الجنة ولا يتوكل عليه فى كسيرات يقيم صلبه وفى ثوب يستتر به عورته اللهم وفقنا أجمعين آمين

الظن به ولهذا لما مر المصطفى صلى الله عليه وسلم ومعه امرأته صفية فرآه رجلان فاسرعا فقال لهما على رسلكما انها صفية بنت حيى فشق عليهما أن يظنا به شيأ فيهلكا فقالا سبحان الله فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف فى قلبكما شرا أو كما قال أى تمرة ملقاة قال لولا أخشى انها صدقة لاكلتها وفى عطف العرض على الدين دليل على ان طلب براءته مطلوب ممدوح كطلب براءة الدين ومن ثم ورد ما وقى به العرض صدقة وعلى طلب نزاهته عما يظنه الناس شبهة ولو عن علم عدمه فى نفس الامر ومن ثم لما خرج أنس لصلاة الجمعة فرأى الناس راجعين منها فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله ولو أمره أحد أبويه باخذ أو أكل شبهة فقال أحمد لا يطيعهما وتوقف آخرون وقال بعض السلف يطيعهما وتوقف آخرون وقال شارح المشكاة الذى يتجه أن الشبهة ان خفت ولم يكن على الولد فى ذلك ضرر وكان ان لم يفعل ذلك تأذى الوالد أذى ليس بالهين جاز والا فلا ثم ان متعاطى الحلال الصرف الذى لم يخالطه شبهة من جملة الذين لم تسلط الارض على أجسامهم وقد ذكرناهم فى شرح المقدمة العشماوية فى أول باب الجنائز (ومن وقع فى الشبهات) فيه من اختلاف الرواة ما تقدم (وقع فى الحرام) المحض ويحتمل معنيين أحدهما من أكثر من تعاطى الشبهات صادف الحرام وهو لا يشعر به والثانى انه يعتاد التساهل ويتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم أخرى أغلظ منها وهكذا حتى يقع فى الحرام عمدا ومن ثم قيل الصغيرة تجر الكبيرة وهى تجر الكفر ولذا قال تعالى وقتلهم الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا أى تدرجوا بالمعاصى الى قتلهم فيتدرج من درجة الى أخرى بالتساهل والتسمح ومنه تلك حدود الله فلا تقربوها نهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقليل الشرب يدعو الى كثيره والخلوة بالاجنبية تدعو الى الفجور والقبلة للصائم تدعو الى الوطء وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أى يتدرج بذلك الى نصاب السرقة فتقطع يده وقال هشام كنت أمشى خلف العلاء فيتوقى الطين فدفعه انسان فوقعت رجله فى الطين فخاضه فلما وصل الى الباب قال لى رأيت يا هشام قلت نعم قال كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فاذا وقع فيها خاضها وقوله وقع فى الحرام أى سقط فيه لان الوقوع فى الشئ السقوط فيه وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك وانما قال هنا وقع دون يوشك ان يقع على وزن قوله يوشك ان يرتع اما تحقيقا للوقوع ولان حمى الاملاك حدود محسوسة يدركها كل ذى بصر فيجوز ان يتحرز عنها الا ان تغلبه الدابة الجموح وأما حمى الله فهو معقول لا يدركه الا ذوو البصائر فربما يحسب الشخص انه يرتع حول الحمى فاذا هو فى وسط محارمه وما أورده المؤلف هنا من ثبوت جواب الشرط هو رواية مسلم وأما فى رواية البخارى فمحذوف حيث قال ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه وحينئذ فى فيها موصولة والتقدير والذى وقع فى الشبهات مثل راع يرعى (كالراعى) ولفظ رواية البخارى كراع (يرعى) الماشية (حول الحمى) بكسر الحاء وفتح الميم المخففة أى المحمى فاطلق المصدر على اسم المفعول كذا قيل وفيه نظر لانه مصدر حمى يحمى حماية وحينئذ فهو اسم مصدر والحمى هو المكان

* (المجلس العشرون فى الحديث العشرين) *

الحمد لله الذى جعل قلوبنا بذكره مطمئنة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اطلع على ضمائرنا ومكنون سرائرنا فلا يخفى عليه ما أضمره العبد وأكنه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل المخلوقين من ملك وانس وجنه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين بينوا الفرض والسنة آمين (عن أبى مسعود عقبة بن عامر الانصارى البدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت رواه البخاري) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (قوله ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى) أي مما اتفقت عليه الشرائع لانه جاء في أولها وتتابعت بقيتها عليه اذ الحياء لم يزل في شرائع الانبياء الاولين ممدوحا ومأمورا به ولم ينسخ في شرع وفي حديث لم يدرك الناس من كلام النبوة الاولى الا هذا اذا لم تستح فاصنع ما شئت واختلاف العلماء في معناه قال بعضهم معناه الخبر وان كان لفظه لفظ الامر فكأنه قال اذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت فان من لم يكن له حياء يحجزه عن محارم الله فسواء عليه فعل الصغائر وارتكاب الكبائر قال بعضهم

اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال بعضهم معناه الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم أي اصنع ما شئت فان الله مجازيك وقال بعضهم انظر ما تريد أن تفعل فان كان ذلك مما لا تستحي منه فافعل منه ما شئت فان ذلك الفعل يكون جاريا على نهج السداد وان كان مما يستحي منه فدعه ومعنى الحديث أن عدم الحياء يوجب الانهماك في هتك الاستار وفيه معنى التحذير والوعيد على قلة الحياء وفيه ان الحياء من أشرف الخصال وأكمل الاحوال ولذا قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء لا يأتي الا بخير وثبت أن الحياء شعبة من الايمان وقد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من البكر في خدرها وفي حديث اذا أراد بعبد هلاكا نزع منه الحياء فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا بغيضا مبغضا واذا كان بغيضا مبغضا نزع منه الامانة فاذا نزع منه الامانة فلم تلقه الا خائنا مخونا فاذا كان خائنا مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه الا فظا غليظا فاذا كان فظا غليظا نزع منه ربقة الايمان من عنقه فاذا نزع منه ربقة الايمان من عنقه لم تلقه الا شيطانا لعينا

المحذور على غير مالكه بأن يمنع الامام أو نائبه من رعي مكان لاجل مواشي الصدقة أو خيل المجاهدين ووجه التشبيه ان الراعي اذا جر رعيه حول الحمى الى وقوعه في الحمى استحق العقاب فكذلك من أكثر الشبهات حتى وقع في الحرام فانه يستحق العقاب بسبب ذلك فالرب جل جلاله حمى محارمه كالجرائم على النفس والمال والعرض ومطلق المحارم وقد حرم ابراهيم مكة والشارع المدينة وحمى عمر السرف والربذة (يوشك) بضم الياء وكسر الشين المعجمة من أفعال المقاربة العشرة أي يقرب ويقال في ماضيه أوشك من أنكر استعماله ماضيا فقد غلط ويستعمل منه اسم فاعل فيقال موشك الا انه نادر (أن يرتع) بفتح التاء فيه وفي ماضيه وأصله الاقامة والبسط في الاكل والشرب ومنه قول اخوة يوسف نرتع ونلعب أي نتنعم ونلهو ومن قرأ نرتع بضم النون وكسر التاء معناه نرتع ابلنا (فيه) أي تأكل ماشيته منه (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ومثلها أما فان وقعت ان بعد الا هذه كانت مكسورة لا غير نحو قوله تعالى ألا انهم هم المفسدون وان وقعت بعد اما كان فيها الكسر والفتح تقول اما أن زيدا قائم بكسر ان وفتحها وكذلك اذا وقعت بعد اذا على ما تقرر في علم العربية والا يدل على تحقيق ما بعده وتدخل على الجملتين نحو الا انهم هم السفهاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وافادتها التحقيق من جهة تركبها من همزة الاستفهام ولا النافية وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال الزمخشري ولكونها بهذا المنصب لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم نحو الا ان أولياء الله (وان لكل ملك) من ملوك العرب (حمى) يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه وقد كان كليب اذا مر برعي وأعجبه حماه وعلامة ذلك أن يأخذ جروا فيقطع أذنه وذنبه ويتركه في ذلك المكان فينبح فاذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى وقيل انه كان يعمل الى الروضة فاذا أعجبته كسر قوائم كلبه وألقاه في وسطها فحيث بلغ عواء الكلب كان حمى لا يرعى وفيه يقول الشاعر

أبحت حمى تهامة بعد نجد ✲ وما شيء حميت بمستباح

(الا) كررها للدلالة على فخامة شأن مدخولها وعظم موقعه (وان) باثبات الواو كما في رواية أبي فروة للبخاري وبحذفها كما في رواية غيره فان قلت ما وجه ذكر الواو هنا وتركها وما وجه ذكرها في قوله الا وان في الجسد مضغة فالجواب أما وجه ذكرها فبالنظر الى وجود التناسب بين الجملتين من حيث ذكر الحمى فيهما وأما وجه حذفها فبالنظر الى بعد المناسبة بين حمى الملوك وبين حمى الله تعالى الذي هو الملك الحق لا ملك حقيقة الا له تعالى وتقدس وأما وجه ذكرها في قوله ألا وان في الجسد مضغة فبالنظر الى وجود المناسبة بين الجملتين نظرا الى ان الاصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب لانه عماد الجسد وملاكه وبه قوامه (حمى الله محارمه) أي المعاصي التي حرمها كذا في رواية لاسماعيلي وفي رواية غيره في أرضه بعد الجلالة وفي رواية أبي فروة معاصيه ووقع في رواية الطبراني فان حمى الله في الارض حلاله وحرامه فزاد الحلال ومعناه كما قال الحافظ العراقي أنه جعل للحلال حدا وللحرام حدا فلا

ملعونا لو ينبغي ان يرتجى في الحياء الذي الشرعي فان منه ما يذم شرعا كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع
وجود شروطه وهذا في الحقيقة جبن لا حياء وتسميته حياء مجازا لمشابهته له ومنه الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات الدين اذا
أشكلت عليه ولذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن وفي حديث ان
دينها هذا الابصاع استحيى أي حياء ١١٤ مذموما ولا المنكر وجاء في الصحيحين عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها جاءت أم سليم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء فلم تستح من السؤال عن دينها * وجاء شر النساء الوزرة المذرة أي التي لا تستحيي عند الجماع * وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن رآه يعاتب أخاه في الحياء دعه فان الحياء من الايمان أي من أسباب أصل الايمان واخلاقه لمنعه من الفواحش وحمله على البر والخير كما يمنع الايمان صاحبه من ذلك وأولى الحياء من الله تعالى وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكمال الحياء ينشأ عن معرفته تعالى ومراقبته وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن فعل ذلك
فقد استحيى من الله حق الحياء * واعلم ان أهل الحياء يتفاوتون بحسب تفاوت أحوالهم وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم كمال نوعي الحياء فكان في الحياء الغريزي أشد من العذراء في خدرها وفي الكسبي واصلا الى أعلى غاية (قوله اذا لم تستح
فاصنع ما شئت) يتضمن الاحكام الخمسة لان فعل الانسان اما أن يستحيى منه أولا فالاول الحرام والمكروه والثاني الواجب والمندوب

اشكال فيه كما توهمه (الا وان في الجسد) أي البدن اذ البدن هو الجسد ما سوى الاطراف أو ما سوى
الرأس كما قاله الازهري (مضغة) أي قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم لكنها وان صغرت في الحجم والصورة
عظمت في القدر والرتبة ومن ثم كانت (اذا صلحت) بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها
والفتح أفصح وأشهر (صلح الجسد كله) بالاعمال والاخلاص والاحوال (واذا فسدت) بالجحود
والكفران وهو بفتح السين وضمها أيضا والفتح أفصح وأشهر كذلك (فسد الجسد كله) بالفجور
والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد والاعضاء كالرعية ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح
الملك وتفسد بفساده وأيضا هو كالارض وحركات الجسد كالنبات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا وأيضا هو كالعين والجسد كالزرع ان عذب ماء العين عذب الزرع وان
ملح ملح ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من رعيته كيف حال أميركم فقال له يا أمير المؤمنين اذا
طابت العين عذبت الانهار وقد شق صدره صلى الله عليه وسلم مرات وغسل قلبه واستخرج منه علقة
سوداء وقيل هذا حظ الشيطان منك ثم طهر قلبه وجسده فصار فردا قال أحمد بن خضرويه القلوب
أوعية فاذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح واذا امتلأت من الباطل أظهرت
زيادة ظلمتها على الجوارح وقال الغزالي في الاحياء القلب مثل قبة لها أبواب تنصب اليها الاحوال من
كل باب ومثل هدف يرمى اليه بالسهام ومثل مرآة منصوبة يجتاز عليها الاشخاص فتتراءى فيها صورة
بعد صورة ومثل حوض تنصب اليه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اه وقال بعضهم صلاح القلب في
خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين
ونظمها بعضهم فقال

دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه * وأن تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم العزلة والصمت وترك خوض الناس وزاد آخر أكل الحلال وهو رأسها فانه ينور القلب
ويصلحه فيزكو بذلك الجوارح فتدرأ المفاسد وتكثر المصالح وأكل الحرام والشبهات تصديه وتظلمه
وتقسيه وقد قيل اذا صمت فانظر على طعام من تفطر فان الرجل يأكل الأكلة فيشتغل قلبه كاللحم فلا
ينتفع به أبدا وقيل يخاف على آكل الحرام أو الشبهة أن لا يقبل له عمل ولا يرفع له دعاء الا تسمع قوله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين وآكل الحرام والمسترسل في الشبهات ليس بمتق على الاطلاق ويعضده
ما يأتي في حديث ان الله طيب الخ والشرب أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جرعة من لبن استقاءها
فاجهده ذلك حتى تقايأها فقيل له أكل ذلك في شربة فقال والله لو لم تخرج الا بنفسي لاخرجتها سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به فخشيت أن ينبت شيء من
جسدي من هذه الجرعة وروى أبو نعيم الاصفهاني في حليته ان أبا بكر رضي الله عنه كان يسأل عن
الطعام فجاء يوما وهو جائع فقال لغلامه هل عندك شيء فقال نعم قطعة لحم فقال له اشوها وهاتها فاطعمه
أكلها

والمباح ولذا قيل ان على هذا الحديث مدار الاسلام لما ذكرناه (مسئلة) يحرم كشف العورة بحضرة الناس وأما بغير حضرة الناس فقد قال الامام النووي رحمه الله في شرح مسلم يجوز كشف العورة في محل قضاء الحاجة في الخلوة كحالة الاغتسال والبول ومعاشرة الزوجة وأما دخول الحمام فأيضا يطلب له الحياء. قال العلماء رضي الله عنهم يباح للرجال دخول الحمام ويجب عليهم غض البصر عما لا يحل لهم وصون عورتهم عن الكشف بحضرة من لا يحل له النظر

اليها * وقد روي أن الرجل اذا دخل الحمام عاريا لعنه ملكاه رواه القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وروى الحاكم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وأما النساء فيكره لهن بلا عذر لخبر ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها الا هتكت ما بينها وبين الله تعالى رواه الترمذي وحسنه ولأن أمرهن مبني على المبالغة في الستر ولما في خروجهن واجتماعهن من الفتنة والشر * فعليكم يا اخواني بالحياء والزموا الادب تبلغوا الارب * ولنختم مجلسنا هذا بشئ يتعلق بالادب قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال علي رضي الله عنه أي أدبوهم وعلموهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم لأن يؤدب أحدكم ابنه خير من أن يتصدق بصاع طعام فجعل تأديب الابن أعلى من الصدقة حكاه ابن أبي جمرة في شرح البخاري * وقال أبو علي الروذباري العبد يصل بأدبه الى ربه وبطاعته الى الجنة وقال سري السقطي رضي الله عنه صليت ليلة من الليالي فمددت رجلي في المحراب فنوديت في سري هكذا تجالس الملوك فقلت لا وعزتك لا مددت رجلي أبدا وقال بعض العارفين مددت رجلي في الحرم فقالت جارية لا تجالسه الا بالادب والا يمحوك من ديوان القربين وقال بعضهم ترك الادب موجب للطرد فمن أساء أدبه

أكلها قال له الغلام ما لك ما سألت عنها على عادتك فقال كنت جائعا فمن أين هي قال مررت على قوم من الجاهلية قد عملوا عرسا فأعطوني هذه القطعة فقام أبو بكر ولم يزل يتقايأ حتى أخرجها وهي مصبوغة بالدم فقيل له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مقدار هذه فقال والله لو لم تخرج الا بروحي لأخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نشأ عن سحت فالنار أولى به قال الاستاذ أبو نعيم القشيري رحمه الله تعالى قال ابراهيم بن أدهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وذكر بسنده عن السري السقطي رضي الله عنه انه كان من أهل الورع في أوقاتهم أربعة حذيفة المرعشي ويوسف بن أسباط وابراهيم بن أدهم وسليمان الخواص فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الامور فزعوا الى التقليل وقال الشبلي الورع أن تتورع عما سوى الله تعالى وقال اسحق بن خلف الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلهما في طلب الرياسة وقال أبو عبد الله بن الجلاء أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر في دقيق من الورع لم يصل الى جليل من العطاء وقال سفيان الثوري ما رأيت أسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقيل جاءت أخت بشر الحافي الى أحمد بن حنبل فقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال لها من أنت عافاك الله قالت أخت بشر الحافي فبكى أحمد بن حنبل وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها قال وسمعت أبا علي الدقاق يقول كان الحارث المحاسبي اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم انه غير حلال وكان بشر الحافي دعي الى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده اليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل يعرف ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الشيخ ودخل الحسن البصري رحمه الله مكة فرأى غلاما من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال ما ملاك الدين فقال الورع فقال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة وأوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لا يتقرب الى المتقربون بمثل الورع وقال أبو هريرة رضي الله عنه جلساء الله غدا أهل الورع والزهد وقال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل ولم يشبع وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين وسئل أبو عثمان الحيري عن الورع فقال كان أبو صالح حمدون عند صديق له وهو في النزع فمات الرجل فنفث أبو صالح السراج فقيل له في ذلك فقال كان الدهن الذي في المسرجة له ومن الآن صار للورثة اطلبوا دهنا

على البساط طردا الى الباب ومن أساء أدبه على الباب نظر دالى سياسة الدواب وقال بعضهم من تأدب بأدب الصالحين صلح لبساط المحبة ومن تأدب بأدب الصديقين صلح لبساط المشاهدة وقال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه وصف لي عابد فقصدت زيارته فرأيته قد بصق الى جهة القبلة فرجعت عن زيارته لانه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأمونا على الاسرار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه رواه أبو داود * وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا قام للصلاة فتحت له الجنة وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبله الحور العين مالم يمتخط أو يتنخع رواه الطبراني رضي الله الله وقال صلى الله عليه وسلم أكرم المجالس ما استقبل به القبلة وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ سيدا وان سيد المجالس قبالة القبلة وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ شرفا وزينة المجالس استقبال القبلة * وقال بعضهم مافتح الله على ولي الا وهو مستقبل القبلة * وحكى ان رجلا علم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة قال أهل التصوف نفعنا الله تعالى ببركاتهم اذا صحت المحبة سقط الادب واستشهدوا لذلك بما نقل ان خطافا راود خطافة فدخلت قصر سليمان عليه السلام فقال ان لم تخرجي قلبت قصر سليمان عليه فدعاه وقال ما حملك على ما قلت (لسان) قال يانبي الله ان العشاق لايؤاخذون بأقوالهم وقالوا ان الادب أفضل من امتثال الامر واستشهدوا لذلك بان الصديق رضي الله عنه تأخر عن المحراب ولم يمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم له باتمام الصلاة وأما الفقهاء فقالوا امتثال الامر أفضل من الادب وبنوا على ذلك قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد من غير أن يقول على سيدنا امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم

غيره وقال كهمس اذنبت ذنبا فانا أبكي عليه أربعين سنة وذلك انه زارني أخ لي فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت قطعة من طين من جدار جاري حتى غسل يده ولم استحله وكان رجل يكتب رقعة في بيت بكراء فاراد ان يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم خطر بباله انه لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سينظر المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب ورهن أحمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة فلما أراد فكاكه أخرج البقال اليه سطلين وقال خذ أيهما لك فقال أحمد أشكل على سطلي هولك والدراهم لك فقال البقال سطلك هذا وانما أردت ان أجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل والدراهم وقيل سيب ابن المبارك دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت في قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك من مرو الى الشام في قلم استعاره ولم يرده على صاحبه واستأجر النخعي دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فاخذ السوط فقيل له لو صوبت الدابة الى الموضع الذى سقط السوط فيه فاخذته فقال انما استأجرتها لامضي بها هكذا الا هكذا وقال أبو بكر الدقاق تهت في تيه بني اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة شقا في قميصها في ضوء شعلة سلطانية ففقدت قلبها زمانا حتى تفكرت فشقت قميصها فوجدت قلبها وروى سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير في الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا قال بالورع * ومر عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فاحياه الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فانا مطالب به منذ مت اه كلام القشيري ولبعضهم رحمه الله تعالى

المرء ان كان عاقلا ورعا * أشغله عن عيوبهم ورعه
كما العليل السقيم أشغله * عن وجع الناس كلهم وجعه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فاذا تاب واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعن الاعمش قال كنا عند مجاهد فقال القلب هكذا وبسط كفه فاذا أذنب العبد ذنبا قال هكذا وعقد واحدا ثم اذا أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا ثم رد الابهام على الاصابع في الذنب الخامس طبع الله على قلبه قال مجاهد فايكم يرى انه لم يطبع على قلبه وقال يحيى بن معاذ سقم الجسد بالاوجاع وسقم القلب الذنوب فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب وقال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة وقال اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه شاة أخرى وقال اذبحها وائتني باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال ما شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقد قال زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(ألا وهي القلب) وهو مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط فهو أخص من الفؤاد كما قاله الواحدي وقال البدر الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم ألين قلوبا وأرق أفئدة وفي الصحاح انهما مترادفان فان القلب يعبر عنه بالفؤاد ومنه ان الكلام لفي الفؤاد ويعبر عنه بالصدر كما في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ويعبر عنه بالثياب كما في قوله تعالى وثيابك فطهر أي قلبك فطهر على أحد التفاسير وقول الشاعر

* فشككت بالرمح الطويل ثيابه * أي قلبه وقد يطلق القلب على العقل مبالغة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل فلقيامه به وعدم انفكاكه عنه صار كأنه هو وسمي القلب قلبا لفرط تقلبه ولذا ورد في الحديث ان القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح بطنا لظهر وقال بعضهم

وما سمي القلب الا من تقلبه * فاحذر على القلب من قلب وتحويل

(وقال آخر) كان لي قلب أعيش به * قد ضاع مني في تقلبه
رب فاردده علي فقد * عيل صبري في تطلبه
وأغث ما دام في رمق * يا غياث المستغيث به

(وقال آخر) وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

ولانه خالص ما في البدن وخالص كل شيء قلبه أو لانه وضع في الجسد مقلوبا والقلب لغة صرف الشيء الى عكسه ومنه القلب فان قلت هذا يقتضي ان القلب هو أصل الصلاح والفساد وقد نرى الانسان أولا ينظر ثم يتأثر القلب كما قيل

كل الحوادث مبدأها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها * في أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

فهذا يدل على ان الجارحة تفسد القلب فالجواب ان الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتأثر القلب بأعمالها للارتباط الذي بين الظاهر والباطن فهو وان كان صغير الجرم كبير القدر ولذا سمي الاعظم لكونه عظيم القدر (رواه البخاري) في كتاب الايمان والبيع (ومسلم) في البيع وهذا الحديث أصل في القول بحماية الذرائع الذي ذهب اليه امامنا مالك رضي الله تعالى عنه

(الحديث السابع)

(عن أبي رقية) بضم الراء وتشديد المثناة التحتية مصغر ابنة لم يولد له غيرها (تميم بن أوس) بفتح الهمزة وسكون الواو ابن حارثة وقيل خارجة بن سود وقيل سواد بن خزيمة بن ذراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن

على محمد وقيل للعباس رضي الله عنه انت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله وذلك من أدبه رضي الله عنه (حكاية) دخل شقيق البلخي وأبو تراب النخشبي على أبي يزيد البسطامي رضي الله عنهم فاحضر خادمه الطعام فقالا للخادم كل فقال اني صائم فقال أبو تراب كل ولك أجر صيام شهر فقال اني صائم فقال شقيق كل ولك أجر سنة فقال اني صائم فقال أبو يزيد دعوا من سقط من عين الله فقطعت يده في سرقة بعد سنة اللهم ارزقنا الادب بفضلك وكرملك يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين وياخير المسؤلين بجاه سيد المرسلين آمين

(المجلس الحادي والعشرون في الحديث الحادي والعشرين)

الحمد لله الذي أدار الافلاك على قطبي الشمال والجنوب وريح الصبا ورفع قبة السماء بغير عمد وملأها حرسا وشهبا وجعلها بهجة للناظرين فمن تأمل قدرته رأى من آياته عجبا حكمة بالغة حارت فيها عقول العلماء والفقهاء والادباء وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي خلق من الماء بشرا فجعله صهرا ونسبا وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي لم يزل بآداب ربه متأدبا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الاخيار النجباء آمين

(عن أبي عمرو وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام) أي في شرائعه (قولا) أي جامعا لمعاني الدين واضحا في نفسه بحيث لا يحتاج الى تفسير غيرك اعمل به واكتفي به بحيث (لا أسأل) أي لا يحوجني لما اشتمل عليه من الاحاطة والشمول ونهاية الايضاح والظهور الى أن أسأل (عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله) أي جدد ايمانك بقلبك ولسانك المستحضر جميع معاني الاسلام

والايمان الشرعي (ثم استقاموا) على الطاعات والانتهاء عن جميع المنهيات اذ لا تاتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج وغاية الاستقامة
وتمامها أن لا يلتفت العبد الى غير الله تعالى وهي الدرجة القصوى التي بها كمال المعارف والاحوال وصفاء القلوب في الاعمال
وتنزيه العقائد عن فاسد البدع والضلال قال أبو القاسم القشيري رحمه الله من لم يكن مستقيما في حاله ضاع سعيه وخاب جهده
قيل لا يطيق الاستقامة الا الاكابر ١١٨ فانه لا تحصل الا بالخروج عن المألوفات ومفارقة العادات والقيام بين يدي الله تعالى

على حقيقة الصدق
ولعزتها أخبر صلى الله
عليه وسلم ان الناس
لا يطيقونها فيما أخرجه
الامام أحمد استقيموا
وان تطيقوا واحاصله ان
الاسلام توحيد وطاعة
فالتوحيد حاصل بالجملة
الاولى والطاعة بجميع
أنواعها ضمن الجملة
الثانية اذ الاستقامة
مرجعها الى امتثال كل
مأمور واجتناب كل
منهي ٠ زاد الترمذي في
هذا الحديث قلت
يارسول الله ما أخوف
ما تخاف علي فأخذ
بلسان نفسه وقال هذا
فتنبيه ان أعظم ما يراعى
استقامته بعد القلب
اللسان فانه ترجمان القلب
وقد أخرج الامام أحمد
لا يستقيم ايمان عبد
حتى يستقيم قلبه ولا
يستقيم قلبه حتى يستقيم
لسانه وليعلم ان اللسان
في بعض المواضع اضر من
سيف قاطع وسنان مجرد
قال سفيان لان ترمي
انسانا بسهم أهون من
ان ترميه بلسانك فان السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه وقيل جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان
والاستقامة خير من ألف كرامة وما أكرم الله تعالى عبدا بكرامة خير من الاستقامة ولهذا لم ينقل عن
الصحابة رضي الله تعالى عنهم الا القليل من الكرامات ونقل عن المتأخرين من المشايخ الصادقين والمريدين أكثر من ذلك رحمة
الله عليهم أجمعين لان الصحابة رضي الله عنهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبتهم له ومشاهدة الوحي وتردد الملائكة وهبوطها

ابن عمرو بن قحط (الداري) نسبة الى جده الدار بن هانئ وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال له
أيضا الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه (رضي الله عنه) كان نصرانيا فوفد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جماعة من الداريين منصرفه من تبوك فاسلم وكان كثير التهجد يختم القرآن في ركعة وقام ليلة
لم يتم بها حتى الصباح قام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وصلى ليلة بآية أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وجعل يرددها ويبكي حتى أصبح وعن صفوان بن سليم انه قال
قام تميم الداري في المسجد بعد ان صلى العشاء فمر بهذه الآية وهم فيها كالحون فما خرج منها حتى سمع
أذان الصبح واشترى حلة بألف كان يقوم فيها الليل وعن محمد بن أبي بكر عن أبيه قال زارتنا عمرة
فباتت عندنا فقمت بالليل فلم ارفع صوتي بالقراءة فقالت يا أخي ما منعك ان ترفع صوتك بالقراءة فما
كان يوقظنا الا صوت معاذ القاري وتميم الداري ولقد قال عمر لبعض من قدم عليه اذهب وانزل على تميم
أهل المدينة فنزل على تميم قال فبينما نحن نتحدث اذ خرجت نار الحرة فجاء عمر الى تميم فقال يا تميم اخرج
فصغر نفسه ثم قام فحشها ثم ادخلها الباب الذي خرجت منه ثم اقتحم في أثرها ثم خرج فلم تضره وهو
أول من قص في المسجد باذن عمر وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال اذ حدثه هو
واصحابه فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل في ذلك رواية
الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس
على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال
اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثني
حديثا وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال حدثني انه ركب البحر في سفينة بحرية
مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فارسلوا الى جزيرة أي قاربوها حين
غروب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة بضم الراء جمع قارب بكسرها سفينة صغيرة يقال لها سنبوك
فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر وهو تفسير لما قبله لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة
الشعر قالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال انطلقوا الى هذا
الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا
سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان ما رأيناه قط وأشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه
الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبري ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا
في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا الى
هذا الدير فأقبلنا اليك سراعا فقال أخبروني عن نخل بيسان هل تثمر قلنا نعم قال أما انه يوشك أن
لا تثمر قال أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا هي كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك أن يذهب قال
أخبروني عن عين زغر هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء وأهلها

يزرعون

بين يديه تموت قلوبهم وزكت نفوسهم فعاينوا الآخرة واستغنوا بها أعطوا من رؤية الكرامة واشتغلوا بالعبادة والاستقامة
وزهدوا في الدنيا الدنيئة كما في خبر حارثة المشهور ويقال في قول الله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قالوها بألسنتهم
ثم استقاموا واصدقوا بقلوبهم ويقال قالوا مصدقين بها ثم استقاموا على التصديق حتى ماتوا مسلمين ويقال قالوها بالايمان ثم
استقاموا بالطاعة والاحسان واعلموا يا اخواني ان من أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ومن خاف الله تعالى خافه

يزعمون من ماؤها قال أخبروني عن النبي الأمين ما فعل قلنا خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتلته العرب
قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال أما ان ذلك خير لهم
أن يطيعوه واني مخبركم عني اني أنا المسيح واني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض
فلا أدع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل
واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وان على كل نقب منها ملائكة
يحرسونها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة
يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم قالوا نعم اهـ والنقب الطريق بين الجبلين وسكن تميم رضي الله عنه
بيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله عنه ومات ودفن ببيت جبرين من أرض فلسطين سنة أربعين
وليس له في صحيح البخاري رواية ولا في مسلم الا في هذا الحديث (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين)
بكسر الدال أي دين الاسلام وهو ما شرعه الله لعباده من الاحكام وقدمت معانيه في الخطبة
(النصيحة) هي كالنصح نقيض الغش والخديعة وهما لغة الاخلاص والتصفية من نصحت العسل اذا
صفيته من الشمع شبه تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع أو من نصح
الرجل ثوبه اذا خاطه بالمنصح بكسر الميم وهي الابرة التي يخاط بها والنصاح بكسر النون وتخفيف الصاد
الخيط والناصح الخياط شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح بلم شعثه بلم الخياط خلل
الثوب ولصق بعضه ببعض ومنه التوبة النصوح كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه ونصحه له
أفصح من نصحته وشرطها اخلاص الرأي من الغش للمنصوح وايثار مصلحته وان شئت قلت بذل
المودة والاجتهاد في المشورة وقوله الدين النصيحة كرره صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو اما على حذف
مضاف أي عماد الدين وقوامه أي معظمه النصيحة على وزان الحج عرفة ويدل له رواية الطبراني
رأس الدين النصيحة واما على ظاهره اذ النصيحة لم تبق من الدين شيئا لان من جملتها الايمان بالله ورسوله
وطاعتهما والعمل بما قالاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك من الدين شيء كيف وقدم في حديث
جبريل ان الدين هو الاسلام والايمان والاحسان وجميع ذلك مندرج تحت ما ذكر من النصيحة وهي تحري
الاخلاص قولا وفعلا واعتقادا وبذل الجهد في اصلاح المنصوح سرا وجهرا وكل عمل لم يرد به عامله
الاخلاص فليس من الدين أصلا ومن ثم لم يكن في كلام العرب أجمع منها كما ان الفلاح ليس في كلامهم
أجمع لخيري الدنيا والآخرة منه (قلنا) معشر السامعين (لمن) فيه اشارة الى ان للعالم أن يكل فهم ما يلقيه
للسامع فلا يزيد له في البيان حتى يسأله لتشوف نفسه حينئذ اليه فيكون أوقع في نفسه مما اذا فهمه من
أول وهلة (قال) صلى الله عليه وسلم (لله) بالايمان ونفي الشريك عنه واخلاص الاعتقاد في الوحدانية
ووصفه بصفات الالوهية وتنزيهه عن النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة
من أطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص في جميع الامور وفي
حديث رواه أحمد قال الله عز وجل أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي * وروى الثوري عن

كل شيء قال عوف بن أبي
شداد العبدي بلغني ان
الحجاج بن يوسف لما ذكر
له سعيد بن جبير أرسل
اليه قائدا يسمى المتلمس
ابن الاحوص ومعه
عشرون رجلا من أهل
الشام من خاصة أصحابه
فبينما هم يطلبونه اذا هم
براهب في صومعة له
فسألوه عنه فقال الراهب
صفوه لي فوصفوه له
فدلهم عليه فانطلقوا
فوجدوه ساجدا يناجي
بأعلى صوته فدنوا منه
فسلموا عليه فرفع
رأسه فأتم بقية صلاته ثم
رد عليهم السلام فقالوا
أرسل الحجاج اليك
فأجبه قال ولا بد من
الاجابة قالوا لا بد فحمد الله
وأثنى عليه وصلى على
نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قام فمشى معهم
حتى انتهى الى دير
الراهب فقال الراهب
يا معشر الفرسان أصبتم
صاحبكم قالوا نعم قال لهم
اصعدوا الدير فان اللبوة
والاسد يأويان حول

الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وأبى سعيد أن يدخل الدير فقالوا ما نراك الا تريد الهرب منا قال لا ولكن لا أدخل منزل
مشرك أبدا قالوا فانا لا ندعك فان السباع تقتلك قال سعيد ان معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا حولي تحرسني من كل سوء ان شاء
الله تعالى قالوا أفأنت من الانبياء قال ما أنا من الانبياء ولكني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب فقالوا احلف انك لا تبرح فحلف
لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول علي في الصومعة فدخلوا

وأوتروا القسي فإذا هم بلبوة قد أقبلت فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه وأقبل الأسد فصنع مثل
ذلك فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم ففسر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب
وحسن إسلامه وأقبل القوم إلى سعيد يعتذرون ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل ويصلون عليه ويقولون
يا سعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه فمرنا بما شئت فقال امضوا
لشأنكم فإني لائذ بخالقي
ولا راد لقضائه فساروا
حتى وصلوا إلى واسط
فلما انتهوا إليها قال لهم
سعيد يا معشر القوم قد
تحرمت بكم وصحبتكم
ولست أشك أن أجلي
قد حضر وأن المدة قد
انقضت فدعوني الليلة
آخذ أهبة الموت واستعد
لمنكر ونكير وأذكر
عذاب القبر وما يحثى
علي من التراب فإذا
أصبحتم فالميعاد بيني
وبينكم المكان الذي
تريدون فقال بعضهم
لا نريد أثرا بعد عين
وقال بعضهم قد بلغتم
أملكم فلا تعجزوا عنه
وقال بعضهم هو علي
أدفعه إليكم إن شاء الله
تعالى فنظر إلى سعيد
وقد دمعت عيناه وتغير
لونه ولم يأكل ولم يشرب
ولم يضحك منذ لقوه
وصحبوه فقالوا بأجمعهم
يا خير أهل الأرض ليتنا
لم نعرفك ولم نرسل إليك
الويل لنا كيف ابتلينا
بك اعذرنا عند خالقنا
يوم الحشر الأكبر فإنه القاضي الأكبر والعدل الذي لا يجور فلما فرغوا من البكاء قال غير
كفيلهم أسألك بالله يا سعيد إلا ما زودتنا من دعائك وكلامك فإنا لم نلق مثلك قط فدعا لهم سعيد فخلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه
وهم مختفون الليل كله فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير يقرع الباب فقالوا من بالباب فقال صاحبكم ورب الكعبة
فنزلوا إليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به إلى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه

علي قال قال الحواريون لعيسى يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم حق الله على حق الخلق وحقيقة
هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه فإنه سبحانه غني عن نصح الناصحين وعن العالمين
(ولكتابه) مفرد مضاف فيعم جميع كتبه المنزلة بأن يؤمن بأنها من عنده وتنزيله وغير القرآن أنه
لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر أحد منهم على الإتيان بمثل أقصر سورة منه وتلاوته وتحسينها والخشوع
وإقامة حروفه في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه وإكرامه والاعتناء بمواعظه والتفكر في
عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وسائر
وجوهه ونشر علومه والدعاء إليه (ولرسوله) بتصديق رسالته والإيمان بجميع ما جاء به والتزام طاعته
في أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا وإعظام حقه فقد روى المسور بن مخرمة أن عروة بن مسعود الثقفي
رمق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت
في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على
وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له قال فرجع عروة إلى
أصحابه فقال يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا
قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها
وجهه وجلده الحديث ومن النصيحة له إحياء سنته والتفقه فيها والذب عنها وإجلال أهلها والانتساب
إليها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة آل بيته وأصحابه وتجنب من تعرض لأحد من آله
وأصحابه (ولأئمة) جمع إمام وهو القائم بأمور المسلمين والإمامة أعم من الخلافة إذ كل خليفة إمام
ولا ينعكس قيل والإمامة على أربعة أوجه إمامة وحي وهي النبوة ووراثة وهي العلم وعبادة وهي
الصلاة ومصلحة وهي الخلافة (المسلمين) الأمراء بمعاونتهم على الحق وأمرهم به وتذكيرهم بلطف
ورفق وإعلامهم بما غفلوا عنه من أمور المسلمين وحقوقهم والدعاء بإصلاحهم وترك الخروج عليهم
والجهاد معهم وأداء الزكاة إليهم وامتثال أمرهم في غير المعاصي فقد ورد أن عبد الله بن حذافة السهمي
بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وأمره عليها وكان فيه دعابة فأمرهم أن يجمعوا حطبا ويوقدوا نارا
فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها فأبوا فقال لهم ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي وقال من
أطاع أميري فقد أطاعني فقالوا إنما آمنا بالله واتبعنا الرسول لننجو من النار فصوب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولهم وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق اهـ والعلماء بقبول ما رووه وتقليدهم في
الأحكام ونشر مناقبهم وإحسان الظن بهم وليس المراد بهم من تزيا بزيهم وادعى العلم وأكل الدنيا
بالدين فإن نصحهم نصح عامة المسلمين إن لم يستحلوا قال سهل بن عبد الله لا يزال الناس بخير ما عظموا
السلطان والعلماء فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم
وأخراهم (وعامتهم) بإرشادهم إلى ما يصلح أخراهم ودنياهم وكف الأذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه
وستر عوراتهم وسد خلاتهم ومحبته لهم ما يحب لنفسه وعدم غشهم وإذا رأى من يفسد وضوءه أو صلاته أو

قال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال أنت شقي بن كسير قال بل أمي كانت أعلم باسمي منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال الغيب يعلمه غيرك ثم قال له الحجاج لأبدلنك في الدنيا نارا تلظى قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك إلها قال فما قولك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قولك في علي هل هو في الجنة أم في النار قال لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فأيهم أعجب إليك قال أرضاهم لخالقي قال فأيهم أرضى للخالق قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستو القلوب قال ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضع بين يدي سعيد فقال له سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شيء جمع من الدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال أفتريد أن أعفو عنك قال ان كان العفو فمن الله وأما أنت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده فقال ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فأمر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه فقال سعيد وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله فقال كبوه لوجهه قال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قال اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذبح على النطع رحمه الله تعالى ورضي عنه فكانت

غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا أن يعلم انه لا يسمع منه فانه يسقط عنه الاثم قاله الاقفهسي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني وظاهره سواء كان هناك غيره يقوم بذلك أم لا وقد ذكر الحطاب في شرحه عليها ما يفيد حكم ذلك فقال الشاذلي اختلف اذا كان هناك من يشاركك في النصيحة فهل تجب عليك النصيحة سواء طلبت منك أم لا كمن رأيته يفسد صلاته فقال الغزالي يجب عليك النصح وقال ابن العربي لا يجب قال بعض شيوخنا والذي أقول به ما قاله الغزالي ويكون ذلك برفق لانه أقرب للقبول ولذا قال الشافعي من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ومن ثم قال الفضيل المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير انتهى وفي كلام الشيخ محيي الدين ان من شرط الناصح اذا أراد أن ينصح أحدا أن يهدله بساطا قبل النصح وان يرى نفسه دون المنصوح وأن يوطن نفسه على تحمل الاذى الحاصل من خشونة النصح في العادة وقد حكي ان الحسن والحسين رضي الله عنهما أقبلا على شيخ يفسد وضوءه فقال أحدهما للآخر تعال نرشد هذا الشيخ فقال له أحدهما يا شيخ انا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغ من وضوئهما قال أنا والله الذي لا أحسن الوضوء وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ * وقد اتفق ان رجلا وعظ المأمون وأغلظ عليه فقال له خير منك وعظ من هو شر مني فان موسى وهرون على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام لما أرسلهما الله تعالى الى فرعون قال فقولا له قولا لينا * وقد كان في السلف من بالغت به النصيحة الى الاضرار بدنياه وقد ورد أن جريرا اشترى له فرسا بثلثمائة درهم فقال لصاحبه فرسك خير من ثلثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة درهم فقال هو لك يا أبا عبد الله فقال خير من أربعمائة درهم أتبيعه بخمسمائة فقال نعم فلا زال يزيده مائة بعد مائة حتى أوصله ثمانمائة درهم فكلم في ذلك فقال عاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض اخوانه أوصيك بستة أشياء اذا أردت أن تقع في أحد وتذمه فذم نفسك فانك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها وان أردت أن تعادي أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر نعمة عليك وألطف بك منه وان أردت أن تترك شيأ فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان أردت أن تطلب شيأ فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بان تطلبها وبدأ في الحديث بالله لان الدين له حقيقة وثنى بكتابه الصادع ببيان أحكامه المعجز ببديع نظامه وثلث بما يتلو كتابه في الرتبة وهو رسوله الهادي الى دينه الموقف على أحكامه المفصل لجميع شرائعه وربع بأولي الامر الذين هم خلفاء الانبياء القائمون بسنتهم ثم خمس بالتعميم ولم يكرر اللام في عامتهم لانهم كالاتباع للائمة لا استقلال لهم وانما خص أهل الاسلام بالنصح لانهم أقرب الى الاجابة من أهل الذمة أولان النصيحة الكاملة انما هي للمسلمين بخلاف أهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا وان ذكر المسلمين

وأسه وقد قطعها تقول لا إله إلا الله وعاش الحجاج بعد قتله خمسة عشر يوما وذلك في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد تسعا وأربعين سنة اللهم اكفنا ما أهمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين *(المجلس الثاني والعشرون في الحديث الثاني والعشرين)* الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الأوهام وسما كماله فلا تحيط به الأفهام وشهدت أعلامه انه الواحد الحكيم العلام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من قال ربي الله ثم استقام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله وقد ارتفع من غبار الشرك قتام فجاهد في الله حق الجهاد فأردى الكفرة اللئام وأرضى الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام آمين (عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت ان صليت المكتوبات الخمس وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيأ أأدخل الجنة قال نعم رواه مسلم) ومعنى حرمت الحرام اجتنبته ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقدا حله * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان الرجل السائل اسمه النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام (قوله أرأيت) من الرأي أي ترى وتفتي بأني (اذا صليت المكتوبات الخمس وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام) أي اجتنبته (ولم أزد على ذلك شيأ) من التطوعات (أدخل الجنة) أي من غير عقاب وقد صح أن بعض الكبائر تمنع من دخول الجنة مع التأخير كقطع الرحم والكبر والدين حتى يقضى وصح أن المؤمنين اذا جازوا على الصراط حبسوا على قنطرة حتى يقتص منهم مظالم كانت بينهم في الدنيا (قوله قال نعم) أي تدخلها ولم يذكر الزكاة والحج لعدم فرضهما اذ ذاك أو لكونه لم يخاطب بهما وفي الحديث جواز ترك التطوعات رأسا ولكن تمالأ عليه أهل بلد

من باب التغليب لشرفهم على أهل الذمة والا فنحن ننصح أهل الذمة بالارشاد للايمان (رواه مسلم) في كتاب الايمان وهو من أفراده *(تنبيه)* قال ثابت بلغني ان ابليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له العابد يا ابليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات أصيب بهن ابن آدم قال فهل لي فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ بطني من طعام أبدا قال ابليس ولله علي ان لا انصح أحدا أبدا

(الحديث الثامن)

(عن) عبد الله (ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت) بالبناء للمفعول أي أمرني الله تعالى فحذف الفاعل تعظيما أو تفخيما وقال بعضهم طوى ذكره لشهرته وتعينه اذ لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو سبحانه وتعالى ولذلك اذا قال الصحابي أمرنا بكذا يفهم منه ان الآمر هو الرسول صلى الله عليه وسلم لانه هو المشرع والمبين لهم واما اذا قال التابعي أمرنا بكذا فهو محتمل وحقيقة الامر القول الطالب للفعل (ان أقاتل) أي بان أقاتل لان الاصل في الامر ان يتعدى لمفعولين ثانيهما بحرف الجر ونحو امرتك الخير نادر وأن مصدرية والتقدير بمقاتلة (الناس) من الانس فيختص ببني آدم أو من ناس اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة أو التغليب والمراد هنا الانس خاصة وان كان مرسلا الى الجن اجماعا اذ لم يرد انه قاتلهم وان أسلم منهم جمع على يديه كجن نصيبين والناس أصله الاناس حذفت الهمزة تخفيفا وتوهم أبو علي ان أل عوض عن الهمزة اذ لا يجتمعان في الاناس الا ضرورة وورد بكثرة استعمال ناس منكرا بغير أل والهمزة ولو كانت عوضا لم يجز ذلك اذ لا يجوز الخلو عن العوض والمعوض وقال صاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل وفيما قاله نظر اذ جعله شاملا للجن مع كون مفرده انس غير متجه ولذا قال انه جمع عزيز وخالف لما صرح به صاحب الكشاف في البقرة والاعراف من انه اسم جمع غير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتصغيره على لفظه ولم يسمع جمع جاء على فعال بالضم الا في ثمانية ألفاظ كما قاله السعد لكن زاد عليه صاحب المزهر وغيره ألفاظا وقوله أمرت أن أقاتل الناس انما ذكر باب المفاعلة لان الدين ما ظهر الا بالجهاد والجهاد لا يكون الا بين اثنين ثم ان أمره صلى الله عليه وسلم بالقتال كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم لما بعث أمر بالانذار من غير قتال ثم بعد الهجرة أذن له فيه اذا ابتدأه الكفار به ثم أحل له ابتداء في غير الاشهر الحرم ثم مطلقا من غير شرط *(فائدة)* قال ابن عباس وغيره لم يقتل نبي من الانبياء الا من لم يؤمر بقتال وكل من أمر بالقتال نصر اه والناس المراد بهم جميع الخلق من بني آدم وقد يطلق الناس على الانسان الواحد كما في قوله تعالى في النساء أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعني النبي وحده ويطلق على المؤمنين خاصة كقوله تعالى في آل عمران والذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين يعني لعنة المؤمنين خاصة ويطلق على أهل مكة خاصة كما في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس

لا يقاتلون وان ترتب على تركها فوات ربح عظيم وثواب جسيم واسقاط المروأة ورد الشهادة لان مداومة تركها تدل على تهاون في الدين الا أن يقصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها فيكفر (الاشارات في المكتوبات الخمس) الاشارة الاولى الحكمة في ان صلوات خمسة أن الصلوات وجبت على العبد شكر النعمة البدن ونعمة البدن هي الحواس الخمس الذوق والشم والسمع والبصر اللمس ولكل حاسة من هذه الحواس أشياء يعلم منها ما وضعت له فنعمة اللمس اثنان اذا وضعت يدك مثلا على شئ لمسته عرفت ان كان خشنا أو ناعما فقابله ركعتان وهي صلاة الصبح وأما الثانية من الخمسة وهي الشم فانما تشم الرائحة من الجوانب الاربع فقابلها أربع ركعات وهي صلاة الظهر والثالثة من الحواس السمع فتسمع بها من الجوانب الاربع فقابلها أربع ركعات وهي صلاة العصر الرابعة البصر فاذا وقفت مثلا في مكان ترى عن يمينك ويسارك وأمامك ولا ترى من خلفك فهذه ثلاثة فقابل ذلك ثلاث ركعات وهي المغرب الخامسة الذوق فتعرف به الحرارة والبرودة والحلو والحامض وهي أربعة فيقابله أربع ركعات وهي العشاء (الاشارة الثانية) القبلة خمس العرش قبلة الحافين والكرسي قبلة الكروبيين والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة للمؤمنين فاينما تولوا فثم وجه الله قبلة المتحيرين فالعرش خلقه الله من نور والكرسي من در والبيت المعمور من عقيق وقيل من ياقوت والكعبة من خمسة أجبل والحكمة في ذلك انك اذا صليت هذه الصلوات الخمس وكانت ذنوبك ثقل هذه الجبال غفرها الله ولا يبالي (الاشارة الثالثة) في شرح المسند للرافعي رحمه الله ان الصبح كانت لآدم والظهر كانت لداود والعصر كانت لسليمان والمغرب كانت ليعقوب والعشاء كانت ليونس عليهم الصلاة والسلام فجمع الله تعالى هذه الصلوات لمحمد وأمته تعظيما له ولامته (الاشارة الرابعة) قال بعض أهل المعاني أجناس الصلوات

يعني أهل مكة ويطلق على بني اسرائيل كقوله تعالى في المائدة أأنت قلت للناس يعني بني اسرائيل (حتى) غاية للقتال ويحتمل كونها غاية للامر به (يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وفي رواية وأني رسول الله وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا الشرط مشعر بمجموع الجملتين فاستغنى باحدهما عن الاخرى لارتباطهما كما يقال قرأت الم ذلك الكتاب والمراد كل السورة وقد استغنت العرب بحرف من الكلمة عن بقيتها في نظمها ونثرها كقول القائل قلت لها قفي فقالت ق أراد قالت وقفت وقول الآخر جارية قد وعدتني أن تا أي تدهن رأسي وتفلي أو تا أراد أن تأتي بدهن راسه وتفلي أو تمسح وكقول الآخر بالخير خيرات وان شرا فا ولا أريد الشر الا أن تا أراد ان شرا فشر والا ان تشا واذا استغنت بحرف عن بقيتها فاولى أن نستغني باحدى الكلمتين أو الجملتين عن الاخرى اذا كان فيه دلالة على ما لم يذكر واعلم انه لا يشترط في صحة الايمان التلفظ بالشهادتين ولا النفي والاثبات بل يكفي أن يقول الله واحد ومحمد رسول وانظر هل لا بد في كفاية ذلك من الاتيان بلفظ الله وبلفظ محمد فلو قال الرحمن واحد وأحمد رسوله أو قال لا اله الا الرحمن وأحمد رسوله هل يكفي أم لا وظاهر كلام الابي في شرح جمع الجوامع والمتيطي الاكتفاء بذلك وظاهر كلام الجمهور انه لا يشترط الترتيب وذهب القاضي أبو الطيب من الشافعية وابن الطيب الشهير بالباقلاني من المالكية الى اشتراطه قال الكمال بن أبي شريف ولم يتأيد لي انه متجه عند التأمل وظاهر ما في الهداية لابن الخطاب المالكي انه يشترط الفور قال ابن ناجي هل الافضل مد ألف لا النافية أو القصر من لا اله الا الله فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بها نفي الالوهية عن كل موجود سوى الله تعالى ومنهم من اختار القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله تعالى وفرق الفخر بين أن يكون أول كلامه فيقصر والا فيمد اه فان قلت قضية الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد اذ الذي يذاق من لفظ الناس العموم والاستغراق كما في قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فكيف ترك قتال مؤدي الجزية فالجواب من وجوه الاول ان أخذ الجزية وسقوط القتال بها كان متأخرا عن هذا الحديث الثاني ان المراد بما ذكر من الشهادتين وغيرهما التعبير عن اعلاء كلمة الله تعالى واذلال المخالفين فيحصل في بعض بالقتل وفي بعضها باداء الجزية الثالث ان المراد بالقتال هو أو ما يقوم مقامه كالجزية الرابع ان المراد اضطرارهم الى الاسلام وسبب السبب سبب فكأنه قال حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم الى الاسلام وهو اعطاء الجزية فاكتفى بما هو المقصود الاصلي من الخلق فتكون المقاتلة سببا للقول والفعل ونظيره قوله تعالى أنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج والمنزل هو المطر وهو سبب لانبات العشب وهو سبب لتكثير الحيوان فغلب في الحديث السبب الاول أعني المقاتلة على السبب الثاني أعني أخذ الجزية (فائدة) قال ابن جماعة في حاشية شرح العقائد (لطيفة) قال الرازي في أسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وأعضاء العبد سبعة وأبواب النار سبعة فكل كلمة تغلق عن عضو بابا قلت ومن المعلوم ان الاعضاء أكثر من سبعة فلا بد للتحقيق كونها سبعة من الحمل على خصوص في الاعضاء وهل هي

الواردة في حديث السجود وهو أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الحديث أو هي السبعة المتوصل بها المقاصد والمفاسد غالبا وهي اليدان والرجلان والعينان والاذنان أو غير ذلك محل بحث اهـ شرح شيخنا على خطبة مختصر الشيخ خليل قلت والظاهر أن المراد بها الاعضاء التي الانسان جراحتها وهي الوجه والبطن والفرج واليدان والرجلان وقال السمرقندي في كتاب الاربعين ويقال من قال لا اله الا الله هدمت له أربعة آلاف سيئة كل كلمة تكفر ألف سيئة وذكر ابن الفاكهاني ان ملازمة ذكرها سبب دخول المؤمن في القبر وقال بعض العلماء اذا قال القائل لا اله الا الله اهتز له العرش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل شئ صقلة ومصقلة القلب الذكر وأفضل الذكر لا اله الا الله لجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر وروي ان من قرأ قل هو الله أحد في بدايته نور الله قلبه وقوى يقينه وجاء في الاثر أن العبد اذا قال لا اله الا الله أعطاه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب انه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد عليهم فلا جرم انه يستحق الثواب بعددهم وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل عن قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمر بشهادة أن لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خرج من فيه طائر أخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت يصعد الى السماء فيسمع له دوي تحت العرش كدوي النحل فيقال له اسكن فيقول لا حتى تغفر لصاحبي فيغفر لقائلها ثم يجعل بعد ذلك الطائر سبعون لسانا تستغفر لصاحبه الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر يكون قائده ودليله الى الجنة وعن عبد الواحد بن زيد انه قال كنت في مركب فطرحتنا الريح على جزيرة فخرجنا الى الجزيرة فرأينا شخصا يعبد صنما فقلنا له نعبد هذا الصنم وفينا من يصنع مثله فقال أنتم من تعبدون فقلنا نعبد الها في السماء عرشه وفي الارض بطشه وفي البحر سبيله قال من أعلمكم به قلنا ارسل الينا رسولا قال ما فعل الرسول قلنا قبضه الملك اليه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم كتاب الملك قال هل عندكم منه شئ فشرعنا نقرأ عليه سورة الرحمن فما زال يبكي حتى ختمت ثم قال ما ينبغي أن يعصى صاحب هذا الكلام ثم عرضنا عليه الاسلام فاسلم وحملناه معنا في السفينة فلما جن الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا للنوم فقال لنا هذا الاله الذي دللتموني عليه ينام قلنا بل هو حي قيوم لا ينام قال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فلما وصلنا البر وأردنا الانصراف جمعنا له شيأ من الدراهم فقال ما هذا قلنا تستعين به على نفسك فقال دللتموني على طريق ما أراكم سلكتموها أنا كنت أعبد غيره فلم يضيعني أفيضيعني الآن بعد ما عرفته فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي انه في النزع فجئت اليه وقلت له هل من حاجة فقال قضى حوائجي الذي أخرجني من الجزيرة ونمت عنده فرأيت جارية في روضة خضراء وهي تقول عجلوا به فقد طال شوقي اليه فاستيقظت وقد مات فدفنته ونمت تلك الليلة فرأيته في المنام وعلى رأسه تاج وبين يديه الحور العين وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال الحسن البصري رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له كيف أنت

الخمس ثلاثي ورباعي وثنائي والحكمة فيه ان الله تعالى خالق جميع الملائكة على ثلاثة أجناس فمنهم ذو جناحين ومنهم ذو ثلاثة ومنهم ذو أربعة كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع فأمر الله تعالى بصلوات هذه الخمس ليعطي المصلي ثواب وتسبيح الملائكة كلهم بفضله ورحمته (الاشارة الخامسة) قال بعض أهل المعاني أيضا الحكمة في هذه الصلوات الخمس في الاوقات الخمس ان الله سبحانه وتعالى فعل أفعالا لا يقدر على فعلها الا هو منها انه يذهب ظلمة الليل ويجيء بضوء النهار عند طلوع الفجر فوجب على عبده أن يصلي الفجر ومنها ارتفاع الشمس عند الاستواء ولا يقدر على ذلك الا هو فوجب على عباده صلاة الظهر ومنها انخفاضها بدخول وقت العصر ولا يقدر على ذلك الا هو فوجبت صلاة العصر ومنها غروب الشمس بدخول وقت المغرب فوجبت صلاة المغرب ومنها ذهاب النهار بضيائه واتيان الليل بظلمائه فوجب على عباده صلاة العشاء فهذه خمسة أفعال لا يقدر عليها الا هو فأمر عباده أن يصلوا فيها خمس صلوات ولا يستحقها الا هو (الاشارة السادسة) عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ملأ من المهاجرين اذ أقبل عليه نفر من اليهود فقالوا يا محمد جئنا نسألك عن أشياء لا يعلمها الا نبي مرسل أو ملك مقرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا فقالوا يا محمد أخبرنا عن هذه الصلوات التي افترضها الله على أمتك في الليل والنهار خمس صلوات في خمس مواقيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الظهر فان لله تعالى في سماء الدنيا حلقة تزول بها الشمس فاذا زالت الشمس سبح كل ملك فأمر الله تعالى بالصلاة في ذلك الوقت الذي تفتح فيه أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلي الظهر ويستجاب فيه الدعاء وأما العصر فهي الساعة التي وسوس فيها الشيطان لآدم حتى أكل من الشجرة فأمر في

وكيف

الله تعالى وأمتي بالصلاة في تلك الساعة وأما المغرب فانه الساعة التي تاب الله تعالى فيها على آدم حين تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فامر الله أمتي بالصلاة في تلك الساعة توبة لما أذنبوا وأما العشاء فانها صلاة المرسلين قبلي وأما الصبح فان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرني الشيطان فيسجد لها كل كافر من دون الله عز وجل فامرني الله تعالى وأمتي بركعتين قبل أن يسجد الكافر لغير الله تعالى فقال صدقت يا محمد نحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله (الاشارة السابعة) قال ابن الملقن ما أحسن قول بعض الصالحين اذا قمت الى الصلاة فاعلم أن الله تعالى مقبل عليك فاقبل على من هو مقبل عليك وقريب منك وناظرا اليك فاذا ركعت فلا تؤمل أن ترفع واذا رفعت فلا تؤمل ان تضع ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدمك ثم ينشد تكن مصليا (الاشارة الثامنة) قيل اذا وضع الميت في قبره جاءته أربع نيران فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة ويجيء الصيام فيطفئ واحدة وتجيء الصدقة فتطفئ واحدة ويجيء الصبر فيطفئ واحدة (الاشارة التاسعة) عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العبد اذا قام الى الصلاة وقال الله أكبر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كتب الله له بكل شعرة على بدنه حسنة واذا قرأ الفاتحة فكأنما حج واعتمر واذا ركع فكأنما تصدق بوزنه ذهبا واذا قال سبحان ربي العظيم فكأنما قرأ كل كتاب نزل من السماء واذا قال سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة واذا سجد أعطاه الله تعالى بعدد الانس والجن حسنات واذا قال سبحان ربي الاعلى فكأنما أعتق بكل سورة وآية رقبة واذا تشهد أعطاه الله ثواب الصابرين واذا سلم فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال بكر بن عبد الله من مثلك يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل له وكيف ذلك قال

وكيف حالك فقال لي قلب عليل ولا قوة لي وبدن سقيم ولا صحة لي وقبر موحش ولا أنيس لي وطريق بعيد ولا زاد لي وصراط رقيق ولا جواز لي ونار حامية ولا بدن لي وجنة عالية ولا نصيب لي ورب عادل ولا حجة لي قال فاقبلت عليه وقلت له لا تسلم فقال يا شيخ المفتاح بيد الفتاح والقفل ههنا وأشار الى صدره وغشي عليه فقلت الهي وسيدي ان كان سبق لهذا المجوسي حسنة فعجل بها فافاق من غشيته ثم أقبل علي فقال يا شيخ ان الفتاح أرسل المفتاح مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومات رحمه الله تعالى وروى محمد بن آدم قال رأيت بمكة امرأة تطوف بالكعبة فقلت لها ما الذي نزعك من دين آبائك قال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسر المركب فلم تزل الامواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة وطعام أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يقضي الله بامره فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها فلما كان في جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد وأبو بكر السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسي الهلكة فهربت فلحقتني بلسان فصيح فقالت يا هذا قف والا هلكت فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام قالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها فقالت أتم اسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم فقلت من أتاكم بذلك قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان فصيح الهي قد وعدتني ان تشيد أركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريدان تقعد ههنا أم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلي فقالت اصبر حتى تمر بك مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت تجري فأومأت لها فدفعوا الي زورقا فركبت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فقالوا ما الذي جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا من أمري وأسلموا كلهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العلم في الورد الاعظم لابن النحاس عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى فاذا قال العبد لا اله الا الله اهتز

العمود فيقول الله تبارك وتعالى للعمود اسكن فيقول العمود أى رب كيف أسكن ولم تغفر
فيقول الله تبارك وتعالى اسكن أيها العمود فانى قد غفرت له فيسكن العمود عند ذلك وذكر أبو محمد عبد
الله اليافعى فى كتاب الارشاد عن الشيخ أبى عبد الله القرطبى انه قال سمعت فى بعض الآثار ان من قال
لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد عملا ادخرتها لنفسى
وعملت بها لاهلى وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف فى بعض الاوقات بالجنة والنار
وكان فى قلبى منه شئ فاتفق انه استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول من الطعام والشاب معنا
فصاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول يا عمى هذه أمى فى النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك
من سمعه انه من أمر عظيم فلما رأيت ما به قلت فى نفسى اليوم أجرب فقلت فى نفسى اللهم انى عملت
السبعين ألفا وقد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فما استتم هذا الخاطر الا وتبسم الشاب وسر وقال
يا عمى ها هى أمى قد أخرجت من النار فحصل لى فائدتان صدق الاثر وعلمى بصدق الشاب المذكور
(ويقيموا الصلاة) أى يأتوا بها على الوجه المأمور به ويداوموا عليها كما مر (ويؤتوا الزكاة) أى الى
مستحقيها أو الى الامام ليدفعها لهم ولم يذكر الصوم والحج لكونهما لم يفرضا أو لكونهما لم يقاتل على
تركهما (فاذا) عبر بها مع انها للمحقق دون ان التى للمشكوك فيه مع ان فعلهم قد يكون وقد لا يكون
لانه علم أمانة بعضهم ففعلهم لشرفهم أو تفاؤلا بوقوع الفعل منهم فاشبه الدعاء بالماضى نحو غفر الله
لك (فعلوا ذلك) كله أى أتوا به قولا كان وهو الشهادتان أو فعلا وقولا وهو الصلاة أو فعلا محضا وهو
الزكاة فان قلت المشار اليه بعضه قول فكيف أطلق الفعل عليه فالجواب اما باعتبار انه فعل اللسان واما
على سبيل التغليب للاثنين على الواحد (عصموا) حفظوا ومنعوا من العصمة وهى لغة المنع والعصام
الخيط الذى يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء واصطلاحا ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة
وقيل صفة توجب امتناع عصيان موصوفها والمراد بها هذا المعنى اللغوى (منى دماءهم وأموالهم)
فلا يحل سفك دمائهم ولا أخذ أموالهم والمراد بالدماء الانفس ففيه التعبير بالبعض عن الكل فان قيل
لم يكتف بذكر الشهادتين عن قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فالجواب انه ذكرهما تعظيما لهما
ولاهتمام بشأنهما دون غيرهما (الا بحق الاسلام) فلا يعصم حينئذ دمهم ولا مالهم وقد فسر هذا الحق
فى حديث بانه زنا بعد احصان أو كفر بعد ايمان أو قتل النفس التى حرم الله تعالى وقضيته ان الزانى
والقاتل تباح أموالهما وليس مرادا فكانه غلب الكافر عليهما ثم الحكم عليهم بعصمة الدماء والاموال
انما هو باعتبار الظاهر (و) أما باعتبار الباطن فأمرهم ليس الى الخلق بل (حسابهم على الله) فيما
يسرونه من كفر ومعصية وفى حديث أبى سعيد الخدرى ما أمرت ان أشق عن قلوب الناس ولا بطونهم
وعلى بمعنى اللام أو بمعنى الى فما أفهمه لفظ على من الوجوب غير مراد اذ لا يجب على الله شئ هذا
ما عليه أهل السنة وأما عند المعتزلة فهو ظاهر لان الحساب عندهم واجب عقلا * (تتمة) * قال الامام
الرازى فى كلامه على هذا الحديث قد جعل الله تعالى العذاب عذابين أحدهما السيف من يد المسلمين

تسبغ وضوءك وتدخل شرابك وقال ابن عجلان وبع أهل زمانه انما بينهما الآدمى منهم فى الصلاة يذكر الله والدار الآخرة واذا أكله
برغوث أو قملة نسى الله تعالى والدار الآخرة وأقبل يحك ما أصابه من جسده فقد روى عن مسلم بن يسار كان ذات يوم فى صلاة
فوقعت ناحية من المسجد ففزع أهل المسجد منها فما شعر ولا التفت وقيل كان الحسن اذا توضأ تغير لونه وارتعدت فرائصه فقيل
له فى ذلك فقال حق لمن وقف بين يدى الله تعالى أن يصفر لونه وترتعد فرائصه وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه
اذا حضر وقت الصلاة
تغير لونه فقيل له مالك
يا أمير المؤمنين فقال قد
جاء وقت أمانة عرضها
الله على السموات
والارض والجبال فابين
أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الانسان فلا
أدرى هل أحسن
ان أؤدى ما حملت أم لا
وأنشد مكحول
ألا فى الصلاة الخير
والفضل أجمع
لان بها الآراب لله تخضع
وأول فرض كان من
فرض ديننا
وآخر ما يبقى اذا الدين
يرفع
فمن قام للتكبير لاقته
رحمة
وكان كعبد باب مولاه
يقرع
وصار لرب العرش حين
صلاته
قريبا فيا طوباه لو كان
يخشع
وتقدمت هذه الابيات
أيضا فى المجلس الثالث
وذكر ان التحيات اسم
طير فى الجنة على شجرة
يقال لها الطيبات بجانب نهر يقال له الصلوات فاذا قال العبد التحيات لله الصلوات والثانى
الطيبات نزل ذلك الطير عن تلك الشجرة وانغمس فى ذلك النهر ثم طلع ونفض ريشه على جانب ذلك النهر فكل قطرة وقعت منه خلق
الله تعالى منها ملكا يستغفر للمصلى الى يوم القيامة ويقال رفع اليدين فى الصلاة اشارة الى رفع الحجب بين العبد وبين الله عز وجل
وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اذا صلى المؤمن صلاة وتقبلها الله منه خلق الله من صلاته صورة فى الملكوت تركع وتسجد الى يوم

القيامة ويكون ثواب ذلك لمن صلى ويروى أن الله تعالى خلق ملكا تحت العرش له أربعة أوجه بين الوجه والوجه ألف عام الأول ينظر به الى الجنة ويقول طوبى لمن دخلك والثاني ينظر به الى النار ويقول ويل لمن دخلك والثالث ينظر به الى العرش ويقول سبحان الله ما أعظمك والرابع يخر به ساجدا ويقول سبحان ربي الاعلى وله خمس حركات في اليوم والليلة عند أوقات الصلوات فيقال له اسكن فيقول كيف اسكن وقد جاء وقت فريضتك على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال اسكن قد غفرت لمن توضأ وصلى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (نكتة) لو استأجر رجل دابة يحمل مائة رطل مثلا فزاد آخر ووضع عليها زيادة فالضمان عليه كذلك يقول الله تعالى يوم القيامة يا محمد انا وضعت على عبادي الفرائض وأنت وضعت النوافل فالضمان علي وعليك فذلك الشفاعة ومني الرحمة ذكره النسفي في كتابه نزهة الرياض وفي الحديث ما من مسلم قرب وضوأه وتمضمض واستنشق وغسل وجهه كما أمر الله وغسل يديه الى مرفقيه ومسح برأسه وغسل قدميه الى كعبيه ثم صلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله تعالى انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه فتأملوا يا اخواننا هذه الاشارات العجيبة والفوائد الغريبة وعليكم بالصلوات الخمس في أوقاتها اتقنوا هذه الفوائد وقد استفدنا من قوله في الحديث وصيام رمضان انه لا يكره ذكره بدون شهر وما نقل من كراهته فضعيف وهو أفضل الاشهر وفي الحديث رمضان سيد الشهور وقال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية وما تأخر وانزل الله تعالى فيه القرآن وفي فضله أخبار كثيرة ذكرت منها كثيرا في كتابي تحفة الاخوان واختلف في تسميته بذلك فقيل انه اسم من أسماء الله تعالى قال البغوي والصحيح انه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي الحجارة الحماة لانهم كانوا يصومونه في الحر الشديد

والثاني عذاب الآخرة والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال لرسوله من أخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله ادخلنا السيف في الغمد الذي يرى ومن أخرج القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو الشرك ادخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة (رواه البخاري ومسلم) في كتاب الايمان الا أن مسلما لم يذكر في حديثه عن ابن عمر الا بحق الاسلام لكنه قال في رواية له عن أبي هريرة الا بحقها وفي رواية أخرى الا بحقه فنسبه المؤلف الى تخريجه بالنظر الى مجموع رواياته وذلك يقع للمحدثين كثيرا ولا ينكره الا من لم يمارس فنهم وبذلك زال العجب وبطل الشغب الذي طول به الشارح الهيثمي على المؤلف

(الحديث التاسع)

(عن أبي هريرة) أخرج الترمذي بسند حسن عن عبد الله بن أبي رافع قال قلت لابي هريرة لم كنيت بابي هريرة قال كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هرة صغيرة فكنت اجعلها بالليل في شجرة واذا كان بالنهار ذهبت بها معي فكنيت بها فكنوني أبا هريرة وروى ابن عبد البر عن أبي هريرة انه قال كنت أحمل يوما هرة في كمي فرآني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا أبا هريرة وفي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا هر وكان يكنى قبلها أبا الاسود فتحصل انه كني بها لانه كان يصحبها اما صغيرا يلعب بها أو كبيرا لحسن اليم لانه الذي روى ان امرأة عذبت في هرة فلعله أخذ بقياس العكس فرجا الثواب في الاحسان اليها (عبد الرحمن) ونقل ابن اسحق عن بعض أصحابه عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن (ابن صخر) الدوسي قدم المدينة في سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فسار الى خيبر حتى قدم مع النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعن قيس عنه انه قال لما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق

يا ليلة من طولها وعنائها ＊ على انها من داوة الكفر نجت

قال وأبق مني غلام لي في الطريق فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فبينما أنا عنده اذ طلع الغلام فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هذا غلامك فقلت هو حر لوجه الله تعالى فاعتقته وعن سليم بن حيان قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجير ابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي وكنت اخدم اذا نزلوا وأحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبا هريرة اماما وعن ابن كثير قال حدثني أبو هريرة قال ما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني الا أحبني قلت ومن أعلمك بهذا يا أبا هريرة قال ان أمي كانت مشركة واني كنت أدعوها الى الاسلام وكانت تأبى علي فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله اني كنت أدعو أمي الى الاسلام وكانت تأبى علي واني دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة فرجعت أعدو لأبشرها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتيت الباب اذا هو مجاف وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشخشة رجل يا أبا هريرة كما أنت ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أم أبي هريرة وقلت يا رسول الله ادع الله ان يحببني وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هؤلاء الى عبادك المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي الا وهو يحبني وعن الاعرج انه قال قال أبو هريرة انكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاحاديث وما بال الانصار لا يحدثون بهذه الاحاديث وان أصحابي من المهاجرين كانت شغلتهم صفقاتهم في الاسواق وان أصحابي من الانصار كانت شغلتهم أراضيهم والقيام عليها واني كنت امرأ مسكينا وكنت أكثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا وان النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه فانه ليس ينسى شيئا سمعه مني أبدا فبسطت ثوبي أو قال ردائي ثم حدثنا فقبضته الي فوالله ما نسيت شيئا سمعته منه وايم الله لولا آية في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بشئ أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب الآية كلها وعن مجاهد ان أبا هريرة كان يقول والله اني كنت لاعتمد بكبدي على الارض من الجوع واني كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليستشبعني فلم يفعل ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته الا ليستشبعني فلم يفعل فمر أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال أبا هر فقلت لبيك يا رسول الله قال الحق فتبعته فدخل واستأذنت فاذن لي فوجد لبنا في قدح فقال من أين لكم هذا اللبن فقيل أهداه لنا فلان قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال انطلق الى أهل الصفة فادعهم قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لم يأووا الى أهل ولا مال فاذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها وبعث اليهم واذا جاءت الصدقة أرسل بها اليهم ولم يصب قال فاحزنني ذلك وكنت أرجو ان أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي فقلت أنا الرسول فاذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم فلم يبق لي من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فاذن لهم فاخذوا مجالسهم من البيت ثم قال أبا هر خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح فاعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ودفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ثم رفع رأسه فنظر الي وتبسم وقال أبا هر فقلت لبيك

ولان العرب لما أرادت ان تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شدة الحر فسمي بذلك وقيل سمي به لانه يرمض الذنوب أي يحرقها (خاتمة المجالس) قال صاحب كتاب ذخيرة العابدين رأيت جماعة ينكرون هذه الاحاديث الواردة في الفضائل من حيث ما فيها من كثرة الثواب والاجور العظيمة وقالوا ان ذلك كثير على عمل قليل ولعمري هؤلاء من أي وجه أنكروها اقصرت قدرة الله عنها أم ضاقت رحمته لو سعة بها فاذا كانت قدرته شاملة لكل مقدور ورحمته أوسع من مداد البحور والطاعات أمارات الاجور فن الجائز وعد درجات ومثوبات على قليل من الخيرات لتعلم قدرته وعظمته وكرمه كيف وفي صحاح الاخبار وحسانها ما لا يعد ولا يحصى قال الله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ وفي الحديث الشريف ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة ثم تلا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فاذا قال الله سبحانه وتعالى أجرا عظيما فمن يعرف قدر هذا الاجر العظيم الذي يعطيه الله تعالى وفي الحديث الشريف ان أدنى أهل الجنة لمن ينظر الى أزواجه وقصوره وسروره ونعيمه مسيرة ألف عام وان أكرمهم على الله لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين بكرة وعشيا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيا عباد الله لا تنكروا قدرة الله فقدرته أعظم من ذلك لا حرمنا الله تعالى من ذلك آمين والحمد لله رب العالمين (المجلس الثالث والعشرون في الحديث الثالث والعشرين) الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الدائم ومكتوب الفناء منسوب الى البرية كيفما انبسطت القادر على تنفيذ مراده فيها رضيت بذلك أم غضبت وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة حلت في القلوب وعلى الالسنة حلت وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله

الذي ثبتت سيادته قبل ايجاد البشر ووجبت صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما طلعت شمس وغربت آمين (عن أبي مالك الحرث بن عاصم الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها أخرجه مسلم) * اعلم واخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث اشتمل على مهمات قواعد الدين ويتفرع منه المجالس (قوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) أي نصف الايمان الكامل المركب من تصديق القلب واقرار اللسان وعمل الاركان وهو وان كثرت خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغي التنزه والتطهر عنه وهو كل منهي عنه وما ينبغي التلبس به وهو كل مأمور به فهو شطران والطهارة بالمعنى اللغوي شاملة لجميع الشطر الاول وقد روى ابن ماجه وابن حبان اسباغ الوضوء شطر الايمان وروى الترمذي الوضوء شطر الايمان ومعناه انه تمام الشطر لا كل الشطر والطهور في الحديث بالفتح للمبالغة كضروب الابلغ من ضارب أو اسم آلة لما يتطهر به كسحور وبالضم الفعل وهو المراد هنا قال الائمة رضي الله عنهم الطهارة تنقسم الى واجب كالطهارة عن حدث ومستحب كتجديد الوضوء والاغسال المسنونة ثم الواجب ينقسم الى بدني وقلبي فالقلبي كالحسد والعجب والرياء والكبر قال الغزالي معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين يجب تعلمه والبدني اما بالماء أو التراب أو بهما كما في ولوغ الكلب أو بغيرهما كالحريف في الدباغ أو بنفسه كانقلاب الخمر خلا وكل ذلك مقرر في كتب الفقه (فوائد في الوضوء) ذكر ان الملائكة لما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها غضب الله عليهم فاهلك بعضها

يارسول الله قال فاقعد فاشرب فقعدت فشربت ثم قال لي اشرب فشربت ثم قال لي اشرب فشربت فما زال يقول اشرب وأشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال ناولني القدح فرددت اليه القدح فشرب من الفضلة * وعن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي هريرة قال اني كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله تعالى وأنا أعلم بها منه ومن عشيرته وما أتبعه الا ليطعمني القبضة من التمر أو السف من السويق أو الدقيق أسد بها جوعتي فاقبلت أمشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى بلغ بابه فاسند ظهره الى الباب واستقبلني بوجهه وكلما فرغت من حديث حدثته بآخر حتى اذا لم أر شيأ اذ غلقت فلما كان بعد ذلك لقيني فقال يا أباهر اما انه لو كان في البيت شئ لاطعمناك * وعن ثابت بن أبي رافع ان أباهريرة قال ما أحد من الناس يهدى الى هدية الا قبلتها فاما السؤال فلم أكن لأسأل * وعن خالد بن عكرمة ان أباهريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول أسبح بقدر ذنبي * وعن نعيم بن المحرر عن أبي هريرة انه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة فيقول الناس انه لمجنون ومابي جنون ومابي الا الجوع وعن أبي المتوكل ان أباهريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يوما فقال لولا القصاص لاغشيتك به ولكن سابيعك ممن يوفيني ثمنك اذهبي فانت حرة لوجه الله عز وجل * وعن ابن عباس فروخ الجريري قال سمعت أباعثمان النهدي يقول تضيفت أباهريرة فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثا يصلي هذا ثم يوقظ هذا فيصلي ثم هذا يوقظ هذا فيصلي وأخرج البيهقي وغيره عن أبي هريرة قال أصبت ثلاث مصائب في الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان والمزود قالوا وما المزود قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقال معك شئ فقلت تمر في مزود قال جئ به فاخرجت منه تمرا وفي رواية عشرين تمرة فسمى الله ودعا وجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى أتى الى آخرهن ثم قال ادع عشرة فدعوتهم حتى أكل الجيش كله وبقي في المزود فقال اذا أردت أن تأخذ منه شيأ فخذ ولا تكبه فاكلت منه حياة أبي بكر وعمر وعثمان فلما قتل انتهب بيتي وانتهب المزود الا أخبركم أكلت منه أكثر من مائتي وسق وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ان أباهريرة أقبل في السوق يحمل حزمة من الحطب وهو يومئذ خليفة لمروان قال أوسعوا الطريق للامير قال ابن أبي مالك قلت أصلحك الله تكفي هذا فقال أوسع الطريق للامير والحزمة عليه قال البخاري روى عنه أكثر من ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم راوده على العمل فأبى ولم يزل يسكن المدينة وبها توفي ويقال توفي بالعقيق سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة روى عنه خمسة آلاف وثلثمائة حديث وأربعة وسبعون حديثا اتفقا منها على ثلثمائة وخمسة وعشرين وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين ومسلم بمائة وتسعين (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مانهيتكم) هذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين عند وروده فلا يتناول من حدث بعدهم الا بدليل وهو اما

وثاب على بعض منهم منكر ونكير وأمرهم بالوضوء من عين تحت العرش فصلى بهم جبريل ركعتين فهذا أصل الوضوء وصلاة الجماعة وقال عثمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ عبد الوضوء الا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر رواه البزار باسناد حسن * وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يتمضمض فاه الا غفر الله له كل خطيئة أصابها بلسانه ذلك اليوم ولا يغسل يديه الا غفر له ما قدمت يداه ذلك اليوم ولا يمسح برأسه الا كان كيوم ولدته أمه رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فان قعد قعد مغفورا له رواه الامام أحمد والطبراني فتسن المحافظة على الوضوء لما ورد في الخبر يقول الله تعالى من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفاني ومن صلى ولم يدعني فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وصلى ودعاني ولم أستجب له فقد جفوته ولست برب جاف وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل رسولا الى الشام فمر على دير راهب فطرق بابه ففتح بابه بعد ساعة فسأله عن ذلك فقال أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذا خفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك به فان من توضأ كان في أمان مما يخاف فلم أفتح لك حتى توضأنا جميعا * وفي طبقات ابن السبكي قال الله تعالى يا موسى توضأ فان أصابك شيء وأنت على غير وضوء فلا تلومن الا نفسك * وقال صلى الله عليه وسلم يا أنس ان استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت له شهادة * وحكي انه كان في زمن عيسى عليه السلام امرأة صالحة تخبز العجين في التنور وأحرمت بالصلاة فجاءها ابليس في صورة امرأة وقال احترق العجين فلم تلتفت اليه فأخذ ولدها وجعله في التنور فلم تلتفت اليه فدخل زوجها فوجد الولد في التنور يلعب

متساوون في الحكم الشرعي لانتفاء اختصاصه بمكلف دون مكلف وأما الاجماع (عنه فاجتنبوه) كله حتى يوجد ما يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة وشرب الخمر عند الاكراه ولاساغة الغصة لان المكلف ليس منهيا في الحال على الصحيح وأما في التداوي فغير جائز ولو طلاء لحديث ان الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها ومثل ذلك شربه للعطش اذ لا ينقطع به العطش وقوله فاجتنبوه حتما في الحرام وندبا في المكروه وقال الفاكهاني لا يتصور امتثال اجتناب المنهي عنه حتى يترك جميعه فلو اجتنب بعضه لم يعد ممتثلا بخلاف الامر يعني المطلق فان من أتى بأقل ما يصدق عليه الاسم كان ممتثلا (وما أمرتكم به فأتوا) وفي رواية فافعلوا (منه ما استطعتم) أي ما أطقتم وجوبا في الواجب وندبا في المندوب كالصلاة فانما استندا فيما عدا المضطر فسنة لقيام فقوميا ولو عجز عن صاع الفطر أتى بما قدر عليه وأما من قدر على صيام بعض النهار فلا يفعل لان صوم بعض اليوم ليس بقربة واذا عجز عن بعض الفاتحة في الصلاة أو قدر على غسل أو مسح بعض الاعضاء في الوضوء أتى بالممكن وصحت عبادته وهذا موافق لقوله فاتقوا الله ما استطعتم وأما اتقوا الله حق تقاته فقال قتادة والسدي وابن زيد والربيع بن أنس انها منسوخة بالاولى فالاصح بل الصواب وبه جزم المحققون انها ليست منسوخة بل قوله تعالى ما استطعتم مفسرة لها ومبينة للمراد منها فالوا وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه ولم يأمر سبحانه وتعالى الا بالمستطاع قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال بعضهم ان المبالغة في التقوى تكون بأمرين أحدهما استصحاب التقوى الى الوفاة والامر الآخر استيفاء جميع الطاعات وحفظ جميع الحدود والمحرمات فتعرضت آية آل عمران للمبالغة في استغراق العمر كله الى الوفاة بالتقوى ويدل على ذلك قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وتعرضت آية التغابن الى الامر الآخر فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي أيضا اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلم قيد الامر دون النهي فالجواب ان المأمور به متوقف على فعل بخلاف المنهي عنه فانه كف محض فلهذا قال في الاول فاجتنبوا وقال في الثاني فأتوا منه ما استطعتم فترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه والاستمرار على عدمه فكل مكلف قادر على الترك ولا داعية للشهوة فلا يتصور عدم الاستطاعة في الكف بخلاف فعل المأمور به فانه عبارة عن اخراجه من العدم الى الوجود وذلك يتوقف على شروط وأسباب فلذلك قيد بالاستطاعة دون النهي ونوزع بان القدرة على استصحاب عدم المنهي عنه قد يتخلف واستدل له بجواز أكل المضطر الميتة وشرب المكره الخمر ورد بانه لا نهي حينئذ وانما قدم في الحديث النهي على المأمور به لان الاول أشد من الثاني لانه لم يرخص في شيء والامر مقيد بالاستطاعة ولذا قال بعضهم أعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصي لا يتركها الا الصديق ومن ثم تسومح في ترك الواجب كالقيام في الصلاة لحصول المشقة ولم يتسامح في الاقدام على بعض المنهيات الا بالاضطرار كأكل الميتة واساغة الغصة بالخمر أو لان المقام مقام نهي الاقرع بن حابس عن مسألته كما يأتي (وانما أهلك الذين من قبلكم) من أمم الانبياء (كثرة مسائلهم) من غير ضرورة ثم لا يفعلون ما اقترحوه كقولهم لعيسى هل يستطيع ربك

يا محمد وقد جعله الله عتيقا أحمر فأخبر عيسى بذلك فقال ادعها الى فدعاها فسألها عن عملها فقالت يا روح الله ما أحدثت الاوتوضأت ولا طلب أحد مني حاجة الاقضيتها وأحتمل الاذى من الاحياء كما يحتمله الاموات منهم * وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم على سرير من ذهب قوائمه من فضة مفصص بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد مفروش بالسندس والاستبرق فاستقر على الارض ببطحاء مكة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وأقعده معه على السرير ولجبريل أربعة أجنحة جناح من لؤلؤ وجناح من ياقوت وجناح من زمرد وجناح من نور رب العالمين بين كل جناح خمسمائة عام على رأسه ذؤابتان واحدة على لون الشمس والاخرى على لون القمر مرصعتان بالجوهر والياقوت محشوتان بالمسك والكافور ومعه سبعون ألف ملك فضرب بجناحه الارض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وغسل أعضاءه ثلاثا وتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله بعثك بالحق نبيا يا محمد قم وافعل كما فعلت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم مثله فقال يا محمد قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويغفر الله لمن يصنع مثل صنيعك ذنوبه حديثها وقديمها وسرها وعلانيتها وعمدها وخطأها وحرم لحمه ودمه على النار * ولنرجع الى الكلام على بقية الحديث (قوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله) أي هذا اللفظ وحده أو هذه الكلمة وحدها وقيل المراد الفاتحة (تملأ) بالتحتية والفوقية (الميزان) أن ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها والاذعان لمدلولها يملأ كفة الحسنات التي هي مثل طباق السموات والارض وسيأتي الكلام على صفة الميزان وما يتعلق بها في الختام ان شاء الله تعالى (قوله وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ) شك من الراوي (ما بين السماء والارض) وذلك لان العبد اذا حمد مستحضرا معنى الحمد وما اشتمل عليه من التفويض الى الله تعالى امتلأت ميزانه

ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ولموسى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض أرنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فان بني اسرائيل لما أمروا بذبح بقرة تعنتوا ولم يبادروا الى مقتضى الامر من ذبح أي بقرة كانت بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها فشدد الله عليهم بزيادة الاوصاف حتى لم يجدوا متصفا بها الا بقرة واحدة فاشتروها بملء جلدها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا وكانت تحت حكمة عظيمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح وكان له ابن طفل وكان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها الابني حتى يكبر وكان بارا بوالديه حتى بلغ من بره ان رجلا أتاه بملوكة بخمسين ألفا وكان فيها فضل فاشتراها منه وقال له ان أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى يستيقظ فقال له أيقظ أباك واعطني الثمن فقال له ما كنت لافعل ولكن أزيدك عشرة وأنظرني حتى ينتبه فقال له البائع انا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال وأنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فأبى ولم يوقظ الرجل أباه ومات الاب بعد ذلك ومكثت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت من أحسن البقر وأسمنه حتى كانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان يقسم الليل ثلاثة أقسام يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره فأتى به السوق ويبيعه بما شاء الله تعالى ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي أمه ثلثه فقالت له أمه يوما ان أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال أيها الفتى اني رجل راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلي فأخذت ثورا من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وصعد الجبل فما قدرت عليه واني أخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب وتوكل على الله فلو علم الله منك الصدق لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال ابليس ان شئت بعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها وأنا أعطيك عشرة مثلها فقال الفتى ان أمي لم تأمرني بذلك فبينما هم كذلك اذ طار طائر بين يدي الفتى ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعا الفتى اله ابراهيم فرجعت اليه وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار انه ابليس عدو الله اختلسني أما انه لو ركبني ما قدرت علي أبدا فلما دعوت اله ابراهيم جاء ملك فانتزعني من

من الحسنات فاذا أضاف الى ذلك سبحان الله الذي هو تنزيه الله عما لا يليق به ملأت حسناته زيادة على ذلك ما بين السموات والارض اذ الميزان مملوءة بثواب التحميد فهذه الزيادة هي ثواب التسبيح وثواب الحمد من ملئه للميزان باق بحاله على كل من القطعتين ... فيما وذكر السموات والارض على عادة العرب في ارادة الاكثار والمراد ان الثواب على ذلك كثير جدا بحيث لو جسم لملأ ما بين السموات والارض * وروى ان

التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤها ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه أي ليس لقبولها حجاب يحجبها وروى الامام أحمد ان الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وان في كل من الثلاثة عشرين حسنة وحط عشرين سيئة وفي الحمد لله ثلاثين * وحكى ابن عبد البر خلافا في أن الحمد لله أكثر ثوابا أو لا اله الا الله قال النخعي وكانوا يرون أن الحمد أكثر الكلام تضعيفا وقال الثوري ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله وروى الحديث المتقدم واحتج آخرون بما في حديث البطاقة * وروى الامام أحمد لو أن السموات السبع وعامرهن والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن (فوائد) قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وعن سعد بن أبي وقاص

بيده وردني الى الملك ابرك بامك فدفعها الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبعها وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير رضا مني ومشورتي وكان ثمنها ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله اليه ملكا فقال له بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تشاور والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه وأخبرها بذلك فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها الى السوق فاتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى انها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال الملك اني أعطيك اثني عشر دينارا ولا تستأمرها فابى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك في صورة بني آدم ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا فقال الملك اذهب الى أمك فقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بني اسرائيل بملء جلدها ذهبا فامسكوها حتى وجد في بني اسرائيل قتيل اسمه عاميل لم يدروا من قتله وكان سبب قتله كما قال عطاء والسدي انه كان كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل بنت عم له تضرب مثلا في بني اسرائيل في الحسن والجمال فقتله ابن عمها لينكحها فاقاله وقال بعضهم قتله ابن أخيه لينكح ابنته فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فالقاه هناك وقيل ألقاه بين قريتين وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط وجر الى باب سبط آخر فاختصم السبطان فيه وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه فلما اشتبه على الناس جاؤا الى موسى وسألوه أن يدعو الله لهم ليبين لهم ذلك فامرهم بذبح بقرة فقال لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا أي أتستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح بقرة فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب على وفق السؤال في أن الرواية وصفوا حتى وصف لهم تلك البقرة فاخذوها وذبحوها قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها وضربوا القتيل ببعض منها فقام القتيل حيا وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث (واختلافهم) بضم الفاء لانه أبلغ في ذم الاختلاف اذ لا يتقيد حينئذ بكثرة بخلاف كسرها وقد نهى عن الاغلوطات في العلم (على أنبيائهم) اختلافا يؤدي الى كفر أو بدعة وأما اختلاف استنباط فروع الدين ومناظرة أهل العلم فيه على سبيل الفائدة واظهار الحق فغير منهي عنه بل مأمور به وفضيلته ظاهرة وقد أجمع المسلمون من عهد الصحابة الى الآن على ذلك ولا شك أن الاختلاف المذموم سبب لتفرق القلب ووهن الدين كما جرى للخوارج حين كفر بعضهم بعضا ووهن أمرهم واندحضوا وكثرة السؤال من غير ضرورة تشعر بالتعنت وتفضي اليه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال ومن ثم لما أكثروا السؤال عليه صلى الله عليه وسلم غضب

ثم صعد المنبر وهو غضبان قال أنس ونحن نرى ان معه جبريل قال فما رأيت يوما كان أكثر بكاء منه فقال رجل يارسول الله من أبى قال أبوك حذافة وكان الناس يسبونه و ينسبونه لغيره وقال آخر من أبى قال أبوك سالم مولى شيبة وقام آخر فقال أين أبى فقال فى النار ثم قال يا أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقام اليه الاقرع بن حابس فقال يارسول الله أكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم ثم قال ذرونى ما تركتكم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم فجثا عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا و بالاسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لا تفضحنا بسرائرنا واعف عنا عفا الله عنك قال فسرى عنه ثم التفت الى الحائط فقال لم أر كاليوم فى الخير والشر رأيت الجنة والنار وراء هذا الحائط اه (فوائد) الاولى جاء قوم الى سعدون الخولانى فذكروا ان كنانة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقى أبيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره و بشره على النار ذكره القاضى عياض فى الشفاء * الثانية حكى عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان فى آخر حجة حجها قال وهو فى عرفات اللهم انك تعلم انى وقفت فى موقفى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى والثانية عن أبى والثالثة عن أمى وأشهدك يارب انى وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم تتقبل منه فلما دفع من عرفات نودى يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام وعن على بن الموفق انه حج ثمانين فوهب منها سبعين للنبى صلى الله عليه وسلم وأربعة للخلفاء الراشدين وثلاثة لامه واثنتين لابيه ووهب الواحدة الباقية لكل من نوى الحج ولم يقدر عليه فهتف به هاتف من زاوية البيت يا ابن الموفق أتسخى علينا ونحن خلقنا السخاء وعزتى وجلالى لكل من وهبته حجة وهبناه سبعين حجة وعنه أيضا أنه قال حججت سنة فلما ذهبت الى عرفة بت بمنى فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال لبيك أتدرى كم حج بيت ربنا هذه السنة قال لا أدرى قال حج بيت ربنا هذه السنة ستمائة ألف فقبل منها حج ستة ثم ارتفعا فغابا فى السماء فانتبهت فزعا وغمنى ذلك وقلت فى نفسى اذا قبل حج ستة فأين أكون أنا فلما أفضت من عرفات وصرت عند المشعر الحرام جعلت أتفكر فى كثرة الخلائق وقلة من قبل منهم فغلبنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا بعينهما وقال أحدهما لصاحبه المقالة الاولى ثم قال أتدرى ما حكم ربنا عز وجل فى هذه السنة قال لا قال وهب لكل واحد من هذه الستة مائة ألف فانتبهت وقد داخلنى السرور وعن سفيان الثورى رحمه الله تعالى قال حججت سنة ونويت أن انصرف من عرفات ولم أحج بعد فنظرت فى النوم فاذا بشيخ متكئ على عصا وهو ينظر الى مليا فقلت السلام عليك ياشيخ فقال وعليك السلام ياسفيان ارجع عما نويت فقلت سبحان الله من أين علمت نيتى قال ألهمنى ربى فوالله لقد حججت خمسا وثلاثين حجة وكنت واقفا بعرفات ههنا فى

رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز أحدكم أن يكتسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل كيف يكتسب أحدنا ألف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يارسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد لله ولا حول ولا قوة الا بالله و يروى ان فى الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا فتر الذاكر فتر الملك و يقول فتر صاحبى وروى الحاكم ان طلحة ابن عبيد الله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء وروى ابن أبى حاتم عن على رضى الله عنه قال سبحان الله كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب ان تقال وعن كعب بن عجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال معقبات لا يخيب قائلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثة وثلاثين تسبيحة وثلاثة وثلاثين تحميدة وأربعا وثلاثين تكبيرة وفى رواية من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر قال النووى رحمه الله والاولى الجمع بين الروايتين فيكبر أربعا وثلاثين و يقول لا اله الا الله الى آخره وروى من قال دبر كل صلاة مكتوبة وهو ثان رجله قبل أن يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك فى حرز من الشيطان رواه الترمذى وقال حسن صحيح (قوله صلى الله عليه وسلم والصلاة نور) أى ذات نور أو منورة أو ذاتها نور وهى تنور وجه صاحبها كلها ومشاهد فى الدنيا وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وقال أبو الدرداء

صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر وتشرق في القلب أنوار المعارف ومكاشفات الحقائق ليتفرغ فيها من كل شاغل ويتجرد
عن كل زائل ويقبل على الله بكليته حتى يمن عليه بشهوده وقربه ومحبته ولذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في ال
وروى ان الجيعان يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حب الصلاة والصلاة تريح القلب وتزيح همومه وغمومه ولذا قال
صلى الله عليه وسلم يا بلال أقم الصلاة وأرحنا بها وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فقال من حافظ عليها كانت

له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي ابن خلف رواه الامام أحمد وانما خص هؤلاء الاربعة بالذكر لانهم رؤس الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع أبي بن خلف ومن تركها لملكه فهو مع فرعون ومن تركها لماله فهو مع قارون ومن شغله عنها رياسته فهو مع هامان وقال أبو الليث السمرقندي قال رجل في الزمن الاول لابليس أحب أن أكون مثلك فقال أترك الصلاة ولا تحلف صادقا * وفي الحديث تقول الملائكة لتارك صلاة الفجر يا فاجر ولتارك صلاة الظهر يا خاسر ولتارك صلاة العصر يا عاصي ولتارك صلاة المغرب يا كافر ولتارك صلاة العشاء يا مضيع ضيعك الله * ويحكى ان عيسى
عليه السلام مر على قرية كثيرة الانهار والاشجار فاكرمه أهلها فتعجب من حسن طاعتهم على
ثم مر عليها بعد ثلاث سنين فرأى الاشجار يابسة والانهار ناشفة وهي خاوية على عروشها فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه
انه مر على القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه في عينها فنشفت الانهار ويبست الاشجار فخربت القرية يا عيسى لما كان
ترك الصلاة سببا لهدم الدين كان سببا لخراب الدنيا * ويحكى ان بعض الاكابر ركب البحر فرأى السمك يأكل بعضه بعضا فدعاهم

الحجة الخامسة والثلاثين أنظر الى هذه الزحمة وبقيت منتظرا حتى غابت الشمس وأفاض الناس من
عرفات الى المزدلفة وجن الليل ولم يبق معي أحد فنمت تلك الليلة فرأيت في النوم كأن القيامة قد
قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الميزان والصراط وفتحت أبواب الجنان والنيران
فسمعت النار تنادي وتقول اللهم ق الحجاج من حري وبردي فنوديت يا نار سلي غيرهم فانهم
ذاقوا عطش حر البادية ورزقوا الشفاعة قال فانتبهت وصليت ركعتين ثم غبت فرأيت ذلك فقلت في
نومي هذا من الرحمن أم من الشيطان فقيل لي من الله قد عميتك فرددت فاذا على كمي مكتوب من وقف
بعرفات وزار البيت شفعته في سبعين من أهل بيته قال سفيان وأراني المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ
فلم تمر سنة الا وأنا احج حتى تم لي ثلاثة وسبعون حجة وعن عبد الله بن المبارك قال كان بعض المتقدمين
قد حبب اليه الحج فحدثت عنه انه قال ورد الحاج في بعض السنين الى بغداد فعزمت على الخروج معهم
على الحج فاخذت في كمي خمسمائة دينار الى السوق أشتري آلة الحج فبينا أنا في بعض الطريق عارضتني
امرأة فقالت رحمك الله أنا امرأة شريفة ولي بنات عراة واليوم الرابع ما أكلنا شيئا فوقع كلامها في قلبي
فطرحت الخمسمائة دينار في طرف ازارها وقلت عودي الى بيتك فاستعيني بهذه الدنانير على وقتك
فحمدت الله تعالى وانصرفت ونزع الله من قلبي حلاوة الخروج تلك السنة وخرج الناس وحجوا
وعادوا فقلت أخرج للقاء الاصدقاء والسلام عليهم فخرجت وجعلت كلما لقيت صديقا وسلمت عليه
وقلت له قبل الله حجك وشكر الله سعيك رد علي مثل ذلك فلما كانت الليلة الثانية رأيت النبي صلى
الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا فلان لا تعجب من تهنئة الناس لك بالحج أغثت ملهوفا وأغنيت ضعيفا
فسألت الله عز وجل فخلق في صورتك ملكا فهو يحج عنك في كل عام فان شئت فحج وان شئت لا تحج
وروى نحو هذه الحكايات أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان عن ابن المبارك ان عبد الله بن المبارك دخل
الكوفة وهو يريد الحج فاذا بامرأة جالسة على مزبلة تنتف بطة فوقع في نفسه أنها ميتة فوقف وقال يا هذه
هذه ميتة أم مذبوحة قالت ميتة وأنا أريد ان آكلها وعيالي فقال ان الله حرم الميتة وأنت في هذا البلد
فقالت يا هذا انصرف عني فلم يزل يراجعها الكلام الى ان تعرف منزلها ثم انصرف فجعل على بغل
نفقة وكسوة وزادا وجاء وطرق الباب ففتحت ونزل عن البغل وضربه داخل البيت ثم قال للمرأة هذا
البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لك ثم أقام حتى رجع الحاج فجاءه قوم يهنؤونه بالحج فقال
ما حججت السنة فقال له بعضهم يا سبحان الله ألم أودعك نفقتي ونحن ذاهبون الى عرفات وقال له آخر
ألم تسقني بموضع كذا وقال آخر ألم تشتر لي كذا فقال لا أدري ما تقولونه اما أنا لم أحج العام فلما كان الليل
أتى اليه في منامه فقيل له يا عبد الله بن المبارك ان الله تعالى جل جلاله قد قبل صدقتك وانه بعث
ملكا على صورتك يحج عنك ذكرهما ابن الجوزي * وذكر ابن جماعة ان بعض السلف نوى الحج
ومعه ثمانمائة درهم فعرضت له ذات يوم حاجة فبعث ولده الى بعض جيرانه فرجع الولد يبكي فقال
ما لك يا بني قال دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعموني فذهب الرجل الى جاره يعاتبه

على ماقتل فبكى الجار وقال ألجأتني الى كشف حالى انا منذ خمسة أيام لم نطعم فطبخت ميتة وأكلناها وعلمت ان ولدك يجد مالا فلا يحل له أكل الميتة فتعجب الرجل وقال لنفسه كيف النجاة وفي جوارك مثل هذا وانت تتأهب للحج الى بيته واعطاه الثلثمائة درهم فلما كانت عشية عرفة رأى ذو النون المصري في منامه وهو بعرفات كان قائلا يقول ياذا النون ترى هذا الزحام على الموقف قال نعم قال ماحج منهم الا رجل تخلف عن الوقوف فحج بهمته فوهب الله له أهل الموقف قال ذو النون من هو قيل رجل يسكن دمشق فبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه وبشره بذلك اه ذكره في مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام # الثالثة اخرج ابن عدى في الكامل والدارقطني في الافراد والعقيلي وابن عساكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقي الخضر مع الياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ماشاء الله ماكان من نعمة فمن الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وفي بعض الروايات زيادة العلى العظيم واسناد هذا الحديث ضعيف لان فيه الحسن بن رزين وهو ضعيف وأخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار عن محمد بن مهدى بن هلال وزاد قال ابن عباس مامن عبد قالها في كل يوم ثلاث مرات الا امن الحرق والغرق والسرق والشيطان والسلطان والحية والعقرب حتى يمسي وكذلك حتى يصبح # الرابعة عن ابن عباس ان آدم عليه السلام حج أربعين حجة من الهند ماشيا على رجليه قيل لمجاهد أفلا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله أخرجه ابن الجوزي وقال سعيد بن سالم حج سبعين حجة ماشيا (رواه البخاري ومسلم) وهو حديث عظيم من قواعد الدين

(الحديث العاشر)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب) أي منزه عن النقائص ومقدس عن الآفات والعيوب وعن كل وصف خلا عن الكمال المطلق كما قاله القاضي عياض أو طيب الثناء مستلذ الاسماء عند العارفين بها كما قاله غيره ثم الطيب له اطلاقات فيطلق ويراد به الحلال كما في قوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وقوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء ويطلق ويراد به الجيد من الحلال وهو المستلذ منه كما في قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقوله تعالى كلوا مما في الارض حلالا طيبا على انه من باب التأسيس الذي هو الاصل لا للتأكيد وقيل انه بمعنى الطاهر ومن وروده بمعنى الطاهر قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا ويطلق ويراد به المنبت كما في قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ويطلق ويراد به الحسن كما في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أي الحسن وهي شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة أي حسنة وهي الشهادة ويطلق ويراد به المؤمن كما في قوله تعالى ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ويطلق ويراد به مالا أذى فيه كقوله هذا يوم طيب وليلة طيبة أي ليس فيها حر يؤذى ولا برد يؤذى ويطلق ويراد به المدولة

ان القحط وقع في البحر فهتف به هاتف انه قد شرب من البحر رجل تارك الصلاة فلما علم ملوحة الماء قذفه من فمه فوقع القحط في البحر من نجاسة فمه # وأنزل الله في بعض كتبه تارك الصلاة ملعون وجاره ان رضي به ملعون ولولا اني حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون الى يوم القيامة وفي الحديث ان جبريل وميكائيل عليهما السلام قالا قال الله تعالى من ترك الصلاة فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان وفي الحديث من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان # (مسئلة) حلف رجل بالطلاق أنه لا يدخل على زوجته الا في يوم مشؤم فسأل جماعة عن ذلك فاجابوه بان الايام كلها مباركة ثم سأل الشيخ عبد العزيز الديريني رضي الله عنه عن ذلك فقال هل صليت اليوم صلاة قال لا قال فادخل فانه يوم مشؤم عليك فالصلاة يا اخواني نور وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر والصلاة تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر كما في قوله تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكر الثعلبي في هذه الآية عن أنس رضي الله عنه ان رجلا كان يصلي الخمس مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسن حاله فقال ألم أقل لكم ان صلاته تنهاه يوما # وفي النزهة النيسابوري رحمه الله تعالى ان رجلا راود امرأة عن نفسها فاخبرت زوجها بذلك فقال قولي له صل خلف زوجي اربعين صباحا ففعل ثم دعته الى نفسها فقال اني تبت الى الله عز وجل فاخبرت زوجها بذلك فقال صدق الله وقوله الحق ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر فقد اطاع الصلاة وفي الترغيب والترهيب

قيما

كةولم طاب ثمرها أى أدرك قال الشارح الهيتمى وهو أى طيب من أسمائه الحسنى لصحة الحديث به كالجميل ومثلهما النظيف ورد بان حديثه لم يصح اه وبحث فيه بعضهم بانه ان اراد بعدم صحة الثالث عدم وروده فممنوع بل فى حديث رواه ابن عدى وغيره عن ابن عمر مرفوعا ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة وان اراد بالصحة ونفيها الصحيح المصطلح عليه فممنوع أيضا لان الخبرين المذكورين ضعيفان كما بينه جمع من الحفاظ فتدبر (لا يقبل الا طيبا) أى لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا من المفسدات كالرياء والعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا لان لفظ طيب يتضمن المدح والتشريف فلا يتقرب اليه سبحانه وتعالى الا بما يناسبه فى ذلك المعنى وهو الاخلاص فى الاعمال وخيار الاموال كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وعن ابن عباس من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله اربعين صباحا ومن اكتسب مالا حراما فان تصدق به لم يقبل منه ومن خلفه بعده كان دليله الى النار ومن أكل الحلال أربعين صباحا نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حله كان كالمجاهد فى سبيل الله قال القرطبى فى شرح مسلم ما ملخصه الاخلاص شرط فى جميع العبادات وذلك بان يكون الباعث على عملها التقرب الى الله تعالى وابتغاء ما عنده فان كان الباعث عليها شيأ من اعراض الدنيا فلا تكون عبادة بل معصية اما كفر واما رياء وهذا اذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوى وحده ولو فقد لترك العمل فلو وقع العبادة بمجموع الباعثين فان كان باعث الدنيا أقوى أو مساويا الحق بالقسم الاول فى الحكم او بابطال العمل عند أئمة هذا الشان لحديث من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه فلو كان باعث الدين أقوى فحكم المحاسبى بابطال ذلك العمل متمسكا بالحديث المتقدم وما فى معناه وخالفه الجمهور وقالوا بصحة العمل واما لو انفرد باعث الدين بالعمل ثم عرض باعث الدنيا فى اثناء العمل فهو أولى بالصحة اه وفى الحديث من حج بمال حرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك * وأخرج أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه ثم ادخل أصبعيه فى أذنيه ثم قال صمتا ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله وأخرج الحاكم وابن خزيمة وابن حبان من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصراره عليه * وأخرج الطبرانى من كسب مالا من حرام فانفق منه ووصل رحمه كان ذلك اصرارا عليه وانما لم تقبل الصدقة بالحرام لانه ممنوع من التصرف فيه لكونه ملك الغير فلو قبل لزم كونه مأمورا به منهيا عنه من جهة واحدة وهو محال وهذه الجملة توطئة وتأسيس لما هو المقصود بالذات من سياق هذا الحديث وهو طيب المطعم المستلزم لاجابة الدعاء غالبا (وان الله تعالى) لما خلق لعباده ما فى الارض جميعا واباحه لهم سوى ما حرم عليهم (أمر المؤمنين) أى والمؤمنات فهو من باب التغليب والامر للوجوب (بما أمر به المرسلين) فسوى بينهم فى الخطاب بوجوب أكل الحلال ففيه اشعار بان الاصل استواؤهم مع أممهم فى الاحكام الا ما قام الدليل على اختصاصهم به (وقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات)

من النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع نهاره فى ذكرى ورحم الارملة والمسكين وابن السبيل والمصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى واستحفظه ملائكتى واجعل له فى الظلمة نورا وفى الجهالة حلما ومثله فى خلقه كمثل الفردوس والصلاة تهدى الى الصواب ويكون أجرها نورا وتشفع لصاحبها يوم القيامة وروى الطبرانى اذا حافظ العبد على صلاته فاتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتنى فيصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى الله عز وجل أى الى محل قربه ورضاه فتشفع لصاحبها وقيل فى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يعنى الصلوات الخمس وقال العلائى فى تفسير سورة العنكبوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها ألوان العبادات كما ان العرس يجتمع فيه ألوان الاطعمة فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك أتيت بالوان العبادة قياما وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فانا مع جلالى وعظمتى لا يحتمل منى ان أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتنى بالوان العبادة وأكرمك برزقى كما عرفتنى بالوحدانية فانى لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتى فانى أجل من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد الها غيرى يقربها تك عبدى لك بكل ركعة قصر فى الجنة وحوراء وبكل سجدة نظرة الى وجهى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضاة للرب وحب الملائكة وسنة الانبياء ونور المعرفة وأصل الايمان واجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركة فى الرزق وسلاح على الاعداء وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج فى قبره الى يوم القيامة

فاذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه وتاجا على رأسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين يديه وسترا بينه وبين النار وحجة للمؤمنين بين يدى رب العالمين وثقلا فى الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة لان الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد وقراءة ودعاء ولان أفضل الاعمال كلها الصلاة فى وقتها ومر عيسى عليه السلام على شاطئ البحر فرأى طيرا من نور انغمس فى الطين ثم خرج فاغتسل فعاد الى حسنه وهكذا خمس مرات فتعجب من ذلك فقال جبريل يا عيسى ان الطير جعله الله مثلا لمن صلى الصلوات الخمس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالطين كالذنوب والاغتسال كفضل الصلاة (قوله صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان) أى الزكاة كما فى رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على عمومها حتى يشمل سائر القرب المالية واجبها ومندوبها وهى لغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس واصطلاحا الدليل والمرشد فهى يفزع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله فاجاب بتصدقت كانت صدقاته براهين على صدقه فى جوابه وهى دليل على ايمان المتصدق وصحة محبته لمولاه (اشارات فى الزكاة) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا بعث اليه ملكا من خزان الجنة فيمسح ظهره فتسخو نفسه بالزكاة وقال صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم ما تلف مال فى بر ولا بحر الا بحبس الزكاة وقال مانع الزكاة فى النار ويقال الكافر يحرم دمه وماله باخذ الجزية كذلك المؤمن يحرم لحمه ودمه على النار فى الآخرة اذا أخرج الزكاة بطيب نفس وفى الحديث ويل للاغنياء من الفقراء يقولون ربنا ظلمونا حقنا الذى فرضت لنا فيقول وعزتى وجلالى لادنينكم ولا بعدنهم (حكاية) كان فى زمن ابن عباس رضى الله عنهما رجل كثير المال فلما مات

الطيبات) فيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم ورد للرهبانية فى رفض الطيبات (واعملوا صالحا) وقدم أكل الحلال على صالح الاعمال تنبيها على انه لا يتوصل للعمل الا بعد الانتفاع بالرزق (وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أى نفعنا كم به وهو جمع طيب بمعنى الحلال الخالص من الشبهة لان الشرع طيبه لآكله وان لم يستلذه ولذيذ الطعم من غيره وبال على آكله وندامة وحسرة فقول الشافعى الطيب المستلذ أراد به المستلذ شرعا فهو بمعنى ما قبله وقد خفى هذا على بعضهم فظن تغايرهما فاعترضه بان الخنزير لذيذ الطعم على الاطلاق وهو حرام اجماعا والصبر لا لذة فيه وهو حلال اجماعا وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز انه قال يوما انى أكلت الليلة حمصا وعدسا فنفخنى فقال له بعض القوم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول فى كتابه كلوا من طيبات ما رزقناكم فقال عمر هيهات هيهات ذهبت به الى غير مذهبه انما يريد طيب الكسب ولا يريد طيب الطعام وأسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم والامر فى هذه الآية للاباحة أو للوجوب كما لو أشرف على الهلاك مجاعة أو للندب بموافقة الضيف قال أبو هريرة (ثم) ان النبى صلى الله عليه وسلم استطرد الكلام حتى (ذكر الرجل) خصه بالذكر لانه الذى يسافر السفر البعيد الطويل غالبا والا فالمرأة كذلك (يطيل السفر) فى وجوه الطاعات من حج وجهاد وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك من وجوه البر وذكر بعضهم ان قوله أشعث أغبر يفيد انه سفر الحج اذ الصفتان المذكورتان لا يكونان الا فيه والاولى التعميم الاول وقوله يطيل السفر محله نصب صفة لرجل لان أل فيه جنسية والجنس المعرف بمنزلة النكرة على حد قوله رحمه الله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * قال الطيبى ولقد حكى لفظ رسول الله رفع الرجل بالابتداء والخبر يطيل الخ (أشعث) أى متلبد الشعر لبعد عهده بالغسل والتسريح والدهن وشعث الرجل شعثا من باب تعب (أغبر) أى غير الغبار وجهه وبقية جسده (يمد يديه) فيه اشارة الى ان رفع اليدين مشروع فى الدعاء لما فيه من اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار ولان العرب ترفع أيديها اذا استعظمت لامر فالداعى جدير بذلك لتوجهه بين يدى أعظم العظماء ولان العادة فى سؤال المخلوق ذلك فيضع فى يده ما يسأل فيه فكان الداعى شبه المعقول بالمحسوس (الى) جهة (السماء) لانها مخزن الارزاق ومصعد أسرار الخلائق ومصعد الاعمال والاشارة الى ما هو من وصف المدعو من الجلال والكبرياء وانه فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ولانها قبلة الدعاء ومن ثم كانت أفضل من الارض على قول الاكثر وهو الاصح لانه لم يعص الله فيها وقيل الارض أفضل لان الانبياء خلقوا منها وهى مدفنهم ومستقرهم وعدم العصيان فى السماء مزية وهى لا تقتضى الافضلية على انه قد يكون فى المفضول مزايا وقد ينتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء انهم لم يكونوا فى السماء يحتاج لدليل (يا رب) أعطنى كذا (يا رب) جنبنى كذا (ومطعمه) هو مصدر بمعنى المفعول وكذا يقال فيما بعده (حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى) بضم الغين وكسر الذال المعجمة المخففة وفى المصابيح وردت مشددة (بالحرام) ذكر قوله وغذى بالحرام بعد قوله مطعمه حرام اما للتأكيد واما للتنبيه على استواء حاليه

صغروا وانبره فوجدوا فيه ثعبانا عظيما فاخبروا ابن عباس بذلك فقال احفروا غيره فحفروا غيره فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور فقال ابن عباس أهله عن حاله فقالوا انه كان يمنع الزكاة فامرهم بدفنه معه (وحكى) ان رجلا اودع رجلا مائتي دينار ثم مات فجاء ولده وطلب الوديعة فدفعها اليه فادعى الولد الزيادة على ذلك فترافعا الى حاكم فقال احفروا قبر الميت فحفروه فوجدوا في الميت مائتي كية بالنار فقال ١٣٨ انما كان الكيات على قدر الوديعة ولو كانت أكثر كانت الكيات على قدرها وأما

صغرا او كبرا فاشار بقوله ومطعمه حرام الى حال كبره وبقوله وغذي بالحرام الى حال صغره وهذا دال على أن لا ترتيب في الواو (فاني يستجاب له) أي فكيف ومن أين يستجاب لمن هذه صفته واستبعادا لاجابة دعائه من قبح ما هو متلبس به مع ما هو عليه من اطالة السفر في أنواع الطاعة كيف يمن منهمك في ملاذ الدنيا وظالم العباد أولئك كالانعام بل هم أضل لكن يجوز أن يستجيب له لطفا منه وتفضلا وقد علم من هذا أن تناول الحرام مانع من اجابة الدعاء غالبا وبقي للدعاء شروط منها أن لا يدعو بحرام كأن يدعو بالشر على غير مستحقه ولو بهيمة ولا بمحال ولو عادة فانه تعالى أجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة القاضية بدوامها وذلك سوء أدب على الله تعالى الا بالاسم الاعظم فيجوز تأسيا بالذي عنده علم الكتاب دعا بحضور عرش بلقيس فاجيب ولو نبي على ان شرع من قبلنا شرع لنا وأن لا يكون فيه اسبل غرض فاسد كمال وطول عمر للتفاخر وأن لا يكون على وجه الاختيار وأن لا يشتغل به عن فرض وأن لا يستعظم حاجته وأن تكون الاجابة عنده أقرب من الرد للخبر الآتي وبخبر يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأن لا يضجر من تأخر الاجابة فيقول دعوت فلم يستجب لي لانه سوء أدب وأن لا يدعو بدعاء ألفه غيره ولم يرد به أثر مع الجهل بمعناه أو انصراف الهمة الى لفظه لانه خالف لكلام غيره لا سائل وأن يحترز عما يعتاد ابناء في المخاطبات الا يصرح بجماع ونحوه وأن يدعو باسمائه الحسنى دون غيرها وان كان حقا كيا خالق الخنازير وأن لا يعاقبه بما هو شأنه تعالى كاللهم افعل بي ما أنت أهله في الدنيا والآخرة وأن يكون حاضر القلب موقنا بالاجابة لخبر ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة فان الله لا يسمع دعاء من قلب غافل لاه وقد ورد أن موسى عليه الصلاة والسلام مر على رجل يتضرع الى الله تعالى فقال يا رب لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فقال الله له أنا أرحم به منك لكنه يدعوني وله غنم وقلبه عند غنمه ولا أستجيب لمن يدعوني وقلبه عند غيري فذكر موسى ذلك للرجل فانقطع الى الله تعالى فقضيت حاجته وأن يتجنب اللحن فلا يدعو بالجر فيما الصواب فيه الرفع أو النصب لانه يتضمن عدم مؤاخذة الحق بالخطأ وسمع الاصمعي رجلا عند الملتزم يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال له منذ كم تدعو فقال منذ سبع سنين فلم أر الاجابة فقال لانك تلحن في الدعاء فانى يستجاب لك قل يا ذا الجلال والاكرام ففعل فاستجيب له لكن ذكر ابن الصلاح أن الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح فيه ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس عليه وقالوا له يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه والثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع أكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ولم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا قال ابن عطاء الله ان للدعاء شروطا وأركانا وأجنحة ومواقيت وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه

صدقة التطوع فقد ورد فيها أخبار كثيرة منها ما جاء ان سائلا أتى امرأة وفي فمها لقمة فاخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث ان رزقت غلاما فلما ترعرع جاء ذئب فاحتمله فخرجت تعدو في أثر الذئب وهي تقول ابني ابني فامر الله ملكا الحق الذئب فخذ الصبي من فيه وقل لامه الله يقرئك السلام ويقول ان هذه لقمة بلقمة ومنها استعينوا على الرزق بالصدقة ومنها أعظم الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ومنها ان الله ليصرف العذاب عن الامة بصدقة رجل منهم ومنها ان الله ليضحك للرجل اذا مد يده بالصدقة واذا ضحك الله لعبد غفر له ومنها ان الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثلهما ينفع المسكين ثلاثة الجنة صاحب البيت الآمر به والزوجة المصلحة والخادم ومنها ان الله تعالى ليربي لاحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه وفصيله حتى يكون مثل أحد ومنها ان اللقمة بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل أحد ومنها ان صدقة السر تطفئ غضب الرب ومنها تعبد عابد من بني اسرائيل في صومعته ستين عاما فامطرت الارض فاخضرت فاشرف الراهب من صومعته فقال لو نزلت فذكرت الله لازددت خيرا فنزل ومعه رغيف او رغيفان

وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه أنجح وان وافق أوقاته استقر فاركانه حضور القلب والخشوع وقطعه عن الاسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأوقاته بعد الصلاة ومواضع اجابة الدعوات اهـ من الشيرازى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازى حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينصر ودعوة المريض حتى يشفى ودعوة الاخ لاخيه بظهر الغيب وأسرع هؤلاء الدعوات دعوة الاخ لاخيه بالغيب أخرجه الحافظ أبو منصور وعبد الله بن محمد بن الوليد وصححه المحب الطبرى فى كتابه المسمى بالقرى لقاصد أم القرى ثم ان الاجابة ليست منحصرة فى الاسعاف بالمطلوب بل هى حصول واحد من الثلاث المذكورة فى قوله صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا كان بين ثلاث اما أن يستجاب له واما أن يدخر له بعنى أفضل منه واما أن يكفر عنه من ذنبه وفى لفظ أو يدفع عنه من السوء مثله (رواه مسلم) وهو أحد الاحاديث التى عليها قواعد الاسلام ومبانى الاحكام

(الحديث الحادى عشر)

(عن أبى محمد الحسن) كناه وسماه بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولقبه بالتقى والسيد ولد بالمدينة فى النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أذنه وكان له من الولد خمسة عشر ذكرا وثمان بنات وعن البراء أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم انى أحبه فاحبه وصح من أحبنى فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب اللهم انى أحبه وأحب من يحبه فاحب من يحبه ثلاث مرات وفى رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول ذلك وعن عقبة بن الحرث أنه قال خرجت مع أبى بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بليال وعلى يمشى الى جنبه فمر بالحسن بن على يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول

بأبى شبيه بالنبى * ليس شبيها بعلى

وعلى يضحك وعن سعيد بن عبد العزيز أن الحسن سمع رجلا يسأل الله عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف فانصرف الحسن فبعث بها اليه وعن الحسن رضى الله عنه أنه قال انى لأستحيى من ربى أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى خمسا وعشرين مرة من المدينة الى مكة على قدميه وكانت النجائب تقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله فى ماله ثلاث مرات وكان ليعطى نعلا تارة ويمسك أخرى وعن أبى العباس المرسى قدس سره أول الاقطاب مطلقا الحسن بن على ومن تواضعه انه مر بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه أدبا معه فنزل وأكل معهم وتزوج بسبعمائة امرأة فى حياة أبيه فامر مناديا ينادى فى الناس لا تزوجوا الحسن فانه مطلاق فما من أحد الا قال نزوجه فان رضى أمسك وما كره طلق وما طلق امرأة الا وهى تحبه ومتع امرأتين بعشرين ألفا ونيفا فقالت احداهما متاع قليل من حبيب مفارق ولم يكن يعرف اسم الحسن فى الجاهلية وكذا اسم الحسين وأما اللذان كانا باليمن فهما حسن باسكان

رغيفان فبينما هو فى الارض اذ لقيته امرأة فلم تزل تكلمه ويكلمها حتى غشيها ثم أغمى عليه فنزل الغدير يستحم فجاءه سائل فاومى اليه أن يأخذ الرغيف أو الرغيفين ثم مات فوزنت عبادة السبعين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته فوضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له ومنها يا معشر النساء تصدقن فان أكثركن حطب جهنم انكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير وكل هذه الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وجاء بتصحيح صالح يوم القيامة أين الذين أكرموا الفقراء والمساكين فى الدنيا ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (حكى) ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة اذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت الى كلامها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى أين فقالت الى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها الى مكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبع ليال فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحت مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة غلاما بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فدخل ذلك الرجل العاصى بينهم وأخذ رغيفا فبقى رجل منهم لم يأخذ شيئا فقال رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام فاشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله ملك الموت فقبض روحه

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو عاص فأوحى الله اليهم ان زنوا عبادة سبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوا فما رجحت المعصية على عبادة السبعين فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (قوله صلى الله عليه وسلم والصبر ضياء) أي حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب ومرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وأفضل أنواعه الاخير فالاول لخبر ابن أبي الدنيا ان الصبر على المصيبة يكتب للعبد به ثلثمائة درجة وان الصبر على الطاعة يكتب للعبد به ستمائة درجة وان الصبر على المعاصي يكتب له به تسعمائة درجة وقوله ضياء أي ان صاحبه لا يزال مستضيئا بنور الحق على سلوك سبيل الهداية والتوفيق مستمرا في مضايق اضطراب الآراء على تحري الصواب لما عنده من ضياء المعارف والتحقيق * قال موسى عليه السلام الهي أي منازل الجنة أحب اليك قال حظيرة القدس قال من يسكنها قال أصحاب المصائب قال يا رب من هم قال الذين اذا ابتليتهم صبروا واذا أنعمت عليهم شكروا واذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله صلى الله عليه وسلم والقرآن) وهو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز باقصى سورة منه (حجة لك) أي في تلك المواقف التي تسئل فيها عنه كالقبر والميزان وعقبات الصراط ان امتثلت جميع أوامره واهتديت بانواره وتحليت بما فيه من معالي الاخلاق وشرائف الاحوال (أو حجة عليك) في تلك المواقف ان أعرضت عن القيام بما له من واجب الحقوق قال بعض السلف ما جالس أحد القرآن فقام سالما اما أن يربح واما أن يخسر ثم تلا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

فيرضاك

السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين وفي طبقات ابن سعد عن عمران بن سليمان الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ولم يكونا في الجاهلية لكن في الكشاف ما يخالفه وحينئذ فاول من سمي بهما من أهل الدنيا من ذكر والمراد أول من سمي بلفظهما فلا يرد ان هرون سمى ابنيه شبر بفتح أوله وشبير بضم الشين المعجمة بمعنى شبر حسن وشبير حسين لان هذا تسمية بمعناهما واللفظ قد اختلفا (ابن علي) بن أبي طالب القائل فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ويكنى أبا الحسن وأبا تراب كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما وقد علاه التراب (رضي الله تعالى عنهما سبط) بكسر فسكون أي ولد بنت (رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته) شبهه لسروره وفرحه به واقباله عليه بريحان طيب الريح يرتاح لرؤيته وشمه أو لانه كانت رائحته طيبة كرائحة الريحان وهو نبت معروف طيب الرائحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه وفي أخيه الحسين هما ريحانتاي من الدنيا وفي الصحيح ان الحسن رقا المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فامسكه وجعل يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ثم قال ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه لما توفي أبوه رضي الله عنه بايعه أكثر من أربعين ألفا وفيهم كثير ممن تخلف عن أبيه وممن نكث بيعته فبقي خليفة حق نحو ستة أشهر تكملة الثلاثين سنة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكا عضوضا أي يعض الناس بجور أهله وعدم استقامتهم فلما تمت تلك المدة سار الى معاوية في أهل الحجاز والعراق لينتزع منه الشام وسار اليه معاوية فلما تراآى الجيشان وتقارب الجمعان بموضع من أرض الكوفة وقيل نزل الحسن بالمدائن ومعاوية مكن من ناحية الانبار نظر الحسن الى العسكرين وفكر فيما يكون بينهما من القتل فعلم انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب أكثر الاخرى فرأى ان المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال وطلب صلاح الامة وحقن دماء المسلمين فارسل الى معاوية يخبره أن يسلم الامر له ويترك له على شرط أن لا يطلب أحدا من أهل الحجاز والمدينة والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يكون ولي الامر من بعده وأن يمكنه من بيت المال يأخذ منه حاجته ففرح معاوية وأجاب الى ذلك الا انه قال الا عشرة لا آمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه معاوية اني قد آليت على نفسي أني متى ظفرت بقيس ابن سعد بن عبادة أن أقطع لسانه ويده فراجعه الحسن وقال اني لا أبايعك أبدا وأنت تطلب قيسا وغيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث اليه معاوية برق أبيض وقال اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كما اشترط عليه من الامور المذكورة والتزم ذلك كله معاوية فخلع الحسن نفسه وسلم الامر اليه تورعا وقطعا للشر واطفاء لثائرة الفتنة وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماعهم على خليفة واحد وكان ذلك في سنة احدى وأربعين في شهر ربيع الاول وقيل جمادى ثم ان يزيد بن معاوية دس الى زوجة الحسن جعدة بنت الاشعث الكندية أن تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف ففعلت فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله ما وعدها فأبى وقال انا لم نرضك للحسن

ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيمثل له خصما فيقول يارب قد حملته اياى فبئس حامل تعدى حدودى وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى فما زال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره فى النار قال ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله فيمثل له خصما دونه فيقول يارب حملته اياى فخير حامل لم يتعد حدودى وعمل فرائضى واجتنب معصيتى واتبع طاعتى فما زال يقذف له بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر (قوله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو) أى يصبح ساعيا فى تحصيل اغراضه مسرعا فى طلب نيل مقاصده (فبائع نفسه) من الله تعالى ببذلها فيما يخلصها من سخطه وأليم عقابه متوجها بقلبه وقالبه الى الآخرة وأعمالها معرضا عن زخارف الدنيا متعبدا بآداب الشرع قولا وفعلا امتثالا واجتنابا (فمعتقها) من رق الخطايا والمخالفات ومن سخط الله وأليم عقابه (أو موبقها) أى أو بائع نفسه من البطالة ببذلها فيما يرديها فهو حينئذ موبقها أى مهلكها فيما أوقعها فيه من العذاب * ولنختم مجلسنا هذا بثلاث فوائد

(الفائدة الاولى) روى الطبرانى والخرائطى من قال اذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان من آخر يومه عتيقا من النار *(الفائدة الثانية)* عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بانك أنت الله الذى لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك أربع مرات أعتقه الله ذلك اليوم من النار والحكمة فى ترتب العتق على قول ذلك أربع مرات قيل لانه

فرضاك لانفسنا وعن عمير بن اسحق انه قال دخلت أنا ورجل على الحسن بن على نعوده فقال يا فلان سلنى قال لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله قال ثم دخل وخرج الينا فقال سلنى قبل ان لا تسألنى قال لا بل حتى يعافيك الله عز وجل قال قد ألقيت طائفة من كبدى وانى سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه وأخوه الحسين عند رأسه فقال يا أخى من تتهم فقال لتقتله قال نعم فقال ان يكن الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لا يكن ذلك فلا أحب ان يقتل بى برىء ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر ان أباك أشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم ولى فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له وانى والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة وربما استخفك سفهاء الكوفة فيخرجونك ولما نزل به الموت قال أخرجوا فراشى الى صحن الدار فأخرج فقال اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانى لم أصب بمثلها وكان مرضه أربعين يوما وتوفى لخمس ليال خلون من ربيع الاول وفى سنة موته أقوال والاكثرون انها سنة خمسين ودفن بالبقيع وكان من الحكماء الكرماء وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا (قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع) أى أترك وهو أمر لا ماضى له ومضارعه يدع قال الصرفيون وأماتوا ماضى يدع ويذر ولكن جاء عن عروة ومقاتل وابن أبى عبلة انهم قرؤا ما ودعك ربك بتخفيف الدال وجاء ذلك فى ضرورة الشعر ومنه قول أنس بن زنيم

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الشعر حتى ودعه

والامر للندب لان الاصح ان توقى الشبهات مندوب بل جاء عن عمر رضى الله عنه مكسبة فيها بعض الريبة خير من المسئلة ومعناه كسب فيه بعض الشك أحلال هو أم حرام خير من سؤال الناس وقد تكون للوجوب كما لو رمى صيدا فسقط فى ماء فمات أو اجتمع على قتله كلب مسلم وكافر فانه يجب تركه لعدم تحقق المبيح (ما يريبك) بفتح أوله وضمه والاول أفصح وأكثر رواية والثانى لغة هذيل يقال راب يريب ثلاثيا وأراب يريب رباعيا اذا شك وتردد فى الشئ وقيل رابه لما تيقن فيه الريبة وأراب لما توهم فيه فاذا وجدت نفسك ترتاب من شئ فاتركه فان نفس المؤمن الكامل تطمئن الى ما فيه النجاح والفلاح وترتاب من ضده فقد قال أحمد بن نصر الزقاق تهت مرة فى تيه بنى اسرائيل فعطشت مقدار خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق لقينى جندى فسقانى شربة ماء فعادت قساوتها على قلبى أربعين صباحا وفى رواية ثلاثين سنة كما تقدم وفى رواية فمكثت قساوتها فى قلبى ثلاثين سنة وعن أبى سليمان الدارانى انه قال قدم الى اهلى مرة خبزا وملحا فكان فى الملح سمسمة فاكلتها فوجدت رانها على قلبى بعد سنة وحكى انه كان رجل من الاولياء قصد شخص زيارته فلما وصل الى بيته خرج شاب عليه سيما المتكبرين فسلم على الشاب فلم يرد عليه فتعجب وسأل عنه فقيل له انه ابن الشيخ فلما جاء الشيخ رآه الزائر بسيما المتواضعين وكمال حسن الخلق فتعجب أشد من ذلك وقال فى نفسه يا عجبا كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد فسأله الزائر عن سوء خلق ابنه فقال الشيخ لا تعجب فانى جعت مدة من الايام فاخبر

أشهد الله وحملة عرشه وملائكته وجميع خلقه فأعتق الله بشهادة كل شاة عضوا منه وهذا كان الانسان يهدر دمه اذا شهد أربعة بالزنا كذلك يعصم دمه من النار اذا شهد أربعة على ايمانه وقال بعضهم تكرير هذه الكلمات أربع مرات تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفا وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا فأعتق الله بكل حرف منها عضوا من أعضائه ❊ (الفائدة الثالثة) ❊ ذكر السادة الصوفية ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة أعتق الله بها رقبته أو رقبة من قالها له من النار وقال الشيخ نجم الدين الغيطي رحمه الله تعالى في معراجه في تفسير التسبيح أخرج الطبراني في الاوسط والخرائطي وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله قال وهذه فائدة عظيمة ينبغي ان يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يبادر الى الاعتناء بها والمداومة عليها قال ويشبهها ما يتداوله السادة الصوفية من قول لا اله الا الله سبعين ألف مرة ويذكرون ان الله تعالى يعتق بها رقبة من يقولها ويشترى بها نفسه من النار ويحافظون على فعلها لانفسهم ولمن مات من أهاليهم واخوانهم وقد ذكرها الامام اليافعي والعارف الكبير محيوى بن عربي وأوصى بالمحافظة عليها وذكروا انه قد ورد فيها خبر نبوي وحكوا أن شابا صالحا كان من أهل الكشف ماتت أمه فصاح وبكى وخر مغشيا عليه ثم سئل عن سبب ذلك فذكر انه رأى أمه في النار وكان بعض المشايخ من السادة حاضرا وكان قد قال هذه السبعين ألفا وأراد ان يدها لنفسه فقال في نفسه عند ما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم انى هللت هذه السبعين ألف تهليلة وأريد أن أدخرها لنفسي وأشهدك انى قد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فهي المشتمل الوارد الاوتبسم الشاب وسر سرورا عظيما وقال الحمد لله الذي

بذلك جاري وكان من خواص السلطان فجاءنى بطعام من بيت السلطان فلما أكلت ذلك الطعام غلبت على شهوة الجماع فهذا الولد من نطفة ذلك الطعام (الى ما لا يريبك) أي دع ما اشتبه عليك من الشبهات الى ما لا تشك فيه من الحلال لما مر في الحديث السادس ان من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وهذا أصل في الورع حتى قال بعضهم الورع كله في ترك ما يريب الى ما لا يريب وقد ورد لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وقال حسان بن أبي سنان ما شئ أهون من الورع اذا رابك شئ فدعه وهذا انما يسهل على من سهله الله عليه ومن ثم ترك يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه فلم يأخذها وكان أبوه يلي الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه الى ان مات وسئلت عائشة رضي الله عنها عن أكل الصيد للمحرم فقالت انما هي أيام قلائل فما رابك فدعه يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال أو حرام فاتركه فان العلماء اختلفوا في اباحة الصيد للمحرم اذا لم يصده أو يصد لاجله (رواه) الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بفتح السين والراء وسكون الواو ابن الضحاك وقيل ابن شداد بدل الضحاك السلمي البوغي بضم الباء الموحدة وسكون الواو وغين معجمة قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها فلذلك قال (الترمذي) بتثليث الفوقية وكسر الميم أو ضمها مع اعجام الذال نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون وهو نهر بلخ على شاطئه الشرقي قال أبو سعيد الادريسي كان الترمذي أحد الائمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن وكان يضرب به المثل في الحفظ وكان مكفوفا قيل ولد أكمه ونوزع بقول الكشاف لم يكن في هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة وقد يقال هذا نفي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولا يرد على كلام الشاطبي لان صاحب الكشاف متقدم مات سنة تسع ومائتين ومات ببلده ليلة الاثنين الثالثة عشر من رجب سنة تسع وسبعين وقيل تسع وثمانين ومائتين (و) الامام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (النسائي) نسبة الى نسا مدينة بخراسان ولد سنة أربع أو خمس عشرة ومائتين رحل واجتهد واتقن الى ان انفرد فقها وحديثا وحفظا واتقانا حتى قال الذهبي انه أحفظ من مسلم وكان منبسطا في المآكل كثير النساء مع كثرة التعبد دخل دمشق فذكر فضل علي رضي الله عنه فقيل له فمعاوية فقال ما كفاه ان يذهب رأسا برأس حتى تذكر له فضائل فدفع في حصنيه بالحاء المهملة أي جنبيه حتى أشرف على الموت فأخرج فمات بالرملة أو فلسطين سنة ثلاث وثلثمائة وحمل للقدس أو مكة فدفن بين الصفا والمروة (وقال الترمذي حديث حسن صحيح) استشكل الجمع بينهما مع ما بينهما من التضاد فان راوي الصحيح يشترط فيه ان يكون موصوفا بالضبط الكامل وراوي الحسن لا يشترط فيه ان يبلغ تلك الدرجة وان كان ليس عاريا عن الضبط في الجملة وأجيب بان ما قيل فيه ذلك ان كان له اسنادان كان وصفه بالحسن من جهة أحدهما وبالصحة من جهة الآخر وحينئذ فما قيل فيه انه حسن صحيح أقوى مما قيل فيه صحيح لان كثرة الطرق تقويه وان كان له اسناد واحد كان وصفه بهما من حيث تردد أئمة الحديث في حال ناقله لان ذلك يحمل المجتهد على انه

أراني أمي قد خرجت من النار وأمر بها الى الجنة قال الشيخ المذكور فحصل لي فائدتان صدق الخبر المذكور وصحته وصدق كشف هذا الشاب قال الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى لكن الحديث المذكور قال بعض المشايخ لم يرد به سند فيما أعلم قال وقد وقفت على صورة سؤال للحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث وهو من قال لا اله الا الله سبعين ألفا فقد اشترى نفسه من الله هل هو حديث صحيح أو حسن أو ضعيف وصورة جوابه أما الحديث المذكور فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف بل هو باطل موضوع لا تحل روايته الامقرونا ببيان حاله اه قال الشيخ نجم الدين رحمه الله لكن ينبغي للشخص أن يفعلها اقتداء بالسادة الصوفية واقتداء بقول من أوصى بها وتبركا بافعالهم وقد ذكرها الشيخ الولي العارف سيدي محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته في بعض سفيناته المؤلفة قال وكان شيخنا يأمر بها وذكر ان بعض اخوانه ذكر له ان بعض الصلحاء انه كانت له سبحة عددها ألف وكان يديرها سبعين مرة من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس قال وهذه كرامة له من الله تعالى فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك وان يلحقنا بعباده الصالحين فاغتنموا هذه الفوائد هنيأ لاصحاب خير الورى ولا نفس أصحاب أخباره أولئك فازوا بتذكير ونحن سعدنا بتذكاره وهم سبقونا الى نصره وها نحن أتباع أنصاره ولما حرمنا القاعينه * عكفنا على حفظ آثاره عسى الله يجمعنا كلنا * برحمته معه في داره *(المجلس الرابع والعشرون في الحديث الرابع والعشرين)* الحمد لله الذي نطقت بوحدانيته عجائب مصنوعاته وأطبقت على صمدانيته غرائب مبتدعاته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وعلى آله وصحبه أجمعين آمين (عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على

لا يصفه باحد الوصفين بل يقول حسن أي باعتبار وصف ناقله عند قوم صحيح باعتبار وصفه عند آخرين وغاية ما فيه انه حذف منه حرف التردد لان حقه أن يقول حسن أو صحيح وعلى هذا فما قيل فيه صحيح دون ما قيل فيه صحيح لان الجزم أقوى من التردد

(الحديث الثاني عشر)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن) انما أتى بلفظ حسن ولم يقل من اسلام الخ للاشارة الى انه لا عبرة بصور الاعمال فعلا وتركا الا اذا اتصفت بالحسن بان توفرت شروط مكملاتها فضلا عن مصححاتها وقيل ان ترك ما لا يعني ليس هو الاسلام ولا جزأه بل صفته وحسنه وصفة الشئ ليس ذاته ولا جزأه لان الاسلام لغة الانقياد وشرعا الاركان الخمسة فهو كالجسم وترك ما لا يعني كالشكل والاول له ذكره بعض الشارحين فان قيل لم قال من حسن على التبعيض ولم يقل حسن فالجواب ان ترك ما لا يعني ليس هو كل حسن الاسلام بل بعضه وانما جميع حسن الاسلام ترك ما لا يعني وفعل ما يعني فاذا فعل ما يعنيه وترك ما لا يعنيه فقد كمل حسن اسلامه وعلى هذا فمن للتبعيض وقال بعضهم يجوز كونها للبيان (اسلام المرء) آثره على الايمان لان الاسلام هو الذي يظهر اذ هو الاعمال الظاهرة التي يتأتى فيها الترك والفعل اختيارا (تركه) مصدر مضاف لفاعله (ما) أي شيأ أعم من أن يكون قولا أو فعلا (لا يعنيه) بفتح أوله قال ابن عبد البر هذا من جوامع الكلم الذي لم يقله أحد قبله والله أعلم وأما ما روي في صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فهذا على تقدير صحته خاص بالكلام وما تركه ما لا يعنيه فهو أعم من الكلام مع ان لفظه أبلغ وأوجز وما لا يعنيه هو ما لا تدعو الحاجة اليه وهو الفضول كله على اختلاف انواعه من اللعب واللهو وكل ما يخل بالمروءة والتوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع أخروي فانه ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن أن يعوض فائته فيما لم يخلق لاجله والذي يعنيه من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرر دون ما فيه تلذذ وتنعم وسلامته في معاده من الاخلاص وقال الشيخ يوسف بن عمر ما لا يعنيه هو ما يخاف فيه فوات الاجر والذي يعنيه هو الذي لا يخاف فيه فوات ذلك وقيل ما يعنيه ما يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته وما لا يعنيه عكسه وهو ما لا يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته ولعله احترز بذلك عن دنيا تقطعه وتفسد آخرته وفي الحديث اشارة الى ان الشئ اما ان يعني أولا وعلى كل اما ان يتركه أو يفعله فالاقسام أربعة فعل ما يعني وترك ما لا يعني وهما حسنان وترك ما يعني وفعل ما لا يعني وهما قبيحان فان قلت اسناد الاعتناء الى المرء يقتضي ان كل ما لا يعتني به مطلوب بتركه ولو كان موافقا للشرع فالجواب انه لما كان المرء الكامل لا يعتني الا بما يعتني به الشارع أسند الاعتناء اليه نظرا لكماله أو ان المراد بقوله ما لا يعنيه ما لا يطلب الشارع الاعتناء به وقد قال مالك بن دينار اذا رأيت قساوة في قلبك

نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته
فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا أغفر الذنوب
جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم
وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيأ يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم

كانوا على أفجر قلب
رجل واحد منكم ما نقص
ذلك في ملكي شيأ
يا عبادي لو ان أولكم
وآخركم وانسكم وجنكم
قاموا في صعيد واحد
فسألوني فاعطيت كل
واحد مسئلته ما نقص
ذلك مما عندي الا كما
ينقص المخيط اذا ادخل
البحر يا عبادي انما هي
أعمالكم أحصيها لكم ثم
أوفيكم اياها فمن وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلومن الا
نفسه رواه مسلم) اعلموا
اخواني وفقني الله واياكم
لطاعته ان هذا الحديث
من الاحاديث القدسية
وهو حديث عظيم رباني
مشتمل على فوائد عظيمة
في أصول الدين وفروعه
وآدابه ولطائف القلوب
قال الامام النووي في
اذكاره ان أبا ادريس
راويه عن أبي ذر كان اذا
حدث به جثا على ركبتيه
تعظيما له واجلالا (قوله
يا عبادي) جمع لعبد
يتناول الاحرار والارقاء
من الذكور والاناث اجماعا قال أبو علي الدقاق ليس للمؤمن صفة اشرف ولا أتم من العبودية وقيل والنقائص

ياقوم قلبي عند أسمائي ✽ يعرفه السامع والرائي لا تدعني الا بيا عبدها ✽ فانه أشرف أسمائي واقوال العلماء في العبد
والعبودية كثيرة وكل واحد تكلم بلسان قاله على قدر مقامه فقال ابن عطاء العبد الذي لا ملك له وقال رويم يتحقق العبد بالعبودية
اذا اسلم القياد من نفسه الى ربه وتبرأ من حوله وقوته وعلم ان الكل له وما أحسن ما قيل في هذا المحل وكنت قديما اطلب الو

ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم بانك تكلمت بما لا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه يقسي
القلب ويوهن البدن ويعسر اسباب الرزق ✽ ووعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال له لا تتكلم فيما
لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا أمين الا من يخشى الله ولا تمش مع
الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور في أمورك الا الذين يخشون الله عز وجل وقال رجل
للاحنف بن قيس بم سدت قومك وأراد تنقيصه وعيبه فقال الاحنف بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما
عناك من أمري ما لا يعنيك وروى أبو عبيدة عن الحسن انه قال من علامة اعراض الله عن العبد ان
يجعل شغله فيما لا يعنيه وسئل لقمان الحكيم أي عملك اوثق في نفسك قال ترك ما لا يعنيني وروي ان
رجلا وقف عليه وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست عبد بني فلان وفي رواية ألست عبد فلان الراعي
قال بلى لانه كان عبدا حبشيا وما قيل انه نبي بلا نبوة بيان لم يثبت وكان يرعى الغنم قال فما الذي بلغ بك
الى ما أرى قال قدر الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني وفي الموطأ بلغني انه قيل له ما بلغ بك ما نرى
يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل له كيف أصبحت قال
أصبح من كانت نفسه بيد غيره ولبعضهم

لعمرك ما شيء علمت مكانه ✽ أحق بسجن من لسان مذلل
على فيك مما ليس يعنيك قوله ✽ بقفل شديد حيثما كنت أقفل

وقال أنس استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه
وقالت هنيئا لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع
ما لا يضره ومن كلام بعض السلف من سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومر حسان بن أبي سنان
بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها
وعن يوسف بن عبيد ترك كلمة فيما لا يعني أفضل من الصوم يوما وقال بعضهم مر ابراهيم الخليل فرأى
عبدا في الهواء متعبدا فقال له بم نلت هذه المنزلة من الله تعالى قال بامر يسير فطمت نفسي عن الدنيا ولم
أتكلم فيما لا يعنيني ونظرت فيما أمرني فعملت به وفيما نهاني عنه فانتهيت فانا ان سألته اعطاني وان
دعوته أجابني وان أقسمت عليه أبر قسمي سألته ان يسكنني الهواء فاسكنني وعن وهب بن منبه قال
كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى ان مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر
اذ هما برجل يمشي في الهواء فقالا له يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فطمت
نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان أقسمت
على الله أبر قسمي وان سألته أعطاني وقوله من حسن اسلام المرء خبر واجب التقديم لما في المبتدا من
ضمير يعود على متعلق الخبر من باب على التمرة مثلها زبدا وقوله تركه ما لا يعنيه مبتدا (حديث حسن
من طريق صحيح من أخرى (رواه الترمذي) في جامعه (وغيره) كابن ماجه (هكذا) أي موصولا ورواه
غيرهما مرسلا والاتصال يقدم على الارسال وهو أصل كبير في تاديب النفس وتهذيبها عن الرذائل

والنقائص وترك مالاجدوى فيه ولانفع وهو من جوامع كلمه المختصة به صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثالث عشر)

(عن أبي حمزة) بمهملة فزاي كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما روي عنه أنه قال كناني النبي صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت اجتنيتها قال الازهري البقلة التي كنى بها أنس كان في طعمها لذع فسميت حمزة بفعلها يقال رمانة حامزة أي فيها حموضة ومنه حديث عمر أنه شرب شرابا فيه حمازة أي لذع وحدة أو حموضة (أنس بن مالك) بن النضر بالنون والضاد المعجمة أيضا كنية ابن ضمضم بفتح المعجمتين ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون ابن عدي ابن النجار الانصاري الخزرجي وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام واختلفوا في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل أنيفة تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ثم قتل فخطبها أبو طلحة قبل أن يسلم فقالت أما اني فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره فاسلم أبو طلحة وتزوجها قال ثابت فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم وهو الاسلام (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) لان أمه ذهبت به الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقالت له خذه غلاما يخدمك فقبله وكان له حينئذ تسع سنين ويقال ثمان ويقال عشر قال أنس خدمته عشر سنين ويروى تسع سنين فما قال لي لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ تركته لم تركته وكنت واقفا أصب الماء على يديه فرفع رأسه وقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بلى بأبي وأمي أنت يا رسول الله فقال متى لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالت أمه يوما يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه ويروى بدل الاخيرة وأدخله الجنة قال أنس فلقد رزقت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين أي ذكورا ولم يرزق الا ابنتين على ما قيل وان بستاني لتثمر في السنة مرتين وفيه ريحان يجيء منه ريح المسك ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة وكان يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما وشكا له قيمه عطش أرضه فتوضأ وخرج الى البرية وصلى ركعتين ودعا فسارت سحابة حتى غشيت أرضه ومطرت حتى ملأتها فارسل غلامه وقال انظر أين بلغت هذه فنظر فاذا هي لم تعد أرضه وفي رواية لم تعدها الا يسيرا وذلك في الصيف وكان اذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته ودعا لهم وكان أبو غالب يقول لم أر أحدا كان أضن بكلامه من أنس بن مالك وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر وهو غلام يخدمه من البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات واستمر في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم الى أن توفي وهو عنه راض فاقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم قطن بالبصرة ومات بها سنة تسع أو احدى أو اثنين أو ثلاث وتسعين وربما المؤلف زمن الحجاج وهو ابن تسع وتسعين أو مائة وستة أو وثلاث سنين أو وعشر سنين أو وسبع سنين أو وعشرين سنة وأوصى ثابتا البناني أن يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من

فلما أتاني العلم وارتفع الجهل تيقنت ان العبد لا طاباله * فان قربوا فضل وان أبعدوا فعدل وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم * وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو (قوله اني حرمت الظلم) هو وضع الشئ في غير محله (على نفسي) وذلك لاستحالته عليه تعالى اذ هو التصرف في حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد وكلاهما محال عليه اذ لا مالك ولا حق لاحد معه بل هو الذي خلق المالكين وأملاكهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم وأحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة (قوله وجعلته بينكم محرما) أي حكمت عليكم بتحريمه وهذا مجمع عليه في كل ملة لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ النفس والانساب والاعراض والعقول والاموال والظلم قد يقع في هذه كلها أو بعضها وأعلاه الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو المراد بالظلم في أكثر الآيات قال تعالى والكافرون هم الظالمون ثم تليه المعاصي على اختلاف أنواعها وروى الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة وروايا أيضا ان الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد وروايا أيضا من كانت فيه مظلمة لاخيه فليستحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت أخيه وطرحت عليه وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة المظلوم فانها مستجابة *(حكاية)* غار بعض الملوك على قرية فنهبها وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم وقتل فيهم فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت اليه وقالت يا ويلك من ديان يوم الدين اذا انشقت سماء عن سماء وبرز الرب لفصل القضاء فقال لها يا عجوز أما سمعت في القرآن ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة فقالت يا هذا أنسيت

الآية الاخرى التي بعدها في الـ و زدق لك بقوم ـه جارية بـاطالهم وانقال المانشر دواعليهم بجميع ماصم ... فلا يجوز قيف الخلاص قالت لاتقنط وهو الذي يقبل التوبة عن عباده *(***)* اعلم ان الايمان والعبادة لايتم المقصود منهما الا بسلامة الانفس والعقول والاموال التي هي القوام فحرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد بغير حق فان القتل ابطال المقصود بقطع الوجود ويليه الضرب والجرح وقطع الاطراف يفضي الى القتل وشرع قتل الكافر المحارب لان في قتله رفع ضرره عن المؤمنين وشرع قتل الزاني المحصن زجرا عن هذه المفسدة وشرع قتل القاتل عمدا بالقصاص زجرا عن القتل فكان في القتل قصاصا تقليل القتل وهو معنى قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة يااولي الالباب لعلكم تتقون وحرم اللواط لئلا يقع الاكتفاء به فينقطع النسل فيكون به رفع الوجود وهو قريب من قطع الموجود وحرم الزنا لئلا تختلط الانساب فينقطع التعارف والتناصر والوصلة والميراث وتكثر الغيرة بين الرجال فيقع القتل والهرج وأما الاموال فحرم الله تناولها بغير حق مصلحة للناس لكن بعض الصور فيها أعظم من بعض فان ما فاته زمنها أمكن تداركه واقتضاؤه بالسلطان أو بالبدور بما أمكن التحرز منه بان يحفظ الانسان ماله فاما ما كان باختفاء وتسلط فهو أعظم كالسرقة فانه يعسر التحرز منها ولا تعرف فلا يمكن استيفاؤها وأكل مال اليتيم اذا أكله من يلي عليه كذلك واتلاف المال بشهادة الزور وأكل المال باليمين الكاذبة عند الحاكم وأكل الربا والقمار قريب من هذا فانه أكل مال بحجة باطلة لا يمكن معها الاستيفاء ثم يليه الغصب والخيانة في الوديعة ونحو ذلك وأما الاعراض فحرم الخوض فيها لئلا التقاطع والتدابر وربما أدى الى القتل وحرم شرب كل مسكر فان فيه افساد العقل وهو شرط التكليف فصار كقطع الوجود عقبة

شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل وغسله محمد بن سيرين ودفن في قصره على فرسخين وقيل فرسخ ونصف من البصرة وهو آخر من مات من الصحابة بها وأما آخر الصحابة موتا مطلقا فهو عامر بن واثلة الذي روى لانس ألفان ومائتا حديث وستة وثمانون اتفقا منها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين ومسلم باحد وسبعين *(انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم)* وفي رواية للاصيلي لا يؤمن أحد وفي رواية ابن عساكر لا يؤمن عبد وفي رواية لمسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه أو لجاره على الشك وفي رواية أبي نعيم لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه ولجاره بلا شك وذكر الجار مع دخوله فيما قبله لشدة الاعتناء به لخبر ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعلى كل لا يؤمن ايمانا كاملا والا فاصل الايمان حاصل بدون ذلك لان من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرا وفي رواية للامام أحمد وابن حبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ حقيقة الايمان أي كماله وقدم في حديث جبريل ان الايمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ولم يذكر حب الانسان لاخيه ما يحب لنفسه فدل على انه من كمال الايمان لامن أجزائه بحيث يختل ذاته بعدمه ونفي اسم الشئ على معنى نفي الكمال عنه شائع مستفيض في كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان فان قلت اذا كان المراد نفي كمال الايمان يلزم أن يكون من حصلت له الخصلة مؤمنا كاملا وان لم يات ببقية الاركان فالجواب ان هذا ورد مورد المبالغة في تحصيل هذه الخصلة المحمودة حتى كان تلك المحبة ركنه الاعظم نحو لا صلاة الا بطهور وهو مستلزم لها اذ يستفاد من قوله لاخيه المسلم ملاحظة بقية صفات المسلم وأضاف أحد المنفي للعموم لضمير المذكور نظرا للغالب فالاناث كذلك والضمير راجع لامة الاجابة *(حتى يحب)* بالنصب لان حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية وان بعدها مضمرة والرفع يجعلها عاطفة فيفسد المعنى اذ عدم الايمان ليس سببا للمحبة وقوله المحبة الميل الى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون بما يستلذ بحواسه كحسن الصورة وبما يستلذه بعقله كالفضل والكمال وأما الاحسان كجلب نفع أو دفع ضر *(لاخيه)* أي كل أخ في الاسلام من غير أن يخص بمحبته أحدا دون أحد بشهادة انما المؤمنون اخوة والاضافة فان اضافة المفرد تفيد العموم ووقع في رواية الاسماعيلي حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير والظاهر ان التعبير بالاخ المسلم جرى على الغالب لانه ينبغي لكل مسلم أن يحب للكافر الاسلام وما يتفرع عليه من الكمال قال ابن العماد الاولى أن يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لاخيه الكافر لنفسه من دخوله في الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام عليه ولذلك ندب الدعاء له بالهداية اه *(ما يحب لنفسه)* من الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك في الامور الحسية كالغنى أو المعنوية كالعلم فيكون معه كالنفس الواحدة كما حث صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله في الحديث الآتي أيضا المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما اني لامر على الآية من كتاب الله تعالى فاود ان الناس علموا منها ما أعلم

وقت السكر فهذه مراتب الكبائر وكلها ظلم فلهذا قال فلا تظالموا بالتشديد والاشهر التخفيف أى لا يظلم بعضكم بعضا فانه لا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه (قوله يا عبادى كلكم ضال) أى غافل عن الشرائع قبل ارسال الرسل (الا من هديته) أى وفقته للايمان بما جاءت به الرسل (فاستهدونى) أى اطلبوا منى الهداية بمعنى الدلالة على طريق الحق والايصال اليها معتقدين أنها لا تكون الا من فضلى وبامرى (أهدكم) أى انصب لكم أدلة ذلك الواضحة والحكمة فى انه سبحانه وتعالى طلب منا سؤال الهداية اظهار الافتقار والاذعان والاعلام بانه لو هداه قبل ان يسأل ربما قال انما أوتيته على علم عندى فيضل بذلك فاذا سأل ربه فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية وهذا مقام شريف وشهود منيف لا يتفطن له الا الموفقون ولا يعرف قدر عظمته الا العارفون * (تنبيه) * الهداية الدلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وأما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على التهكم وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر فى أجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه الاشارة بقوله تعالى وهديناه النجدين أى طريق الخير والشر الثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم الرابع ان يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (قوله يا عبادى كلكم جائع

عتبة الغلام اذا أراد ان يفطر قال لبعض اخوانه المطلعين على عمله اخرج لى تمرة فيكون لك مثل أجرى قال ابن بطال وغيره المحبة على ثلاثة أقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس اه واللام تدل على ان المراد الخير والمنفعة اذ هى للاختصاص بالمنافع وكذا محبته لنفسه تدل عليه اذ لا يحب لنفسه الا الخير وقد تقدم التصريح به فى رواية الاسماعيلى فاندفع قول بعضهم هذا عام مخصوص فان الانسان يحب لنفسه وطء حليلته ولا يجوز ان يحبه لاخيه حال كونها فى عصمته فانه محرم عليه وليس له ان يحب لاخيه فعل محرم عليه وقوله لنفسه أى مثل ما يحب لنفسه لا عينه لامتناع سلبه عنه ولامتناع قيامه بمحله اذ قيام الجوهر او العرض بمحلين محال وهو مساو لقول بعضهم من جهة لا يزاحمه فيها قال البيضاوى المراد المحبة من جهة العقل وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله لما يعلم ان صلاحه فيه وقال عياض كبعضهم ظاهر الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل لان كل واحد يحب ان يكون افضل الناس فاذا أحب لاخيه مثله دخل هو فى جملة المفضولين وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المراد الزجر عن هذه الارادة والحث على التواضع فلا يحب ان يكون أفضل من غيره الترى عليه مزيته وتستفاد ذلك من قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فهو مستلزم للمساواة قال الكرمانى ومن الايمان أن يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولم يذكره لان حب الشئ مستلزم لبغض نقيضه فترك النص عليه اه ومن ثم قيل للاحنف عمن تعلمت الحلم قال من نفسى قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيرى لا أفعل باحد مثله وقال السرى وقع ببغداد حريق فاستقبلنى رجل وقال لى نجا حانوتك فقلت الحمد لله فذ قلتها وأنا نادم حيث أردت لنفسى دفع الضرر دون المسلمين ولى ثلاثون عاما أستغفر الله من ذلك (رواه البخارى ومسلم) وفى مسند الامام أحمد عن يزيد بن أسد القرشى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحب الجنة قلت نعم قال فاحب لاخيك ما تحب لنفسك وأتى بهذا عقب السابق لان ما قبله وصف للاسلام وهذا وصف للايمان وذكر فيما قبله المطلوب تركه وذكر فى هذا المطلوب فعله وأما الايثار وهو تقديم الغير على النفس فهو أمر عظيم مدح الله أهله فى كتابه العزيز بقوله ويؤثرون على أنفسهم وسبب نزولها ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال جاء ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ما عندنا الا ماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ثم قلن كلهن مثل ذلك ما عندنا الا ماء فقال من يضيف هذا الليلة فقام رجل من الانصار يقال له أبو المتوكل وقيل أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ فقالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشئ فاذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج ونومى الاطفال وقدمى للضيف ما عندك ففعلت وأظهرا له أنهما يأكلان معه فنزل قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله فاولئك هم المفلحون فلما أصبح غدا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد

الا من أطعمته) وذلك لأن الناس كلهم عبيد لأنه المالك لهم في الحقيقة وخزائن الرزق بيده تعالى فمن لا يطعمه بفضله بقي جائعا بعدله اذ ليس عليه إطعام أحد وأما قوله تعالى وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها فالتزام منه تفضلا لا لأنه واجب عليه ولا يمنع نسبة الإطعام اليه تعالى ما يشاهد من ترتب الأرزاق على أسبابها الظاهرة كالحرف والصنائع وأنواع الاكتساب لأنه تعالى المقدر لتلك الأسباب الظاهرة بقدرته وحكمته

الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والعارف الكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا باطن عن ظاهر بل يعطي كل مقام حقه وكل حال وقته (قوله فاستطعموني أطعمكم) أي سلوني واطلبوا مني الطعام ولا تفرن ذا الكثرة ما في يده فانه ليس بحوله وقوته بل هو المتفضل عليه به فينبغي له مع ذلك أن لا يغفل عن سؤال الله تعالى ادامة نعمته عليه لئلا تنفر عنه فلا تعود اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت اليهم وقوله أطعمكم أي أيسر لكم أسباب تحصيله لأن العالم جماده وحيوانه مطيع لله تعالى طاعة العبد لسيده فيسخر السحاب لبعض الأماكن ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويخرج فلانا لفلان بوجه من الوجوه لينال منه نفعا فتصرفاته تعالى في هذا العالم عجيبة لمن تدبرها ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وفيه اشارة الى تأدب الفقراء وكأنه قال لهم لا تطلبوا الطعمة من غيري فان من تطلبونها منهم أنا الذي أطعمهم فاستطعموني أطعمكم فاذا

فالعاقل من توكل على ربه فاذا استغنى العبد بربه فكلما سأله أعطاه قال عروة بن الزبير رضي الله عنه اني لأدعو الله تعالى في صلاتي في حوائجي كلها حتى ملح عجيني (حكي) عن الأصمعي أنه قال بينما أنا أطوف بالكعبة واذا بأعرابي جاء حتى وقف على باب الكعبة وقال يا رب يا رب اني جائع كما ترى ونادتي جائعة كما ترى وابنتي عريانة كما ترى وزوجتي محتاجة كما ترى فما ترى فيما ترى

عجب الله من صنيعكما الليلة بضيفكما فان قلت اذا لم يكن ثم عندها الا قوت الصبيان وهو يدل على ان الصبيان كانوا احياجا فكيف ساغ تنويمهم طاوين فالجواب ان الصبيان لم تشتد حاجتهم للاكل وانما خشيا ان الطعام لو جيء به للضيف وهم مستيقظون لا يتركون الاكل منه ولو كانوا شباعا على عادة الصبيان فيشوشون على الضيف وروى الحسن ان رجلا أصبح صائما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه الا الماء فشرب ثم أصبح صائما فلما كان اليوم الثالث أجهده الجوع ففطن به رجل من الانصار فلما أمسى أتى به الى منزله وقال لاهله هل عندكم من طعام فقال أهله عندنا من الطعام ما يشبع الواحد وكانا صائمين ولهما صبية فقال لزوجته اذا دخل الضيف فنومي الصبية وقدمي العشاء وأطفئي السراج ونظهر للضيف انا نأكل معه حتى يشبع ففعلت ثريدا ووضعته ودنت من السراج كأنها تريد ان تصلحه فأطفأته فلما أصبح الضيف غدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقال ابن عمر اهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي فلانا وعياله احوج الى هذه منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها سبع أبيات حتى رجعت الى الاول وتقدم ذكر قصة ابن عمر لما اشتهى عنقودا من العنب وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها فرجع الغلام الى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ وقالت ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران فدفع بهما اليها فرجع الغلام الى عمر فأخبره بذلك فسر بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة في اعطاء معاوية اياها كما مر في مناقبها وقال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت له ما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وحكي عن الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا من فقراء الري ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤوا السراج وجلسوا للاطعام فلما رفع فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال فقد قال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا فقلت أسقيك فأشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول آه آه فأشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فانطلقت اليه فاذا هو هشام بن العاصي فقلت أسقيك فأشار ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام ان انطلق به

فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ورجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات

* (الحديث الرابع عشر) *

(عن) عبد الله (بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل) أي لا يجوز قتلا ينافي وجوب القتل باحدى الثلاثة الآتية لان الجائز يصدق بالواجب وفي رواية مسلم زيادة على هذا في أوله ولفظه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي لا اله غيره لا يحل (دم) قال سيبويه أصله دمي على فعل بالتسكين لانه يجمع على دماء ودمي أي بكسر الدال في الاول وضمها في الثاني مثل ظبي وظباء ودلو ودلاء ودلي ولا يجمع على ذلك الا فعل بالتسكين وقيل أصله فعل بالتحريك وعليه فهل الذاهب منه الياء ويدل عليه قولهم في تثنيته دميان وان جاء بخلاف النظائر وهو ما قاله المبرد أو الواو لان بعض العرب يقولون في تثنيته دموان وهو ما قاله غيره وعلى كل فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (امرئ) يقال فيه مرء أيضا قال الله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ومؤنثه امرأة ومرأة وحكي بعضهم انه يجوز مرة بفتح الراء من غير همز وخص الذكر هنا بالذكر لشرفه وأصالته وغلبة دوران الاحكام عليه والا فالانثى والخنثى كذلك جريا على طريقة الاكتفاء باحد الضدين كما في سرابيل تقيكم الحر أي والبرد أو لانه كما قال الحراني يشترك فيه الذكر والانثى وقوله دم امرئ كناية عن ازهاق روحه ولو لم يرق دمه كالوخنقه أو سمه أو بالنظر للغالب لان الغالب في القتل اراقة الدم (مسلم) خرج به الكافر وسقط من كلام المصنف هنا ما رواه الشيخان في روايتهما بعده يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله وهو صفة كاشفة واعلم أن الاصل في الدماء العصمة عقلا ونقلا أما عقلا فلان في القتل افساد الصورة الانسانية المخلوقة في أحسن تقويم والعقل يأباه وأما نقلا فقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وقول المصطفى عليه السلام لا يحذر أحدكم أن يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم يهريقه بغير حق وقوله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وقوله من أعان على مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقولهم من هدم بنيان ربه فهو ملعون أي من قتل نفسا بغير حق لان الجسم خلقه الله وركبه ثم استثنى من عدم الجواز قوله (الا باحدى) خصال (ثلاث) فيجب القتل بها لما فيه من المصلحة العامة وهي حفظ الانساب والنفوس والاديان الا أن يعفو مستحق القصاص أو يرجع المرتد الى الاسلام وأنث احدى ثلاث لان المراد الخصال كما تقرر وفي رواية للبخاري الا ثلاثة نفر (الثيب) اسم جنس يشمل الذكر والانثى والمراد به المحصن وهو المسلم البالغ العاقل الواطئ أو الموطوء وطأ مباحا في عقد نكاح لازم بانتشار وعدم منا كره وخرج بالثيب البكر فحده جلده مائة جلدة ان كان حرا ونصفها ان كان رقيقا وتغريب الذكر الحر عاما والاصح أن الحدود بمجردها كفارة وقيل لا بد من التوبة وجمع بحمل الاول على ذات الذنب والتوبة على جراءته وقوله الثيب بالحر بدل عما قبله ولا بد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف تقديره خصلة الثيب الزاني وقصاص النفس بالنفس وترك التارك لدينه وبدون هذا التقدير يتعذر الابدال

يامن يرى ولا يرى قال فمددت يدي الى دنانير كانت معي فقلت يا سيدي خذ هذا فاستعن بها على فقرك قال فرماها وقال ان الذي سألته أبسط منك يدا فقال ثم استتم كلامه الا ومنادي ينادي يا فلان ادرك عمك فقد مات وخلف أربعمائة ناقة وأربعمائة ثور وأربعمائة مثقال ذهب فامض اليه فخذها فانك وارثه (وحكي) عن بعضهم انه أصابه جوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى فسمع هاتفا يقول له تريد طعاما أو فضة فقال بل فضة واذا بصرة بين يديه فيها أربعة آلاف درهم فضة * (فائدة) * ينبغي للداعي ان يترقب الاوقات التي يستجاب فيها الدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله ومن جملة ذلك الدعاء عند الاذان والاقامة والثلث الاخير من الليل وليلة الجمعة ووقت السحر وليلتي العيدين وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وعند نظر البيت وعند نزول المطر (قوله يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم) واسألوا الله من فضله فانه وعد بالمسئلة الا يعطي وفي هذا جميعه تنبيه على افتقار سائر الخلق اليه وعجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم الا أن ييسر لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومما نقل عن حكم عيسى عليه الصلاة والسلام ابن آدم أنت أسوأ بربك ظنا حيث كنت أكمل عقلا الا انك تركت الحرص جنينا محمولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا قد أصبت رشدك وبلغت أشدك (قوله يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا) أي ما عدا الشرك وما لا يشاء مغفرته قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قوله فاستغفروني أغفر لكم) قال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم * (فائدة) * في هذا من التوبيخ ما يستحي منه كل مؤمن لانه اذا علم انه تعالى خلق

لان الثيب بما بعده بدل والنفس الخ حال ويجوز رفعه على انه خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف اى وهى أو منهم الثيب الخ والثانى أولى ويجوز نصبه على انه مفعول لفعل محذوف (الزانى) باثبات الياء وحذفها من باب الكبير المتعال واثباتها كما قال المصنف أشهر ومن عبد الله بن عمر انه قال أول ما يتقى الله عز وجل من الانسان فرجه فقال هذا أمانتى عندك فلا تضعها الا فى حقها والمراد بحل دم المحصن الزانى انه يجب رجمه بالحجارة حتى يموت ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا (والنفس) المكافئة (بالنفس) أى يقتلها عمدا عدوانا لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أى التوراة ان النفس بالنفس ولما فى الصحيح انه عليه الصلاة والسلام رضخ رأس اليهودى الذى رضخ رأس المرأة وخرج بالمكافئة ما اذا كان القاتل زائدا بالاسلام أو الحرية فان كان زائدا بالاسلام لا يقتل لخبر البخارى لا يقتل مسلم بكافر وكذا لو كان زائدا بالحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ولان الرقيق مال متقوم فاشبه سائر الاموال وخبر من قتل عبده قتلناه منقطع ويقتل الادنى بالاعلى ككتابى بعبد مسلم لان زيادة الاسلام أعلى من الحرية بخلاف العكس فلا يقتل رقيق مسلم بحر كافر وخرج بالعمد الخطأ وبالعدوان قتل البغاة ويقتص من الفرع للاصل لا عكسه لانه سبب فى ايجاد فرعه فلا يكون فرعه سببا لاعدامه الا أن يضجعه ويذبحه أو يبقر بطنه فيقتص منه حينئذ والنفس تذكر وتؤنث والغالب عليها التأنيث (والتارك لدينه) أى المرتد لان فى اقراره على الردة خللا لنظام عقد الاسلام ولا فرق بين الرجل والمرأة عند الجمهور وقال أبو حنيفة لا تقتل المرأة اذا ارتدت كما لا تقتل نساء أهل الحرب فى الحرب واستثناء القاتل والزانى من المسلم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجهما عن الاسلام وأما استثناء المرتد فهو باعتبار ما كان قبل ردته سيما وعلاقة الاسلام مرتبطة به بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا ويقتل الزانى والقاتل ولو تابا بخلاف المرتد لان التوبة فى الاخير تزيل عنه وصف الكفر بخلافها فى الاولين فانها لا تزيل الوصف بالزنا والقتل (المفارق للجماعة) تفسير للتارك لدينه فهو وصفة مؤكدة لان المراد بالجماعة جماعة المسلمين وفراقهم هو الردة عن الدين فالمراد المفارقة بالقلب والاعتقاد أو الفعل المكفر كالسجود للصنم لا المفارقة بالبدن الا أن ينضم له المفارقة باللسان والظاهر أن اللام فى قوله لدينه وفى قوله للجماعة زائدة كما زيدت فى قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم وقوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ونحو ذلك فان ترك وفارق يتعديان بنفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدى متعد كفعله كما ان القاصر كذلك زيدت فى الفعل والا فالاصل التارك دينه المفارق الجماعة كما تقول الضارب زيدا ولا تقول الضارب لزيد وكان زيادتها التوكيد المعنى قال الطوفى عموم قوله التارك لدينه يقتضى انه اذا تهود نصرانى أو تنصر يهودى انه يقتل لانه تارك لدينه والقائل أن يقول ان التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزانى والقاتل وحينئذ لا يدل على ما ذكر (رواه البخارى) فى الديات (ومسلم) فى الحدود

(الحديث الخامس عشر)

(عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله) أى ايمانا

الاول ليطلع فيه سرا ويسلم منه من الرياء ليتحقق انه يتقى أوقاته الا فى ذلك وان اعترف ذرة منه الاحسية كما انه يستحى بالجبلة والطبع ان يقترف شيأ من الزوار حيث يراه الناس للاهمية * ولنذكر طرفا من صحيح الاخبار الواردة عن النبى المختار فى فضل الاستغفار عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة حديث صحيح حسن أخرجه الترمذى وابن السنى واستغفاره صلى الله عليه وسلم لا عن ذنب بل طلبا للزيادة الترقى لان العبد كلما علم نفسه مقصرا رفعه الله اذ من تواضع لله رفعه وعن أبى هريرة أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذى ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حديث حسن صحيح أخرجه الحاكم وعنه أيضا رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب اذنبت ذنبا فاغفره فقال له ربه سبحانه وتعالى علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا فقال يارب أذنبت آخر فاغفر لى فقال علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والامام أحمد وابن حبان ومعنى فليعمل ما شاء أى فانه ما دام يتوب ويستغفر فانى اغفر له فعلم ان نقض التوبة بالعود لا يمنع قبولها ثانيا وهكذا ولو بلا نهاية * وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا حديث حسن والاساءة لا تتصور منه صلى الله عليه وسلم لكن هذا على سبيل الفرض وقد يفرض غير الواقع بل هو كثير وقصده صلى الله عليه وسلم ارشادنا للدعاء بذلك

لتعلم أن هذا الوصف حسن من هذا الحديث الحسن * وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب والمعنى أنه يرزق من جهة لا يظن مجيء الرزق منها ويشهد لذلك قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا والاحاديث في فضل الاستغفار كثيرة وفي هذا كفاية وإياك أيها الواقف على هذه الاحاديث ان تتخذها ذريعة للزلات وسببا للاكثار الخطيئات فان ذلك مدحضة موقعة في البليات واخش من الرين فهو من أعظم النكبات (قوله يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) وذلك لانه قد قام الاجماع والبرهان على انه تعالى منزه مقدس غني بذاته لا يمكن أن يلحقه ضرر ولا نفع تعالى الله عن ذلك (قوله يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا) فيه اشارة الى أن ملكه تعالى في غاية الكمال لا يزيد بطاعة جميع الخلق ولا ينقص بمعصيتهم لانه تعالى الغني المطلق في ذاته وأفعاله وصفاته فملكه كامل لا نقص فيه بوجه بل لا يتصور أكمل منه كما أشار اليه حجة الاسلام الغزالي بقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي أتم فما جرى في الكون فهو على أتم نظام (قوله يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد) أي أرض واحدة ومقام واحد (فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط) بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء الابرة (اذا أدخل البحر) أي وهو في رأي العين لا ينقص من البحر شيئا فكذلك الاعطاء من الخزائن لا ينقصها شيئا البتة اذ لا نهاية لها والنقص مما لا يتناهى محال بخلافه مما يتناهى كالبحر وان جل وعظم فكان أكبر

كاملا منجيا من عذابه لان المتوقف على هذه الافعال كمال الايمان لا حقيقته أو هو على المبالغة في الاستجلاب الى هذه الافعال كما يقول القائل لولده ان كنت ابني فأطعني ونحوه تحريضا وتهييجا له على الطاعة لا على انه بانتفاء طاعته ينتفي انه ابنه وعدل الى المضارع هنا وفيما بعده قصد الاستمرار الايمان وتجدده بتجدد أمثاله وقتا فوقتا (واليوم الآخر) وهو يوم القيامة سمي به لانه لا ليل بعده ولتأخره عن الدنيا وخصه بالذكر هنا دون نحو الملائكة مما ذكر معه في الحديث السابق لانه محل الجزاء على الاعمال حسنها وقبيحها (فليقل) اللام لام الامر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفاء أو الواو وسكونها أكثر ومنه قوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي (خيرا) أي كلاما يثاب عليه (أو ليصمت) ضبطه النووي بفتح الياء وضم الميم وقال الطوفي قد سمعناه بكسرها وهو القياس لان قياس فعل بفتح العين ماضيا يفعل بكسرها مضارعا نحو ضرب يضرب ويفعل بضم العين فيه دخيل كما في الخصائص لابن جني اهـ والصمت مجرد السكوت عن الكلام أي يسكت عما لا خير فيه وهو شامل للصمت عن الشر وعن المكروه وعن المباح لان المباح ربما جر الى مكروه أو محرم وعلى تقدير أنه لا يجر اليهما ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني وقد ورد من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وآثر يصمت على يسكت لانه أخص اذ هو السكوت مع القدرة وهذا هو المأمور به أما السكوت مع العجز لفساد آلة النطق فهو الخرس أو لتوقفها فهو العي والصمت قفل الفم كما قال عمر رضي الله عنه ولذا قيل

وكم فاتح أبواب شر لنفسه * اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه وفي الحديث من صمت نجا * واعلم ان الانسان اما أن يتكلم أو يسكت فان تكلم فاما بخير فهو ربح أو شر فهو خسران وان سكت فاما عن شر فربح واما عن خير فخسران فله في كلامه وسكوته ربحان ينبغي تحصيلهما وخسرانان ينبغي التخلص منهما وذكر بعضهم ان الكلام أربعة أقسام ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولا ضرر ولا منفعة فالضرر المحض لا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة ولا تفي المنفعة بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فيسقط ثلاثة أرباع الكلام وفيه خطر اذا كان يجر ما فيه اثم من رياء والتصنع ونحوهما وقال في الحديث الا أنبئكم بأمرين خفيفين لم يلق الله عبد بمثلهما الصمت وحسن الخلق وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب وقيل من قول سليمان ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام في طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب وما أحسن قول بعضهم

اذا ما اضطررت الى كلمة * فدعها وباب السكوت أقصد

فلو كان نطقك من فضة * لكان سكوتك من عسجد

ولابراهيم العنكي قالوا سكوتك حرمان فقلت لهم * ما قدر الله يأتيني بلا نصب

ولو يكون كلامي حين أنشره * من اللجين لكان الصمت من ذهب

المرئيات في الارض . . . . هذا العطاء الكثير من التنافي ولا ينقص كالنار والعلم يقتبس منهما ما شاء الله ولا ينقص منهما شيء
ان قوله هنا الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر وقول الخضر لموسى عليه السلام ما نقص علمي وعلمك وعلم الخلائق من علم
كما ينقص هذا العصفور من هذا البحر ليس المراد به ماحقيقتهما وانما كل منهما مثل تقريبي للافهام ليعلم منه انه لا ينقص في
الخزائن ولا في علم الله البتة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يمين الله أي اعطاؤه وافاضته على عباده من

وهو صريح في ان الكف عن المعصية أفضل من عمل الطاعة وفي ان الصمت أفضل من الكلام وقد
ذهب جماعة من السلف الى تفضيل الكلام لان نفعه متعد وعليه فقول الخبر خير من ا
والصمت خير من قول الشر وتكلم قبيصة بن ذؤيب عند عمر بن الخطاب فقال يا قبيصة انك
الاسان فسيح الصدر فاحذر عثرات اللسان * وكان يقال أدنى نفع الصمت السلامة وأدنى ضرر النطق
الندامة وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول دع من الكلام ما تعتذر منه وتكلم بما شئت وقال
الصمت امان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ النطق وسلامة من فضول القول
* وقال بعض الحكماء دبر كلامك كما تدبر عملك وارفق لا تكسره واعلم ان اللسان متهم يخطئ و
واغتنم السكوت فان أدنى نفعه السلامة وان أشقى الناس من ابتلي بلسان مطلق وقلب مطبق
لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت وقال آخر من أطلق لسانه بكل ما يعلم كان أكثر مما
لا يحب * وسئل ابن المقفع أي شيء أنفع للانسان قال عقل يولد به قيل فان فاته ذلك قال أدب يقوم به قيل
فان فاته ذلك قال مال يستره قيل فان فاته ذلك قال صمت يلزمه قيل فان فاته ذلك قال قبر يخفيه * وكان
أبو بكر الصديق يجعل في فمه حجر البقل كالأمه وكذلك عمر بن الخطاب وروي ان رجلا سئل في مرض
موته فقيل له أوصني فقال ان شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الاطباء في ثلاث كلمات
أما علم العلماء فاذا سئلت عما لا تعلم فقل لا أعلم وأما حكم الحكماء فاذا كنت جليس قوم
فان أصابوا كنت من جملتهم وان أخطؤا اسلمت من خطئهم وأما طب الاطباء فاذا أكلت طعاما فلا
الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم بجسدك غير مرض الموت وسئل ابراهيم بن الحسن عن سلامة
بالعزلة والصمت وترك استماع خوض الناس وروي عن أبي بكر بن عباس أنه قال أربعة من الملوك
تكلم كل واحد منهم بكلمة كأنها رمية من قوس واحدة قال كسرى لا أندم على ما لم أقل وقد
ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة فانا املكها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال قيصر ملك الروم
على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضربه وان
لم ترفع لا تنفعه وعن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن
مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم * وقال أكثم بن صيفي رحمه الله

من لا يدع لسانه فيرسله * فبين فكيه يكون مقتله

وقال بعض الحكماء لسان المرء شفرة يمرها على اوداجه * وقال الحسن البصري من كثر كلامه كثر
ومن كثر ماله كثر اثمه ومن ساء خلقه عذب نفسه * وعن ثابت البناني رحمه الله انه قال بلغني ان
في عشرة تسعة منها في السكوت وواحدة في الفرار من الناس * قال مالك بن دينار وكان الابرار يتواصون
بثلاث سجن اللسان وكثرة الاستغفار والعزلة ومن وصايا بعض الكبار اياك وكثرة الكلام فانه
من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن وقال يحيى القطان انما ادانا يعرف الناس بحفظ
* وقال خارجة بن مصعب صحبت ابن عوف ما يزيد على عشرين سنة فلم أعلم ان الملائكة

الخزائن كالليل والنهار
أي وانه لا ينقص منهما
شيء أرأيتم ما أنفق منذ
خلق السموات والارض
لم ينقص مما في يمينه شيأ
مما في خزائن قدرته لان
عطاءه بين الكاف والنون
انما أمرنا لشيء اذا أردناه
ان نقول له كن فيكون
وحكمة ضرب المثل هنا
بالابرة أنها أصغر ما يعاين
مع كونها صقيلة لا يتعلق
بها الا ما لا يمكن ادراكه
وفي الحديث تنبيه على
ادامة السؤال فلا يختصر
سائل ولا يقتصر طالب
(قوله يا عبادي انما
هي أعمالكم أحصيها)
أي اضبطها لكم بعلمي
وملائكتي الحفظة
واحتج لهم معه لا لنقصه
عن الاحصاء بل ليكونوا
شهداء بين الخلق والخالق
وقد تضم اليوم شهادة
الاعضاء زيادة في العدل
كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا والحصر هنا
بالنسبة لجزاء الاعمال
(قوله فمن وجد خيرا)
أي ثوابا ونعيما (فليحمد
الله على توفيقه) لما ترتب عليه ذلك الجزاء والثواب أخرج الترمذي ما من ميت يموت الا ندم فان كان . . . . . عليه
محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب ولا يجب على الله شيء لاحد من خلقه (قوله ومن وجد غير
أي شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الادب في النطق بالكناية عما يؤذي أو يستقبح أو يستحي من ذكره واشارة الى
اجتنب لفظه فكيف الوقوع فيه والى أنه تعالى حي كريم يحب الستر ويغفر الذنب ولا يعاجل بالعقوبة ولا يهتك الستر (

عليه خطيئة * وقال مخلد بن الحسين ما تكلمت بكلمة أريد أن أعتذر منها منذ خمسين سنة وكان وهب بن منبه يعد كلامه كل يوم ويحفظه * وقال الفضيل بن عياض كان بعض أصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة * وقيل في الحكمة انما جعل لك لسان واحد وأذنان ليكون ما تسمع أكثر مما تقول وعن الاصمعي انه قال بلغني ان رجلا قال لآخر والله ان قلت لي واحدة لتسمعن عشرا قال الكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وأنشد أبو بكر بن خلف

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

سكت عن السفيه فظن اني * عييت عن الجواب وما عييت

ولكني اكتسبت بثوب حلم * وجنبت السفاهة ما بقيت

وشتم رجل الاحنف بن قيس فسكت عنه فأعاد عليه وألح والاحنف ساكت فقال الرجل والهفاه ما يمنعه من جوابي الاهواني عليه * ونقل البيهقي عن ذي النون المصري انه قال العز الذي لا ذل فيه سكوتك عن السفيه عطب السفيه بيده وفيه وفيه أنشد الاصمعي

وما شئ أحب الى لئيم * اذا شتم الكريم من الجواب

متاركة اللئيم بلا جواب * أشد على اللئيم من السباب

ومن ثم قال الاعمش جواب الاحمق السكوت والتغافل يطفئ شر الشرير ورضا المتجني غاية لا تدرك والاستعطاف عون للظفر وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا كنت وحدك فاحفظ قلبك واذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك واذا كنت على المائدة فاحفظ بطنك واذا كنت على الطريق فاحفظ عينك فهذه تورث السلامة والصحة وقال الغزالي لا تبسطن لسانك فيفسدن عليك شانك * وعن علي ابن أبي طالب في وصية لابنه الحسين رضي الله عنهما يا بني امسك عليك لسانك فان اتلاف المرء في منطقه * وعن بعضهم عفة اللسان صمته فان اللسان سبع ضار فان لم توثقه عدا عليك وأنشد بعضهم

اغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت فارغا مستريحا

واذا همت في الخوض بالبا * طل فاجعل مكانه تسبيحا

واغتنام السكوت أفضل من خو * ض وان كنت بالحديث فصيحا

واستثنى العلماء من الصمت أربعة أنواع العلم وجميع القربات والكلام مع الضيف والعروس والمسافر واما ما تدعو الحاجة اليه من قوله قم وكل ونحو ذلك فانه خارج عن هذا * وقال سهل بن عبد الله التستري ان بالصمت والعزلة وقلة الطعام صار الابدال ابدالا ومعنى الابدال انهم أبدلوا من الاقوال والاخلاق الذميمة أضدادها الحميدة كالجهل بالعلم والشح بالجود والشره بالعفة والطيش بالتؤدة * وعن ذي النون المصري أحسن الناس لنفسه أملكهم للسانه * وعنه أيضا أنه قال بينا أنا أسير في نواحي الشام اذ وقفت الى روضة خضراء وفي وسطها شاب قائم يصلي تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثانيا فأوجز في صلاته ثم كتب في الارض باصبعه

يلومن الا نفسه) أي فانها آثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها فكفرت بنعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت أن يعاملها بمظهر عدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله *(خاتمة المجلس)* ورد هذا الحديث بزيادة على ما هنا وهو ما أخرجه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاسألوني الهدى أهدكم وكلكم فقير الا من أغنيته فاسألوني أرزقكم وكلكم مذنب الا من عافيته فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل واحد منكم ما بلغت أمنيته فاعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيأ الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه وذلك لاني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام انما أمري لشئ اذا أردته ان أقول له كن فيكون والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(المجلس الخامس والعشرون في الحديث الخامس والعشرين) الحمد لله ولا يحمد سوى الله ولا اله الا الله وسبحان الله ولا ينبغي التسبيح الا لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأستغفر الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه السادة الثقاة آمين *(عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أو

الهذا الكثير بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأ
ليس
بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم
لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذا اذا وضعها في الحلال كان له أجر رواه مسلم) * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان
هذا الحديث حديث عظيم مشتمل على قواعد الدين (قوله ذهب أهل الدثور) أي المال الكثير (بالاجور) الكثيرة

منع اللسان من الكلام لانه * هدف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا * لاتنسه واحمده في الحالات

قال ذو النون فبكيت طويلا وكتبت باصبعي في الارض

وما من كاتب الا سيبلى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه

قال فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا بها فبقيت لا آخذ في غسله وكفنه واذا بقائل يقول خل عنه فان الله عز وجل وعد أن لا يتولى أمره الا الملائكة قال ذو النون فأتيت الى شجرة فركعت عندها ركعتين ثم أتيت الموضع الذي مات فيه فلم أجد له أثرا ولا عرفت له خبرا * وقال الفضيل بن عياض من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه * وعن ذي النون أصون الناس لنفسه أملكهم للسانه وفي صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وأنشد بعضهم

وسمعك صن من سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

(وقال ابن المبارك) احفظ لسانك ان اللسا * ن سريع الى المرء في قتله
وان اللسان دليل الفؤا * د يدل الرجال على عقله

(وقال بعضهم) احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الذابح
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * وزنا يلوح به الصواب اللائح
فالصمت من سعد السعود بمطلع * يحمي الفتى والنطق سعد ذابح

واختلف العلماء هل يكتب كل ما يتكلم به المرء حتى المباح وهو ظاهر قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أو لا يكتب الا ما فيه ثواب أو عقاب واليه ذهب ابن عباس وغيره وعليه فتكون الآية مخصوصة أو ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وعلى أنه يكتب المباح فالذي يكتبه كا السيئات (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) ولفظ رواية مسلم فليحسن الى جاره بالاحسان وطلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وتحمل الجفا وغير ذلك لخبر الجار أمين على جاره أن يسدل حجابه عليه ويكف أذاه عنه اذا رأى عورة سترها وان رأى سيئة غفرها وان رأى حسنة أفشاها وخبر من أراد أن يحبه الله فعليه بصدق الحديث واداء الامانة وأن لا يؤذي جاره وقال بعضهم حسن الجوار في أربعة أشياء أن يواسيه بما عنده وان لا يطمع فيما لجاره وأن يمنع أذاه عنه وأن يصبر على أذيته وقال الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار احتمال الاذى ومن اكرامه أن لا يمنعه من غرز خشبة في جداره لخبر الموطأ والصحيحين لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره يقول أبو هريرة مالي أراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين أكتافكم بالتاء وروي بالنون يونس بن عبد الاعلى عن أبي وهب سمعته من جماعة خشبة بلفظ الواحد الناجي قال عبد

وذلك لانهم (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون لفضول أموالهم) أي باموالهم الفاضلة عن كفاية وقيدوا بذلك بيانا لفضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة أو محرمة وهذا ليس حسدا بل غبطة طلبا للمنافسة فيما يتنافس به المتنافسون لشدة حرصهم على الاعمال الصالحة ولما فهم منهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك (قال) لهم جوابا وتطمينا لخاطرهم (أوليس) أي أتقولون ذلك أي لا تقولوه فانه (قد جعل الله) تعالى (لكم ما تصدقون) أي تتصدقون به (ان لكم بكل تسبيحة) أي قول سبحان الله (صدقة وكل تكبيرة) أي قول الله أكبر (صدقة وكل تهليلة) أي قول لا اله الا الله (صدقة وأمر بالمعروف) عرفه اشارة الى تقرره وثبوته وانه مألوف معهود (صدقة ونهي عن منكر) نكره اشارة الى أنه في حيز المعدوم أو المجهول الذي لا الفة للنفس فيه (صدقة) بشروط منها أن يكون مجمعا على وجوبه أو تحريمه ويعلم من الفاعل اعتقاد ذلك حال ارتكابه وان يقدر على ازالته اما بيده أو بلسانه بان لم يخش ترتب مفسدة عليه قال علماؤنا ولا يشترط أن يكون ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما ينهى بل عليه أن يأمر وينهى نفسه فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط في الآمر بالمعروف العدالة بل قال الامام وعلى متعاطي كل

الكاس أن ينكر على الجلاس وقال الغزالي يجب على من غصب امرأة للزنا أمرها بستر وجهها عنه وفي الحديث فضل هذه الاذكار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد ورد في فضل التسبيح ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله ان أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفي رواية الترمذي سبحان ربي وبحمده وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته ولعباده سبحان الله وبحمده وهذا محمول على كلام الآدميين والا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق وأما المأثور في وقت أو حال فالاشتغال به أفضل وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر قال الطيبي يوم مطلق لم يعلم في أي وقت من أوقاته وقال غيره ظاهر الاطلاق يشعر بانه يحصل هذا الاجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سواء قالها متوالية أو متفرقة في مجالس أو بعضها أول النهار أو آخره وقوله غفرت ذنوبه أي الصغائر من حقوق الله خاصة لان حقوق الناس لا تغفر الا باسترضاء الناس الخصوم وروى البزار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن شريح العابد قال بلغني انه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا الخلق لاصاب كل واحد منهم خير وفضل التكبير أيضا كثير وسيأتي بعضه وأما ما ورد في فضل لا اله الا الله فشيء كثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه الا صعدت لا يردها حجاب فاذا وصلت الى الله تعالى نظر الله الى قائلها ولا ينظر الله تعالى الى موحد الا رحمه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال العبد لا اله الا الله ساعة

كل الناس يقولون خشيه على الجمع غير الطحاوي قال التوحيد وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وما زال يوصيني بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن وما زال يوصيني بالمماليك حتى ظننت أنه سيجعل لهم مدة اذا انتهوا اليها عتقوا وما زال يوصيني بالسواك حتى حسبت أن يحفي فمي وروي كاد وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أن خيار أمتي لا ينامون ليلا وقد كان لمالك بن دينار جار يهودي فحول اليهودي مستحمه الى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار متهدما فكانت تدخل منه النجاسة وكان مالك ينظف البيت في كل يوم ولم يقل شيأ وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الاذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له يا مالك آذيتك وأنت صابر ولم تخبرني فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه فندم اليهودي وأسلم وحسن اسلامه وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كم من جار يتعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنعني معروفه وعن أبي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا لقد خاب وخسر من هو يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه أي غوائله وشروره وفي البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الامانة ولا يؤذ جاره وروي أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كف أذاك عنه واصبر على أذاه فكفى بالموت مفرقا وروي عن سفيان الثوري انه قال عشرة أشياء من الجفاء أولها رجل أو امرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والثاني رجل يتعلم القرآن ولا يقرأ منه في كل يوم مائة آية والثالث رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين والرابع شخص يمر على المقابر ولم يسلم على أهلها ولم يدع لهم والخامس رجل دخل المدينة في يوم جمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة والسادس رجل أو امرأة نزل في محلتهم رجل عالم ولم يذهب ليتعلم منه شيأ من العلم والسابع رجلان ترافقا ولم يسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه والثامن رجل دعاه رجل الى ضيافة فاجابه ثم لم يذهب الى الضيافة والتاسع شاب يضيع شبابه ولم يطلب العلم والادب والعاشر رجل شبعان وجاره جائع ولا يعطيه من طعامه شيأ وكان من دعاء داود عليه السلام اللهم اني أسئلك أربعة وأعوذ بك من أربعة فاما اللواتي أسئلك فاني أسئلك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي وأما اللواتي أعوذ بك منهن فاني أعوذ بك من ولد يكون علي سيدا ومن امرأة تشيبني قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لي ووبالا علي ومن جار ان رأى مني حسنة كتمها وان رأى سيئة أفشاها وكانت الجاهلية تشدد أمر الجار ومراعاته وحفظ حقه وهو راجع الى قوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب قال ابن عباس وغيره الجار القريب النسيب والجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقيل القربى المسلم والجنب الذمي وقيل القربى القريب المسكن منك والجنب بعيده وروى البزار عن جابر مرفوعا

من ليل أو نهار مدلس ما في صحيفته من الذنوب والخطايا حتى تسكن لا اله الا الله الى مثلها من الحسنات وقال صلى الله عليه وسلم من
كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله وقد ذكرت في فضلها أشياء كثيرا في آداب
صحبة الاخوان وأما ما ورد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاخبار كثيرة أيضا عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم
تدعونه فلا يستجيب
لكم رواه الترمذي وعن
عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أيها الناس مروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر قبل
أن تدعوا الله فلا يستجيب
لكم وقبل أن تستغفروه
فلا يغفر لكم ان الامر
بالمعروف والنهي عن
المنكر لا يدفع رزقا ولا
يقرب أجلا وان الاحبار
من اليهود والرهبان من
النصارى لما تركوا الامر
بالمعروف والنهي عن
المنكر لعنهم الله على
لسان أنبيائهم ثم عموا
بالبلاء رواه الاصبهاني
وعن أبي ذر رضي الله
عنه قال أوصاني خليلي
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخصال من
الخير أوصاني أن لا أخاف
في الله لومة لائم وأوصاني
أن أقول الحق ولو كان
مرا رواه ابن حبان وعن
ابن عباس رضي الله عنهما
عن المصطفى صلى الله
عليه وسلم قال ليس منا
من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر رواه الامام أحمد وقال
صلى الله عليه وسلم تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذي وغيره وسيأتي ما ذكر
مع زيادة في مجلسه

الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل
الجيران فاما الذي له حق واحد فجار مشرك له حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام
وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الجوار وحق الرحم
والجار يقع على الساكن مع غيره لقول الاعشى لزوجته

* أجارتنا بيني فانك طالقه * وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب ففي البخاري في
الادب المفرد من قول الحسن البصري وقد سئل عن الجار فقال أربعون دارا أمامه وأربعون دارا
خلفه وأربعون عن يمينه وأربعون عن يساره ومثله للاوزاعي انتهى ويطلق الجار على من بالملازم
غيره قال تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا وهنا تنبيه وهو أنه اذا أمر باكرام الجار مع الحائل بين
الانسان وبينه فينبغي له أن يراعي حق الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما
بايقاع المخالفات في مرور الساعات فقد ورد أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات
فينبغي اكرامهما ورعاية جانبهما بالاكثار من عمل الطاعات والمواظبة على تجنب المعاصي فهم أولى
بالاكرام من كثير من الجيران (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) الغني والفقير
بالبشر في وجهه وبسط شيء تحته واجلاسه في صدر المجلس وطيب الحديث معه والمبادرة الى احضار
ما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا اضرار باهله وفي كتاب المنتخب من الفردوس عن أبي
الدرداء مرفوعا اذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه بيده فاذا فعل ذلك كتب له به عمل سنة صيام
نهارها وقيام ليلها وفي حديث قيس بن سعد من اكرام الضيف انه يضع له ماء يغتسل به من يدخل
المنزل ومن اكرامه أن يركبه اذا انقلب الى منزله ان كان بعيدا والضيف يطلق على الواحد والاثنين
والجمع لانه مصدر قال الله تعالى ان هؤلاء ضيفي ولابن الجوزي

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي بخل * لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

وروي أن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام كان يكنى أبا الضيفان وكان يمشي الميل
والميلين في طلب الضيف وكان لقصره أربعة أبواب واتفق له قضيتان متعارضتان شكر في واحدة
وأدب في أخرى أما الاولى فهي أنه عليه السلام نزل به رجل من عبدة الاوثان فاكرمه فضجت الملائكة
في السموات وقالوا يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال لهم أنا أعلم بخليلي منكم ثم أمر جبريل فنزل وعرض
عليه قول الملائكة فبكى وقال يا جبريل تعلمت من مولاي لاني رأيته يحسن الى من يسيء وأما الاخرى
فانه نزل به رجل من عبدة الاوثان فاستضافه فابى عليه الا أن يترك دينه فانصرف فامر الله جبريل أن
ينزل اليه فنزل اليه وقال له يقول لك ربك استضافك عبدي فابيت الا أن يترك دينه وأنا أرزقه ثمانين
سنة على شركه فبكى ابراهيم وقام يقفو أثر الوثني الى أن لحق به فعرض عليه الرجوع فابى أو يخبره
بسبب ذلك فقال له ابراهيم ان الله عاتبني فيك وأخبره فبكى الوثني وقال يا ابراهيم أسلمت لله رب العالمين

(قوله في الحديث وفي بضع) بضم فسكون أي فرج أو جماع (أحدكم صدقة) اذا قارنته نية صالحة كاعفاف نفسه
أو زوجته عن نحو نظر أو فكر أو هم بحرم أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به أو طلب ولد يوحد الله أو تكثيره

ثم ان الأمر بالاكرام انما هو منوط بثلاثة أيام كما جاء مصرحا به في عدة أخبار وظاهرها وجوب الضيافة وبه قال أحمد وحملها الجمهور على أنه كان في صدر الاسلام ثم نسخ فانها كانت واجبة حين كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة أو على أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة الا أنها تسقط عنهم بالظلم أو في المضطرين أو مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة ثم ان الأمر الندبي انما هو لمن عنده فاضل عن قوته وقوت عياله أما غيره فلا ضيافة عليه بل ليس له ذلك وأما حبر الانصاري الذي قد سلف في الحديث المتقدم فقد سبق الجواب عنه (رواه البخاري) في الادب (ومسلم) في باب الحث على اكرام الجار والضيف من كتاب الايمان

(الحديث السادس عشر)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا) ابهمه وقد جزم القسطلاني في شرح البخاري بان اسمه جارية بالجيم ابن قدامة كما عند أحمد وابن حبان اه ونازع فيه يحيى القطان والعجلي وغيرهما بانهم يقولون ان جارية تابعي لا صحابي وفي حديث الطبراني أنه سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي قولا انتفع به وأقلل قال لا تغضب وفي حديث له آخر انه أبو الدرداء قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة وفي حديث أبي يعلى أن ابن عمر قال قلت يا رسول الله قل لي قولا وأقلل لعلي اعقله وفي حديث أحمد عن ابن عمر دلني على ما يباعدني من غضب الله زاد أبو كريب عن ابن عباس عن الترمذي ولا تكثر علي لعلي أعيه والظاهر كما قال الولي العراقي ان السائل عن ذلك تعدد (قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب) يحتمل أن المراد لا تفعل الاسباب المقتضية للغضب وافعل الاسباب التي تنفيه كالحلم والسخاء والحياء ويحتمل أن المراد لا تعمل بمقتضى الغضب اذا حصل بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه وليس النهي راجعا الى نفس الغضب لانه مطبوع في الانسان (فردد) أي كرر السائل السؤال (مرارا) وقع في رواية عثمان بن أبي شيبة قال لا تغضب ثلاث مرات فافصح فيها ببيان عدد المرار وكأنه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية ابلغ منها وانفع فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها وأعادها له حيث (قال) له ثانيا وثالثا (لا تغضب) تنبيها على تكرارها على عموم نفعها لما فيها من جلب المصالح ودرء المفاسد وهو كما قال له العباس علمني دعاء أدعو به يا رسول الله فقال سل الله العافية فعاوده مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة أعطيت كل خير وكذلك لما قال لاصحابه اجتمعوا فاني أتلو عليكم ثلث القرآن فاجتمعوا فتلا عليهم سورة الاخلاص ثم دخل منزله فقاموا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القرآن فخرج عليهم فقال ما تنتظرون أما انها تعدل ثلث القرآن يعني سورة الاخلاص قيل يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية لانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر كل احد بما هو أولى به وروى أنس أن رجلا قال يا رسول الله فما أشد من كل شئ قال غضب الله قال فما ينجي من غضب الله قال لا تغضب والغضب

المسلمين أو يكون له فرطا اذا مات أصبره على مصيبته فعلم أن المباح يصير طاعة بالنية الصالحة وليعلم أن شهوة النكاح شهوة محبوبة أحبها الأنبياء لأنها ترقق القلب بخلاف تعاطي سائر الشهوات فإنها تقسي القلب والنكاح من مرغوبات الآخرة ولما كان الانسان قليلا بنفسه كثيرا بأخيه وكان يستوحش في خلواته في المكان الذي هو فيه وكان منهيا أن ينام في البيت وحده لحديث ورد فيه ونهيا أيضا أن يسافر وحده لحديث في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده وكان في النكاح دفع هذه المفاسد مع ما فيه من تحصين الفرج وغض البصر عن المحرمات وتحصيل القربات واكتساب الأصدقاء والأصهار والأختان والأحماء وتكثير العشائر وإقامة الشعائر ندب الله تعالى اليه في كتابه العزيز وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أي قاطع للشهوات عن المحرمات وجنة أي وقاية من عذاب جهنم وقال في حق من أعرض عنه واختار لنفسه التزكية والانقطاع من رغب عن سنتي فليس مني فالراغب عن النكاح الشرعي ربما دعته نفسه الى الوقوع في الزنا وقد نهى الله تعالى عن الوقوع في الزنا قال تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله أي وليطلب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد ما ينكح به من صداق ونفقة وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة الآية وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللواتي في الدنيا فإنه

يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللواتي في الآخرة فانه يورث سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان سربال يسربله الله تعالى من شاء فان زنا العبد نزع منه سربال الايمان فان تاب رده الله عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعبيده تزوجوا فان العبد اذا زنا نزع منه نور الايمان فان شاء يرده عليه بعد أو أمسكه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا شباب قريش احفظوا فروجكم لا تزنوا الا من يحفظ لي فرجه دخل الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ لي ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة وفي حديث من توكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه توكلت له بالجنة وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت النساء وعن مالك بن دينار قال مكتوب في التوراة مثل امرأة لا تحصن فرجها مثل خنزيرة على رأسها تاج وفي عنقها طوق من ذهب فيقول القائل فما أحسن هذا الحلي وأقبح هذه الدابة (نكتة) قال ابن العماد في منظومته رضي الله عنه شراركم عزابكم جاء الخبر * أراذل الاموات عزاب البشر قال بعض الشراح انما كان من لا يتزوج أو يتسرى مع القدرة عليه من شرار الامة في الاحياء وأراذلها في الاموات لمخالفته ما أمر الله به ورسوله وحث عليه وسمى من شرار الخلق لعدم غض بصره وتحصين فرجه ولعدم ستر شطر دينه للاخبار الواردة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من تزوج فقد ستر شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر وأيضا فان مثل هذا لا يؤمن غالبا على النساء ولا على المجاورة في السكنى وغيرها فربما نشأ الشيطان فيقع الفساد وفي الحديث دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عكاف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عكاف ألك قال

فوران دم القلب وغليانه وقيل تغير يتبعه غليان دم القلب لارادة الانتقام والغيظ أصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان وقيل بالفرق بينهما وهو أن الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فانه يظهر على الجوارح مع فعل ما ولا بد وقد خلق الله الغضب من النار وعجنه بطينة الانسان فمهما نوزع في غرض من أغراضه اشتعلت نار الغضب فيه وفارت فورانا يغلي منه دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى أعلى البدن ارتفاع الماء في القدر ثم ينصب في الوجه والعينين حتى يحمر منه اذ البشرة لصفائها كالزجاجة تحكي ما وراءها من لون الدم هذا اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان كان على من فوقه وآيس من الانتقام منه انقبض الدم الى جوف القلب وكمن فيه حزنا فاصفر اللون فان كان على من يساويه الذي يشك في القدرة عليه تردد الدم بين انبساط وانقباض فيحمر لونه تارة ويصفر أخرى والغضب يتحرك من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك من خارجه الى داخله ولذلك يقتل الحزن ولا يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن فالحادث عن الغضب السطو والانتقام والحادث عن الحزن المرض والاسقام ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن والرعدة في الاطراف وخروج الافعال من غير ترتيب وقبح الصورة ولو رأى الغضبان نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته وعن ابن عباس في قوله عز وجل فاصفح الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أشدكم من غلب على نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وفي البخاري أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن هو الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من دفع غيظه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي أجره على الله فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب والصرعة بضم الصاد وفتح الراء المهملتين الذي يكثر صرع الناس وقال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يا بني لا يذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أبو الدرداء حلم ساعة يدفع شرا كثيرا وقد ورد أن أوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة في حال غضبه واجتمع سفيان الثوري وأبو خيثمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال ابن المبارك كنت عند المنصور جالسا فامر بقتل رجل فقلت يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله تعالى من كانت له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم اليه الا من عفا عن ذنب فامر باطلاقه وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لا يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا وعن أبي الحسن المدائني أنه

زوجة قال لا قال ولا جارية قال ولا جارية قال وأنت بخير موسر قال وأنا بخير موسر قال أنت من اخوان الشياطين لو كنت من النصارى
كنت من رهبانهم ان من سنتي النكاح شراركم عزابكم أراذل أمواتكم عزابكم رواه الامام أحمد في مسنده وقال صلى الله عليه وسلم
مسكين مسكين مسكين رجل ليس له امرأة قيل يارسول الله وان كان غنيا من المال قال وان كان غنيا من المال وقال مسكينة مسكينة
مسكينة امرأة ليس لها زوج قيل يارسول الله وان كانت غنية من المال قال وان كانت غنية من المال (ولنرجع
الى الكلام على بقية
الحديث فنقول لما قال
لهم صلى الله عليه وسلم
وفى بضع أحدكم صدقة)
استبعدوا حصولها بفعل
مستلذ نظرا الى انها انما
تحصل غالبا فى عبادة
شاقة على النفس مخالفة
لهواها (قالوا يا رسول الله
أيأتى أحدنا شهوته
ويكون له فيها أجر قال
أرأيتم) أى اخبرونى عما
(لو وضعها فى حرام كان
عليه وزر) أى اثم
(فكذلك اذا وضعها فى
الحلال كان له أجر)
وظاهر اطلاقه ان
الانسان يؤجر فى نكاح
زوجته مطلقا وبه قال
بعضهم وفيه دليل
لجواز القياس وفيه انه
ينبغى قرن النية الصالحة
بالمباح لتقلبه طاعة
وظاهر سياقه ان الغنى
الشاكر وهو من لا يبقى
مما يدخل عليه من ماله
الا ما يحتاج اليه حالا أو
ما يرصده لا حوج منه
أفضل من الفقير الصابر
وفيه خلاف بين العلماء
قيل وهذا أصح وقاعدة ان العمل المتعدى أفضل من القاصر غالبا تشهد له ورجح الغزالى ان الفقير الصابر أفضل وقيل ان الذى
أعطى الكفاف أفضل وقال الغزالى فى موضع آخر رب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وهو الغنى الذى نفسه كنفس الفقير ولا
يصرف لنفسه من المال الا قدر الضرورة ويصرف الباقى فى وجوه الخير أو يمسكه معتقدا ان يمسكه خازنا للمحتاجين *(خاتمة)*
ورد ما يقتضى تفضيل الذكر على الصدقة بالمال كحديث أحمد والترمذى ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها فى

قال لقى رجل حليما فضربه على قدمه ضربة موجعة فلم ير الغضب فيه أثر فقيل له فى ذلك فقال أقمت
ضربته مقام حجر اعثر به وعن سهل بن عبد الله لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباد الله كالارض
أذاهم عليها ومنافعهم منها وعن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت يوم بصحفة فيها مرق حار وعنده
أضياف فعثرت فصب المرق على رأسه فاراد ميمون أن يضربها فقالت له الجارية يامولاى اعمل بقول
الله تعالى والكاظمين الغيظ قال لها قد فعلت فقالت اعمل بما بعده والعافين عن الناس قال قد عفوت
عنك قالت الجارية والله يحب المحسنين قال ميمون قد أحسنت اليك فانت حرة لوجه الله تعالى ولك
ألف درهم وعن عبد الرزاق قال صبت جارية لعلى بن الحسين الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يد
الجارية على وجهه فشجه فرفع على بن الحسين رأسه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول
والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظى قالت والعافين عن الناس قال لها قد عفا الله عنك قالت
والله يحب المحسنين قال اذهبى فانت حرة لوجه الله تعالى وحكى عن بعض الملوك أنه كتب ورقة ارحم
من فى الارض يرحمك من فى السماء ويل لحاكم الارض من حاكم السماء اذكرنى حين تغضب اذكرك
حين أغضب ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الى فكان كلما غضب دفعها اليه فينظر
فيها فيسكن غضبه وحكى عن بعض الصلحاء انه رأى رجلا جالا ذا قوة شديدة محمرا وجهه مزبدا اشدقاه
معربدا فقال الصالح ما لهذا فقيل أنه شتمه شخص فقال الصالح واعجباه هذا الشخص يقدر أن يحمل
أحمالا ثقيلة ولا يطيق أن يحمل كلمة وكان الشعبى مولعا بهذا البيت

لست الاحلام فى حين الرضا * انما الاحلام فى حين الغضب

وكان معاوية رضى الله عنه من أحلم العرب ومن ثم كان يقول ما غضبت على من أقدر عليه ومن لا أقدر
عليه أى ان الغضب تعب محض لا فائدة فيه لان المؤذى لى ان قدرت عليه عاقبته ان شئت بلا غضب
والا كان مجرد الغضب محض تعب لانه وجد لا يشفى فلا فائدة فيه على كل تقدير والمراد ما تعاطيت
اسبابه ولا دفعته لانه جبلى وحكى عن موسى صلوات الله وسلامه عليه انه لما قيل له خذها ولا تخف لف
كمه على يده وتناولها فقيل له لو أذن الله عز وجل فيما تحذر هل كان ينفعك ذلك فقال لا ولكنى عبد
ضعيف ومن ضعف خاف وكان مورق العجلى يقول ما تكلمت فى غضبى بما أندم عليه اذا رضيت
وهذا كله فى الغضب الدنيوى لا الدينى ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا انتهكت حرمات الله
لا يقوم لغضبه شئ حتى ينتصر للحق وكان بين عينيه عرق يدره أى يظهره الغضب وقد كان موسى
عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتغلب فى كل شئ شديد الغضب لله ولدينه فلم
يتمالك حين رأى قومه يعبدون العجل بعدما رأوا من الآيات العظام فاخذ برأس أخيه ولحيته يجره
اليه ويحكى ان الخضر لما خرق السفينة غضب موسى وأخذ برجل الخضر ليلقيه فى البحر حتى ذكره
يوشع عهده مع الخضر فخلاه ومن ثم ضرب الحجر الذى فر بثوبه حياء من أن يرى عريانا لانه كان كثير
الحياء ستيرا فآذاه جماعة من بنى اسرائيل وقالوا ما يستتر هذا التستر الا لعيب فى جسده اما برص أو

درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله عزوجل وحديث أحمد والترمذي أي العباد أفضل عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالت يارسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة وحديث الطبراني لوان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر الله أفضل وحديثه أيضا من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها وأخذ بقضية هذه الاحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا ان الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال ويدل له أيضا حديث أحمد والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحي الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدي الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة ولا أحسبه الا قال تملأ ما بين السموات والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا أن يأتي بمثل ما أتيت والاحاديث في فضل الذكر كثيرة اللهم وفقنا الذكرك أجمعين والحمد لله رب العالمين

(المجلس السادس والعشرون في الحديث السادس والعشرين) ❊

الحمد لله مسخر السحب السائره ومجري الكواكب الزاهره ومحيي العظام الناخره والصلاة والسلام

ادرة وهي كبر الانثيين فانطلق ذات يوم يغتسل في عين حيار من الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثوبه فتبعه موسى يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وكانت بنو اسرائيل تغتسل عراة يرى بعضهم سوأة بعض وقام على الحجر فطفق به ضربا بعصاه فوالله ان في الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا الا ان الله خلق فيه حياة فصار كدابة نفرت من راكبها ويحتمل ان غضبه على الحجر من باب غلبة الطباع كما غلب عليه الطبع البشري حتى اف كه على يده حين أخذ العصا وحجر منادى مفرد محذوف منه ياء النداء وثوبي منصوب بفعل مضمر التقدير اعطني ثوبي أو اترك ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه فان قيل كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل أجيب لانه صدر عنه فعل من يعقل واما ما ورد من أنه لما جاءه ملك الموت وقال له أجب ربك لطمه ففقأ عينه فلانه دخل عليه في صورة لا يعرفها وقيل المراد بفقء العين هنا المجاز يعني أنه ناظره وحاجه فغلبه موسى بالحجة وضعف قوله فرد الله عليه عينه لانه وقع في الرواية ان الملك رجع الى الله وقال انك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه ثم قال ارجع الى عبدي فقل له الحياة تريد فان كنت تريدها فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة فرجع وأخبره فقال ثم ماذا قال الموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لعبد كريم على ربه فقال ان لهذا العبد عند الله لمنزلة ما رأيت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله أتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه ففعل وتوجه الى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وكان عمره مائة وعشرين سنة بعث هارون الرشيد الى الربيع الى الشافعي ليهجم عليه من غير اذن وقال له أجب فقال الشافعي في مثل هذا الوقت وبغير اذن فقال بذلك أمرت فخرجت معه فلما صرت بباب الدار قال لي اجلس ودخل فقال له الرشيد ما فعل محمد بن ادريس قال أحضرته قال ادخله فادخلني فتاملني ثم قال يا محمد أرعبناك فانصرف راشدا يا ربيع احمل معه بدرة دراهم فلما خرجت قلت للشافعي بالذي سخر لك هذا الرجل ما الذي قلت فاني أحضرتك وانا أرى موضع السيف من قفاك فقلت سمعت مالك بن أنس يقول سمعت نافعا يقول سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء يوم الاحزاب فكفي وهو اللهم اني أعوذ بك بنور قدسك وبركة طهارتك وعظيم جلالك من كل طارق الا طارقا يطرق بخير اللهم أنت غياثي فبك أغوث وأنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ يا من ذلت اليه رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة أجرني من خزيك وعقوبتك واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري لا اله الا أنت تعظيما لوجهك وتكريما وتشريفا لسبحات عرشك فاصرف عني شر عبادك واجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات حفظك وعد علي بخير يا ارحم الراحمين وفي رواية عن الفضيل بن الربيع صاحب هارون

على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرة وعلى آله وأصحابه ذوى المناقب الفاخرة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس فيعدل بين اثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخارى) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث ١٦١ حديث عظيم (قوله كل سلامى) بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مفرد سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء قيل جميع عظام الجسد ومفاصله وفى خبر مسلم خلق الانسان على ستين وثلثمائة مفصل ففى كل مفصل صدقة (قوله من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس) أى فى مقابلة ما أنعم الله به على الانسان فى خلق تلك السلاميات وفى حديث الصحيحين فان لم يفعل فليمسك عن الشر فانه له صدقة ويلزم من ذلك القيام بجميع الطاعات وترك جميع المحرمات (قوله فيعدل) أى فيصلح (بين الاثنين) أى المتخاصمين (صدقة) عليهما ويجوز الكذب فى الصلح الجائز وهو مالا يحل حراما ولا يحرم حلالا مبالغة فى وقوع الالفة بين المسلمين قيل تمنى جبريل عليه السلام ان يكون فى الارض يسقى الماء ويصلح بين المسلمين (قوله ويعين الرجل فى دابته فيحمل عليه أو يرفع عليها متاعه صدقة) أى عليه (قوله والكلمة الطيبة) وهى كل ذكر ودعاء للنفس والغير وسلام عليه ورد وثناء عليه بحق ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتألفها لما فيه من مقابلة الناس بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق (قوله وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة) فيه مزيد الحث والتأكيد على حضور الجماعات وعمارة المساجد اذلو

هارون ان الشافعى قال له قلت أشهد الله أنه لا اله الا هو اللهم انى أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الانس والجن الا طارقا يطرق بخير يا أرحم الراحمين اللهم بك ملاذى قبل أن ألوذ وبك غياثى قبل أن أغوث يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة اللهم ذكرك شعارى ودثارى ونومى وقرارى أشهد أن لا اله الا أنت أضرب على سرادقات حفظك وقنى وحفنى برحمتك يا رحمن قال الفضيل فكتبتها وجعلتها فى ردائى وكان الرشيد كثير الغضب على وكان كلما هم أن يغضب حركتها فى وجهه فيرضى واعلم ان الغضب له دواء مانع ودواء رافع فالمانع بذكر فضيلة الحلم وما جاء فى كظم الغيظ من الفضل وما ورد فى عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد والرافع بان يستعيذ من الشيطان ويتوضأ ويغتسل بالماء البارد لانه من الشيطان والشيطان من النار والنار يطفئها الماء وان غضب وهو قائم قعد أو اضطجع وأقوى الاشياء فى منعه ورفعه التوحيد الحقيقى وهو اعتقاد انه لا فاعل حقيقة فى الوجود الا الله تعالى فان الخلق آلات ووسائط كبرى وهى من له عقل واختيار كالانسان وصغرى وهى ما انتفيا عنه كالعصى المضروب بها ووسطى وهى من فيها الثانى فقط كالدواب ومن ثم قال أنس خدمت المصطفى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ تركته لم تركته ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذاك الا لكمال معرفته بانه لا فاعل ولا معطى ولا مانع ولا نافع ولا ضار الا الله تعالى (رواه البخارى) فى الادب وهو من جوامع الكلم كلمه التى خص بها ولهذا قال ابن السنى جمع فى هذه اللفظة خير الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر)

(عن أبى يعلى) وقيل أبى عبد الرحمن (شداد) بالتشديد (بن أوس) بفتح فسكون فمهملة ابن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك النجارى الانصارى وهو ابن أخى حسان ابن ثابت قيل انه شهد بدرا وهو غلط وانما البدرى والده وكان شداد اذا دخل الفرش يتقلب عليه ولا يأتيه النوم فيقول اللهم ان النار قد أسهرتنى وأذهبت عنى النوم ثم يقوم يصلى حتى يصبح وكان يقول انكم لم تروا من الخير الا أسبابه ولم تروا من الشر الا أسبابه الخير كله بحذافيره فى الجنة والشر كله بحذافيره فى النار وان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وروى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم انك أنت علام الغيوب وعن أبى الدرداء انه كان يقول ان لكل أمة فقيها وان فقيه هذه الامة شداد بن أوس وان من الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما وان أبا يعلى قد أوتى علما وحلما قال ابن سعد نزل شداد فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين وقيل سنة احدى وأربعين وقيل سنة أربع وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة ولما حضرته الوفاة قال ان

صلى في بيته فانه ذلك (بشارة) اذا كان يوم القيامة يأتي قوم فيقفون على الصراط يبكون فيقال لهم جوزوا على الصراط فيقولون
نخاف من النار فيقول لهم جبريل عليه السلام كيف كنتم تعبرون على البحر فيقولون بالسفن فيؤتى بالمساجد التي كانوا يصلون فيها
كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشر مساجد الدنيا كأنها
نجب بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورؤسها من المسك وأزمتها من الزبرجد والمؤذنون يقودونها

أخوف ما أخاف على هذه الامة الرياء والشهوة الخفية (رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال ان الله كتب) أي أوجب وفرض نحو كتب عليكم الصيام أو طلب والاول هو موضوع كتب عند
أكثر الفقهاء والاصوليين والثاني أولى لان الاحسان تارة يكون واجبا كقطع الحلقوم والودجين في
الذبح وتارة يكون مندوبا كاحداد الشفرة (الاحسان) مصدر أحسن اذا أتى بالشيء حسنا وحسنه
الشرع لا العقل خلافا للمعتزلة والمراد به هنا تحسين الاعمال المشروعة بان يأتي بها على الوجه المرضي
بان يوقع الفعل على سنن الشرع لا بمجرد الانعام على الغير لان الاول أعم نفعا وأكثر فائدة لان الاحسان
في الفعل به ودمنه نفع عليه وعلى غيره (على) فعل (كل شئ) الاولى كما قال القرطبي وغيره ان على هنا
بمعنى في كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أي في ملكه ويقال كان كذا على
عهد فلان أي في عهده ويحتمل أن تكون بمعنى الى والاظهر ان كل شئ هو المكتوب عليه الاحسان
ويحتمل ابقاؤها على بابها والتقدير كتب الاحسان في الولاية على كل شئ أو أن المراد بالشئ المكلف أي
كتب الاحسان على كل مكلف وقوله على كل شئ قضية كلية مسورة بكل شاملة لجميع جزئيات الدين
فالاحسان الى نفسه أن لا يوردها موارد السوء ولا يظلمها بمعصية ولا يطيعها في كل ما تريد ولا [illegible]
بشقاء غيظ ولذلك ألهم سبحانه مخلوقاته الاستغفار للعلماء فانهم محل نفعهم لقوله عليه السلام ان
العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وما في التنزيل والملائكة يسبحون
بحمد ربهم والى أهله بأن يحسن عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم قال صلى الله عليه
وسلم كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت والى خدمه بأن لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم
والى اخوانه أن لا يغشهم بل ينصح لهم ويحسن صحبتهم ويحتمل أذاهم ويكرم مثواهم والى الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم أن يؤمن بهم وبما جاؤا به عن ربهم وأن يعتقد كمالهم وعصمتهم من الكبائر
والصغائر وانهم صفوة الله وخاص عباده والى سائر الناس أن يعلمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم
وارشاد سبيل الخيرات واجتناب المنكرات والدعاء لهدايتهم بالتوفيق والكفار منهم بالهداية والى الملائكة
أن يؤمن بهم وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن يحسن عشرة
الحفظة منهم بأن لا يفعل بحضرتهم ما يكرهون والى الجن أن اتفق ظهورهم بأن يدعوهم الى الخير
وترك الشر والى شياطينهم بالدعاء لهم ككفار الانس بالاسلام وقد أكرمهم الشارع وأقراهم بأن
جعل العظم زادهم والروث لدوابهم ولنفقته أجر وحسنة والى الحيوان بأن لا يجيعه وأن لا يعطشه ولا
يضر به بغير موجب ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا على الدابة وهي واقفة الا
لحاجة وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في النار امرأة حميرية سوداء طويلة تعذب بسبب هرة
ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت وان تلك الهرة تنهشها
في قبلها ودبرها اذا أقبلت نهشتها واذا أدبرت نهشتها وخشاش الارض بمعجمات حشراتها وقال أبو
سليمان الداراني ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه ونظر الي وقال يا أبا سليمان

والأئمة يسوقونها والمحافظون يتعلقون بها فيمرون في عرصات القيامة فيقول أهلها هؤلاء ملائكة مقربون أم أنبياء مرسلون فيقال هؤلاء الذين حافظوا على صلاة الجماعة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المشاؤن الى المساجد في الظلم أولئك الخواضون في رحمة الله (نكتة) اذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين الى الجنة فتأتي أول زمرة كالشمس فتقول لهم الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نسمع الاذان ونحن في المساجد ثم تأتي زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر فتقول الملائكة من أنتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تأتي زمرة أخرى كالكواكب فتقول لهم الملائكة من أنتم قالوا
نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الاذان وقيل في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه هو الذي
يدخل المسجد بعد قيام الصلاة والمقتصد من يدخله بعد الاذان والسابق من يدخله قبل الاذان وقال عمر بن عبد العزيز في قوله
تعالى أضاعوا الصلاة أي أضاعوا مواقيتها وفي الحديث لا تسأموا على يدي أمتي قيل من هم يا رسول الله قال من يسمع الاذان ولا

القصاص يوم القيامة قال شئت فاقلل وان شئت فاكثر قال فقلت لا أضرب شيأ بعده فمن أحسن من ذلك كله فقد أوتي خيرا كثيرا ووقي شرا كبيرا وقوله على كل شيء قاعدة الحديث الكلية ثم ذكر من جزئياته التخفيف في القتل والذبح اما الان سبب الحديث الذي هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون في القتل بجدع الانف وصلم الاذن وقطع اليد والرجل وبقر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب مما يعذب الحيوان واما لان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى فاذا طلب الاحسان فيهما ففي غيرهما اولى فقال (فاذا قتلتم) قصاصا أو حدا اذلا قتل في الشرع غير ذلك (فاحسنوا) يستثنى منه قتل قاطع الطريق بالصلب والزاني المحصن بالرجم لورود النص بذلك قيل ونحو حشرات وسباع والفواسق الخمس لانها مؤذية وقد خرجت بالنص فلاحظ لها في الاحسان وفيه نظر اذ جواز قتلها أو وجوبه لا ينافي احسان كيفيته (القتلة) بكسر القاف هيئة القتل مثل الجلسة والركبة بكسر الجيم والراء هيئة الجلوس والركوب وبالفتح المصدر واحسان القتلة اختيار أسهل الطرق وأخفها ايلاما وأسرعها ازهاقا وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف في العنق ولذا يكره قتل القمل والبق والبراغيث وسائر الحشرات بالنار لانه من التعذيب وفي الحديث لا يعذب بالنار الارب النار قال الجزولي وابن ناجي وهذا ما لم يضطر لكثرتها فيجوز حرق ذلك بالنار لان في تتبعها بغير النار حرجا ومشقة ويجوز تشميرها الشمس قال الاقفهسي وقتلها بغير النار بالعرض والعرك جائز لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن حشرات الارض تؤذي أحدا فقال ما يؤذيك فلك أذيته قبل أن يؤذيك وما خاف للأذاية فابتداء الاذاية جائز (واذا ذبحتم) ما يحل ذبحه من البهائم (فاحسنوا الذبحة) بالكسر أي هيئة الذبح وجاء في بعض الروايات فاحسنوا الذبح بفتح الذال وبكسرها وهو المصدر وهي التي في أكثر نسخ صحيح مسلم فلا تؤكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما ذكر معها واحسان الذبح في البهائم الرفق بها فلا يصرعها بعنف واضجاع المحل بان يأخذ بيده اليسرى جلد حلقها من لحيها الاسفل بالصوف أو غيره حتى يظهر من البشرة موضع الشفرة وضجع ما اراد ذبحه على شقه الايسر لانه أمكن للذابح حيث كان يفعل باليمين أكثر أو كان أضبط وهو الذي يفعل بيديه جميعا وأما الاعسر فيضجعها على الايمن والنية والتسمية مع الذكر وقطع الحلقوم والودجين ويكون ذلك من المقدم لا من القفا (وليحد) بسكون اللام للامر وبضم الياء من أحد وبفتحها من حد (أحدكم شفرته) بفتح الشين المعجمة وقد تضم وهي السكينة العريضة وأصل الشفرة حد السكين وشفرة السيف حده وشفير جهنم حرفها وشفير الوادي طرفه وشفير العين منبت شعر الجفن وحينئذ فتسمية السكين بالشفرة من باب تسمية الشيء باسم جزئه والاحداد واجب في الكالة ومندوب في غيرها وينبغي مواراتها عنها في حال احدادها فقد روى الجلال والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها فقال أفلا قبل هذا تريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها وعن مالك أن عمر رأى رجلا يحد شفرته وقد أخذ شاة ليذبحها

يحضر صلاة الجماعة وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال من قال ذلك فقال الشيطان عصم مني سائر اليوم وقال صلى الله عليه وسلم ان أحدكم اذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود ابليس واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها فاذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل اني أعوذ بك من ابليس وجنوده فانه اذا قالها لم يضره قاله في الاذكار وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فاسألك برحمتك ان تفك رقبتي من النار واذا خرج قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني ولا تجعل معيشتي كدا حكاه القرطبي في سورة الجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا ذر ان الله تعالى يعطيك ما دمت جالسا في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات ويمحى عنك عشر سيآت وقال البغوي في المصابيح قال جبريل اني دنوت من الله دنوا ما دنوت مثله قط قال كيف كان يا جبريل قال كان بيني وبينه سبعون ألف حجاب من نور فقال شر البقاع أسواقها وخير البقاع مساجدها وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى السوق ويشتري لعياله حاجتهم فسئل عن ذلك فقال أخبرني جبريل ان من سعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو في سبيل الله فاذا أراد رجل ان يحمل منه قال صلى الله عليه وسلم صاحب الشيء أحق بحمله وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله تعالى وقال في الاحياء لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه وقال صلى الله عليه وسلم السوق دار سهو وغفلة فمن سبح الله فيها

فضربه بالدرة وقال أتعذب الروح ألا فعلت هذا قبل ان تأخذها وقد نهى عليه السلام عن صبر البهائم واعن من اتخذ شيأ فيه الروح غرضا (وليرح) بضم المثناة تحت (ذبيحته) بسقيها عند الذبح واضجاعها بمكان سهل غير وعر وتعجيل امرار السكين عليها بقوة ليتسرع موتها وبالامهال بسلخها حتى تبرد وان لا يحد السكين بحضرتها كما مر ولا يجرها من موضع لآخر فقد روى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة باذنها فقال دع أذنها وخذ بسالفتها أى وهو مقدم العنق * وروى عبد الرزاق عن الوضين ابن عطاء ان جزارا فتح بابا على شاة ليذبحها فانفلتت منه حتى جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعها فاخذ يسحبها برجلها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أصبري لامر الله وأنت يا جزار فسقها الى الموت سوقا رفيقا * وروى عن عمر أنه رأى رجلا يجر شاة برجلها ليذبحها فضربه بالدرة وقال قدها الى الموت قودا جميلا * وعن الامام مالك جواز جرها الى مذبحها * وعن أبى الحسين انه يكره ذبح شاة وأخرى تنظر سيما ابنتها أو أمها فعن نوف البكالى ان صديقا ذبح عجلا بين يدى أمه فخبل وفى رواية فيبست يده فبينما هو تحت شجرة وفيها وكر فيه فرخ فوقع الفرخ منه للارض ففتح فاه وجعل يسعى فرجه وأخذه وأعاده لوكره فرد الله اليه عقله أو يده كما كانت ومن الاحسان اليها ان لا تحمل فوق طاقتها ولا تركب واقفة الا لحاجة ولا يحلب منها ما يضر بولدها ولا يشوى السمك والجراد حتى يموت والذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة أى مذبوحة باعتبار ما يؤل اليه وتاؤها للنقل من الوصفية الى الاسمية لان العرب اذا وصفوا بفعيل مؤنثا وذكروا الموصوف حذفوا التاء من فعيل اكتفاء بتأنيث الموصوف فقالوا امرأة قتيل وعين كحيل وشاة ذبيح فاذا حذفوا الموصوف أثبتوا التاء فقالوا قتيلة بنى فلان وذبيحتهم لعدم دال على التأنيث حينئذ وصارت حينئذ اسما لا صفة فاتضح ان التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية فهو من عطف الخاص على العام لان احداد الشفرة واراحة الذبيحة من جملة الاحسان اليها الا انه خصه بالذكر لبيان فائدته اذ الذبح بآلة كالة يعذب الذبيحة وربما أدى ذلك لتحريمها لعدم حصول الذكاة الشرعية (رواه مسلم) وكذا الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة وهو من قواعد الدين العامة

(الحديث الثامن عشر)

(عن أبى ذر) بالذال المعجمة المفتوحة وتشديد الراء (جندب بن جنادة) بضم الجيم فيهما وتثليث دال الاول وقيل اسمه برير بضم الباء الموحدة وراء مكررة ابن جندب وقيل جندب بن عبد الله وقيل جندب بن السكن والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قاله ابن الكلبى ويقال جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار وتواضعه وزهده مشبهان فى الحديث بتواضع عيسى عليه السلام وزهده وكان يتعبد قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما ويتوجه أينما وجهه الله فانطلق هو وأخوه أنيس حتى نزلا بحضرة مكة فذهب أخوه وأبطأ عليه ثم جاء فقال له ما حبسك قال لقيت رجلا يزعم انه أرسله الله على دينك فقال لهما تقول الناس فيه

تسبيحة كتب الله له بها ألف حسنة وقال صلى الله عليه وسلم لرجل اذا دخلت السوق فقل اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب بها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة وفى حديث من أخرج من المسجد أذى بنى الله له بيتا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه ما دام ذلك الضوء فيه وان مهور الحور العين كنس غبار المسجد وقال صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى لما علق القناديل فى المسجد نورت الاسلام نور الله عليك فى الدنيا والآخرة لو كان لى بنت لزوجتكها فقال رجل يا رسول الله أنا أزوجه ابنتى فزوجه اياها (فائدة) قال ابن بطال فى شرح البخارى الحديث فى المسجد خطيئة يحرم بها الحدث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته وهو عقاب لهم لما آذاهم من الرائحة الخبيثة بخلاف النخامة فانها وان كانت حراما فلها كفارة وهى دفنها فمن أراد الفضيلة التامة فليمكث فى المسجد متطهرا وان جوز العلماء رضى الله عنهم اعتكاف المحدث وفى الحديث الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش (قوله وعيط الاذى) أى تنحى ما يؤذى المارة من حجر أو شوك أو نجس عن الطريق (صدقة) على المسلمين وأخرت هذه لانها أدون مما قبلها كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق قيل قال ونسن كلمة التوحيد عند اماطة الاذى ليجمع بين أعلى الايمان وأدناه وشرط الثواب على هذه الاعمال خلوص النية فيها وفعلها لله وحده كما دلت عليه الاخبار *(تنبيه)* فى بعض طرق مسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان

بركعهما فى الضحى أى يكفى عن هذه الصدقات عن هذه الاعضاء كلها ركعتان من الضحى لان الصلاة عمل بجميع الاعضاء فاذا صلى العبد فقد قام كل عضو منه بوظيفة وأدى شكر نفسه قال الملائى فى تفسير سورة العنكبوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها ألوان العبادات كما ان العرس يجتمع فيه ألوان الطعامات فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وقعودا وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فانا مع جلالى وعظمتى لا يجمل منى أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتنى بالوان العبادة وأكرمك برزقى كما عرفتنى بالوحدانية فانى لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتى فانى أجد من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد الماغيرى اشهدوا يا ملائكتى عبدى لك بكل ركعة قصر فى الجنة وحوراء وبكل ركعة نظرة الى وجهى * وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى يقرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وآية الكرسى عشر مرات وفى الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات استوجب رضوان الله الاكبر وفى كتاب النورين فى اصلاح الدارين عنه صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفى الفقر وقال صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على صلاة الضحى الا أواب وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يصلون الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله رواه الطبرانى وأقل الضحى ركعتان وأكثرها ثمان ركعات وقيل اثنا عشر ووقتها من ارتفاع الشمس الى الاستواء (خاتمة) أخرج أبو داود والنسائى من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قالها حين يمسى فقد أدى شكر ليلته اللهم اجعلنا لالائك

قال يقولون انه شاعر وساحر وكاهن ولكن سمعت قول الكهان فما هو بقولهم وقد وضعت قوله على اقراء الشعر فوالله ما يلتئم والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقال له أبو ذر هل أنت كافى حتى أنطلق فانظر قال نعم وكن من أهل مكة على حذر فانطلق أبو ذر حتى قدم مكة فلقى رجلا فقال له أين هذا الرجل الذى تدعونه الصابى فأغرى عليه من عنده فمالوا عليه بكل مدرة وعظم حتى أدموه وخر مغشيا عليه فلما أفاق أتى زمزم فشرب من مائها وغسل عنه الدم ودخل بين الكعبة وأستارها ولبث ثلاثين بين يوم وليلة ماله طعام الا ماء زمزم وسمن حتى تكسرت عكن بطنه وما وجد جوعا فى تلك المدة فبينما أهل مكة فى ليلة قمراء وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتتا عليه وهما يدعوان أسافا ونائلة فقال أنكحوا أحدهما الآخر فانطلقتا تولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنفارنا فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال ما لكما قالتا الصابى بين الكعبة وأستارها قال ما قال لكما قالتا قال لنا كلمة تملأ الفم قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى فأتاه وأسلم على يديه وهو أول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام ورحمة الله فمن أنت فقال ابن غفار وأخبره بمقامه بين الكعبة وأستارها تلك المدة فقال له فمن كان يطعمك فقال له ما كان لى طعام الا ماء زمزم فقال أبو بكر ائذن لى يا رسول الله فى اطعامه الليلة فأذن له وانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهو معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لهما من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكله بمكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى وجهت الى أرض ذات نخل فلا أحسبها الا يثرب فهل أنت مبلغ عنى قومك لعل الله عز وجل أن ينفعهم بك فيأجرك فيهم فانطلق حتى أتى أخاه أنيسا فقال له ما صنعت فأخبره بانه أسلم وصدق فأسلم أخوه أنيس وصدق ثم أتيا أمهما فأسلمت وصدقت ثم أتوا قومهم غفارا فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال بقيتهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم بقيتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ولما أمره صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى قومه قال والذى نفسى بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد ونادى بأعلى صوته أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقام القوم وضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليها فأنقذه منهم ثم عاد من الغد الى مثلها وثاروا اليه فضربوه فأكب عليه العباس فأنقذه وروى عنه انه قال أنا رابع أربعة فى الاسلام ويقال كان خامس خمسة ولما رجع الى بلاد قومه أقام فيها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم هاجر الى المدينة ووصفه النبى صلى الله عليه وسلم فى عدة أحاديث بانه أصدق الناس لهجة وفى رواية ما أظلت الخضراء أى السماء ولا أقلت الغبراء أى حملت الارض أصدق لهجة من أبى ذر وقال على فى حقه وعاء ملئ علما ثم أوكى عليه فلم يخرج منه شئ حتى قبض وروى ان رجلا من أهل البصرة ركب الى زوجة أبى ذر بعد موته فسألها عن عبادته فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية يتفكر وقام يوما عند الكعبة فقال

ذاكرين ولنعمائك شاكرين آمين والحمد لله رب العالمين * (المجلس السابع والعشرون في الحديث السابع والعشرين) *
الحمد لله عالم السر والنجوى وكاشف الضر والبلوى الذي خلق فسوى وأخرج المرعى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه مصابيح الهدى (عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في
النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس رواه مسلم وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال جئت تسأل
عن البر قلت نعم فقال
استفت قلبك البر
ما اطمأنت عليه النفس
واطمأن اليه القلب والاثم
ما حاك في النفس وتردد
في الصدر وان أفتاك
الناس وأفتوك حديث
حسن رويناه في مسند
الامامين أحمد بن حنبل
والدارمي باسناد جيد)
اعلموا اخواني وفقني
الله واياكم لطاعته ان
هذا الحديث من جوامع
الكلم التي أوتيها صلى الله
عليه وسلم وهو في
الحقيقة حديثان لكنهما
لما تواردا على أمر واحد
كانا كالحديث الواحد
فجعل الثاني كالشاهد
للأول (قوله البر) أي
معظمه وضده الفجور
والاثم فلذلك قابله به
وهو بهذا المعنى عبارة
عما اقتضاه الشرع وجوبا
أو ندبا أي كما ان الاثم
عبارة عما نهى الشرع
عنه وقد يقابل البر
بالعقوق فيكون عبارة
عن الاحسان كما ان
العقوق عبارة عن الاساءة (قوله حسن الخلق) يدخل فيه طلاقة الوجه وكف الأذى وبذل السماط
القرى وان يحب للناس ما يحب لنفسه والانصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الاحكام والاحسان في اليسر والايثار في
العسر وحسن الصحبة ولين الجانب واحتمال الأذى وفعل الواجبات واجتناب المحرمات وفي الحديث ان الله كريم يحب مكارم
الاخلاق وأنشدوا * بمكارم الاخلاق كن متخلقا * ليفوح منك نسائم العطر الشذي * وانفع صديقك ان أردت صداقة *

يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا الى الأخ الناصح الشفوق فاكتنفه الناس فقال أرأيتم لو ان
أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر طريق القيامة أبعد
ما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وماذا يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره
لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وكلمة خير تقولونها أو كلمة سوء تسكتون
عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو واجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في
طلب الآخرة والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده واجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله
ودرهما تقدمه لآخرتك والآخر يضرك ولا ينفعك لا ترده ثم نادى باعلى صوته يا أيها الناس قد قتلكم
حرص لا تدركونه أبدا ولما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أبطأ جمله لما فيه من
الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره وسار حتى أدرك رسول الله صلى الله
عليه وسلم نازلا بالجيش وكانوا قبل وصوله قالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر وابطأ به بعيره فقال دعوه فان
يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه فلما أشرف على القوم قالوا يا رسول
الله ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله
القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت
وحده ويبعث وحده وكان في صدر الاسلام يجب على الشخص انفاق ما فضل عن الحاجة في اليوم
والليلة ثم نسخ ذلك وكان أبو ذر يرى بقاء الوجوب وان ما زاد عن حاجة اليوم والليلة لا يجوز ادخاره وانه
من الكنز الذي ذمه الله بقوله والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ينادي به في الاسواق في
الشام لانه خرج اليها بعد موت أبي بكر فنهاه معاوية فلم ينته فشكاه الى عثمان ودس عليه معاوية رجلا
بالف دينار وقال له الامير أي معاوية أرسل لك هذه ففرقها جميعا ولم يبق عنده منها شيء ثم حضر له ذلك
الرجل بأمر معاوية وقال اني غلطت في اعطائي لك الالف دينار واذا أرسلني لغيرك وأنا أخشى ان يعاقبني
معاوية على ذلك فقال له يا هذا والله ما أمسى عندنا من دراهمك شيء ولكن اصبر حتى يصير عطائي وأدفع
ذلك اليك ثم ان عثمان كتب له ان يقدم عليه فقدم فقال له ان شئت تنحيت فكنت قريبا فاجابه ونزل
بالربذة ولما حضرته الوفاة بكت زوجته فقال لها ما يبكيك قالت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من
الارض ولا يدان لي بغسلك وليس معنا ثوب يسعك كفنا ولا لك فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان
فيريان النار أبدا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة
من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية وجماعة واني
أنا الذي أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق قالت فقلت اني وقد
ذهب الحاج وانقطعت الطريق فقال اذهبي فكنت أشتد الى الكثيب فأقوم عليه ثم ارجع اليه
فامرضه قالت فبينما أنا كذلك اذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فالحت بثوبي فاسرعوا الي ووضعوا

وادفع عدوك بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة الآية (تنبيه) أفضل البر بر الوالدين قال الله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقد قرن الله تعالى ذكرهما بذكره فى غير موضع من كتابه ولهذا قال العلماء أحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والاحسان والتزام البر والطاعة له والاذعان من قرن الله سبحانه وتعالى الاحسان اليه بعبادته وشكره بشكره وهما الوالدان كما قال تعالى أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وفى الحديث رضا الرب فى رضا الوالدين وسخطه فى سخط الوالدين * وعن أبى امامة ان رجلا قال يارسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك رواه الدارقطنى وغيره وقد قيل انما صرف الله تعالى سليمان عن ذبح الهدهد لانه كان بارا بوالديه ينقل الطعام اليهما فيزقهما * وقال سفيان بن عيينة قدم رجل من سفره فصادف أمه قائمة تصلى فكره ان يقعد وهى قائمة فعلمت ما أراد فطولت ليؤجر ومن صفة البر ان تكفيهما ما يحتاجان اليه وتكف عنهما الاذى وتداريهما مداراة الطفل الصغير ولا تضجر من حوائجهما وتستغفر لهما عقب صلواتك ولا تحوجهما الى التعب وتحمل أذاهما ولا ترفع صوتك على صوتهما ولا تخالفهما الا فيما لا يكون فيه خرق للشرع فاذا أمراك بما فيه خرق للشرع كترك الفرائض وحجة الاسلام وترك الصلوات الخمس وترك أداء الزكاة وأخذ المال بغير حق وشهادة الزور وما أشبه ذلك فلا تطعهما لقوله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم لا طاعة لمخلوق فى معصية الله ومن البر أن تغضب لهما كما تغضب لنفسك فى الموت والحياة واذا ارطب عليك بالغضب عليهما فاذكر تربيتهما وسهرهما وتعبهما ولا تسافر سفرا غير واجب عليك الا باذنهما وان ظفرت بطعام أو شراب فعليك بايثارهما باطيبه وطالما آثراك رجاء ان ينفعك وسهرا والام مقدمة على الاب فى البر للاحاديث الواردة فى ذلك (قوله والاثم) أى الذنب

السياط فى نحورها يستبقون الى ذلة لو امالك يا أمة الله فقالت امرأة من المسلمين تكفنونه فانه يموت قالوا ومن هو قالت أبو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا وسمعته يقول لنفر كنت فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد هلك فى قرية وجماعة وأنا الذى أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا أو لامرأتى ثوب يسعنى كفنا لم أكفن الا فى ثوب هو لى أو لها وانى أنشدكم الله لا يكفننى منكم رجل كان أميرا أو عريفا أو وصيا أو نقيبا قالوا وليس من القوم أحد الا وقد قارف من ذلك شيأ الا فتى من الانصار قال أنا أكفنك فى ردائى هذا وفى ثوبين من عيبتى من غزل أمى قال فكفنى أنت فكفنه الانصارى ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه وفى رواية أخرى انه أوصى زوجته وغلامه فى مرضه أن يغسلاه ويكفناه ويجعلاه على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكما قولا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل الكوفة فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه وصلوا عليه وواروه روى له مائتا حديث واحد وثمانون حديثا اتفقا منها على اثنى عشر وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بسبعة عشر (وأبى عبد الرحمن بن معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس بن عامر بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى الانصارى المدنى أسلم وعمره ثمانى عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه وبعثه الى اليمن بعد غزوة تبوك وخرج معه يشيعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك تمر بمسجدى هذا وقبرى فبكى معاذ وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل وعن أبى مسلم الخولانى انه قال أتيت مسجد دمشق فاذا حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا فى شئ ردوه الى الفتى قال فقلت لجليس لى من هذا قال معاذ بن جبل وعن شهر بن حوشب ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا اذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا اليه هيبة له وقد تقدم فى الحديث الثالث عشر ذكر زهده وفعله فى الدنانير التى أرسل بها سيدنا عمر اليه وروى ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين انى غبت عن امرأتى سنتين فجئت وهى حبلى فشاور عمر الناس فى رجمها فقال معاذ بن جبل يا أمير المؤمنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما فى بطنها سبيل فاتركها حتى تضع فتركها فولدت غلاما قد خرجت

(ما حاك) أى تحرك أو أثر (في النفس) اضطرابا وقلقا ونفورا وكراهة لعدم طمأنينتها (قوله وكرهت أن يطلع عليه الناس) أى وجوههم وأماثلهم الذين يستحيى منهم وذلك ان النفس لها شعور من أصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على مايضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فاوجبت لهما الحد ووجه كون كراهة اطلاع الناس على الشيء يدل على انه اثم أن النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك ومن ثم أهلك الرياء أكثر الناس فيكراهتها اطلاع الناس على فعلها يعلم انه شر واثم وقضية عموم الحديث ان مجرد خطور المعصية والهم بها اثم لوجود العلامتين فيه لكنه مخصوص بخبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفوسها مالم تعمل به أو تتكلم بل ربما يثاب كما قيل له صلى الله عليه وسلم انا نجد في نفوسنا ما يتعاظم أحدنا ان ينطق به فقال ذلك صريح الايمان ومثل ذلك من هم بزنا مثلا وحاك في نفسه فنفرت منه لضرب من التقوى فانه يثاب على ذلك لانه حينئذ يصير من باب قوله تعالى في الحديث القدسي اكتبوها له حسنة انما تركها من أجلي اما العزم فهو اثم لوجود العلامتين فيه ولا خصوص يخرجه عن عموم الحديث بل خبر اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ظاهر في ذلك (قوله في الحديث الثاني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم) فيه معجزة كبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبره بما في نفسه قبل ان يتكلم به وفي رواية أحمد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد أن لا أدع شيأ من البر والاثم الا سألت عنه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتي ركبته فقال يا وابصة أخبرك

ثنيته فعرف الرجل الثنية فقال ابى ورب الكعبة فقال عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ ولولا معاذ هلك عمر وكان تحته امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يشرب الماء من بيت الاخرى ثم توفيتا في السقم الذي أصابهم بالشام والناس في شغل فدفنتا في حفرة فاسهم بينهما أيهما تقدم في القبر وكان اذا تهجد من الليل قال اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اللهم طلبي للجنة بطيء وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندك عهدا ترده الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد وقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ اني لاحبك فقال وأنا أحبك والله يا رسول الله قال فلا تدع ان تقول في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة أي برمية سهم وقيل حجر وقيل ميل وقيل مد البصر وروى ابن مسعود قال ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقال له فروة بن نوفل يا أبا عبد الرحمن ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا فقال ما نسيته هل تدري ما الامة وما القانت قال الله أعلم قال الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله عز وجل والرسول وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ورسوله وجاءه رجل وقال علمني فقال وهل أنت مطيعي قال اني على طاعتك لحريص قال صم وافطر وصل ونم واكتسب ولا تأثم ولا تموتن الا وأنت مسلم واياك ودعوة المظلوم وقال لابنه يا بني اذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن انك تعود اليها أبدا واعلم يا بني ان المؤمن من يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها ولما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ ادع الله ان يرفع عنا هذا الرجز قال انه ليس برجز ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من يشاء من عباده أيها الناس خافوا ما هو أشد من ذلك ان يغدو الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمن هو أو منافق وخافوا امارة الصبيان اللهم آت آل معاذ نصيبهم الاوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال كيف تجدانكما قالا يا أبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قال وانا ستجداني ان شاء الله من الصابرين ثم طعنت امرأتاه فهلكتا وطعن هو في ابهامه فجعل يمسها بفيه ويقول اللهم انها صغيرة فبارك فيها فانك تبارك في الصغير حتى هلك وانما نسب الطاعون الى عمواس وهي قرية بين الرملة وبيت المقدس لانه أول ما بدا منها (رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله) الامر للراوية أو لكل من يتأتى توجيه الامر اليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص به مخاطب دون آخر (حيثما كنت) حيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم أي في أي مكان وأي حال كنت فيه وقيل انها ظرف زمان أي بناء على مجيئها للزمان لان التقوى في جميع الازمنة أعم منها في جميع الامكنة لان الثاني يصدق على ما اذا حصل منه تقوى ومعصية في المجلس الواحد بخلاف الاول وما زائدة وسقطت في رواية حذفها وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فان التقوى وان قل لفظها كلمة جامعة بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر بقدر الامكان ومن ثم شملت خير الدارين اذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به # وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن التقوى فقال هي

الخوف

ثم جئت تسأل عنه أو تسألني عنه قلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث (قوله استفت قلبك) وفي رواية نفسك (البر ما اطمأنت اليه النفس) أي سكنت اليه وفي رواية اليه النفس واطمأن اليه القلب (والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر) أي القلب والجمع بينهما تأكيد (قوله وان أفتاك الناس) أي علماؤهم كما في رواية وان أفتاك المفتون بخلافه لانهم انما يعولون على

الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل * وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترضه الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير * وقيل تقوى الله ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولهذا قال بعضهم لشخص اذا أردت ان تعصي الله فاعصه حيث لا يراك أو اخرج من داره أو كل غير رزقه وقال بعضهم من علامة التحقق بالتقوى ان يأتي المتقي رزقه من حيث لا يحتسب واذا أتاه من حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى فانه قيل في تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي ومن يتق الله في الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية وقيل من يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يجعل له مخرجا بخروجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو * وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله باتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل ومن يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد * وقال ابن عباس مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة * وقال أكثر المفسرين انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الفاقة اليه وقال ان العدو أسر ابني وجزعت الام فما تأمرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر وآمرك واياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وفي رواية انه أصاب ابلا من القوم خمسين بعيرا وفي أخرى فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه * وقال مقاتل انه أصاب غنما ومتاعا وكتب عمر لابنه أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك * ولما ولى علي رضي الله عنه بعث رجلا على سرية فقال أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهو يملك الدنيا والآخرة الا بالتقوى * وقال رجل ليونس بن عبيد أوصني فقال أوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * وقال له رجل يريد الحج أوصني قال اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه * وفي منهاج العارفين ان بعض الصالحين قال لبعض أشياخه أوصني بوصية قال أوصيك بوصية رب العالمين للاولين والآخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله * وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ولبعضهم رضي الله عنه

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

ظواهر الامور دون بواطنها والمراد قد أعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقبل ممن أفتاك بمفارقتها (خاتمة المجالس في حسن الخلق) قال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقال عليه الصلاة والسلام حسن الخلق يمن وسعادة وسوء الخلق شؤم ودناءة * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا فقيل ما أكثر ما يدخل يا رسول الله الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان أو قال لم يجد طعم الايمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يداري به الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخلق الحسن زمام من رحمة الله تعالى والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وان الخلق السيئ زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد شيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار * وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال من كان فيه أربع خصال بدل الله سيآته حسنات يوم القيامة الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق (وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا

وجاءت في القرآن لمعان الايمان نحو قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى أي التوحيد والتوبة نحو قوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا أي تابوا والطاعة نحو قوله تعالى أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون وأنا ربكم فاتقون وترك المعصية نحو قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله أي لا تعصوه والاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب والخشية نحو قوله تعالى أعبدوا الله واتقوه أي اخشوه * ولبعضهم

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

(ولابي الدرداء رضي الله عنه)

يود المرء لو يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

ودخل شخص غيضة كثيرة الاشجار وقال لو خلوت هنا بمعصية من كان يراني فسمع هاتفا بصوت ملأ الغيضة ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وراود شخص أعرابية وقال لا يرانا الا الكواكب فقالت له أين مكوكبها (وأتبع) بفتح الهمزة وسكون المثناة فوق وكسر الموحدة الحق (السيئة) الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة كما اقتضاه ظاهر الخبر والحسنة بالنسبة اليها التوبة منها فلا ما جنح لقصره على الصغيرة كما فعل الشارح الهيتمي الا انه فر من اعتقاد المرجئة من أن كل حسنة تكفر السيئة كبيرة أو صغيرة وأصل سيئة سيوئة فقلبت الواو ياء وأدغمت في الاخرى (الحسنة) صلاة أو صوما أو صدقة وان قلت أو تسبيحا أو تهليلا أو استغفارا أو غير ذلك (تمحها) أي السيئة المثبتة في صحف الكاتبين وذلك لان المرض والشئ يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وهو مجزوم بحذف الواو جوابا للامر والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها أي واقعة بعدها بحيث تقرب منها وهذا مقيد بغير حقوق العباد كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه ثم بعد ثبات وجه المطلوب ان أمكن والافقال ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له لحديث اذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر له فان ذلك كفارة واعلم ان الصغيرة تكفرها التوبة وحدها واجتناب الكبائر امتثالا وان لم تحصل توبة والعبادات وان لم تحصل توبة أيضا وقد ورد ان رجلا يسمى بنهان التمار وكنيته أبو مقبل كان له حانوت يبيع فيه تمرا فجاءته امرأة أجنبية حسناء تشتري منه تمرا فقال لها ان داخل الحانوت ما هو خير من هذا فلما دخلت أصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضم والتقبيل غير انه لم يجامعها ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله أصبت حدا فاقمه على فاعرض عنه فقال له عمر لقد سترك الله لو سترت نفسك ثم كرر ذلك بنهان مرارا وهو يعرض عنه حتى ذكر له القصة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوأ حسنا فتوضأ وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب

وألطفهم باهله (وحكى) عن شقيق البلخي رحمه الله تعالى انه كانت له امرأة سيئة الخلق فقيل له لم لا تفارقها وهي تؤذيك بسوء خلقها فقال ان كانت سيئة الخلق فانا حسن الخلق لو فارقتها اصرت مثلها ومع ذلك أخاف أن لا يمسكها أحد غيري لسوء خلقها ومن حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يمزح مع الحسن والحسين رضي الله عنهما في بيته وكانا يركبان عليه ويقولان له الى هنا الى هنا فاجعلنا يا مركبنا فيقول فما نعم الجمل جملكما ونعم الحمل أنتما وسئل صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل فقال حسن الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل * وقال وهب بن منبه مثل سيئ الخلق كمثل الفخار المكسور لا يرقع ولا يعاد طينا * وقال الحسن رضي الله عنه من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن كثر كلامه كثر سقطه وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد وان العابد ليبلغ أسفل دركة في جهنم بسوء خلقه وفي الحديث ان أفضل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وقيل حسن الاخلاق كنوز الارزاق وقيل جمع الله حسن الخلق في ثلاث كلمات خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل سبعة من أخلاق المؤمنين مجالسة الفقراء ومسائلة العلماء ومخالطة الحكماء ومؤانسة الابرار ومجانبة الاشرار ومواظبة العبادات ومكارم الاخلاق * وجاء في حسن خلقه وتواضعه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم عن أبي أسامة رضي الله عنه أنه قال قلت لابي سعيد الخدري رضي الله عنه ما ترى فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملبس والمركب قال يا ابن الاخ كل لله واشرب لله والبس لله وار كب لله وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج النبي صلى الله عليه وسلم في بيته كان

يعلف الناضح والبعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع الخادم ويطحن مع الخادمة اذا أعيت
وتشتري الشيء من السوق ولا يمنعه من ذلك الحياء أن يعلقه بيده وأن يجعله في ثوبه وينقله الى أهله وكان يصافح الفقير والغني ويسلم
مبتدئا على من استقبله من صغير أو كبير من أسود وأبيض وحر وعبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وأخرى لمخرجه لا يستحي
أن يجيب اذا دعي وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعي اليه ولو لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء
يصبح تسع أهل أبياته
ما بهن كسرة خبز ولا
شربة سويق هين المؤنة
لين الخليقة كريم
الطبيعة جميل المعاشرة
طلق الوجه بسام من غير
ضحك محزون من غير
عبوس متواضع من غير
ذلة جواد من غير سرف
رحيم بكل مسلم رقيق
القلب دائم الاطراق
لم يتجشأ قط من شبع
ولم يمد يده الى طمع قال
أبو سلمة رضي الله عنه
قد دخلت على عائشة
رضي الله عنها فحدثتها
بهذا الحديث عن أبي
سعيد رضي الله عنه
فقالت ما أخطأ حرفا
واحدا ولكن قصر فيما
أخبرك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لم يملأ قط شبعا ولم يبث
شكواه وكانت الفاقة
أحب اليه من الغنى
واليسار وكان يصلي
جائعا ويتلو ليله جميع
القرآن حتى يصبح
ولا يمنعه ذلك عن قيام
يومه وصيامه ولو شاء أن
يسأل الله تعالى كنوز الارض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها الى غربها لفعل وربما أبكي له رحمة لما أرى به من الجوع وأمسح
بطنه بيدي وأقول يا حبيبي لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول لي يا عائشة ان اخواني من أولي العزم من
المرسلين قد صبروا على ما هو أشد من هذا فصبروا بحالهم وقدموا على ربهم فأكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فاستحي أن ترفهت في
معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب الي من أن ينقص وما من شيء أحب الي من اللحوق باخواني يا عائشة قالت فما

الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها خطيئة وروى البخاري عن ابن
مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله عز
وجل أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل الي هذا قال
لجميع أمتي كلهم عظة لمن اتعظ فقال معاذ يا رسول الله هذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة
وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ألممت بذنب عظيم فماذا يكفر
عني فقال ذنبك أعظم أم السموات فقال ذنبي أعظم فقال ذنبك أعظم أم الكرسي فقال ذنبي أعظم
فقال ذنبك أعظم أم العرش فقال ذنبي أعظم فقال ذنبك أعظم أم الله أي عفوه فقال بل عفو الله أعظم
فقال عليه الصلاة والسلام عليك بالجهاد في سبيل الله تعالى فقال يا رسول الله اني لمن أجبن الناس ولولا
أن أهلي تؤنسني اذا خرجت ليلا ما كنت أفعله قط فقال عليك بالصيام فقال والله يا رسول الله ما أشبع
من خبز قط فقال له عليك بالصلاة في جوف الليل فقال يا رسول الله لولا أن أهلي يوقظوني لصلاة الصبح
ما قمت لها فتبسم صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان
ثقيلتين في الميزان حبيبتين الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فافعل ولا تعجز أيها
المسكين اذا أتيت سيئة بقلبك أو لسانك أو جوارحك أن تتبعها حسنة من صلاة أو صدقة وان قلت
أو ذكر ولو بالباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم فانها أحب الكلام الى الله وحبيب الى الرحمن وخفيف على اللسان وثقيل في الميزان روي
عن منصور بن عمار أنه قال كان فتى من الانصار يقال له ثعلبة وكان يخدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم انه ذات يوم مر بباب رجل من الانصار فاطلع عليه فوجد امرأته تغتسل فكرر النظر اليها بعينيه
ثم خاف أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح خرج هاربا من المدينة استحياء من
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أتى جبلا بين مكة والمدينة فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد ان الهارب من أمتك بين الجبال يتعوذ من النار فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن
الخطاب وسلمان الفارسي رضي الله عنهما وقال ائتياني بثعلبة بن عبد الرحمن فخرجا فوجدا راعيا من
رعاة المدينة فقال يا عمر لعلك تريد الهارب من جهنم فقال عمر وما علمك بأنه هارب من جهنم قال لانه
اذا كان نصف الليل خرج علينا من هذا الشعب واضعا يده على أم رأسه وهو يبكي وينادي ليتك
قبضت روحي مع الارواح وجسدي مع الاجسام فقال عمر اياه أريد فانطلق بهما حتى اذا كان في بعض
الليل خرج عليهما وهو ينادي ليتك قبضت روحي مع الارواح وجسدي مع الاجسام فغدا عمر اليه فلما
سمع حسه قال الامان الامان متى الخلاص من النار فقال له عمر أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لماذا فقال لا علم الا انه ذكرك بالامس فبكى وأرسلني اليك فقال يا عمر لا تدخلني على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي أو بلال يقول قد قامت الصلاة قال أفعل فلما أتى عمر الى المدينة
وأتى به المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأتم

لتكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الأجمعين حتى قبضه الله سبحانه وتعالى اليه اللهم أمتنا على سنته برحمتك يا أرحم الراحمين آمين * (المجلس الثامن والعشرون في الحديث الثامن والعشرين) * الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال وتوحد بالكبرياء والكمال وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نقاد لحكمه ولا زوال وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله الذي أكرمه الله بأشرف الخصال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بالغدو والآصال آمين (عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فأطيعوه وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن) اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (قوله وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بعد صلاة الصبح وكان صلى الله عليه وسلم يقع ذلك منه أحيانا لا دائما كما في الصحيحين مخافة سآمتهم وملالهم ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكر في كل يوم خميس (قوله على موعظة) وهي النصح والتذكير بالعواقب (قوله وجلت منها القلوب) أي خافت منها أي من أجلها (قوله وذرفت) بفتح الراء أي سالت (منها العيون) أي دموعها وفيه أنه ينبغي للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يقتصر بهم على مجرد الأحكام والحدود والرسوم وأنه ينبغي المبالغة في المواعظة لترتعش منها القلوب فيكونون أسرع إلى الإجابة ولذا كان

صلاته قال يا عمر ويلك أتدري ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن قال لا هو ذا يا رسول الله فقال ما الذي غيبك عني قال ذنبي يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفلا أعلمك كلمات إن الله يغفر الذنوب بهن والخطايا قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فقال ذنبي أعظم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم بل كلام الله أعظم ثم أمره بالانصراف إلى منزله فانصرف فلما انصرف مرض ثلاثة أيام وأتى سلمان الفارسي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن ثعلبة يجود بنفسه فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ رأسه ووضعه في حجره فأزاله عن حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجد قال مثل دبيب النمل بين جلدي وعظمي فنزل جبريل فقال يا رسول الله يقول الله لو لقيني بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة فأعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فصاح صيحة ثم غشي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله وكفنه وصلى عليه ثم احتمل إلى قبره فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على أطراف أنامله فقالوا يا رسول الله رأيناك تمشي على أطراف أناملك فقال لم أستطع أن أمشي على الأرض من كثرة أجنحة الملائكة وظاهر قوله تمحها أنها إزالة حقيقة من الصحيفة وهو المتبادر إلى الفهم لأن الأصل الحقيقة وجوز بعضهم كونه عبارة عن ترك المؤاخذة مع بقائها في الصحيفة وهو تجوز يحتاج لدليل وظاهره أيضا أن الحسنة وإن كانت بعشر أمثالها تمحو السيئة واحدة والتضعيف لا يمحو شيئا وليس مرادا بل هي تمحو عشر سيئات لما أخرجه الطبراني عن أبي مالك الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان أعطني صحيفتك فيعطيه إياها فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات وروى وكيع عن ابن مسعود أنه قال وددت أني صولحت أن أعمل كل يوم تسع خطيئات وحسنة فأشار إلى أن الحسنة تمحو تسع خطيئات ويفضل له واحدة من ضعف ثواب الحسنة ثم إن الحسنة والسيئة لهما إطلاقات فتطلق ويراد بها التوحيد والسيئة يراد بها الشرك كما في قوله تعالى في النمل من جاء بالحسنة يعني التوحيد فله خير منها ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار نظير ما في القصص والأنعام وتطلق الحسنة على كثرة المطر والخصب والخير والسيئة على قحط المطر وقلة الخير كقوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يعني قحط المطر وقلة النبات يطيروا بموسى ومن معه وقال تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة يعني المطر وقلة الخير والحسنة كثرة المطر والخصب وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات يعني كثرة المطر والخصب والسيئات يعني قلة المطر والجدب وقال في الروم وإن تصبهم سيئة يعني قحط المطر بما قدمت أيديهم وتطلق الحسنة على العافية والسيئة على العذاب في الدنيا كقوله في الرعد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والسيئة العذاب في الدنيا والحسنة العافية وتطلق الحسنة على العفو وقول المعروف والسيئة على القول القبيح والأذى كقوله تعالى في القصص ويدرؤن بالحسنة السيئة أي يدفعون بالقول المعروف والعفو القول السيئ والأذى وتطلق الحسنة على النصر والغنيمة والسيئة

على القتل والهزيمة كقوله تعالى في آل عمران ان تمسسكم حسنة تسؤهم يعني النصر والغنيمة يوم بدر وان تصبكم سيئة يعني القتل والهزيمة يوم أحد *(وخالق الناس)* أي عامل الناس *(بخلق)* بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو السجية التي طبع عليها وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ما صدر بفكر فكله لا يسمى خلقا *(حسن)* والخلق الحسن ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل وفي المفهم الخلق أي من حيث هو أوصاف الانسان التي يعامل بها غيره وهي محمودة ومذمومة فالمحمودة اجمالا أن تكون مع غيرك على نفسك فتنتصف منها ولا تنتصف لها وتفصيلا العفو والحلم والجود والصبر والرحمة ولين الجانب وتحمل الاذى وقول الهيتمي في شرح الشمائل في تعريفه ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الافعال وكمال الاحوال تعريف للخلق الحسن فقط وقد قال مجاهد في تفسير قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما انهم اذا أوذوا صفحوا ووصف عبد الله ابن المبارك الخلق الحسن بقوله هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فانشأ يقول

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذي أنت سائله

وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس قط والاحاديث في مدح الخلق الحسن كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ما من شئ يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج ومنها قوله عليه الصلاة والسلام خياركم أحسنكم أخلاقا ومنها قوله أفضل ما أعطي المرء الخلق الحسن وعن الحسن انه قال من أعطي حسن صورة وخلقا حسنا وزوجة صالحة فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة وفي الحديث خصلتان لا يكونان في مؤمن سوء الخلق والبخل وعن ابن عباس قال موسى عليه السلام يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ورسلك فقال الله انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت أن أكافئه وقيل لذي النون المصري من أكثر الناس هما قال أسوأهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة القائم الصائم وحسن الخلق وان كان جبليا لكن في الحديث رمز الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة وجه وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤد لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر ثم ان الامر به عام خصصه مستحقه فخرج الكفار

صلى الله عليه وسلم اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه وانتفخت أوداجه ولذا قال الله تعالى وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفي الخبر اذا اشتبكت الاصوات باختلاف اللغات وأشار الخلق بالاكف الى رب السموات واشتد البكاء وعلا النداء وظهر الحنين واشتد الانين وانهملت العيون بابلغ العبرات وأخلصوا التوبة من سوء الموبقات اطلع الله جل جلاله فيقول ملائكتي اني أشوق الى دعائهم من الظمآن الى الماء البارد * وقد اتفق لبعض السلف في وعظه انه كان يموت في مجلسه الواحد والاثنان كما حكي عن كثير منهم رضي الله عنهم قال بعضهم حضرت مجلس ذي النون المصري رضي الله عنه في فلاة مصر فحسبت من حضر فكان عددهم سبعين الفا فتكلم في محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم فمات في مجلسه أحد عشر نفسا وماج الناس بالصراخ والبكاء ووقع الى الارض خلق كثير مغشيا عليهم ولم يفيقوا ذلك النهار فناداه بعض مريديه يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر المحبة فتاوه ذو النون تأوها شديدا وشق قميصه نصفين وقال آه ثم أواه غلقت رهونهم واستعبرت عيونهم وخالفوا السهاد ففارقوا الرقاد فليلهم طويل ونومهم قليل أحوالهم لا تنفقد وهمومهم لا تفقد أمورهم عسيرة ودموعهم غزيرة باكية عيونهم قريحة جفونهم قد عاداهم الزمان وجفاهم الاهل والجيران قد أحرقت المحبة قلوبهم ووصفا من الكدر مشروبهم لاجرم انهم شربوا بالمنا وبلغوا المنى * وقد حكي ان واعظا كان يعظ الناس فكان يموت في مجلسه الواحد والاثنان والثلاثة وكان بجواره امرأة صالحة من أرباب الاحوال ولها ولد وأخ وكانت تخاف عليهما من الحضور خوفا عليهما وكل يوم تغلق الباب وتخرج ففي بعض الايام خرجت وتركت الباب مفتوحا فخرجا وحضرا المجلس فاتاهما من مات فلما جاءت وجدتهما ميتين في المسجد فقالت [illegible]

والظالمة وأغلظ عليهم (رواه الترمذي) في السير (وقال حديث حسن) فقط (وفي بعض النسخ حسن صحيح) وهو حديث عظيم وقاعدة الدين

(الحديث التاسع عشر)

(عن أبي العباس عبد الله بن عباس) بن عبد المطلب ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة سنة وصححه أحمد وقيل ابن عشر ويؤيد الاول ما صح عنه من قوله في حجة الوداع وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام كان حبر الامة ويسمى البحر لغزارة علمه وصح انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وكان عمر وعثمان يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر حتى قال بعضهم لعمر أتدعو هذا الفتى وفي أبنائنا من هو مثله فقال انه من قد علمتم فدعاهم يوما ودعاه معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فقالوا أمر الله نبيه اذا فتح الله عليه أن يستغفره وأن يتوب اليه فقال له ما تقول يا ابن عباس فقال ليس كذلك ولكنه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور أجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح أي فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا أي فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال كيف تلوموني عليه بعدما ترونه وقال له عمر والله انك لأصبح الفتيان وجها وأحسنهم عقلا وأفقههم في كتاب الله عز وجل وقال الحسن كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية وكان عمر اذا ذكره يقول ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد وقال مسروق أدركت خمسمائة من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعوا الى قوله قال وكنت اذا رأيته قلت أجمل الناس واذا تكلم قلت أفصح الناس واذا حدث قلت أعلم الناس وقال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس وثبت انه رأى جبريل مرتين وذهاب بصره في آخر عمره فانه ورد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن رآه ولم يعرفه فقال له ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك وفي ذلك يقول

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وعنه أيضا انه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون اليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد التراب فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك هلا أرسلت الى

لا يخرج الا بإذنه بما فرغ الشيخ واذا الخروج من المسجد فرحت له وقالت له هذين البيتين أصبحت تنهود لا أتى * حتى تلحق القوم اذا كوح ويا حجر المسن متى تنقضي * تسن الحديد ولا تقطع فوقعا في قلبه كأنهما سهمان نكرمها رحمة الله عليهم أجمعين (قوله فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع) وذلك أريد مبالغته صلى الله عليه وسلم في تخويفهم وتحذيرهم عما كانوا أيانه ونه قبل فنلتوا الى ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم فان المودع يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول والفعل كما بما عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يبالغ في وعظ أصحابه عند موته وتوصيتهم (قوله فأوصنا) أي وصية جامعة كافية لمن تمسك بما فيه استدعاء الوصية والموعظة من أهلها واغتنام أوقات أهل الدين والخير قبل فوتهم فان أعمار الأخيار قصار (قوله قال أوصيكم بتقوى الله) جمع في ذلك كل ما يحتاج اليه من أمور الآخرة اذ التقوى امتثال الاوامر واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك وقد جعل الله سعادة الدنيا فانية وسعادة الآخرة باقية وسعادة الآخرة انما تحصل بتقوى الله وهي وصية الله تعالى لجميع الامم كما قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله والتقوى ثلاث مراتب * الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المراد بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى هذه قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير * الثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق تعالى وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر

التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد وقد بين الله تعالى ان التقوى خير اللباس فقال ولباس التقوى ذلك خير وقيل

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تجرد عريانا ولو كان كاسيا
فخير خصال المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

قيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين

يا آتيك فاقول لا أنا احق ان آتيك فاسألك عن الحديث فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول هذا الفتى كان أعقل مني وعن أبي صالح قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو ان جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر ان يجيء ولا يذهب قال فدخلت عليه فاخبرته بمكانهم على بابه فقال ضع لي وضوأ قال فتوضأ وجلس وقال اخرج وقل لهم من كان يريد ان يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه أو أكثر ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسال عن تفسير القرآن أو تأويله فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه أو أكثر ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل فخرجت فقلت لهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخوانكم فخرجوا وقال اخرج وقل من أراد أن يسال عن الفرائض وما أشبهها فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سالوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسال عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سالوه عن شيء الا أخبرهم به وزادهم عليه قال أبو صالح فما رأيت مثل هذا لاحد من الناس وعن ابن عمر ان رجلا اتاه يساله عن قوله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب الى ذلك الشيخ فاسأله ثم قال تعال فاخبرني ما قال فذهبت الى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع الرجل الى ابن عمر فاخبره فقال ان ابن عباس قد أوتي علما صدق هكذا كانت ثم قال ابن عمر قد كنت اقول ما تعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت انه أوتي علما وشتمه رجل فقال له انك تشتمني وفي ثلاث خصال اني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى فاود ان جميع الناس يعلمون منها ما أعلم واني لاسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فافرح به ولعلي لا أقاضي اليه ابدا واني لاسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فافرح به وما لي به سائمة وكان يقول ما بلغني عن أخ لي مكروه قط الا أنزلته أحد ثلاث منازل ان كان فوقي عرفت له ذلك من قدره وان كان نظيري تفضلت عليه وان كان دوني لم احتفل به هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فارض الله واسعة وعن طاوس انه قال ما رأيت أحدا كان أشد تعظيما لحرمات الله تعالى من ابن عباس والله لو أشاء اذ ذكرته ان أبكي لبكيت وكان ابن عباس يقول لان أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله احب الي من حجة بعد حجة ولطبق بدانق اهديه الى أخ لي في الله أحب الي من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل وكان يقول أيضا خذ الحكمة ممن سمعت فان الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم فتكون كالرمية خرجت من غير رام توفي رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان

وعليك بذكر الله فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقد ذكرت هذا في غير هذا المجلس ومرادي الفائدة ولو مع التكرار لان الشيء كلما كرر حلا وقد اتفقت الامة على فضيلة التقوى وطلبها حتى قال قائلهم

ولا تمش الا مع رجال قلوبهم * تحن الى التقوى وترتاح الى الذكرى

لان العيش الطيب انما يكون مع الحياة والحياة بزوال الغفلة وزوالها بدوام اليقظة لما خلق له (قوله والسمع والطاعة) جمع بينهما تاكيدا للاعتناء بهذا المقام وهو من عطف الخاص على العام (قوله وان تأمر عليكم عبد) أي على سبيل الفرض والتقدير اذ العبد لا يكون واليا ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم ضرب المثل تقديرا وان لم يكن كقوله من بنى لله مسجدا ولو مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة ولم يمكن أن يكون مفحص القطاة مسجدا ولكن الامثال يأتي فيها مثل هذا ويجوز أن يكون أخبر عن فساد الزمان حتى يوضع الامر في غير أهله كالعبد فاذا كان فاسمعوا وأطيعوا تغليبا لاهون الضررين وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته لئلا يؤدي عدم الطاعة الى فتنة عمياء صماء لا دواء لها ولا خلاص منها هذا ومن المعلوم ان السمع والطاعة انما هما في طاعة الله تعالى كما دلت عليه الاخبار الكثيرة (قوله وانه من يعش منكم فسيرى -

أشياء الا أنا كثيرا) هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم إذا كان عالما بما يقع بعده جملة وتفصيلا ولما صح أنه كشف له عما يكون الى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم (قوله فعليكم) أي الزموا واحينئذ التمسك (بسنتي) أي طريقتي القويمة التي أنا عليها من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فالحسن رضي الله عنهم ومن هنا قال بعض العلماء يقدم ما أجمع عليه الاربعة ثم ما أجمع عليه أبو بكر فعمر وهذا في حق المقلد الصرف في تلك الأزمنة القريبة من زمن الصحابة أما في زماننا فقال بعض أئمتنا لا يجوز تقليد غير الائمة الاربعة الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين (قوله عضوا عليها بالنواجذ) بالمعجمة جمع ناجذ وهو آخر الاضراس الذي يدل نباته على الحلم من فوق وأسفل من كل من الجانبين فللانسان أربع وهذا كناية عن شدة التمسك بالسنة (قوله وإياكم ومحدثات الامور) أي باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة في الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فان ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة) وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله الخاص أو العام فان الحق فيما جاء به الشرع وليس بعد الحق الا الضلال وتنقسم البدعة الى أحكام خمسة واجبة كالاشتغال بالنحو والصرف ونحوهما ومحرمة كالقاضي كمذاهب سائر أهل البدعة المخالفة لاهل السنة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس ومكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف ومباحة كالتوسعة في لذائذ المآكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام والمصافحة عقب العصر والصبح وقد تقدم ذلك وليعلم أن الترمذي روى مرفوعا تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث

وستين في خلافة ابن الزبير وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات رباني هذه الامة ولما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه سمع قائلا يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاته صفق باحدى يديه على الاخرى وقال مات أعلم الناس وأحلم الناس ولقد أصيبت به هذه الامة مصيبة لا ترتق * (قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم) * أي على بغلته لما في رواية الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أهدى كسرى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه وسار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام الخ وفيه جواز الارداف على الدابة ان أطاقته (يوما) أي في النهار دون الليل (فقال يا غلام) بضم الميم لانه نكرة مقصودة وخاطبه بذلك لان سنه اذ ذاك كان نحو عشر سنين وأصله من الاغتلام وهو شدة الشبق ويطلق الغلام على الرجل مجازا باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ أو مجازا ولفظ رواية أحمد يا غلام أو يا غليم على الشك (اني أعلمك كلمات) ذكر له ذلك قبل ذكر الكلمات ليكون ذلك أوقع في نفسه اذ حصول الشيء بشوق وتشبث ألذ من الماء البارد على الظمآن لان الموصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب والتعليم تنبيه النفس بتصور المعاني وربما استعمل في معنى الاعلام لكن الاعلام اختص بما اذا كان باخبار سريع والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم وفي رواية مسلم ينفعك الله بهن أو بعلمهن أو بالعمل بمقتضاهن أو بهما وجاء بهما بصيغة القلة ليؤذنه بانها قليلة اللفظ فيسهل حفظها وأعلمه بعظم خطرها ورفعة محلها بتنوينها تنوين التعظيم وتأهيله لهذه الوصايا الخطيرة القدر الجامعة من الاحكام والحكم والمعارف ما يفوق الحصر دليل على ان المصطفى علم ما يؤول اليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة بكمال الاخلاق والاحوال الباطنة والظاهرة (احفظ الله) أي احفظ دين الله من التضييع والتبديل بان تحفظ أوامره التي أوجبها ونواهيه التي حرمها فتقف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب فلا يراك حيث نهاك فاذا أطعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه أحاطك بمعقبات له من بين يديك ومن خلفك يحفظونك من أمر الله وحقيقة الحفظ صيانة المحفوظ من الضياع أو ان يصل اليه أذى (يحفظك) في نفسك وأهلك ومالك ومصداق ذلك قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وما يصيب الانسان من نواكب ونوائب فانما هو بتضييع أوامر الله وتعديه حدوده بشهادة قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعبر بقوله يحفظك دون غيره لان الجزاء من جنس العمل الاترى الى قوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وقوله اذكروني أذكركم وقوله ان تنصروا الله ينصركم فمن حفظ الله بما أمره حفظه الله من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته وقد رأى ابراهيم بن أدهم رجلا نائما وعنده حية في فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى استيقظ ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في كبره ومنعه بحوله وقوته * وجاوز بعض العلماء

كالقاضي الحسين البصري والبغوي والجويني مائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ووثب الجويني يوما وثبة
شديدة فكلم بسببها فقال هذه جوارح حفظناها من المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر
* ونقل عن القاضي أبي الطيب أنه عاش مائة وستين سنة لم يختل عضو من أعضائه فقيل له في ذلك
فقال لم أعص الله بعضو منها وقد يتعدى الحفظ الى ذريته كما في قوله تعالى وكان أبوهما صالحا وكان
سعيد بن المسيب يقول لابنه اني لازيد في صلاتي من أجلك رجاء أن تحفظ ثم يتلو وكان أبوهما صالحا
* وكان عمر بن عبد العزيز يقول ما من مؤمن صالح يموت الا حفظه الله عز وجل في عقبه وعقب عقبه
وقد يتعدى الحفظ الى جيرانه وأهل ناحيته لقول ابن المبارك ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده
وولد ولده والدويرات التي حوله وعكس هذا ان بعض السلف رأى شيخا يسأل الله فقال هذا ضيع
الله في صغره فضيعه الله في كبره (احفظ الله) بسائر (تجده تجاهك) بضم التاء وفتح الهاء أصله وجاهك
بضم واو وكسرها ثم قلبت تاء وهو في الاصل بمعنى امامك بفتح الهمزة المصرح به في الرواية الآتية
لكنه لاستحالة الجهة عليه تعالى بمعنى معك حفظا واحاطة وتأييدا واعانة فالمعية معنوية لاظرفية
وأنشد بعضهم

اذا نحن أدلجنا وأنت امامنا * كفى لمطايانا بذكرك هاديا

وهو توكيد لما قبله ومن ثم أورده بلا عاطف لكمال الاتصال بينهما وخص الامام من بين بقية الجهات
الست اشعارا بشرف المقصد وبان الانسان مسافر الى الآخرة غير قار في الدنيا والمسافر انما يطلب
امامه لا غير فكأن المعنى تجده حيثما توجهت وقصدت من أمر الدنيا والدين وقد روى ان النبي صلى
الله عليه وسلم أرسل سفينة مولاه في أمر فنزل في سفينة فانكسرت بهم السفينة فخرج الى البر فجاءه الاسد
فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الاسد يمشي معه حتى دله على الطريق فلما أوقفه عليها
جعل يهمهم كأنه يودعه * وروى أن ابن عمر كان في سفر فلقي جماعة قد وقفوا على الطريق خوفا من
السبع فقال انما يسلط على ابن آدم ما يخاف ولو انه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شئ وقال المزني قصدت
السلام على أبي الخير النيسابوري فلما صلينا المغرب خرجت لاتطهر فقصدني السبع فعدت اليه
وأخبرته فخرج وصاح على الاسد وقال له ألم أقل لك لا تتعرض لاضيافي فتنحى عني وتطهرت فلما
رجعت قال لي الشيخ اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الاسد (اذا
سألت) أي اردت ان تسأل شيأ (فاسأل الله) دون غيره ان يعطيك اياه من فضله فانه الغني على التحقيق
والمولى لكل خير وتوفيق وخزائن الجود بيده وأمرها اليه لا معطي ولا مانع سواه وأنشد بعضهم

سلم الامر الى مالكه * فله العلم المحيط الواسع
واطلب المعروف منه دائما * فهو معطي ذلك وهو المانع

وقال طاوس لعطاء اياك ان تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم
القيامة أمرك ان تسأله ووعدك ان يجيبك وقال عامر بن قيس قرأت آيات في كتاب الله فاستغنيت
بالله عن الناس قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلم أسأل غيره كشف ضري وقوله

وسبعين فرقة وروي ه وأيضا ليأتين على أمتي كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية
لكان في أمتي من يصنع ذلك وان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا
ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي وروى مالك في الموطأ مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم أمرين
لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله فعليكم أيها الاخوان بصحبة أهل السنة والجماعة ولزوم
طريقتهم فان ملتم عنها تشتت شملكم وملتم عن طريق الله تعالى كما قال تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله أي طريقه أي فتميل بكم وتفرقكم طريق البدع عن طريق الحق والمراد بالسنة طريقه صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن تبعهم على طريقتهم في العقائد والاعمال والاقوال وقد روى النسائي والدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية وقال سهل التستري رحمه الله عليكم بالاقتداء بالاثر والسنة فاني أخاف انه سيأتي عن قليل زمان اذا ذكر انسان النبي صلى الله عليه وسلم
والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤا منه وأذلوه وأهانوه وقال سهل أيضا انما ظهرت
البدعة على يدي أهل السنة لانهم ظاهروهم وقاولوهم فظهرت أقاويلهم وفشت في العامة فسمعها من لم يكن يسمعها ولو تركوهم
ولم يكلموهم لمات كل واحد منهم على ما في صدره ولم يظهر منه شيأ وحمله الى قبره فانتبهوا يا اخواننا أهل البدعة وفروا منهم فراركم
من الاسد والحذر وامن مجالسة الغافلين المبتدعين التاركين للسنة ولهم علامات كثيرة من أعظمها عدم الاستواء في الصلاة فصلاتهم

تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله لم أرد الخير والفضل الا منه وقوله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فلم أطلب الرزق من غيره فأغنانى الله عن الناس بهذه الآيات وقال الفضيل بن عياض احب الناس الى الناس من استغنى عن الناس وأبغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم وأحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره وأبغض الناس اليه من استغنى عنه وسأل غيره وقال ابن السماك ان فى طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ان هو أعطاه حمد غير الذى أعطاه وان منعه ذم غير الذى منعه أى لانه لا معطى ولا مانع فى الحقيقة الا الله تعالى وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من استغنى بالله عز وجل أحوج الناس اليه ومن دعاء الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن مسألة غيرك وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل أحدا يناوله اياه لان السؤال فيه ذل وافتقار وكان بعضهم يقول من احتجت اليه هنت عليه وقال بعض العارفين قيل لى فى نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة لغيرى فاضاعفها عليك مكافأة بسوء أدبك انما ابتليتك بالفاقة وحكمت لنفسى بالغنى لتفزع منها الى وتتضرع لدى فان وصلتها بى وصلتها بالغنى وان وصلتها بغيرى قطعت عنك مواد معونتى وسأل رجل الامام أحمد أن يعظه فقال الامام ان كان الله تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضاء الله وقدره فالحزن لماذا وقال حاتم الاصم لزوجته لما أراد أن يخرج للغزو كم أنفق لك فقالت على قدر حياتى قال حاتم ليس هذا بيدى قالت أمر الرزق أيضا ليس بيدك ثم ما خرج سألتها عجوز وقالت لها غاب حاتم عنك كم أبقى من النفقة لك فقالت لها حاتم كان مرزوقا والرزاق ما غاب عنى (واذا استعنت) أى طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا والدين ولذا حذف المعمول المؤذن بالعموم (فاستعن بالله) لانه القادر على كل شئ وغيره عاجز عن كل شئ والاستعانة انما تكون بقادر على الاعانة وأما من هو كل على مولاه لا قدرة له على انقاذ نفسه وانفعه فضلا عن غيره فكيف يؤهل للاستعانة به أو يتمسك بسببه ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه عن غيره أعجز ليت الفحل يهضم نفسه فاستعانة مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون فلا تستعن الا بمولاك فهو وليك فى أخراك وأولاك كيف تستعين بعبد مع علمك بعجزه فمن لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره من أبناء جنسه فلا تنتظر الا به فهو الولى الناصر ولا تتهم الا بجلاله فانه العزيز القادر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما أحسن قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين وضع فى المنجنيق أما اليك فلا قال سل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وقال بعض العارفين لا تطلب معونة المخلوق فتتوجه عليك الحقوق وقد لا تفى بها وعليك بالافتقار والانكسار والاضطرار الى من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال بعضهم لا تكن عبدا الا لمن يقوم

معونة لعدم التسارى فى الصف وكثرة الفرج والخلل وتقدم الرجل وتأخرها وكذا الصدر ومنها الاستهزاء بعباد الله الصالحين والذاكرين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومن بدعهم اهمال الذكر والقرآن والاشتغال بالجدال والغيبة والهذيان قال سفيان الثورى البدعة أحب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال الفضيل رحمه الله من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه وفى السنن مرفوعا الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه وقال سيدى عبد القادر الجيلانى قدس الله سره فى كتاب الغنية فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة فالسنة ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة ما اتفق عليه أصحابه رضى الله عنهم أجمعين فى خلافة الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين المهديين رضى الله عنهم أجمعين وأن لا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم لان الامام أحمد قال من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام بينكم تحابوا ولا يجالسهم ولا يقربهم ولا يهنئهم فى الاعياد وأوقات السرور ولا يصلى عليهم اذا ماتوا ولا يترحم عليهم اذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم فى الله عز وجل معتقدا محتسبا بذلك بمصالحك الثواب الجزيل والاجر الكثير وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى صاحب بدعة بغضا له فى الله ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن استحقر صاحب بدعة رفعه الله فى الجنة مائة درجة ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أشياء وقال رواها عن الفضيل واذا علم الله

من رجل انه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر له وان قل عمله واذا رأيت مبتدعا في الطريق فخذ طريقا آخر وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا يعني بالصرف الفريضة وبالعدل النافلة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني (خاتمة المجالس) من أعظم سنته صلى الله عليه وسلم طهارة القلوب من الغش والحسد وسائر العيوب وهي من أعظم العبادات والقربات

بعما لجلك بعينك في ما نوبك وما يقوم بامور رك الا الله فلا تستعن الا به ولا يستعبدك سواه فهو المسخر لك عباده ثم أكد صلى الله عليه وسلم ما تقدم وحث على التوكل والاعتماد على الله تعالى بقوله (واعلم ان الامة) خطاب لابن عباس والمراد العموم والمعنى أكد الامر بان حثا على تيقن انه لا نفع ولا ضر الا من الله والمراد بالامة هنا جميع الخلق كما صرح به في رواية أحمد وأما مدلولها وضعا فالجماعة كقوله تعالى أمة من الناس يسقون واتباع الانبياء وكما تقول نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والرجل الجامع للخير كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال الشاعر

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

والدين والملة كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة وقول بعضهم * وهل يستوي ذو أمة وكفور * وقال الآخر

كنا على أمة آبائنا * ويقتدي الآخر بالاول

والزمان كقوله تعالى الى أمة معدودة وقوله تعالى واذكر بعد أمة أي بعد حين وزمان والقامة كقوله فلان حسن الامة أي القامة والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والام كهذه أمة زيد أي أم زيد وأما الامة بالكسر فهي النعمة كما قال الجوهري وأما الامة بالفتح فهي شجة في الرأس أفضت للدماغ (لو اجتمعت) أنثه باعتبار اللفظ وذكر ما بعده باعتبار المعنى ولفظ لو بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما في قوله تعالى لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ونكتة العدول هو أن اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اتفاقهم على الايذاء فانه ممكن من غير المعصومين ولذا قيل

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

(على ان ينفعوك بشئ) من خير الدنيا والآخرة (لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله) تعالى (لك) في الازل (وان اجتمعوا على ان يضروك بشئ) زاد أحمد لم يكتبه الله عليك (لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله) تعالى (عليك) كما يشهد بذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب وبيانه ان أزمة الموجودات بيده تعالى واطلاقا فاذا أراد أحد ان يضرك بما لم يكتب عليك دفعه الله تعالى عنك بصرف ذلك الغير عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من أصله كمرض أو شغل أو نسيان أو صرف قلب أو من تأثيره ككسر قوس ومعارضة سهم وفساد رمي ومن تيقن ذلك لم يشهد نفعه وضره الا منه وما أحسن ما قيل

أفوض الامر الى خالقي * حسبي المهيمن ونعم الوكيل

ولا أرجعن الى غيره * فان الاله لكل كفيل

ولا ينافي هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام فاخاف ان يقتلون انا نخاف ان يفرط لان الانسان مأمور بالفرار من أسباب العطب الى أسباب السلامة وان لم يسلم بدليل خذوا حذركم ولا

وبها ينال أرفع الدرجات والدليل عليه ما رواه الترمذي انه قال صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة أماتنا الله واياكم على سنته آمين

(المجلس التاسع والعشرون في الحديث التاسع والعشرين)

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وتكفل بأرزاقنا وأقواتنا وأمرنا بتوحيده في جميع أوقاتنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الله يعلم ما نحن عليه من أسرارنا ونياتنا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه موالينا وساداتنا آمين (عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم

قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث أصل عظيم وفي الجامع زيادة على ما ذكره هنا ولفظه عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة وذكر الحديث (قوله أخبرني الخ) فيه عظيم فصاحته فانه أوجز وأبلغ ومن ثم حمد النبي صلى الله عليه وسلم مسئلته وعجب من فصاحته حيث قال له (لقد سألت عن عظيم) أي عن عمل عظيم (وانه ليسير على من يسره الله عليه) أي بتوفيقه الى القيام بالطاعات وشرح صدره الى السعي فيما يكلفه الله به فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم فسر ذلك العمل العظيم بقوله (تعبد الله) أي توحده (لا تشرك به شيأ) أي تأتي بجميع أنواع العبادة على وجه الاخلاص (قوله وتقيم الصلاة الى قوله وتحج البيت) أي تأتي بجميع ذلك ان وجدت أسبابه وانتفت موانعه بسائر واجباته ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على أبواب الخير وفي رواية ابن ماجه ألا أدلك على أبواب الجنة (قوله الصوم جنة) الا كثارا من نفله لان فرضه قدمه والجنة بضم الجيم من جن استتر أي هو ستر ووقاية من النار ومن استيلاء الشهوات والغفلات وذلك باب ووسيلة الى صفاء الاحوال ووقوع أفضل الاعمال على نهاية الكمال لما في الصوم من الصبر على ملاذ الشهوات والمألوفات وقد قال صلى الله عليه وسلم من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والارض وفي روض الافكار ان رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الصيام فقال ألا أحدثك بحديث

تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول عمر أفر من قدر الله الى قدر الله ولهذا قيل في المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

(رفعت الاقلام) أي تركت الكتابة بها لفراغ الامر وانبرامه وتمت كتابة ما كان وما يكون الى يوم القيامة كما جاء في جامع الترمذي ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما أكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون فان قلت فما التوفيق بينه وبين ما أشبهه من قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله جوهرة أو درة فنظر اليها فذابت وأول ما خلق الله تعالى نوري أو روحي وأول ما خلق الله تعالى اللوح وأول ما خلق الله تعالى العقل وما نقل عن السلف أول ما خلق الله تعالى ملك الموت كروبي فالجواب ما أفاده بعض العارفين من أن الاسماء مختلفة والمسمى واحد وهو الروح المحمدي لانه باعتبار كونه درة صدف الوجود تسمى جوهرة ودرة وباعتبار نورانيته تسمى نورا وباعتبار وفور علمه تسمى عقلا اذ قال له أقبل على الدنيا رحمة للعالمين فأقبل ثم قال له ارجع الى ربك فرجع الى المعراج ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب الي منك بك أعرف وبك آخذ يعني عبادة من أخذ منك الشريعة وبك أي بشفاعتك أعطي الدرجات العالية وبك أعاقب الكافرين وبك أثيب المؤمنين وباعتبار خزان الامور وفق متابعته والاقتداء به تسمى علما وباعتبار مظهريته للعلوم تسمى لوحا وباعتبار غلبات الصفات الملكية عليه تسمى ملكا كروبيا (وجفت) بالجيم أي يبست (الصحف) جمع صحيفة وفيه حذف أي كتابة الصحف أي فرغ من الامر وجفت كتابته لان الصحيفة حين كتابتها لا بد أن تكون رطبة المداد أو بعضه بخلاف ما اذا فرغ منها وهذا من أحسن الكنايات وأرشق العبارات فهو كناية عن تقدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير ولا ينافي هذا قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لان المحو والاثبات مما جفت به الصحف أيضا كما في تفسير القاضي لان القضاء قسمان مبرم ومعلق وحكي أن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضيل وقال له أشكل علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وقد صح أن الصحف جفت بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة اذ ذاك وان كان توبة الآن لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركها فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله كل يوم هو في شأن فانها شؤون يبديها ولا يبتديها وأما قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي أن أجازيه على الواحدة ألفا فضلا فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه اهـ وقال ابن عباس قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى منسوخ بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم الآية وقيل هي خاصة بقوم موسى وابراهيم لانه وقع حكاية في صحفهما عليهما الصلاة والسلام بقوله أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وقيل أريد بالانسان الكافر فله ما سعى أخوه وقيل اللام في الانسان بمعنى على كقوله تعالى وان أسأتم فلها أي عليها وقوله تعالى ولهم اللعنة أي عليهم وقام رجل الى بعض العلماء وهو على كرسيه

كان عندي من التحف المخزونة ان كنت تريد صيام داود فانه كان يصوم يوما و يفطر يوما وان كنت تريد صيام ولده سليمان فانه
كان يصوم ثلاثة أيام أول الشهر وثلاثة أيام من وسطه وثلاثة أيام من آخره وان كنت تريد صيام عيسى فانه كان يصوم الدهر
و يلبس الشعر وحيثما أدركه الليل صف قدميه وصلى حتى تطلع الشمس وان كنت تريد صيام أمه فانها كانت تصوم يومين وتفطر
يوما وان كنت تريد صيام خير البرية فانه كان يصوم أيام البيض من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره
حضرا وسفرا وسميت
بايام البيض لان آدم
عليه الصلاة والسلام لما
هبط من الجنة الى
الارض اسود جسده من
حر الشمس فجاء جبريل
عليه الصلاة والسلام
وأمره بصوم أيام البيض
فابيض في اليوم الاول
ثلث بدنه وفي الثاني ثلثاه
وفي الثالث جميعه قال
أبو هريرة رضي الله عنه
أوصاني خليلي صلى الله
عليه وسلم بصيام ثلاثة
أيام من كل شهر وقال
صلى الله عليه وسلم
لو ان رجلا صام يوما
تطوعا ثم أعطى ملء
الارض ذهبا لم يستوف
ثوابه يوم القيامة (نكتة)
قال الشبلي رضي الله عنه
كنت في قافلة فطلع علينا
العرب فاخذوا القافلة
ثم مررت عليهم وهم
ياكلون شيا من طعام
القافلة ورأيت كبيرهم
صائما فقلت تصوم وتقطع
الطريق فقال اجعل
للصلح موضعا ثم بعد مدة
رأيته في الطواف فقال يا شبلي أنظر الى الصيام كيف أصلح بيني و بينه وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كنت في
مركب والريح طيبة فهتف بنا هاتف سبع مرات يا أهل السفينة قفوا حتى أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطش نفسه لله
في يوم حار كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة (قوله والصدقة) أي فعلها (تطفئ) أي تمحو (الخطيئة كما يطفئ الماء النار)
وخصت الصدقة بذلك لتعدي نفعها ولان الخلق عيال الله يحب احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال شخص يطفئ غضبه

للوعظ بقرد تغيير كل يوم هو في شأن فقال يا هذا اقعد فعل ربك الآن فافحم وبات مهموما فرأى المصطفى
صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له انه الخضر وانه سيعود فقل له شؤون يبديها ولا يبتديها يخفض
أقواما ويرفع آخرين فاصبح مسرورا فاتاه فاعاد السؤال فاجابه بذلك فقال له الخضر صل على من علمك
وانصرف مسرعا فيل وأول من كتب العربي بغيره آدم وقيل اسمعيل هو أول من كتب العربي وقيل
غيرهما ولم يصح في ذلك شئ وقول الكلبي أول من وضع الخط نفر من طيئ فساروا الى مكة فتعلمه منهم
جماعة ثم أتوا الى الانبار فتعلمه نفر منهم ثم أتوا الحيرة وعلموه جماعة مردود بانه لا يوثق بنقله نعم يمكن
أن يقال انهم أول من تعلم الخط لا انهم أول من وضعوه (رواه الترمذي) في جامعه (وقال حسن صحيح)
وهو حديث عظيم وأصل كبير في رعاية حقوق الله والتفويض لامره والتوكل عليه (وفي رواية غير
الترمذي) وهو عبد بن حميد في مسنده والامام أحمد (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك) بفتح
الهمزة بالمعنى المقرر فيما قبله فان قيل لم خص الامام دون باقي الجهات الست فالجواب أن الانسان سائر
ومسافر الى الآخرة والمسافر انما يطلب أمامه لا غير (تعرف) بتشديد الراء المفتوحة أي تحبب وتقرب
(الى الله) بلزوم الطاعات والانفاق في القربات والشكر على ما أولاك (في الرخاء) أي سعة الرزق وصحة
البدن (يعرفك في الشدة) بتفريج الهموم والغموم ويجعل لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا
بما سلف من ذلك التعرف كما وقع للثلاثة الذين خرجوا يرتادون لاهلهم فبينما هم يمشون اذ أصابهم
المطر فأووا الى غار في جبل فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم فقالوا انظروا ما اذا عملتم من
الاعمال الصالحة فاسألوا الله بها فانه ينجيكم فقال أحدهم اللهم انك تعلم انه كان لي والدان شيخان
كبيران ولي صبية صغار وكنت أرعى غنما لي فاذا رحت عليهم حلبت بدأت بوالدي فاسقيتهما قبل
ولدي وانه نأى بي الشجر وفي رواية فاصابني غيث فحبسني فأتيت حتى أمسيت فحلبت كما كنت
أحلب وجئت بالحلاب فوجدتهما قد ناما فقمت عند رأسهما أكره ان أوقظهما من نومهما وأكره أن
ابدأ بالصبية وهم يتضاغون أي يصيحون عند قدمي وحلابي على يدي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى
طلع الفجر فانتبها فسقيتهما فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها
السماء ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السماء وقال الثاني اللهم انه كان لي ابنة عم أحببتها أشد ما يحب
الرجال النساء فراودتها عن نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فاعطيتها
لها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله تعالى ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها وهي أحب
النساء الي وفي رواية أخرى انه قال فراودتها عن نفسها فابت فاصابتها حاجة شديدة فاتتني فقلت لها
حتى تمكنيني من نفسك فابت وذهبت ثم رجعت وقد أصابتها شدة وفي رواية أخرى ان زوجها كان
مريضا وكان بينهما أولاد صغار قد أصابهم القحط فاتت له وهو يابى عليها حتى تمكنه من نفسها
فذكرت ذلك لزوجها فقال مكنيه من نفسك وأغنيني عيالك فاتته المرة الرابعة فقالت له دونك فلما
قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت من تحته فتركها ودفع لها ما احتاجت اليه ثم قال فان كنت

وسبب اطفاء الماء النار أن بينهما غاية التضاد إذ هي حارة يابسة وهو بارد رطب فقد ضادها والصدقة مع العبد وبعدمه وبانطفاء
الخطايا ينور القلب وتصفو الأعمال فلذلك كانت الصدقة ياعظيما أفرادها من الأعمال وقد ذكرنا أمن بعض فضائل الصدقة
(وهذا فوائد) قيل كان رجل من قوم صالح قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم
يحتطب قال فخرج يومئذ ومعه

رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر قال فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شيء
قال فدعاه صالح وقال أي شيء صنعت اليوم قال خرجت ومعي قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر فقال صالح عليه السلام حل حطبك فحله فإذا فيه ثعبان أسود مثل الجذع عاض على جذر من الحطب فقال بهذا دفع عنك يعني بالصدقة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن نفرا مروا على عيسى عليه السلام فقال يموت أحد هؤلاء اليوم إن شاء الله تعالى فمضوا ثم رجعوا عليه سالمين بالعشي معهم حزم حطب فقال ضعوا وقال للذي قال إنه يموت اليوم حل حطبك فحله فإذا فيه حية سوداء فقال ما عملت اليوم قال ما عملت شيئا إلا أنه كان معي في يدي لقمة من خبز فمر بي مسكين فسألني فأعطيته بعضها فقال بها دفع عنك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان فيمن كان قبلكم رجل يأتي وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ادخل
ما يفعل به فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل إلى وكره على العادة ليأخذ أولاده فلما كان في
طرف القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتزوده ثم مضى حتى أتى الوكر ووضع سلمه فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران
إليه فقالا ربنا إنك لا تخلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد فقد عاد وأخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله إليهما ألم تعلما أني لا أهلك

تعلم أني فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرجت مرة أخرى وقال الثالث اللهم إنك تعلم أني
استأجرت أجراء يعملون كل رجل منهم بمدين من طعام الأرز فعملوا فوفيتهم أجورهم فقال رجل كان
عملي أفضل منهم فأبيت أن أزيده فغضب وفي رواية أخرى أنه جاء أحد الأجراء في نصف النهار فعمل في
بقية نهاره مثل ما عمل غيره في يومه كله فرأيت أن لا أنقص من أجره شيئا فقال رجل منهم إنه جاء في نصف
النهار وأنا جئت في أوله فساويت بيننا في الأجرة فقلت له هل نقصتك من شرطك شيئا فغضب وترك أجره
وذهب فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله ولم أزل أنميه حتى جمعت له من ذلك إبلا وبقرا
وغنما فمر بي بعد حين شيخ ضعيف لا أعرفه فقال إن لي عندك حقا فذكره حتى عرفته فقلت له إياك
أبغي وهذا حقك فعرضته عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تتصدق علي فأعطني حقي قلت والله
ما أسخر إنه لحقك ما لي فيه شيء فدفعت ذلك إليه جميعا فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا
ما بقي ففرج الله عنهم انتهى وقوله فافرج بالوصل وضم الراء من الثلاثي وضبطه بعضهم بهمزة وكسر
الراء من الرباعي وعن بكر بن عبد الله المزني أن قصابا ولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها إلى حاجة
لهم في قرية أخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل وأنا أشد حبا لك منك لي ولكن أخاف الله
فقال أنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائبا فأصابه العطش حتى كاد أن ينقطع عنقه فإذا هو برسول
لبعض أنبياء بني إسرائيل فأخبره بما حصل له من العطش فقال تعال حتى ندعو قال ما لي من عمل قال فأنا
أدعو وأمن أنت قال فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى
مكانه ومالت السحابة عليه فرجع إليه الرسول وقال زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت
أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني ما أمرك فأخبره فقال التائب من الله بمكان ليس أحد من
الناس بمكانه وعن أبي إدريس الأودي أنه قال كان رجلان في بني إسرائيل عابدان وكانت جارية يقال لها
سوسن عابدة وكانوا يأتون بستانا فيتعبدون فيه فاشتغف بها العابدان وكتم كل واحد ذلك عن صاحبه
واختبأ كل واحد منهما تحت شجرة ينظر إليها فنظر كل واحد منهما صاحبه وهو مختبئ فسأل كل
منهما الآخر عن سبب اختبائه فأظهر كل واحد منهما ما عنده من حب سوسن واتفقا على أن يراوداها
فلما جاءت لتتعبد قالا لها قد عرفت طوع بني إسرائيل لنا وإن لم تطيعينا قلنا إذا أصبحنا أنا وجدنا
معها رجلا وإن الرجل أفلت فقالت لهما ما كنت لأطيعكما فأخذاها وأخرجاها وذكرا أنهما أصابا معها
رجلا فأتى دانيال وهو ابن ثلاث عشرة سنة فوضعوا له كرسيا فجلس عليه وقال قدموهما إلي هذا
كالمستهزئين فقال أفرقوا بينهما ففرق بينهما وقال لأحدهما ما خلف أي شجرة رأيتماها قال وراء تفاحة
وأحضر الآخر فقال وراء غيرها واختلفا فنزلت نار من السماء فأحرقتهما ونجت سوسن وعن أبي عبد الله
البلخي أن شابا كان في بني إسرائيل لم ير أحسن منه وكان يبيع القفاف فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه
خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل فلما رأته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك يا فلانة إني
رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا قط أحسن منه قالت لها أدخليه فخرجت إليه فقالت يا فتى

أحدا أصدق في يومه بمئة سوى وعن وهب بن منبه قال بينما امرأة من بني اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبي لها يدب بين يديها اذ جاء سائل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان باسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي فجعلت تعدو خلفه وهي تقول ياذئب ابني فبعث الله ملكا انتزع الصبي من فم الذئب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وقيل ان قصارا كان في زمن عيسى عليه السلام يهرش على الناس أقمشتهم فسألوا عيسى عليه السلام أن يدعوا عليه فدعا عليه بالهلاك فبينما هم عند غروب الشمس واذا القصار قد دخل ورزمته على رأسه فعجبوا من ذلك وأتوا عيسى عليه السلام فطلبه فحضر برزمته فقال افتح رزمتك ففتحها فاذا فيها ثعبان عظيم مطوق قد ألجم بلجام من حديد فقال له عيسى ما صنعت اليوم من الخير قال ما صنعت شيأ الا أن رجلا نزل الي من صومعته فشكا الي جوعا فدفعت له رغيفا كان معي فقال له عيسى عليه السلام ان الله بعث اليك هذا العدو ولما تصدقت أمر الله ملكا فالجمه بهذا اللجام (قوله صلى الله عليه وسلم وصلاة الرجل) انما خصه بالذكر لان السائل كان رجلا أو لان الخير غالبا في الرجال اذ أكثر أهل النار النساء فالمرأة مثل الرجل في ذلك (قوله من جوف الليل) أي في جوف الليل اذ هي فيه مطلقا أفضل منها في النهار لان الخشوع والتضرع فيه أسهل وأكمل ومن ثم كانت بابا عظيما من أبواب الخير لانه يتوصل بها الى صفاء السر ودوام الشهود والذكر ثم هي فيه بعد النوم أفضل منها قبله وتحصل فضيلة قيامه بصلاة ركعتين لخبر من قام من الليل قد رحلب شاة كتب من قوام الليل واختلفوا في أفضل أجزائه والذي دلت عليه الاحاديث الصحيحة ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من أنه ان جزأه نصفين فالثاني أفضل أو ثلاثا فالثلث الاخير أفضل او اسداسا فالسدس الرابع والخامس افضل وهذا هو الاكمل

ادخل نشتري منك فدخل واغلقت دونه الابواب ثم استقبلته ابنة الملك كاشفة عن وجهها ونحرها فقال لها الشتري عافاك الله فراودته عن نفسه فأبى قال لها اتقي الله فقالت له ان لم تطأني والا اخبرت الملك انك دخلت تراودني عن نفسي فأبى ووعظها ثم قال ضعوا لي وضوأ بفتح الواو أي ماء يتوضأ به وهو في مكان لا يستطيع أن يفر منه بينه وبين الارض أربعين ذراعا فلما صار فيه ألقى نفسه منه فاهبط الله له ملكا حتى أخذ بضبعه ووقع قائما على رجليه وكان في بني اسرائيل رجل يقال له جريج يصلي جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي وتمادى في صلاته ولم يجبها فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات أي الزانيات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فراودته فأبى فاتت راعيا ومكنته من نفسها فولدت غلاما وقالت من جريج فاتوه فهدموا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى بالغلام فقال له من أبوك يا غلام وفي رواية يا بابوس بباء موحدتين بينهما ألف وهو ولد الزانية فقال الراعي فقالوا ندعنا نبني صومعتك من ذهب فقال لا الا من طين وعن وهب بن منبه انه قال بينما امرأة من بني اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبي لها يدب بين يديها اذ جاء سائل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان أسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي فجعلت تعدو خلفه وهي تقول يا ذئب يا ذئب ابني فبعث الله اليها ملكا انتزع الصبي من فم الذئب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وتقدم ذكر قصة عوف بن مالك الاشجعي عند قوله في الحديث السابق اتق الله حيثما كنت بخلاف فرعون فانه لما تنكر الى ربه في حال رخائه لم ينفعه للجاء عند بلائه بل قال له آلآن وقد عصيت قبل وقيل يجوز أن يكون على حذف مضاف أي تعرف الى ملائكة الله في الرخاء بالتزام الطاعات واظهار العبادات يعرفك في الشدة بواسطة شفاعتهم عنده في تفريج غمك وكربك والاول أولى لاستغنائه عن التقدير ويؤيد الثاني ما روي ان العبد اذا كان له دعاء في الرخاء ودعا حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه واذا لم يكن له دعاء في حال الرخاء ودعاء في حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه ولذا ورد في الحديث أن يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله عز وجل أما تعرفون ذلك قالوا ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا ربنا أولا ترحم من كان يصنع في حالة الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فامر الله عز وجل الحوت فطرحه بالعراء (واعلم أن ما أخطأك) أي جاوزك فلم يصل اليك (لم يكن ليصيبك) لانه بان بكونه أخطأك انه غير مقدر عليك واستعمال الخطأ فيه مجاز لان حقيقته العدول عن الجهة أو الوقوع على خلاف المراد وفيه مبالغة من حيث دخول اللام المؤكدة لنفي على الخبر وتسليط النفي على الكونية وسرايته للخبر (وما أصابك لم يكن) قدر (ليخطئك) اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وفيه الحث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة عنه قيل علامة التوكل ثلاث لا يسال ولا يرد ولا يحبس قيل أول

على الاطلاق لانه الذى واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقيل فيه أفضل الصلاة صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه (قوله ثم تلا) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجا على فضل صلاة الليل (تتجافى جنوبهم) أى تتنحى وترتفع (عن المضاجع) أى مواضع الاضطجاع للنوم حتى بالغ و يعملون قيل وهذا كناية عن الصلاة بين المغرب والعشاء وقيل عن انتظار العشاء لانهم كانوا يؤخرونها الى نحو ثلث الليل وقيل عن صلاة العشاء والصبح فى جماعة والجمهور على انه

كناية عن صلاة النوافل بالليل وهو الذى دل عليه سياق الحديث والآية حيث قال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الخ فهو دال على انهم أخفوا أعمالهم فجوزوا بما أخفى لهم من قرة الاعين وانما يتم اخفاؤه بالصلاة فى جوف الليل لان المصلى حينئذ ترك نومه ولذاته وآثر ما يرجوه من ربه عليه فما حق له ان يجازى بذلك الجزاء العظيم وفى الصحيحين يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الحديث وقد جاء ان الله تعالى يباهى بقوام الليل فى الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلمة الليل حين لا يراهم احد غيرى أشهدكم انى قد أبحتهم دار كرامتى ولا شك ولا خفاء ان الليل محل الخلوة والاختصاص ومجالسة الاحبة ومطية المحبين كما قيل

وما الليل الا للمحب مطية ❊ وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى

وفى رواية لمسلم ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمور الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك فى كل ليلة وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتى اذا جن ليله نام عنى وقيل اذا جن الليل بظلامه يقول الله تعالى يا جبريل حرك أشجار المعاملة فاذا حركها قامت القلوب على باب المحبوب وقيل بيابك عبد من عبيدك مذنب ❊ كثير الخطايا جاء يسألك العفو

مقام فى التوكل ان يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد اذ لا يكون له حركة ولا تدبير واعلم ان التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافى توكلا وقيل التوكل هو التعلق بالله تعالى فى كل حال وقيل التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وقيل هو الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه (واعلم) تنبيه على ان الانسان فى هذه الدار معرض للمحن والبلاء سيما الصلحاء قال الله تعالى لنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآيات فينبغى للانسان ان يصبر ويحتسب ويرضى بالقضاء والقدر (ان النصر) من الله للعبد اى اعانته له يقال نصر الغيث البلد اذا أعانه على النبات والنصير والناصر فى اللغة المعين والاول منهما أبلغ فى الاعانة من الثانى (مع الصبر) لانه سبب النصر ومن ثم كان الغالب على المنتقم لنفسه عدم النصر ومن صبر ورضى بحكم القضاء كان له التأييد والظفر وعن على رضى الله عنه وكرم وجهه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ومن كلام وهب ثلاث من كن فيه أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام وقيل الصبر تجرع المرارة من غير تعبيس وقيل هو الوقوف مع الله تعالى بحسن الادب ❊ وقيل هو الاستعانة بالله وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر فى المحن عنوان الفرج ❊ قيل حبس الشبلى فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحبابك جئناك زائرين فاخذ يرميهم بالحجر فاخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى واعلم ان الصبر يشمل الصبر على العدو الظاهر كالكفار وأهل البدع والفسوق والعدو الباطن كالنفس الامارة والهوى والشيطان لان جهاد ذلك أعظم من جهاد العدو ويدل له ما جاء فى حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة العبد هواه (وان الفرج) بفتحتين وهو كشف الغم مع الكرب بمعنى انه يعقبه لا محالة لعدم دوامه ❊ (فائدة) ❊ من الانس الجليل روى ان مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام لا يأمن عليه احدا فقام ليلة ليفتحه فتعسر عليه فاستعان بالانس فتعسر عليهم فاستعان بالجن فتعسر عليهم فجلس حزينا كئيبا فظن ان ربه قد منعه فتحه فبينما هو كذلك اذ أقبل شيخ متكئ على عصاه وقد طعن فى السن وكان من جلساء داود عليه الصلاة والسلام فقال له يا نبى الله ما لى أراك حزينا فقال قمت لهذا الباب افتحه فتعسر على فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ الا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبى بين يديك استغفرك وأتوب اليك فلما قالها انفتح الباب اهـ وذكر أبو نعيم فى الحلية عن مسعر ان رجلا ركب البحر فكسرت سفينته فوقع فى جزيرة فمكث ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب فتمثل فقال

اذا شاب الغراب أتيت أهلى ❊ وصار القار كاللبن الحليب

❊(فاجابه مجيب لم يره فقال)❊

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

قال فجاءت سفينة فحملته وأصاب خيرا كثيرا * وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عمر قال أمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما أحضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرنى الى غد قال ويحك وأى فرج فى تأخير يوم ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من القرآن كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وأخرج ابن النجار عن معروف الكرخى من قال ثلاث مرات وكان فى غم فرج الله عنه غمه اللهم أصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم عاف أمة محمد اللهم اصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد * وأخرج البيهقى عن حماد بن سلمة أن عاصم ابن اسحق شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة وصليت ما شاء الله ثم وضعت وجهى على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فرفعت رأسى فاذا بحدأة طرحت كيسا أحمر فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهر ملفوفا فى قطنة فبعت الجوهر بمال عظيم وفضل الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله على ذلك * وفى الصحيح وغيره ان اعرابية كانت تخدم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا ما تقول

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا * على انه من ظلمة الكفر نجانى

فسألتها عائشة رضى الله تعالى عنها عن ذلك فقالت شهدت عروسا تجلى ودخلت مغتسلا وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحدأة فأخذته ففقدوه فاتهمونى به ففتشونى حتى قبلى فدعوت الله تعالى أن يبرئنى فجاءت الحدأة بالوشاح فألقته بينهم وفى رواية فرفعت رأسى وقلت يا غياث المستغيثين (وان مع العسر يسرا) لقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا * وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاءه اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه وتنوين يسرا للتعظيم مبالغة مع ما فى مع من المصاحبة فى معاقبته واتصاله به اتصال المتقاربين واليسر السهولة ومنه اليسار للغنى لانه تسهل به الامور واليد اليسرى لان الامور تسهل بمعاونتها اليمنى فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون ولا يقع اجماعا من أهل السنة فدل على عدم وقوع العسر ضرورة كونه تعالى لم يرده وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا يدل قطعا على وقوعه فالجواب ان المراد بالعسر فى الآية الاولى العسر فى الاحكام فقط بدليل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة مع ان صدر الآية يدل على ذلك وهو قوله تعالى ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وأما الآية الثانية فالمراد بالعسر فيها العسر فى الارزاق والاكتساب دون الاحكام

فأنزل عليه العفو يا من بفضله * على قوم موسى أنزل المن والسلوى وأوحى الله تعالى الى بعض الصديقين ان لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم قال يا رب ما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها فاذا جنهم الليل يعنى سترهم واختلط الظلام وفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى عليهم فمنهم صارخ وباك ومتأوه وشاك ومنهم قائم وقاعد وراكع وساجد فأول ما أعطيهم ثلاث خصال الاولى انى أقذف فى قلوبهم من نورى الثانية لو كانت السموات والارض فى موازينهم لاستقللتها لهم الثالثة أقبل بوجهى الكريم عليهم أفترى من أقبلت عليه بوجهى أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه (نكتة) قيل ان الطيور أنكرت على الخفاش طيرانه بالليل وقالوا نور النهار أكمل فقال الليل أنيس وراحة المشتاقين وقد جمعنا جواهر عظيمة فى قيام الليل فى كتاب تحفة الاخوان (قوله صلى الله عليه وسلم الا أخبرك برأس الامر) أى العبادة أو الامر الذى سألت عنه (وعموده وذروة) بضم أوله وكسره (سنامه الجهاد) فى أصل الترمذى قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فهذا ساقط من نسخة المصنف

وكذا وقع له فى الاذكار وهذا ثابت فى بعض النسخ أيضا وذروة الشئ أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعات من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان وليس ذلك لغيره من العبادات فهو أعلى بهذا الاعتبار وان كان فيها ما هو أفضل منه وعلى هذا يحمل قول بعضهم الجهاد لا يقاومه شئ وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سئل أى الاعمال أفضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين ويحمل على اختلاف أحوال السائلين فأجاب كلا بما هو أفضل بالنسبة لحاله وأما

الافضل على الاطلاق بعد الشهادتين فهو الصلاة عندنا فقرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع وفى رواية صحيحة واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة (ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بملاك ذلك كله) أى بمقصوده وجماعه أو بما يقوم به وملاك بفتح الميم وكسرها وفيه اشارة الى أن جهاد النفس بقمعها عن الكلام فيما يرديها الكفار وان هذا هو الجهاد الاصغر وذلك هو الجهاد الاكبر اذ منعها مما هوامن أجل وتؤذيهم الأشق عليها من جهاد

ما اقتناه الانسان ومن أعظم آدابها الصمت وترك الكلام فيما لا يعنى ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا ولما قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك الخ قال (قلت بلى يا رسول الله فاخذ صلى الله عليه وسلم بلسانه) أى أمسك لسان نفسه (ثم قال كف عليك) أى عنك (هذا) أى عن الشر (قال قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به) استفهام استثبات وتعجب واستغراب (فقال ثكلتك) أى فقدتك (أمك وهل يكب) أى يلقى الناس أى أكثرهم (فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم) أى ما تكلمت به من الاثم جمع حصيدة بمعنى محصودة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان فى تكلمه بذلك بحد المنجل الذى يحصد به الزرع وفى الصحيح من يضمن لى ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة وفيه ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا يكتب له رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يعلم انها تقع حيث تقع فيكتب له بها سخطه الى يوم يلقاه أو يهوى بها فى النار صبعين خريفا وفى الحكمة لسانك أسدك ان أطلقته افترسك وان أمسكته حرسك ولهذا كان أبو بكر رضى الله عنه يمسك لسانه ويقول هى

وروى الحاكم عن الحسن البصرى مرسلا ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين أى كما دل عليه قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا لان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى فالباقيهما وما أحسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد الله ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله فى أعطافها ألطاف

(وقال الشاعر أيضا)

اذا اشتدت بك البلوى * ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح

قال ابن أبى جمرة كان على رضى الله تعالى عنه اذا كان فى شدة استبشر وفرح واذا كان فى رخاء قلق فقيل له فى ذلك فقال ما من ترحة الا وتتبعها فرحة وما من فرحة الا وتتبعها ترحة ثم تلى الآية وما أحسن حكاية العتبى قال كنت ذات يوم فى بادية وأنا بحالة من الغم فالقى فى روعى بيت من الشعر

أرى الموت لمن أصبح مغموما له أروح * فلما جن الليل سمعت هاتفا فى الهواء يقول
ألا أيها المرء * الذى الهم به أبرح * وأنشد بيتا لم * يزل فى فكره يسبح
اذا اشتدت بك العسرى * ففكر فى ألم نشرح * فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح
فان العسر مقرون * بيسرين فلا تبرح

فحفظتها ففرج الهم عنى

(الحديث الموفى عشرين)

(عن أبى مسعود عقبة بن عمرو) بن ثعلبة بن أسيرة قال صاحب الاكمال بفتح الهمزة وكسر السين ابن عسيرة بفتح العين وكسر السين المهملتين ابن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج كذا نسبه الكلبى وابن سعد وتابعهما ابن عبد البر وقال فيما حكاه عن الشاطبى أسيرة بن عسيرة بضم أولهما وفتح ثانيهما قال ويقال فى أسيرة يسيرة بياء مضمومة ومن قال فيه بالنون فقد صحف وخدارة بخاء مضمومة كما قال ابن عبد البر ويقال أيضا جدارة بجيم مكسورة (الانصارى) الخزرجى (البدرى) نسبة الى بدر نزولا وسكنا لانه لم يشهد وقعتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاصح الذى قال به الجمهور ولكن الذى ذهب اليه البخارى ومسلم وغيرهما انه شهدها ثم شهد العقبة الثالثة مع السبعين وكان أصغرهم وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد ونزل الكوفة وابتنى بها دارا توفى بالمدينة وقيل بالكوفة سنة احدى أو اثنين وأربعين قيل فى خلافة على وقيل آخر خلافة معاوية وقيل توفى بعد الستين وقيل سنة احدى وثلاثين والقولان الاخيران ضعيفان روى له مائة حديث وحديثان اتفقا على تسعة وانفرد البخارى بواحد ومسلم بسبعة (قال قال صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس) بالرفع فى جميع الطرق والعائد على ما محذوف والتقدير مما أدركه الناس ويجوز النصب والعائد ضمير الفاعل وأدرك بمعنى بلغ أى مما بلغ الناس ثم ان الجار والمجرور فى قوله مما خبران واسمها قوله الآتى اذا لم تستح الخ أى على تقدير القول أى قولهم اذا لم تستح كما قاله الطوبى وهو غير متعين بل يصح أن تجعل الجملة

هذا الذى أوردنى المهالك فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما الذى أوردك لسانك قال قال لا اله الا الله فاوردنى الجنة (خاتمة المجلس) ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما ظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا غالب فى العادة والسلامة لا يعدلها شئ ففى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفيهما عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قلنا يارسول الله أى المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده وبلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفى اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت فى ابن آدم من العيوب قال هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيته منها ثمانية آلاف ووجدت خصلة ان استعملها استر العيوب كلها قال ماهى قال حفظ اللسان فالصمت سلامة كما قيل

احفظ لسانك أيها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقيل

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

(المجلس الثلاثون فى الحديث الثلاثين)

الحمد لله الذى اذا لطف أعان واذا عطف صان أكرم من شاء ومن شاء أهان وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحنان المنان وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة الى الانس والجان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما اختلف الجديدان آمين (عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان

هى الاسم على ارادة اللفظ أى هذا اللفظ أو يجعل الجار والاسم فتكون من تبعيضية أى ان بعض ما أدرك وجملة اذا لم تستح هى الخبر (من كلام النبوة الاولى) أى مما اتفقت عليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه جاء فى شريعة آدم واتفقت عليه بقيتها فما من نبى من الانبياء الا وندب اليه وحث عليه ولم ينسخ فى شريعة من الشرائع لانه أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت عليه العقول وتلقته جميع الامم بالقبول واضافة الكلام الى النبوة للاشعار بان ذلك من نتائج الوحى وقوله الاولى ليست فى رواية البخارى وان كان ظاهر كلام المؤلف خلافه لانه نسبه كله لرواية البخارى وهى ثابتة فى رواية أحمد وأبى داود وابن ماجه عن الصحابى المذكور (اذا لم تستح) بحذف الياء واثباتها ويكون الجازم حذف الياء الثانية لانه من استحيى والاول من استحى (فاصنع) وفى رواية فافعل والصنع أخص من العمل (ماشئت) الامر للتهديد والتوبيخ أى اذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحى من الله ولا تراقبه فاصنع ماشئت أى ما تهواه نفسك من الرذائل فان الله مجازيك عليه ونظيره قوله تعالى اعملوا ماشئتم وقوله تعالى فاعبدوا ماشئتم من دونه فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى وأنشد بعضهم فى هذا المعنى قوله

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ماتشاء
فلا والله مافى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال آخر) اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

أو هو للاباحة أى أنظر الى ما تريد أن تفعله فان كان مما لا يستحى من الله ومن الناس فى فعله فافعله وان كان مما يستحى من الله ومن الناس فى فعله فدعه وعلى هذا مدار الاحكام من حيث ان الفعل اما أن يستحى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الاولى واجتنابها مشروع أولا يستحى منه وهو الواجب والمندوب والمباح وفعل الاولين مطلوب والثالث جائز وهو بمعنى الخبر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار أى صنعت ماشئت لان ترك الحياء يوجب الاستهتار والانهماك فى هتك الاستار أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله أى لما لم يجز صنع ماشئت لم يجز ترك الاستحياء والاول أولى وأظهر والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وقيل انقباض وخشية يجدها الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح واصطلاحا خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق وحده أبو القاسم الجنيد بانه رؤية الآلاء أى النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء وأما الحيا بالقصر فيطلق على المطر وعلى فرج الناقة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال الحياء خير كله لا يأتى الا بخير * وحكى أن رجلا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أنت قلت الحيا خير كله بالقصر فقال لا ثم رآه ثانيا فسأله مثل ذلك فقال لا فاخبر بذلك بعض العلماء فقال له الحيا بالقصر فرج الناقة والذى فى الحديث بالمد فرآه الثالثة وسأله وقال أنت قلت الحياء خير كله فقال نعم وينبغى أن يراعى فيه القانون الشرعى فان منه ما يذم كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع وجود شروطه فان هذا جبن لا حياء ومثله الحياء فى العلم المانع من سؤاله عن

هذا الحديث حديث عظيم قال بعضهم ليس في الاحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لاصول الدين وفروعه منه وقد قال
السمعاني من عمل به فقد حاز الثواب وأمن العقاب (قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض فرائض) أي أوجبها وحتم العمل
بها (قوله فلا تضيعوها) أي بالترك أو التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم (قوله وحد حدودا) جمع حد
وهو لغة الحاجز بين الشيئين وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية أي جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة

تحجزكم وتزجركم عما لا يرضاه (قوله فلا تعتدوها) أي لا تزيدوا عليها عما أمر به الشرع (قوله وحرم أشياء فلا تنتهكوها) أي لا تتناولوها ولا تقربوها (قوله وسكت عن أشياء رحمة لكم) أي لاجلكم (غير نسيان) أي لها (فلا تبحثوا عنها) لان البحث عنها قد يكون سببا لنزول التشديد فيها بايجاب أو تحريم وقد صح هلك المتنطعون والمتنطع البحاث عما لا يعنيه وقال ابن مسعود اياكم والتنطع اياكم والتعمق ومن البحث عما لا يعني البحث عن أمور الغيب التي أمرنا بالايمان بها ولم تبين كيفيتها لانه قد يترتب عليها الحيرة والشك ويرتقي الى التكذيب ولهذا قال ابن اسحق لا يجوز التفكر في الخالق ولا في المخلوق بما لم يسمعوه فيه كما يقال في قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده كيف يسبح

الجماد لانه تعالى أخبر به فيجعله كيف شاء كما شاء انتهى وفي الصحيحين ما يؤيد حرمة التفكر
في الخالق كخبر البخاري يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله
ولينته وفي مسلم لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فمن وجد شيئا من ذلك فليقل آمنت بالله تفكروا
يا اخواني في مصنوعات الله ولا تتفكروا في الله فالفكر في المصنوعات من أعظم القربات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكروا

مهمات المسائل في الدين اذا أشكلت عليه ومن ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها نعم النساء نساء
الانصار لا يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن ولذا جاءت أم سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت ان الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء * وروى
البيهقي عن الاصمعي انه قال من لم يتحمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا وروى أيضا عن عمر
قال لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلم العلم لتماري به ولا ترائي به ولا تباهي به ولا تتركه حياء من
طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بجهالة * وعن عمر رأيت من رق وجهه رق علمه وقال علي رضي الله عنه من
كسي بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه * وقيل لابي سفيان ما أول الحياء قال ان تستحيي منه أن يراك حيث
نهاك * قيل فما غايته قال أن تستحيي منه أن تعلم انك تريد بقلبك سواه * وقال بعض السلف لابنه
يا بني اذا دعتك نفسك الى معصية فارم ببصرك الى السماء واستح ممن فيها وارم ببصرك الى الارض
واستح ممن فيها فان لم تفعل فعد نفسك من البهائم وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواك والحياء * وكان
صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها * وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه
استحيوا من الله حق الحياء وردد ذلك مرارا قالوا انا نستحيي والحمد لله فقال ليس ذلك ولكن الاستحياء
من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد
استحيى من الله حق الحياء وما زال يكرر ذلك حتى أبكاهم وقال للذي رآه يعاتب أخاه في الحياء دعه فان
الحياء من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب
وعلم * وعن الفضيل خمسة من علامات الشقاء القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في
الدنيا وطول الامل وقيل في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ان البرهان انها
ألقت ثوبا على وجه صنم في زاوية البيت فقال يوسف ما الذي تفعلين قالت أستحيي منه فقال يوسف
عليه الصلاة والسلام أنا أولى ان أستحيي من الله * وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الخلائق ناداه ملكاه عظ
نفسك بما تعظ به أخاك والا فاستحي من سيدك فانه يراك قال الحليمي ويدخل في جملة الحياء من الله
تعالى ثم من الناس ستر العورة فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما الى غنم له وفيها أجير له يرعاها واذا بالاجير متجرد فيها فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له كلك عندنا من أجرك فقال يا رسول الله ألم أحسن الرعاية والولاية قال اني لا أحب أن
يكون فيها من لا يستحيي من الله عز وجل اذا خلا ودخل محمد بن عبد الرحمن الحمام فرأى بعض
اخوانه عريانا فغمض عينيه فقال له العريان منذ كم عميت قال منذ هتك الله سترك * وعن عائشة رضي
الله تعالى عنها انها قالت مكارم الاخلاق عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن
ولا تكون في الاب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن يريد به السعادة صدق الحديث
وصدق البأس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم

للصاحب

في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال ابراهيم بن أدهم الفكرة حج العقل * والفكر على ثلاثة أقسام * الاول الفكر في المصنوعات والاستدلال بها على الله وهو شان العلماء * والثاني الفكر في لطائف صنع الله تعالى وفواضل نعم الله وهو سادة الشكر لله * والثالث الفكر في الاعمال لتخليصها من الشوائب وهو شان العابدين قال الفضيل رحمه الله الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيآتك قال تعالى أولم

ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فباى حديث بعده تؤمنون أى اولم ينظروا ويتدبروا ويتفكروا في عجائب المملكة وبدائع ما في السموات والارض ويتفكروا فيما خلق الله من شئ فيجدوا فيه دلالة على حكمة الله ويتفكروا في اقتراب الآجال وانقطاع الآمال فيبادروا الى صالح الاعمال فباى حديث بعد هذا القرآن يؤمنون فالتفكر في المصنوعات هو المراد بهذه الآية وأمثالها واقرب المصنوعات اليك نفسك ففي نظرك في خلقك وتركيبك وميلك وشهواتك وحواسك كفاية في الاعتبار قال الله تعالى وفي انفسكم أفلا تبصرون المعنى أفلا تعتبرون وتنظرون الى ما في أنفسكم من بدائع الحكمة واتقان الصنعة ودقائق اللطائف وصنوف العجائب فتستدلون بها على خالقها وعلى كمال قدرته وقد زين الله تعالى الانسان بالاعضاء الظاهرة وجمع الاشياء المتضادة في المعاني الباطنة وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وهذا من عجيب القدرة التي لا يقدر عليها غيره قال الشاعر

الماء والنار في ذات قد اجتمعا * والماء والنار كيف الحال ضدان

وقال أهل البصائر الناقدة جعل الله تعالى في الانسان سر نسخة الوجود كما قيل وسموه العالم الصغير وقيل ما من مخلوق الا وفي الانسان نبه صلة منه اما صورية أو معنوية وقال اهل النظر

للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء اه ومعنى صدق البأس أى الصدق في مقابلة العدو ومعنى التذمم أن يحفظ ذمامه أى حرمته وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس ومن علامات الحياء ان لا يخاف غير الله كما حكى عن بعضهم انه قال خرجنا ليلة فمررنا بأجمة واذا رجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له الا تخاف ان تنام في هذا الموضع المسبع المخوف فرفع رأسه وقال استحي منه ان أخاف غيره ووضع رأسه ونام وروى عن عمر رضى الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا رسول الله قال اخبرني جبريل عليه السلام ان الله يستحي من عبد يشيب في الاسلام أن يعذبه أفلا يستحي الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب في الاسلام وفي الحديث أيضا انه يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدى الله تعالى فيقال له ما فعلت من الحسنات فيقول يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم انه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يا رب انه كذاب فيقول الله علمت ذلك منه ولكن استحييت منه ان أكذب شيبته (رواه البخاري) في ذكر بني اسرائيل (تنبيه) حكى أن بعضهم وافى البصرة نحو شعبة يسمع منه ويكثر فصادف المجلس قد انقضى وانصرف شعبة الى منزله فحمله السرف الى أن سأل عن منزل شعبة فارشد اليه فجاء فوجد الباب مفتوحا فدخل من غير استئذان فوجد شعبة جالسا على البالوعة يبول فقال السلام عليكم رجل غريب قد جئت من بلدة بعيدة لتحدثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم شعبة ذلك فقال يا هذا دخلت منزلي بغير اذني وتكلمني على مثل هذا الحال فقال انى خشيت الفوت فقال تأخر عني حتى أصلح من شأني فلم يفعل واستمر في الالحاح قال وشعبة يخاطبه وذكره في يده يستبرى فلما أكثر قال اكتب حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن أبي مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت ثم قال والله لا أحدثك بعد هذا الحديث ولا حدثت قوما تكون فيهم

(الحديث الحادي والعشرون)

(عن أبي عمرو) بالواو لانهم ذكروا ان اسم عمرو المفتوح العين يكتب في حال الرفع والجر بالواو للفرق بينه وبين عمر المضموم العين ولا تكتب فيه في النصب لحصول الفرق بالالف وانما جعلت الواو فيه رفعا وجرا لخفته من ثلاثة أشياء فتح اوله وسكون ثانيه وصرفه (وقيل) أبى (عمرة) بالهاء (سفيان) بتثليث أوله (ابن عبد الله) ابن أبي ربيعة وقيل بن حطيط بن الحارث الثقفي معدود من اهل الطائف وكان عاملا لعمر عليها حين عزل عنه عثمان بن أبي العاصي روى مسلم عنه هذا الحديث فقط (قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام) اى في دينه وشريعته (قولا) جامعا لامور اكتفى به بحيث (لا) احتاج الى أن (أسأل عنه احدا غيرك) لكونه واضحا في نفسه مبينا لغيره وفي رواية بدل غيرك بعدك أى بعد سؤالك كقوله تعالى فما يمسك فلا مرسل له من بعده اى من بعد امساكه وقوله في الرواية الاولى غيرك ملزوم هذا اللفظ فانه اذا لم يسأل بعد سؤاله أحدا يلزم منه انه لا يسأل غيره فذكره

ينبغي للانسان أن يكون فيه عشر خصال من أخلاق الطير والبهائم سخاوة الديك وأمانة الحمامة وصمت البازي وحذر الغراب وحزن الطاوس وبصيرة الهدهد وانتقاء الفهد وصدق الفرس وصبر الجمل وود الكلب وانعجم الخاص بنا والذي يتعلق بالتفكر قال بعض العارفين التفكر ينقسم الى قسمين الاول يتعلق بالمعبود والثاني يتعلق بالعبد فاما المتعلق بالعبد فينبغي له أن يتفكر هل هو على معصية أم لا فان رأى زلة من نفسه

فله أن يتداركها بالتوبة ثم يتفكر في نقل الاعضاء من المعاصي الى الطاعات

الطيبي (قال قل آمنت بالله) لفظ الترمذي قل ربي الله (ثم استقم) على عمل المأمورات عقدا بالجنان وقولا باللسان وفعلا بالاركان واجتناب المنهيات وهاتان الجملتان منتزعتان من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية والسين فيها سين الموافقة والمطاوعة كما يقال أرضيته فارتضى وقال ابن فورك هي سين الطلب والمعنى أنهم طلبوا من الله تعالى أن يقيمهم على التوحيد وحفظ الحدود والاستقامة لغة ضد الاعوجاج أي الاستواء في جهة الانتصاب واصطلاحا قال بعضهم لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق وقال البيضاوي اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن أشرق قلبه بالانوار القدسية وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية الطبيعية وأيده الله من عنده وقليل ما هم اهـ وقيل أن لا يختار العبد على الله شيئا وقيل هي لزوم طاعة الله تعالى وقيل هي الاخلاص في الطاعة وقيل هي أن تشهد الوقت الذي أنت فيه قيامة قامت بأن تستشعر قيامك بين يدي مولاك فتحسن استقامتك فيه في دنياك وقال ابن فورك هي سؤال الله تعالى أن يثبتهم على الدين وقال بعض العارفين هي توبة بلا اصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات ويقين بلا تردد وتفويض بلا تدبير وتوكل بلا وهم وهذا مقام عزيز لا يحكمه الا من تحقق كالابريز وقيل هي المتابعة للسنة المحمدية مع التخلق بالاخلاق المرضية وقيل هي الاتباع مع ترك الابتداع قال بعضهم والاستقامة أصعب المقامات مطلقا هي كمقام الشكر اذ هو صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله من عبادة ربه بما يليق من جوارحه على الوجه الاقوم ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فاستقم كما أمرت ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قالوا له قد أسرع اليك الشيب شيبتني هود وأخواتها أخرج ابن أبي حاتم لما نزلت هذه الآية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رؤي ضاحكا وقال الشبلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك يا رسول الله انك قلت شيبتني هود وأخواتها فما الذي شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن الذي شيبني منها قوله تعالى فاستقم كما أمرت الخ لان قوله كما أمرت يدل على أن الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده أمره ونهيه فاذا سمع كما أمرت علم أنه طولب باستقامة تليق بمعرفته لكن قال في فيض الجود على حديث شيبتني هود وما أضيف عدة السور الواردة في جملة الروايات تسعة هود والواقعة والحاقة وسأل سائل والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والقارعة ولا تعارض بين الروايات لان رواية شيبتني هود وأخواتها تعم الجميع وتعيين البعض في بعض الروايات دون بعض يحمل على اسقاط بعض الرواة لذلك البعض لعدم سماعه له أو على أنه صلى الله عليه وسلم عينه لبعض دون بعض فتكون الواقعة متعددة تظهر أيضا أن القول بان المراد من سورة هود آية فاستقم غير مستقيم لان الاستقامة لم توجد في جميع

فيجعل شغل عينيه الاعتبار وشغل لسانه الذكر والاستغفار والتسبيح والتهليل والاذكار وكذلك سائر أعضائه في الليل والنهار يستعملها في طاعة الواحد القهار ثم يتفكر في مبادرة الاوقات بالنوافل طالبا للربح في دار الارباح فيصلي لله تعالى زيادة عن الفرض ما استطاع وكذلك ينظر في أمر الصيام كالخميس والاثنين والايام الشريفة التي هي مواسم الخير والطاعات ولا يغفل عنها ثم بعد ذلك ينظر الى ماله ان وجبت عليه زكاة أخرجها لمستحقها والا فليتصدق ثم بعد ذلك ينظر في تقصير عمره فيتداركه قبل أن يذهب وهو لا يشعر ثم بعد ذلك يتفكر في صفات الباطن فيترك الخصال المذمومة كالكبر والعجب والبخل والحسد ويفعل الخصال المحمودة مثل الصدق والاخلاص والصبر والخوف ويتفكر في زوال الدنيا وفنائها فيتركها لاهلها وفي بقاء الآخرة ودوامها فيطلبها ويعمرها كما قال بعض العارفين لاخوانه زوروا الآخرة بقلوبكم كل يوم وشاهدوا المواقف باذهانكم وتوسدوا القبور بافكاركم واعلموا أن ذلك كائن لا محالة وقد قيل

الا أيها الناسي ليوم رحيله * أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوي بالظاعنين الى البلى * وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا الا بقطن وخرقة * وما عمروا من منزل ظل خاليا

الواردة

الواردة في الطرق الصحيحة ولم يذكر شورى في رواية من الروايات مع اشتمالها على ما في هود اى وهو قوله تعالى فادع واستقم كما أمرت وليس للقائل بهذا القول حجة يستند اليها اه وقد يقال ان شورى متأخرة في النزول عن هذا الاخبار فلا يرد ما ذكر قال أبو على الدقاق الاستقامة لها ثلاثة مدارج أولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة فالتقويم يكون من حيث تأدب النفوس لانه عبارة عن اصلاح الجوارح وتعديلها بميزان الخوف والرجاء السالم من النهايات وتستقيم على فعل الطاعات والاقامة تكون من حيث تهذيب القلوب أى تطهيرها من الآفات الذميمة والاستقامة من حيث تقريب الاسرار من القلوب بان تكون أفعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا اقامة فالمعنى الاول تمحيص والثانى تحقيق والثالث توفيق قال بعضهم وعلامة المستقيم ان يكون مثل الجبل لان للجبل أربعة أوصاف الاول لا يذيبه الحر الثانى لا يضره البرد الثالث لا يحركه الريح الرابع لا يذهب به السيل فكذلك المستقيم اذا أحسن اليه انسان لا يحمله الاحسان ان يميل اليه بغير الحق والثانى اذا أساء اليه شخص لا ينشوش منه بل يتجاوز عنه ويعد ذلك كالعدم والثالث هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله والرابع ان متاع الدنيا لا يشغله عن طاعة الله تعالى وقال القشيرى الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جده وقال بعضهم انه لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله على حقيقة الصدق ولعزتها أخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لم يطيقوها فقد أخرج أحمد استقيموا ولن تحصوا أى ان تطيقوا الاستقامة ولن تبلغوا كنهها (رواه مسلم) وهو من بدائع جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التى اختص بها فانه صلى الله عليه وسلم جمع للسائل فى هاتين الكلمتين جميع معانى الاسلام لانه توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع أنواعها فى ضمن الجملة الثانية اذ الاستقامة امتثال كل مأمور واجتناب كل منهى واعظم ما يراعى استقامته بعد القلب اللسان لانه ترجمان القلب المعبر عنه ولذا زاد الترمذى فى حديث قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على أمتك فاخذ بلسان نفسه وقال هذا وفى مسند أحمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وعن أبى سعيد الخدرى مرفوعا اذا أصبح ابن آدم قالت الاعضاء للسان اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا

(الحديث الثانى والعشرون)

(عن أبى عبد الله) وقيل كنيته أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن (جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام بمهملتين مفتوحتين ابن عمرو بن سواد بتخفيف الواو ابن مسيلمة بكسر اللام ويقال ابن حرام بن ثعلبة ابن جابر بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بالمثناة فوق ابن جشم بن الخزرج (الانصارى) السلمى بفتح السين واللام وأمه أنيسة بنت عقبة بن عدى بن سنان أسلمت وبايعت (رضى الله عنهما) فابوه صحابى شهد العقبة مع السبعين وهو أحد النقباء الاثنى عشر

وهم فى بطون الارض صرعى جفاهم * صديق وخل كان قبل موافيا وأنت غدا أو بعده فى جوارهم * وحيدا فريدا فى المقابر ثاويا جفاك الذى قد كنت ترجو وداده * ولم تر انسانا للعهد وافيا وكن مستعدا للحمام فانه * قريب ودع عنك المنى والامانيا وأما التفكر فى المعبود فقد منع الشرع منه كما قدمناه (حكاية) اضطجع كسرى ليلة على فراشه فنظر الى الفلك فتفكر فى هيئته واستدارته فقال أيها الفلك ان بناء أنت سقفه لعظيم وان بيتا أنت غطاؤه لنظيم وان شيأ أنت نظلها لكبير وان فيك لعجبا للمتعجبين فليت شعرى أعلى عمد من تحتك تمسك أو بمعاليق من فوقك تتعلق ولعمرى ان ملكا أمسكت قدرته الك قدير وانه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير وان جهل من غفل عن التفكر فى هذه العظمة لغير صغير وليت شعرى كم فنت هذه النجوم من القرون وكم سجعت قبلنا أمما فى سالف العصور وليت شعرى بم طلوعك حين تطلعين وبم مسيرك حين تسيرين وأفولك حين تأفلين وهلام سقوطك حين تغيبين ليت شعرى أساكنة أنت أم تتحركين أم كيف صفتك التى بها تتصفين ولونك الذى به تتوسمين ومن سماك باسمائك التى بها تعرفين فسبحان من لامره تنقادين وبمشيئته تجرين وبصنعه استقامتك حين تستقيمين ورجوعك حين ترجعين واستتارك حين تستترين وبروزك حتى تبرزين فيا اخوانى ارجعوا بنا الى مولانا فانه يعلم سرنا ونجوانا وقولوا يا الله يا الله اغفر لنا ولاهل مجلسنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين *(المجلس الحادى والثلاثون فى الحديث الحادى والثلاثين)* الحمد لله الذى أنعم على أوليائه بالمحبة وزهدهم فى الدنيا فلم يرغبوا فى مثقال حبة واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف ربه واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من نصح الخلق ونبه صلى الله عليه وعلى آله ومن

أخذهم بالصحبة * (عن العباس أبي سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك
الناس حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد جيدة حسنة) * اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث
أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الاسلام (قوله ازهد) الزهد لغة الاعراض عن الشيء احتقارا له
وشرعا أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل فهو أخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وهذا هو زهد العارفين وهو المراد هنا وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول الى الله تعالى والقرب منه ويجب الزهد في الحرام ويندب في المشتبه (قوله في الدنيا) أي باستصغار جملتها واحتقار جميع شأنها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره إياها وتحذيره من غرورها وقد فسر العلماء الدنيا بأنها ما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الارض واختلفوا في الزهد فيه منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن والأظهر انه كل لذة وشهوة ملائمة للنفس حتى الكلام بين مستمعين
له ما لم يقصد به وجه الله تعالى وكان أبو سليمان يقول لا تشهد لأحد بالزهد لأنه في القلب
* وقال الفضيل أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل ومن كلام علي رضي الله عنه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقيل الزهد في
الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة وقيل لبعض السلف من معه مال هل هو زاهد قال نعم ان لم يفرح بزيادته ولم يحزن بنقصه
* وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا الامل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء ومن دعائه اللهم زهدنا في الدنيا

وبدرا وأحدا وقتل يومئذ ولما بلغ ابنه موته أقبل فاذا هو بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مسجى قال
جابر فتناولت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني كراهية أن أرى ما به من
المثلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فلما رفع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زالت
الملائكة حافة بأجنحتها حتى رفع ثم لقيني بعد أيام فقال لي أي بني ألا أبشرك ان الله عز وجل أحيا أباك
فقال تمن فقال أتمنى يا رب ان تعيد روحي وتردني الى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى قال اني قضيت أنهم اليها
لا يرجعون ولما قتل أي أبوه كان عليه دين وترك حائطا فبذل جابر لغرماء أبيه أصل ماله وهو الحائط فلم
يقبلوه ولا رضوا بالامهال ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره
بجذها وجعل كل صنف على حدة ثم طاف صلى الله عليه وسلم بها وأمر أن يكيل من كل واحدة منها فوفى
الدين وفضل بعده آصع كثيرة وفي رواية وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وشهد جابر العقبة الثانية مع السبعين قيل وكان أصغرهم
واستغفر له المصطفى صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة سبعا وعشرين مرة وروي أنه قال أقبلت عير يوم
الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفتل الناس فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
اثنا عشر رجلا أنا فيهم فأنزل الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وأراد شهود
بدر فخلفه أبوه على اخواته وكن تسعا وخلفه أيضا يوم أحد ثم شهد ما بعد ذلك لكن في البخاري انه كان
ينقل الماء يوم بدر ومات بالمدينة بعد أن ذهب بصره سنة ثلاث أو ثمان وسبعين عن أربع وتسعين
سنة وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وهو يومئذ أميرها يقال انه آخر من مات من الصحابة بها روي
له ألف وخمسمائة حديث وأربعون حديثا اتفقا منها على ثمانية وخمسين وانفرد البخاري بستة
وعشرين ومسلم بمائة وستة وعشرين (أن رجلا) هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو
ساكنة وآخره لام الخزاعي شهد النعمان بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وهو القائل يوم أحد أقسمت
عليك رب العزة لا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتي هذه خضراء الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان النعمان ظن بالله عز وجل خيرا فوجده عند ظنه لقد رأيته يطأ في خضرائها ما به عرج (سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت) بهمزة الاستفهام الداخلة على رأيت وهي بمعنى ترى أي
تفتي بأني (اذا صليت المكتوبات) الصلوات الخمس من كتب بمعنى فرض واتفق أن الشبلي جاءه رجل
وقال يا سيدي أنا محب مهجور فقال له الشبلي الزم باب الحبيب فمضى الرجل ولزم المسجد فكان يصلي
الليل كله فاذا صلى الفجر عفر وجهه بالتراب وقال الهي المحروم يطلب الوصال قال فما كان بعد أيام حتى
سمع من جانب المسجد يا هذا قد غفرنا لك وأوصلناك (وصمت) شهر (رمضان) وهو على أربعة
أقسام صوم عوام العوام وهو الكف عن المفطرات سواء حصل الكف عن المحرمات أم لا وصوم العوام
وهو الكف عن المفطرات والمحرمات وصوم الخواص وهو الكف عن المفطرات والمحرمات والشبهات
واللذات وصوم خواص الخواص وهو الكف عما سوى الله وأنشد بعضهم

صمت

صمت عن غيره فلما تجلى * كان لى شاغلا عن الافطار

وتشوقت مرة ثم لما * زارنى جل عن مدا الانظار

(وأحللت الحلال) أى اعتقدت حله وفعلت واجبه بقرينة السياق (وحرمت الحرام) أى اجتنبته والظاهر كما قال ابن الصلاح أنه قصد به اعتقاد حرمته وأن لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفى فيه مجرد اعتقاد كونه حلالا وان لم يفعله اه ويوجه بانا لسنا مكلفين بفعل الحلال من حيث ذاته بل لمصالح تترتب على فعله فلم يكن فعله شرطا فى دخول الجنة بخلاف الحرام فانا مكلفون باجتنابه وباعتقاد حرمته لذاته (ولم أزد على ذلك شيأ) من الطاعات المندوبة ولم يذكر الزكاة والحج اما العدم فرضهما حينئذ واما لكونه لم يخاطب بهما لفقد النصاب والاستطاعة واما لان قوله وحرمت الحرام يتناوله لان ترك الفريضة من جملة المحرمات (أدخل الجنة) همزة الاستفهام فيه مقدرة والمراد من غير عقاب كما هو ظاهر السياق لان مطلق دخولها انما يتوقف على التوحيد قال المؤلف مذهب أهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال كيفما كان فان كان سالما من المعاصى كطفل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة صحيحة وموفق ما ألم بمعصية قط فانهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها على الخلاف فى الورود والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم وأما من عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو فى المشيئة ان شاء جعله كالقسم الاول وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة ولا يخلد فى النار أحد مات موحدا ولو عمل جميع المعاصى كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات كافرا ولو عمل من أعمال البر ما عمل هذا مذهب أهل الحق الذى تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به عليه (قال نعم) تدخلها كذلك وظاهر الحديث يقتضى أن الاعمال الصالحة أسباب لدخول الجنة لان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية وقد ثبت فى الصحيح انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لن ينجى أحدا منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته فالجواب أن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى ليس الا وأما اختلاف مراتبها فبحسب العمل لكن لا بد للعبد أن يستند لفضله وهذا الحديث يدل على جواز ترك التطوعات فى الجملة لكن من تركها ولم يعمل شيأ منها فقد فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن داوم على ترك شئ من السنن كان ذلك نقصا فى دينه وان قصد بتركها الاستخفاف بها او الرغبة عنها كفر وانما ترك النبى صلى الله عليه وسلم تنبيهه عليها تيسيرا او تسهيلا عليه وتألفا له لقرب عهده بالاسلام وخشية من نفرته لو أكثر عليه مع العلم بانه اذا تمكن الاسلام من قلبه شرح الله صدره ورغب فيما رغبت فيه بقية الصحابة من محافظتهم على التطوعات كمحافظتهم على الفرائض اعتناما لما جاء من تعظيم ثوابها (رواه مسلم) فى كتاب الايمان (ومعنى) قوله (حرمت الحرام اجتنبته) اى تركته (ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقدا حله) فيه نظر يعلم من كلام ابن الصلاح المتقدم ولو قال اعتقدت حله لكان أولى لان كل حلال لا يلزم فعله وأوله المؤلف لامتناع ابقائه على ظاهره لان النعمان ليس له تحليل ولا تحريم وانما

أو وسع عليه منها ولا اثر وهما عنا فرغبنا فيما رغبا قال أحمد رحمه الله هو قصر الامل والاياس مما فى أيدى الناس وفى حديث مرسل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى وقد قسم كثير من السلف الزهد الى ثلاثة أقسام زهد فرض وهو اتقاء الشرك الاكبر ثم الاصغر وهو أن يراد بشئ من العمل قولا أو فعلا غير الله تعالى ثم اتقاء جميع المعاصى وهذا هو الزهد فى الحرام فقط قيل ويسمى هذا زهدا وعليه الزهرى وابن عيينة وغيرهما وقيل لا يسماه الا ان انضم الى ذلك الزهد بنوعيه الآخرين وهما ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحض وقد جمع أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنواع الزهد كلها فى كلمة فقال هو ترك ما يشغلك عن الله عز وجل واعلموا اخوانى ان الذم الوارد فى الدنيا فى الكتاب والسنة ليس راجعا لزمانها وهو الليل والنهار فان الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ولا لمكانها وهو الارض لان الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا الى ما أودعه الله تعالى فيها من الجمادات والحيوانات لان ذلك من نعمه على عباده وقال تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وانما هو للاشتغال بما فيها عما خلقنا لاجله من عبادته تعالى قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم من بنى آدم من أنكر المعاد وهؤلاء هم أهل التمتع بالدنيا على ان منهم من كان يأمر بالزهد فيها أو يرى ان كثرتها توجب الهم والغم ولذا قال اصحابنا لا يكفى فى الخطيب من الوصية بالتقوى ذم الدنيا لان ذمها معلوم لكل أحد حتى لمنكرى المعاد وبقيتهم يقرون بالمعاد ولكنهم منقسمون الى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالاول وهم الاكثرون هم الذين وقفوا مع زهرة الدنيا باخذها من غير وجهها واستعمالها فى غير وجهها فصارت

أ كبرهم وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر وكل هؤلاء لا يعرفون المقصد منها ولا أنها منزل سفر يتزودون
منها الى دار الاقامة وان آمن به مجملا والثاني أخذها من وجهها لكنه توسع في مباحاتها وتلذذ بها واتى المباحة وهو وان لم يعاقب
عليه لكنه ينقص من درجاته بقدر توسعه في الدنيا وصح عن ابن عمر لا يصيب أحد من الدنيا شيئا الا انتقص من درجاته في الآخرة وان
كان عليه كريما وقد روى الترمذي ان الله اذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء وروى الحاكم

ذلك الشارع فهو مجاز من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم (والله أعلم) بالصواب

(الحديث الثالث والعشرون)

(عن أبي مالك) وقيل اسمه عبيد والمشهور ان اسمه كعب (ابن عاصم) وقيل عامر وقيل عمرو (رضي الله عنه) مات في طاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب وطعن هو ومعاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن عتبة في يوم واحد (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور) بالفتح اسم للماء الذي يتطهر به كسحور وفطور ووقود لما يتسحر أو يفطر أو يوقد به وبالضم للفعل وهو المراد هنا اذ لا دخل لغيره في الشطرية الآتية الا بتكلف بان يقال استعمل الطهور الخ وزعم أن الرواية بالفتح لا الضم مردود لان الضم هو المختار وقول الاكثرين اذ المراد الفعل كما قال المؤلف وغاية ما فيه انه سمع جوز واالفتح ثم ان الطهور عند مالك ما يتكرر منه الطهارة كالصبور فيجوز الطهارة بالماء المستعمل وعند الشافعي هو الماء الطاهر في نفسه المطهر لغيره ماء كان أو ترابا وقال أبو حنيفة انه الطاهر في ازالة النجاسات بالمائعات (شطر) بتقديم الشين المعجمة على الطاء أي نصف (الايمان) الكامل بالمعنى الاعم المركب من التصديق والاقرار والعمل وان كان ذا خصال كثيرة وأحكام متعددة لانها منحصرة فيما يطلب التنزه عنه وهو كل منهي عنه وما يطلب التلبس به وهو كل مأمور به وقيل المراد بالايمان الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم الى بيت المقدس وأطلق الايمان عليها لانها أعظم آثاره وأشرف نتائجه وانما جعل الطهور شطرها لان صحتها باجتماع أمرين الاركان والشروط وأظهر الشروط وأقواها الطهارة فجعلت كانها الشروط كلها ونوزع بان فيه تجوزا في قصر الايمان على الصلاة واخراج الشطر عن حقيقته المماثل له وهو الشرط والمجاز لابد له من قرينة وأما حمل المصنف الطهور على معناه الشرعي وهو الوضوء فنظر فيه من وجهين أحدهما أنه لا يتضح حينئذ معنى الشطرية الا بادعاء أنه ينتهي تضعيف الاجر فيه الى نصف الايمان وهذا وان قيل به الا أنه يحتاج الى دليل ثانيهما ان الطهور لا ينحصر في الوضوء بل يعم الغسل والتيمم والطهارة من الخبث وليس واحد من هذين النظرين في محله كيف ورواية ابن ماجه وابن حبان في صحيحه اسباغ الوضوء شطر الايمان والمراد بها هو رواية الترمذي والوضوء شطر الايمان وحينئذ فيقال يحتمل أن معناه انه تمام الشطر لانه كل الشطر والمراد بالوضوء فيه معناه اللغوي وهو يرجع لمعنى الطهارة الذي قررناه أولا لكن يعكر عليه رواية اسباغ الوضوء فانها نص في أن المراد الوضوء الشرعي فيحمل الطهور على الوضوء والوضوء على معناه الشرعي والشطر على مطلق الجزء اتضح هذا المقام وزال الاشكال وأما قول من قال أن الايمان يطهر نجاسة الباطن والوضوء يطهر نجاسة الظاهر منه ففيه بحث لانه حينئذ ليس شطر الايمان بل هو مماثل له في التطهير *(تنبيه)* خص الله الاعضاء بالوضوء وقيل لان آدم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم توجه الى الشجرة بالوجه ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه فامره الله بغسلها تكفيرا لخطاياه ثم ان الطهور ورد في القرآن لمعان الاول الطهور من الشرك كقوله تعالى في البقرة و

ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وروى مسلم الدنيا سجن المؤمن أي بالنسبة لما أمامه من النعيم الاخروي وجنة الكافر أي بالنسبة لما أمامه من العذاب الدائم الاليم المقيم والثالث هم الذين فهموا المراد من الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى انما أسكن عباده فيها وأظهر لهم لذاتها وخضراتها ليبلوهم أيهم أحسن عملا كما نص على ذلك في غير آية قال بعض السلف من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة ولما بين الله تعالى أنه جعل ما على الارض زينة لها ليبلوهم أيهم أحسن عملا بين انقطاع ذلك ونفاده بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فمن فهم أن هذا هو ما آل اليه جعل همه التزود منها لدار القرار واكتفى من الدنيا بما يكتفي به المسافر في سفره وكان صلى الله عليه وسلم يقول مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها ثم من أهل هذا القسم من اقتصر من الدنيا على سد رمقه فقط وهو حال كثير من الزهاد ومنهم من فسح لنفسه أحيانا في تناول بعض مباحاتها لتقوى النفس به وتنشط للعمل ومنه خبر أحمد والنسائي حبب الي من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة وخبر أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب من الدنيا النساء والطيب و

فاصاب من النساء والطيب ولم يصب من الطعام وتناول الشهوات المباحة بقصد التقوى على الطاعة يصيرها طاعات فلا يكون من
الدنيا ولدا صح على ماقاله الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال نعمت الدار لمن تزود منها لآخرته حتى يرضى ربه وبئست الدار لمن
صدت بها عن آخرته وقصرت به من رضا ربه واذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصانا لربه وليعلم ان الحامل على الزهد
أشياء منها استحضاره الآخرة ووقوفه بين يدى مولاه فحينئذ يغلب شيطانه وهواه ١٩٥ وتعزب نفسه عن لذات الدنيا ونعيمها

وشاهده ان حارثة رضى
الله عنه قال للنبي صلى الله
عليه وسلم أصبحت مؤمنا
حقا قال له ان لكل حق
حقيقة فما حقيقة ايمانك
قال صرفت نفسى عن
الدنيا فاستوى عندى
حجرها ومدرها وكأنى
أنظر الى عرش ربي بارزا
وكانى أنظر الى أهل
الجنة فى الجنة ينعمون
والى أهل النار فى النار
يعذبون قال ياحارثة
عرفت فالزم ومثل هذا
هو الذى تكون الدنيا
سجنه ولذا قال أئمتنا لو
أوصى لاعقل الناس
صرف للزهاد أى لانه
لا أعقل منهم حيث
آثروا الباقى على الفانى
ومنها استحضار ان لذاتها
شاغلة للقلوب عن الله
ومنقصة للدرجات عنده
وموجبة لطول الحبس
والوقوف فى ذلك الموقف
العظيم للحساب والسؤال
عن شكر نعيمها ومنها
كثرة التعب والذل فى
تحصيلها وكثرة عيوبها
وسرعة تقلبها وفنائها

ومزاحمة الاراذل فى طلبها وحقارتها عند الله ولذا قال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها لتقذرتها
كما أتقذر الجيفة ومنها استحضار أنها وما فيها ملعونة الا ما استثنى فى قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله
وما والاه وعالما ومتعلما ومنها استحضار أن تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى فى دار الكرامات ولذا
قال صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله لان الله تعالى يحب من أطاعه ومحبته مع محبة الدنيا لا تجتمع كما دلت عليه

يعنى الطاغين أى من الاوثان فلا تدع حوله وثنا يعبد من دون الله وقال تعالى فى المفصل فى صحف
مكرمة مرفوعة مطهرة يعنى من الشرك والكفر والثانى طهور القلب من الريبة كقوله تعالى ذلكم ازكى
لكم واطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقال فى الاحزاب واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب
ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أى من الريبة الثالث الطهور بمعنى الحل كقوله تعالى فى هود هؤلاء بناتى
هن أطهر لكم يعنى أحل لكم والرابع الطهور من الذنب كقوله تعالى فى براءة خذ من أموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها أى من الذنوب الخامس الطهور من الحيض كقوله تعالى فى البقرة لهم فيها أزواج
مطهرة أى من الحيض السادس التنزه عن اتيان الرجال فى الادبار كقوله تعالى فى الاعراف أخرجوا
آل لوط من قريتكم أنهم اناس يتطهرون أى يتناهون عن اتيان الرجال فى أدبارهم السابع الطهور
من جميع الاحداث كقوله تعالى فى الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعنى من الاحداث
والجنابة الثامن الاغتسال كقوله تعالى فى البقرة ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن أى اغتسلن
التاسع بمعنى الاستنجاء كقوله تعالى فى براءة فيه رجال يحبون أن يتطهروا يعنى يغسلوا أثر البول
والغائط (والحمد لله) يحتمل هذا اللفظ وحده لانه أفضل صيغ الحمد كما دل عليه الكتاب والسنة ويحتمل
هذا اللفظ وكل ما اشتق منه كحمدت الله وليس المراد به الفاتحة بكمالها خلافا لمن زعمه (تملأ) بمثناة فوقية
أو تحتية والاول أرجح ولفظ ابن ماجه تملأ (الميزان) أى ثواب التلفظ بها مع استحضار معناها
والاذعان له يملأ كفة الميزان التى هى مثل طباق السموات والارض وفيه كالآيات والاحاديث
الشهيرة اثبات الميزان ذى الكفتين واللسان ووزن الاعمال بها بعد أن تجسم وتكون الحسنات جواهر
بيضاء مشرقة والسيئات جواهر سوداء مظلمة أو توزن صحائفها المشتملة عليها وميزان مفعال من الوزن
واصله موزان قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كميقات وميعاد لانهما من الوقت والوعد قيل ولكل انسان
ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين والاصح أنه ليس الا ميزان واحد خلافا لمن قال لكل أمة ميزان
ولكل انسان ميزان والجمع اما باعتبار الموزونات أو لكونه ذا أجزاء على حد قوله شابت مفارقه مع انه
ليس للانسان الا مفرق واحد وجمل ذو عثانين مع انه ليس له الا عثنون واحد وهو شعيرات طوال
تحت حنكه لكنهم سموا كل محل من المفرق مفرقا وكل محل من العثنون عثنونا أو لتعظيم شانه
وتفخيمه أو لان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه فى دار الدنيا والكافر كالمؤمن فى
وزن الاعمال لكن يؤتى باعماله فى أقبح صورة وقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى نافعا أو قدرا
فان قيل اذا وزنت الاعمال ورجحت أو خفت ماذا يفعل بها بعد ذلك فالجواب أن من سعد وضعت
أعماله الصالحة على باب داره فى الجنة فيكون ذلك زيادة فى نعيمه وان كان خاسرا وضعت على باب داره
فى النار ليكون ذلك زيادة فى عذابه * (تنبيه) * قال بعض الشافعية أفضل المحامد أن يقال الحمد لله حمدا
يوافى نعمه ويكافئ مزيده واحتج على ذلك بما فى بعض الاخبار ان الله تعالى لما أهبط آدم عليه الصلاة
والسلام الى الارض قال يارب علمنى المكاسب وعلمنى كلمة تجمع لى فيها المحامد فأوحى الله تعالى اليه أن

النصوص والتجربة والتواتر ولذا قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وانه لايحب الخطايا ولا أهلها ولانها لهو ولعب وأن الله تعالى لايحبهما ولان القلب بيت الرب لاشريك له فلا يحب أن يشركه في بيته حب دنيا ولا غيرها قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود اني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري ياداود ان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لايجتمعان في قلب واحذر ياداود من أحبني يتهجد بين يدي اذا نام البطالون ويذكرني في خلواته اذا لهي عن ذكري الغافلون وحاصل ما ذكرناه انا نقطع بان حب الدنيا مبغض عند الله تعالى والزاهد فيها محبوب له تعالى ومحبتها المذمومة هي ايثارها لنيل الشهوات واللذات لان ذلك يشغل عن الله تعالى أما محبتها لفعل الخير والتقرب الى الله تعالى فهو محمودة لخبر نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحمه ويصنع به معروفا وفي أثر اذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا مالنا عاد الينا سعد به قوم وشقي به آخرون (قوله صلى الله عليه وسلم وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) أي لان قلوب غالبهم مجبولة على حب الدنيا ومن نازع انسانا في محبوبه كرهه ومن لم يعارضه فيه أحبه ولذا قال الشافعي رضي الله عنه

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غرورا وباطلا * كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فانها * حرام على نفس التقي ارتكابها

قال بعضهم ولا يبعد عندي ان الزاهد في الدنيا يحبه الانس والجن أخذا بعموم لفظ الناس اذ يطلق لغة على الانس والجن وأخرج الطبراني خبر ازهد فيما في أيدي الناس تكن غنيا وقال الحسن لايزال الرجل على الناس كريما

وفي

قل ثلاث مرات عند كل صباح ومساء الحمد لله حمدا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك فقد جمعت فيها جميع المحامد وقيل أفضل المحامد أن يقال الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم واحتج له بما روي ان رجلا قال هذه الكلمات بعرفات فلما كان من العام المقبل حج وأراد أن يقولها فسمع قائلا يقول ياعبد الله أتعبت الحفظة فانهم يكتبون ثواب هذه الكلمة من العام الماضي الى الآن ويبنى على ذلك مسئلة فقهية وهي من حلف بالطلاق ليحمدن الله بافضل المحامد فقال كل فريق لايبر الا بما قاله من تلك المحامد وقيل لايبر حتى يقول اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل لايبر حتى يقول ليس كمثله شيء (وسبحان الله والحمد لله تملآن) بالفوقية باعتبار انهما جملتان أو بالتحتية باعتبار انهما لفظان أو ذكران أو نوعان (أو) شك من الراوي (تملأ) بالفوقية أي هذه الكلمة لانه ما يطلق عليهما كلمة لغة كما يقال في الخطبة والرسالة والقصيدة كلمة أو بالتحتية أي هذا اللفظ أو هذا الذكر (ما بين السموات والارض) وذلك لان الحمد وحده يملأ الميزان فاذا أضاف اليه سبحان الله ملأ زيادة على ذلك ما بين السماء والارض اذ الميزان مملوء بثواب التحميد وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة وانما كان كذلك لان الحمد في ضمنه التوحيد الذي هو لا اله الا الله ففي قوله الحمد لله توحيد وحمد وقوله لا اله الا الله توحيد فقط وأورد على هذا قوله عليه الصلاة والسلام أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وأجيب بانه محمول على من أراد الخروج من الكفر الى الاسلام بكلمة التوحيد والاول لمن استقر الايمان في قلبه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية بنت الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية وكره أن يقال خرج من عند برة فخرج وهي في المسجد ورجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قال الامام فخر الدين الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق ثمانية أبواب الجنة وقال بعضهم أول كلمة ذكرها أبونا آدم الحمد لله رب العالمين وآخر كلمة ذكرها أهل الجنة الحمد لله رب العالمين أما الاولى فلان آدم لما بلغ الروح الى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين فاجابه الله تعالى يرحمك الله وأما الثاني فلقوله تعالى في حق أهل الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (والصلاة) الجامعة لشرائطها المصححة والمكملة (نور) من باب قولهم زيد عدل

وفى ذلك ثلاثة أوجه اما أن يكون جعله نفس العدل مبالغة فى التشبيه واما أن يكون معناه ذو عدل على حذف المضاف واما أن يكون بمعنى عادل وعلى الاول جعل الصلاة نفس النور مبالغة فى التشبيه من حيث انها تمنع عن المعاصى وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدى الى الصواب كما أن النور يستضاء به أو لانها سبب فى استنارة القلب واشراقه بانوار المعارف ومكاشفات الحقائق أو لانها تكون نورا لصاحبها بالبهاء فى الدنيا وبالانس فى القبر اقول أبى ذر صلوا ركعتين فى ظلم الليل لظلمة القبر وفى عرصات القيامة لخبر بشر المشائين فى ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وفى صحيح ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة وقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة وفى الحديث ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء والغرة نور يخلقه الله فى جباه المؤمنين والتحجيل نور يخلقه الله فى أقدامهم وعلى الثانى يكون المعنى الصلاة ذات نور ويؤيده ما رواه الطبرانى عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا حافظ العبد على صلاته فاتم وضوأها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتنى وصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى الله تعالى فتشفع لصاحبها وعلى الثالث منورة لوجه صاحبها لما جاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وان لم يثبت حديثا فهو أثر عن شريك قاله الثابت لما دخل عليه وفى روض الرياحين لليافعى عن شقيق البلخى قال طلبنا ضياء القبور فوجدناه فى صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن وطلبنا عبور الصراط فوجدناه فى الصوم وطلبنا ظل العرش فوجدناه فى الخلوة (والصدقة) أى الزكاة كما فى رواية ابن حبان ويصح حملها على المعنى الاعم الشامل للواجبة والمندوبة وهو تم (برهان) هو لغة الشعاع الذى يلى وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن تخرج من جسده ولها برهان كبرهان الشمس ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح دلالتها واصطلاحا الدليل والمرشد فهى مفزع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين على صدق جوابه ويجوز ان يوسم المتصدق بسيما يعرف بها فيكون برهانا له على حاله ولا يسئل عن مصرف ماله أو هى حجة ودليل على ايمان المتصدق فمن تصدق استدل بصدقته على صدق ايمانه وعلى صحة محبته لمولاه ولما لديه من الثواب لبذله محبوبه بالجبلة والطبع رجاء ثوابه فلولا صحة ايمانه لما بذل عاجلا لآجل واما المنافق فيمتنع منها لكونه لم يعتقدها كقضية ثعلبة الانصارى فانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقنى مالا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويلك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاد ثانيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تكون مثل نبى الله لو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا سارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة وترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو حتى ترك الجمعة أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة

ما لم يطمع فيما فى أيديهم فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه وقال أيوب السختيانى لا ينبل الرجل حتى يعف عما فى أيدى الناس ويتجاوز عما يكون منهم وكان ابن عمر يقول فى خطبته ان الطمع فقر وان اليأس غنى وسأل ابن سلام كعبا بحضرة عمر رضى الله عنهم ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد ان حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات الى الناس وقال اعرابى لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال لم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما احسن هذا (خاتمة المجالس) قد تضمن هذا الحديث الحث على التقليل من الدنيا ولذا قال صلى الله عليه وسلم كن فى الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل وقال حب الدنيا رأس كل خطيئة كما مر وقال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه اضر بآخرته ومن أحب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ونقل عن الاربعين الودعانية خبر ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس ان الزاهد فى الدنيا يريح قلبه وبدنه فى الدنيا والآخرة وان الراغب فى الدنيا يتعب قلبه وبدنه فى الدنيا والآخرة ليجيء أقوام يوم القيامة لهم حسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبى الله أو يصلون قال كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم كانوا اذا لاح لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه ونقل بعضهم خبر أيها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا فى مرضاته وأيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكانكم بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل ان كل من فى الدنيا ضيف وما فيها عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة والدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والدنيا مبغضة لاولياء الله محببة لاهلها فمن شاركهم فى محبوبهم أبغضوه وفى خبر أحمد والترمذى وابن ماجه من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه فى

قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له * وروى الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء واذا علم ذلك فمن محاسن العاقل ان لا يغتر بمحاسن الدنيا فانها ساحرة تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي قبائحها ومساويها في باطنها فيغتر الجاهل بما يرى من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس

أحسن الثياب وتتزين وتتجمل ليفتتن الخلق من بعد فاذا كشفوا عنها غطاءها

ثلاثا ثم نزل خذ من أموالهم صدقة الآية فبعث عليه الصلاة والسلام رجلين على الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فأتيا ثعلبة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا فعادا عليه فامتنع فنزل قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية فكان شخص من أقاربه حاضرا فذهب اليه وأخبره فجمع زكاة ماله وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها ثم أتى بها لابي بكر في خلافته فلم يقبلها ثم لعمر ثم لعثمان وهلك في خلافة عثمان وتقدم ما فيه من رده والذي عليه المفسرون انه من المنافقين وحكي عن بعض المذكرين انه قال في مجلسه ان الرجل اذا أراد ان يتصدق فانه يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيده ورجليه وقلبه ويمنعونه عن الصدقة فلما سمع بعض القوم ذلك قال اني أقاتل هؤلاء السبعين وخرج من المسجد وأتى المنزل وملأ ذيله من الحنطة وأراد ان يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خرج ذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا الى المسجد فقال له المذكر ماذا عملت فقال صرفت السبعين فجاءت أمهم فهزمتني (والصبر) وهو لغة الحبس ومنه المصبورة التي نهي عنها وهي الدجاجة ونحوها تتخذ غرضا وترمى حتى تقتل وسمي شهر رمضان شهر الصبر لانه شهر تحبس فيه النفس عن شهواتها من المطعم والمشرب والمنكح وسمي الصابر في المصيبة صابرا لانه حبس نفسه عن الجزع وقيل انما سمي الصبر صبرا لان تمرره في القلب وازعاجه للنفس كتمرره في الفم وشرعا الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الله هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقال الاستاذ أبو علي الدقاق هو ان لا ينفر من المقدور واما اظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر وقيل حبس النفس على مراد الله تعالى وقيل حبس النفس بمشاق التكاليف وهو مساو لقول بعضهم هو حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب وحرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وأفضل أنواعه الاخير فالاول لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين قال بعضهم الصبر صبران فاللئام أصبر اجساما والكرام أصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح ان يكون صاحبه قوي الجسد على الدؤوب والكد كما هو من صفات البهائم بل ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا والفرق بين المتصبر والصابر والصبار ان الاول هو الذي يتحمل المشاق وتظهر عليه وانما يتعبه من الا خوف الله والثاني هو من تعود تحمل المشاق فلم تظهر عليه والثالث هو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره بلا كلفة في ذلك دون المرارة *(تنبيهان)* الاول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من

خطيئة

وخمارها وأقواعنها ازارها كرهوا النظر في وجهها وعاينوا قبائحها وندموا على الاغترار بها كما جاء في الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العينين كريهة المنظر قد تعرت عن أنيابها او كشرت عن اسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا الدنيئة التي كنتم عليها تتحاسدون ولاجلها كنتم تتحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول يا ربي أين أحبابي فيؤمر بهم فيلقون معها في نار جهنم وقد قال صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ورأى عيسى صلى الله عليه وسلم الدنيا في بعض مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان

لك من زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال عيسى عليه السلام ماتوا عنك أم طلقوك قالت بل أنا قتلتهم وأفنيتهم فقال يا عجبا لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسابقيهم صنعت وهم فيها يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون ومن أعجب النكت ما حكي عن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه انه وافق مجلسا في الري والري قرية من قرى الاسلام واذا فيه عالم جالس على سرير يتقعر بالخيلاء والتكبر فلما فرغ من وعظه تعوذ ابراهيم وقرأ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق

السرير فقال الفقيه أخطأت يا خراسانى فقرأ الذى خلق الفرش والاجام وكانت دابة الفقيه على باب المسجد فقال أخطأت فقال الذى خلق القمر فقال اخطأت فقال علمنى كيف هو فقال قل الذى خلق الموت والحياة فقال ابراهيم اذا علمت انك خلقت للموت فما هذا الخيلاء والتكبر فقال رميت سهما معترضا ونفذ سهمك فى الغرض فنزل عن السرير وتاب الى الله تعالى وخرج مع ابراهيم سياحا وترك داره وماله لاهله حتى مات رحمة الله تعالى عليهما اللهم وفقنا أجمعين والحمد لله رب العالمين 199 *(المجلس الثانى والثلاثون فى الحديث الثانى والثلاثين)*

الحمد لله الذى من علينا بفضله العميم اذ من علينا بمحمد أفضل الخلق فهدانا الى دين الحق والصراط المستقيم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الكريم الحليم وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذى خص بالخلق العظيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فازوا منه بالحظ الجسيم (عن أبى سعيد سعد بن مالك ابن سنان الخزرجى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما مسندا ورواه مالك فى الموطا عن عمرو ابن يحيى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا فاسقط أبا سعيد وله طرق يقوى بعضها بعضا) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (فقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار) بكسر أوله من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع كذا قاله الجوهرى فالجمع بينهما للتأكيد والمشهور ان بينهما فرقا فقيل الاول الحاق مفسدة بالغير مطلقا والثانى مفسدة بالغير على وجه المقابلة أى كل منهما يقصد ضرر صاحبه من غير جهة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق وقال ابن حبيب الضير عند أهل العربية الاسم والضرار الفعل فمعنى الاول لا تدخل على أخيك ضررا لم يدخله على نفسه ومعنى الثانى لا يضار أحد

خطيئة الثانى عن عكرمة انه قال طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له يا رسول الله أمصيبة هى قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة وقيل فى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو (ضياء) فيه مامر فى نور وأصله ضواء فقلبت الواو ياء كما قلبت فى الصيام والقيام والضياء هو النور الذى فيه حرارة واحتراق كضوء الشمس بخلاف النور فانه محض أشراق قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ونحوه للزمخشرى وانما جعل الصلاة نورا والصبر ضياء لانه أخص منها لاشتماله عليها وعلى غيرها من الطاعات لما مر فكان الضياء الاخص من النور الذى هو كالوصف الزائد عليه أولى به وأورد على هذا قوله تعالى الله نور السموات والارض وأشرقت الارض بنور ربها وأجيب بان معنى قوله تعالى الله نور أى منور فأورد بقاء السؤال ولم يقل مضىء وأجيب بان النور أعم وأشمل لانه يكون ليلا ونهارا والضياء لا يكون الا النهار بالشمس على ان المراد بالنور الهدى أى هادى أهلهما ثم ان جعل الضوء أبلغ من النور أنكره ابن السكيت فى الفلك الدائر وقال ليس له فى اللغة شاهد ولا فى الاستعمال مساعد ولا دليل فى الآية لجواز أن يكون من التدبيج وتجنب التكرير وأجيب بان كلام ابن السكيت بحسب أصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما فى الاساس (تنبيه) ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه الصلاة والسلام على بلائه وأيما امرأة صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وروى ان رجلا جاء الى عمر رضى الله عنه يشكى اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا اذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالى فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو اليك خلق زوجتى واستطالتها فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى فقال له عمر يا أخى انى أحتملها لحقوق لها على انها طباخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى ويسكن قلبى بها عن الحرام فانا أحتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتى قال فاحتملها يا أخى فانها مدة يسيرة وكان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره كل سنة مرة فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من فقال أخو زوجك فى الله تعالى جاء لزيارته فقالت ذهب ليحتطب لا رده الله وبالغت فى شتمه وسبه فبينما هو كذلك واذا بأخيه قد حمل الاسد حزمة حطب وهو مقبل به فلما وصل أخاه سلم عليه ورحب به ثم أنزل الحطب عن ظهر الاسد وقال اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه وهى تسبه فلا يجيبها فاطعمه ثم ودعه فانصرف على غاية من التعجب من صبره ثم جاء فى العام الثانى فدق الباب فقالت امرأته من قال أخو زوجك فى الله جاء يزوره قالت مرحبا وبالغت فى الثناء عليه وأمرته بانتظاره فجاء أخوه والحطب على ظهره فادخله وأطعمه وهى تبالغ فى الثناء فلما أراد مفارقته سأله عما رأى من تلك ومن هذه ومن حمل الاسد حطبه وحمله على ظهره فقال يا أخى توفيت تلك الشريرة

بأحد وقيل الضرر أن يدخل على غيره ضررا بما ينتفع هو به والضرار ان يدخل على غيره ضررا بما لا منفعة له به كمن منع ما لا يضره ويتضرر به الممنوع ورجح هذا ابن عبد البر وابن الصلاح وقيل الاول ما لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة والثاني ما لا منفعة فيه لك وعلى جارك فيه مضرة وقد يجرد نحكم بلا دليل وان قال غير واحد ان هذا وجه حسن المعنى في الحديث وفي رواية ولا اضرار من أضر به اضرارا اذا ألحق به ضررا قال ابن الصلاح هي على ألسنة كثير من الفقهاء والمحدثين ولا صحة

لها واذا أنكرها آخرون وخبر لا محذوف أي في ديننا وفي شرعنا وظاهر الحديث تحريم سائر أنواع الضرر الا بدليل لان النكرة في سياق النفي تعم وفي الحديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقد صح حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا وصح أيضا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم (نكتة) في ذكر ما ورد في شدة عذاب من يؤذي المؤمنين روى مجاهد بسنده قال ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وعقارب كالبغال فاذا استغاث أهل النار قالوا الساحل فاذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم تكشطها كشطا فيقولون النار النار فاذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك احدهم جسده حتى يبدو عظمه وان جلد احدهم لاربعون ذراعا يقال يا فلان هل يجد هذا يؤذيك فيقول وأي أذى أشد من هذا قال يقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين اللهم سلمنا من هذه الاهوال فاياك يا أخي ان تؤذي احدا أو تضره فقد قال النبي المختار لا ضرر ولا ضرار أي في ديننا أو شرعنا كما قدمنا وهاتان الكلمتان تقتضيان رعاية المصالح اثباتا والمفاسد نفيا اذ الضرر هو المفسدة فاذا انتفت لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة فانظر يا أخي وتأمل هذا الحديث الحسن فعن أبي داود أنه قال الفقه يدور على

وكنت صابرا على أذيتها وبقيها فسخر الله الاسد الذي رأيته يحمل الحطب بصبري عليها وصرت الآن أحمل الحطب على ظهري لراحتي مع هذه وذكر بعض المفسرين ان أبا بكر كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ورجل من المنافقين يسبه وأبو بكر لا يجيبه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت يتبسم فاجابه أبو بكر رضي الله عنه فقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب فتبعه أبو بكر فقال يا رسول الله ما دام يسبني كنت ساكتا جالسا فلما أجبته قمت وذهبت فقال ان ملكا كان يجيبه فلما أجبته ذهب الملك وجاء الشيطان وانا لا أكون في مجلس يكون فيه شيطان فنزل قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وعن بشر الحافي رحمه الله قال كان ببغداد رجل قد قطعه البلاء وسألت حدقتاه على وجهه وهو في ذلك الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو مطروح من جنبه فوضعت رأسه على حجري وجعلت اسأل الله تعالى ان يكشف ما به فافاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض علي في نعمتي ونحى رأسه من حجري قال بشر فعقدت مع الله عقدا ان لا اعترض احدا في نعمة أراها عليه (والقرآن) قيل تسميته بذلك توقيفية وقيل لجمعه والقرآن على وزن فعلان بمعنى مفعول لانه جمع الامر والنهي والاستخبار والوعد والوعيد والقصص والمواعظ من قرأ الماء في الحوض اذا جمعه وقرأت الناقة لبنها في الضرع جمعته أي امتثلت أمره واجتنبت نهيه واتعظت بمواعظه وقيل من قرأت الكتاب قراءة وقرآنا اذا تلوته لانه مجموع ومتلو (فائدة) عن عبد الاعلى بن النجم قال بت ليالي أيام ابن حريش وابن خلف الشافعي بمصر وكانت ليلة جمعة وانا اقول في نفسي لا أدري من اتبع هل ابن حريش وأصحابه وهو يقول بخلق القرآن او ابن خلف وأصحابه وهو يقول ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق قال فلما أويت الى فراشي رأيت شخصا جاءني وقال قم فقمت وقال لي قل قلت وما أقول قال قل

سبحان من رفع السما ❊ بلا عماد للنظر فتزينت بالساطعا ❊ ت اللامعات والقمر
ما قال خلق بالقرا ❊ ن من خلقه الا كفر لكن كلام منزل ❊ من عند خالق البشر

وقال اكتبه فمددت يدي فكتبته فيه فلما استيقظت رأيته مكتوبا وقوله في الحديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحيح وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب لما مسته النار قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة (حجة لك) في المواطن التي تسأل فيها كالقبر والميزان والصراط (أو حجة عليك) في تلك المواطن ان أعرضت عنه ولم تعمل به وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمثل القرآن رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيتمثل له خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما زال يقذف عليه بالحجج حتى يقول شأنك به فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على وجهه في النار ويؤتى بالرجل الصالح يوم القيامة قد حمل وحفظ أمره فيتمثل خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فخير حامل حفظ حدودي وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما زال يقذف به الحجج حتى يقال شأنك به فيأخذه بيده فما يزال به حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس

خمسة أحاديث وعد هذا الحديث من الخمسة قال النووى رحمه الله وله طرق يعضد بعضها بعضا وقد ورد فى الكتاب العزيز والحديث الصحيح ما هو بمعناه فاعتضد به كقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما وأصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه وأخذه من غير وجهه ومن أضر بأخيه فقد ظلمه وقوله صلى الله عليه وسلم حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن لا يظن به الا خيرا وقوله ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كما تقدم ولنذكر جملة من أنواع الظلم والضرر ليكون الشخص منها على حذر من ذلك المكس وأكل مال اليتيم والمماطلة بحق عليه مع قدرته على وفائه ومن ذلك أن يظلم المرأة فى نحو صداق أو نفقة أو كسوة وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة فينادى به على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء الله ولا يغفر من حقوق الخلق شيأ فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لاصحاب الحقوق ائتوا الى حقوقكم قال فيقول العبد يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم فيقول الله للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل ذى حق حقه بقدر مظلمته فان كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى حتى يدخله الجنة بها وان كان عبدا شقيا ولم يفضل له شئ فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه فيقول الله تعالى خذوا من سيآتهم فاضيفوا الى سيآته ثم صكوا له صكا الى النار ومن الظلم والضرر أيضا عدم ايفاء الاجير حقه لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته ومنه أن يظلم يهوديا أو نصرانيا بنحو أخذ ماله

الخمر وفى الحديث القرآن شافع مشفع أى لمن عمل به وماحل مصدق أى لمن لم يعمل به من قدمه أمامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفعه فى قفاه الى النار وماحل من المماحلة وهى المكايدة والمكايدة ومنه ماحل اذا تكلف الحيلة واجتهد فيها ومحل بفلان اذا مكر به وكاده وكأن القرآن يكيد من اتخذه وراء ظهره وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يجئ القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائدا لصاحبه الى الجنة أو يشهد عليه فيكون سائقاله الى النار وجاء فى بعض الاحاديث من حفظ القرآن أعطى ثلث النبوة أى أعطى علم ثلث النبوة وقال بعض السلف ما جالس أحد القرآن فقام عنه خاليا بل اما أن يربح واما أن يخسر ثم تلا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقيل لك أو عليك فى المباحث الشرعية والوقائع الحكمية لانه المرجع عند التنازع فتستند به على صحة دعواك أو يستند به خصمك عليك * (فائدة) * كان بعض المتصدرين للقراءة فى الجامع العتيق قد حلف بالطلاق الثلاث انه لا يجيز أحدا يقرأ عليه القرآن فيستحق الاجازة الا بعشرة دنانير فاتفق انه قرأ عليه رجل فقير فلما أكمل سأله الاجازة فأخبره بيمينه فتألم خاطره فأخبر به أصحابه فجمعوا له خمسة دنانير فأتى بها الشيخ فلم يأخذها فخرج من عنده فرأى المحمل يدار به فقال والله لا أنفقت هذه الا فى الحج فاشترى ما يحتاجه وسار حتى وصل الى مكة فلما قضى مناسكه رحل المدينة الشريفة فلما وصل الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلام عليك يا رسول الله ثم قرأ عشرا جمع فيه الائمة السبعة وقال هذه قراءتى على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى وقد سألت شيخى الاجازة فأبى على وقد استعنت بك يا رسول الله فى تحصيلها ثم نام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال سلم على شيخك وقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك أجزنى بلا شئ فان لم يصدقك فقل له بامارة زمرازمر فلما وصل الفقير الى مصر أخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير امارة فلم يصدقه فقال بامارة زمرازمر فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه فلما أفاق سأله أصحابه عن ذلك فقال كنت كثيرا ما أتلو القرآن فمررت يوما على قوله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون فحلفت لا أقرأ القرآن الا متدبرا فهما فاقمت لا أتجاوز من القرآن الا اليسير مدة طويلة حتى نسيته فكفرت عن يمينى وشرعت فى حفظه فحفظته فبينما أنا أتلو ذات يوم فمررت على قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقلت ليت شعرى من أى الاقسام أنا ثم قلت لست من الثانى ولا من الثالث بيقين فيتعين أن أكون من القسم الاول فنمت تلك الليلة حزينا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى بشر قراء القرآن انهم يدخلون الجنة زمرا زمرا ثم أقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه وقال أشهدكم على أنى قد أجزته ليقرأ ويقرئ من شاء وكل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل الناس) أى كل انسان (يغدو) يقال غدا يغدو اذا بكر أى كل انسان يصبح فى أول النهار ساعيا فى تحصيل أغراضه والغدو سير أول النهار ضد الرواح مأخوذ من الغدو بالضم ما بين الفجر وطلوع الشمس (فبائع نفسه) خبر مبتدا محذوف أى فهو بائع نفسه والمبتدا يكثر حذفه بعد فاء الجزاء

تعلقا بالقول صلى الله عليه وسلم من ظلم ذمياً كنت خصمه يوم القيامة ومنه أن يقتطع حق غيره بيمين فاجرة لخبر الصحيحين من اقتطع امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم الله عليه الجنة قيل يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً قال وإن كان قضيباً من أراك فاحذروا يا اخواننا الظلم وأنواع الضرر وكونوا من دعوة المظلوم على حذر كان شريح القاضي يقول سيعلم الظالمون حق من انتقصوا ان الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر الثواب وروى اذا أراد الله بعبد خيراً سلط عليه من ظلمه

فمعتقها) من عذاب النار (أو موبقها) قوله فمعتقها خبر آخر أو بدل من قوله فبائع نفسه وأراد بالبيع المبادلة فان عمل خيراً وجد خيراً فيكون معتقها من النار وان عمل شراً استحق شراً فيكون موبقها أو اراد بالبيع الشراء بقرينة قوله فمعتقها اذ الاعتاق انما يصح من المشتري أي فمن ترك الدنيا وآثر الآخرة اشترى نفسه من ربه بالدنيا فيكون معتقها ومن ترك الآخرة وآثر الدنيا اشترى نفسه بالآخرة فيكون كالمالك بجعل مرور الأزمان وانقضاء الانفاس بمنزلة بذل الثمن بمقابلة ما اختاره من المثمن من خير أو من شر ولبعضهم

نفسي الى ما ضرني داعي ❊ يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتيالي من عدوي اذا ❊ كان عدوي بين أضلاعي

(في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم اني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك مرة أعتق الله ربعه من النار أو مرتين فنصفه أو ثلاثاً فثلاثة أرباعه أو أربعاً كله وكذا أمسى لان بشكر بهذه الكلمات أربع مرات تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفاً وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضواً فأعتق الله بكل حرف عضواً فان قلت من أعتق بعض عبده يكمل عليه فكيف لا يكمل العتق لمن قال ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثاً فالجواب ان التكميل يقع قهراً والله تعالى منزه عن ذلك أولاً ولأن ملك الله لعباده حقيقي وملك العبد لمن في رقه مجازي فيزال بادنى الامور أولأن العتق بالسراية انما يكون في عتق يحصل به الخروج من ملك المالك لا في العتق من النار أولأن العتق بالسراية زيق بالمعتق بالكسر لانه يحصل به عتق جميعه من النار لحديث من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى الفرج بالفرج وهذا لا يأتي مثله في حق الله (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي باللفظ المذكور عن صحابيه المذكور وقال القطان اكتفوا بكونه في مسلم فلم يبحثوا عنه وقد بين الدارقطني وغيره أن فيه انقطاعا

❊(الحديث الرابع والعشرون)

(عن أبي ذر) جندب بن جنادة المتخلي عن الدنيا المشمر للعقبى (الغفاري) بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء المخففة نسبة الى غفار قبيلة من كنانة (رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي) بصيغة المضارع أصله يرويه فحذف عائد الموصول وفي رواية فيما روى (عن ربه عز وجل) فهو من جملة الاحاديث القدسية وكان أبو ادريس راويه عن أبي ذر اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه (أنه قال يا عبادي) جمع عبد وهو لغة الانسان ليتناول الذكر والانثى والحر والعبد لكن المراد هنا بدلالة قوله الآتي انسكم وجنكم جميع الثقلين لتساويهم في التكليف وتعاقب التقوى والعصيان وقال البيضاوي يجوز أن يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الثقلين والملائكة ويكون ذكر الملائكة مطويا مندرجا في قوله وجنكم وتوجيه الخطاب نحوهم لا يتوقف على الفجور منهم ولا على امكانه لانه كلام صادر على سبيل الفرض والتقدير اه وفيه بحث لانه صرح فيما يأتي بالانس والجن دون الملك

❊(خاتمة المجلس)❊ دخل طاوس اليماني على هشام ابن عبد الملك فقال له اتق الله يوم الاذان قال هشام وما يوم الاذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفة فكيف بالمعاينة اللهم سلمنا من شر الاشرار آمين آمين

❊(المجلس الثالث والثلاثون في الحديث الثالث والثلاثين)

الحمد لله الذي خلق الانام وقدر أرزاقهم من فضله وبين الحلال والحرام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المختص بمزيد الاكرام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والانعام ❊(عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين) ❊اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد أحكام الشرع وقيل فيه أنه من فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام اذا علم ذلك فاسكم على بعض ما فيه باختصار تتميما للمجالس فنقول (قوله لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم) أي استباحوها

فدل على ارادتهما دونه خصوصا والملائكة ليسوا من أهل الضلال والطعام وتقدير ذلك فيهم بعيد وياحرف نداء وضع الندا البعيد وقد ينادي به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كيارب يا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد أو لغفلته كما هنا فانهم غافلون عن تلك الامور العظيمة أو للاعتناء بالمدعو اليه وزيادة الحث عليه كما في يا أيها الناس اعبدوا ربكم (انى حرمت) من التحريم وهو لغة المنع فشبه تعالى تنزهه عن الظلم بتحرز المكلف عما نهى عنه شرعا في الامتناع عنه واستعار له التحريم ثم اشتق منه الفعل ويكون استعارة تبعية (الظلم) هو لغة وضع الشئ في غير محله وشرعا التصرف في ملك الغير بغير حق أو مجاوزة الحد وكلاهما محال اذ لا مالك ولا حق لاحد معه بل هو الذى خلق المالكين واملاكهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم وأحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (على نفسى) أى تنزهت وتعاليت عنه لقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ فالظلم مستحيل فى حق الله عز وجل وذهب المعتزلة الى أن الله تعالى قادر على الظلم وهو متصور منه لكن لا يفعله عدلا منه وتنزها واحتجوا بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو تمدح بنفى الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه ولو قال شخص انى منعت نفسى من صعود السماء اسخر منه ورد قولهم بانه لو جاز أن يكون مقدورا له لجاز ان يكون موصوفا به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم ان الحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ممنوع لانه قد يتمدح الانسان بحسن القامة والخلق الحسن الذى هو جبلة فيه وغريزة له فان قيل ظلام من صيغ المبالغة فيوهم أن المنفى المبالغة فى الظلم وكثرته لا هو من أصله فالجواب من عدة أوجه ان هذه الصيغة وهى صيغة فعال قد تاتى للنسبة كتمار فقوله بظلام أى منسوب للظلم وذلك نفى له من أصله وبأنه وان كان للكثرة لكن جئ به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب حيث قابل فى الاول المبالغة بالجمع وفى الثانى صيغة اسم الفاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد وبان صيغة المبالغة وغيرها فى صفاته تعالى سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وقال بعضهم صفات الله تعالى بلغت غاية الكمال فلو اتصف بالظلم كان عظيما بالغا على حد عظمته لو كان ثابتا أو اراد نفى أصل الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمته العامة الذاتية كثير وقضية هذا الحديث جواز اطلاق النفس على الله تعالى على غير وجه المشاكلة وهو الصحيح كما قاله امام الحرمين بدليل كتب ربكم على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف وقول أهل المعانى انها لا تطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك غير صحيح كما قال السبكى وجمع بعض المحققين بين القولين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة وقد قال الزمخشرى فى قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار النهى يتناول الانحطاط فى هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيى بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل الى

(ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر) والمعنى ان جانب المدعى ضعيف لدعواه خلاف الاصل فكلف الحجة القوية وجانب المنكر قوى لموافقته الاصل فاكتفى منه بالحجة الضعيفة والمراد بالمدعى من خالف قوله الظاهر فان امتنع المدعى عليه من اليمين بعد عرضها عليه من القاضى أو بعد قول القاضى له احلف بان يقول لا أحلف ونحوه ردت على المدعى فيحلف ويستحق لتحول الحلف اليه بالنكول ولان نكول الخصم يحتمل أن يكون تورعا عن اليمين الصادقة كما يحتمل أن يكون تحرزا عن اليمين الكاذبة ومن أراد يا اخوانى بسط الكلام على هذا المقام فليراجع كتب الفقه فان مرادنا من هذه المجالس انما هو الوعظ ولا يخفى ما ورد فى السنة الغراء من الوعيد على الايمان الفاجرة كقوله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قيل يا رسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك رواه البخارى ومسلم والاحاديث فى ذلك كثيرة واليمين الكاذبة مع العلم بالحال تسمى اليمين الغموس لانها تغمس صاحبها فى الاثم أو النار وهى من الكبائر وتذر الديار بلاقع نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية واعلموا أن شهادة الزور أيضا من الكبائر سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الشهادة فقال للشاهد هل ترى الشمس قال نعم قال عن مثل هذا فاشهد أو دع وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما يسمع وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور شركا بالله ثم قرأ واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور قال الذهبى وفى الآثار عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وفى الحديث الثابت لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار وفى رواية حتى يأتى بالبراءة منها قال وقال الحافظ الذهبى رحمه الله قلت شاهد الزور قد ارتكب عظائم * أحدها الكذب

والافتراء والله تعالى يقول ان الله لا يحب من هو مسرف كذاب، وثانيها انه ظلم الذي يشهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه، وثالثها أنه ظلم الذي يشهد له بان ساق اليه المال الحرام فأخذه بشهادته فاوجب له النار قال النبي صلى الله عليه وسلم من قضي له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار، ورابعها انه اباح ما حرم الله وعصمه من المال والدم والعرض

قال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أنبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يرددها حتى قلنا ليته سكت يعني شفقة عليه لئلا يتعب من التكرار فشهادة الزور لا يأتي بها الا كل قليل الحظ من الخير والتقوى فليحذر العبد من ذلك ولا يشهد الا بما علم كما قال تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا والحكمة في تخصيص هذه الثلاثة بالسؤال أن العلم بالفؤاد وهو مستند الى السمع والبصر لان مدرك الشهادة الرؤية والسماع وهما بالبصر والسمع ولقد مدح الله تعالى أقواما في كتابه بقوله والذين لا يشهدون الزور أي لا يشهدون شهادة زور ولا يحضرون مواضع الباطل ومجالس السوء واللهو واذا مروا باللغو أي بمواضع الباطل مروا كراما يكرمون نفوسهم بصونها عن الاشتغال بالباطل جعلنا الله منهم بمنه وكرمه (اخواني) تجنبوا مجالس السوء وخصوصا مجالس الزور والباطل ورشوة قضاة السوء الذين بدلوا عن الحق عدلوا وللحرام أكلوا وفي الحديث لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما أي كما قال والرشوة هي ما يبذل للقاضي ليحكم بغير الحق أو ليمتنع من الحكم بالحق كما هو مشاهد وهي حرام مطلقا الا ان

الظالمين وحكي ان الواثق صلى خلف الامام فقرأ الامام هذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قال هذا فيمن ركن فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تركنوا ولا تطغوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ له في الدين عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه واعلم ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الآية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وروي ان عمر بن عبد العزيز لما استخلف قال رعاء الشاء من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس قيل لهم وما علمكم بذلك قالوا اذا قام على الناس خليفة عدل كفت الذئاب عن شياهنا (وجعلته) أي الظلم (بينكم محرما) أي حكمت بتحريمه عليكم ومنعتكم منه سواء كان كأخذ مال غيره أو لا كظلم النفس وروى الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة وروى أيضا ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة وروى البخاري من كانت عنده مظلمة لاخيه فليستحله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه وفي الحديث الصحيح أتدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا دينار له ولا متاع قال المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار وقال عليه الصلاة والسلام من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله في أرضه ولما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا ذلك اليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد أجعتموها وأجساد عريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته وهذا وما قبله توطئة لقوله (فلا تظالموا) بتخفيف الظاء أصله تتظالموا حذفت احدى التاءين تخفيفا ويجوز تشديد الظاء بادغام الاخرى فيها وزعم بعضهم انه الرواية أي لا يظلم بعضكم بعضا فان الله يقتص للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته وفي الحديث ينادي

مناد

مناديوم القيامة أين الظلمة وأشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مشى مع مظلوم يعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدمه على الصراط يوم تدحض فيه الاقدام وبعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطاء أهل بخارى وقال أعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفه حتى أعفاه فقال ما عليك أن تعطيهم أنت ولا ترزأهم شيأ فقال انى لا أحب أن أعين الظلمة على شئ من أمرهم (فائدة) ان قيل أى آية في كتاب الله أخوف فالجواب قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيه الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل من يعمل سوأ يجز به وقيل أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل أم حسب الذين اجترحوا السيئات قال الهيتمى ولما ذكر ما أوجبه من العدل وحرمة الظلم على نفسه وعلى عباده أتبعه بذكر احسانه اليهم وغناه عنهم وفقرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة عنهم الا أن يكون هو الميسر لذلك مشيرا الى أن ذلك الجلب والدفع اما في الدين أو الدنيا فصارت أربعة أقسام وهى الهداية والمغفرة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدين والاطعام والكسوة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدنيا واهم هذه الاقسام طلب الهداية ولذا افتتح بها فقال (يا عبادى) كرر النداء زيادة لشرفهم وتعظيمهم (كلكم ضال) أصل الضلال في اللغة الغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه ومنه قول الرجل الذى قال لبنيه اذا مت فاحرقونى ثم ذرونى في الريح لعلى أضل ربى أى يخفى موضعى عليه وضل الكافر اذا غاب عن الحجة ومن هذا قوله أئذا ضللنا في الارض أى غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا ومنه قوله تعالى في الانعام لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعنى غاب عنكم ذكر ما كنتم تزعمون وقال في الانعام أيضا وضل عنهم ما كانوا يفترون يعنى غاب عنهم ذكر الآلهة ويطلق الضلال بمعنى النسيان ومنه قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ومعنى تضل تغفل وتسهو وضل أى لم يهتد يقال رجل ضال اذا أخطأ الطريق ورجل مضال اذا لم يتوجه لخير قال الشاعر

ألم تسأل فتخبرك الديار * عن الحى المضلل أين ساروا

وليس المراد بالضلال المحبة كما في قوله تعالى حكاية عن أخوة سيدنا يوسف انك لفى ضلالك القديم أى في محبتك القديمة ليوسف وكما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى محبا له فهداك ويطلق الضلال بمعنى عدم العلم بتفصيل الامور وعليه حمل أكثر المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى غير عالم بتفصيل شريعتك وقوله كلكم ضال أى فاقد طريق الهداية أو سالك طريق غيرها من الضلالة وهى فقدان طريق يوصل الى المطلوب وقيل سلوك طريق لا توصل اليه وضلال الطريق العدول عن سمته (الا من هديته) الهداية هى لغة الدلالة بلطف ولذا لا تستعمل في غير الخير الا تهكما كقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وفى عرف أهل الحق الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب حصل أو لم يحصل وعند المعتزلة الدلالة الموصلة اليه قال بعضهم ولا نزاع بينهم في

فيها من الاحاديث (نكتة) وهى ختام هذا المجلس اللطيف في الحلية في ترجمة عكرمة قال كانت القضاة في زمن بنى اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولى مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله لهم ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقالا بيننا القاضى فجاآ الى القاضى الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال له احكم بان العجلة لى قال بماذا أحكم قال ارسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى لى فارسلوها فتبعت الفرس فحكم بها له وأما القاضى الثانى فحكم كذلك وأخذ درة وأما القاضى الثالث فدفع له الملك درة وقال له احكم بيننا فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله أيحيض الذكر فقال له القاضى سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها فالبلاء يا اخوانى قديم نسأل الله العافية والعفو آمين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس الرابع والثلاثون في الحديث الرابع والثلاثين) *

الحمد لله علام الغيوب غافر الذنب وقابل التوبة ممن يتوب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تمحى ظلمات الذنوب وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى كشف له عن كل محجوب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه من زالت بهم الكروب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان (رواه مسلم) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله صلى الله عليه وسلم من رأى) يحتمل أن يكون المراد الرؤية البصرية قال بعضهم والاشبه انها العلمية (قوله منكم) المراد جميع الامة لا المخاطبون فقط فالحاضر يعلم الغائب (قوله منكرا فليغيره) أى يزيله (بيده فان لم يستطع) الازالة بها لما ذكر (فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك

أشفق الايمان) ومعناه أقل ثمرات الايمان اذ نفيه الكراهة فقط وقد جاء في رواية وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل أي
بقي وراء هذه المرتبة مرتبة أخرى لأنه اذا لم يكرهه بقلبه فقد رضي بالمعصية وليس ذلك من شأن الايمان فعلم من ذلك أنه لا يكفي الوعظ
لمن أمكنه ازالته باليد ولا كراهة القلب لمن قدر على النهي باللسان فقد تطابق على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
الكتاب والسنة والاجماع وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين ولنذكر جملة من الاحاديث الواردة في ذلك

الحقيقة لان الهداية تجيء تارة بمعنى خلق الاهتداء فهو يهدي من يشاء فلهذا نفى الهداية عن رسوله في قوله تعالى
انك لا تهدي من أحببت وتارة بمعنى بيان طريق الحق فلهذا أسندت الهداية اليه صلى الله عليه وسلم في
قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وذكر الخازن في تفسير قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين ما نصه وقيل بالفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان
هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون
طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين (فاستهدوني) أي
اطلبوا مني الهداية أي الدلالة الموصلة الى طريق الحق (أهدكم) بفتح الهمزة وكسر الدال أي الطريق
المستقيم وفي هذا اشارة الى أنه تعالى لا يجب عليه شيء خلافا للمعتزلة في قولهم بوجوب الصلاح والاصلح
عليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا (يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته) لان الخلق ملكه
ولا ملك لهم بالحقيقة وهو الرازق وخزائن الرزق بيده وهم عبيد لا يملكون شيأ فمن لم يطعمه بفضله
بقي جائعا بعدله اذ ليس عليه اطعام أحد فان قلت كيف هذا مع قوله عز وجل وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها فالجواب ان هذا الالتزام منه تفضلا لا ان عليه لذاته حقا بالاصالة اذ لا يجب عليه
شيء وشبه هذا قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ولا
يمنع من نسبة الاطعام اليه تعالى ما شاهده من ترتب الارزاق على أسبابها الظاهرة كالصنائع لانه
المقدر لها بحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن
ولا عكسه بل يعطي كل مقام وحال حقه واعلم أن المقرر في علم الكلام ان من اعتقد أن شيأ من الاسباب
العادية يؤثر بطبعه أي بذاته وحقيقته فهو كافر اجماعا وان من اعتقد ان الله تعالى خلق فيها قوة
تؤثر فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان وان من اعتقد أنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها وانما
المؤثر هو الله عز وجل ولكن التلازم بينها وبين ما قارنها عقلي لا يمكن تخلفه فهذا جاهل بحقيقة الحكم
العادي وربما جره ذلك الى الكفر وان من اعتقد حدوث الاسباب وانها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها
الله فيها ويعتقد صحة التخلف بان يوجد السبب ولا يوجد المسبب وأن المؤثر في السبب والمسبب هو
الله تعالى فهو الموحد الناجي * (فائدتان) * الاولى ورد في الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة
أوجه وجه كوجه الانسان وهو يسأل الله تعالى الرزق لبني آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله
عز وجل الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله عز وجل الرزق للبهائم ووجه كوجه
النسر وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير وأخرج الشيخان وغيرهما المسلم يأكل في معى واحد
والكافر يأكل في سبعة أمعاء وأخرج مسلم أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا كافرا فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب
سبع شياه ثم انه أصبح فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى
فلم يستتمه فقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم يشرب في معى واحد والكافر في سبعة أمعاء وأخرج

فنقول عن حذيفة رضي
الله عنه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لتأمرن
بالمعروف ولتنهون عن
المنكر أو ليوشكن الله
يبعث عليكم عقابا من
عنده ثم تدعونه فلا
يستجيب لكم رواه
الترمذي وعن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أيها الناس
مروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر قبل أن
تدعوا الله فلا يستجيب
لكم وقبل أن تستغفروا
الله فلا يغفر لكم ان الامر
بالمعروف والنهي عن
المنكر لا يدفع رزقا ولا
يقرب أجلا وان الاحبار
من اليهود والرهبان
من النصارى لما تركوا
الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لعنهم الله على
لسان أنبيائهم ثم عموا
بالبلاء رواه الاصفهاني
وعن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر رواه أبو داود وعن أبي ذر البزار
رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق
ولو كان مرا رواه ابن حبان وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل فيهم
بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب منه رواه أبو داود وغيره وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى

البزار بسندين أحدهما رجاله ثقات أكثر الناس شبعا في الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة قاله لابي جحيفة لما تجشأ قال فما ملأت بطني منذ ثلاثين سنة الثانية أخرج البيهقي بسند فيه ابن لهيعة عن عائشة رضي الله عنها قالت رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أكلت في اليوم مرتين فقال أما تحبين أن يكون لك شغل الا جوفك الاكل في اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين وصح خبر من الاسراف أن تأكل كل ما اشتهيت (فاستطعموني) أي سلوني الطعام ولا يغترن ذا الكثرة ما في يده فانه ليس بحوله ولا قوته بل الله تعالى هو المتفضل عليه *(تنبيه)* ورد الطعام في القرآن على وجوه الاول الطعام الذي يأكله الناس كقوله تعالى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقال في الانعام وهو يطعم ولا يطعم الثاني الذبائح كقوله تعالى في المائدة وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم بمعنى ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم الثالث الطعام بمعنى السمك كقوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه بمعنى السمك الرابع بمعنى الشرب كما في قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي شربوا من الخمر قبل التحريم وكقوله تعالى في البقرة ومن لم يطعمه فانه مني يعني ومن لم يشرب به فانه مني فينبغي له مع ذلك أن لا يغفل عن سؤال ادامة الله نعمته عليه لانه قلما نفرت عن انسان فعادت اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت عليهم (أطعمكم) أي أيسر لكم أسباب تحصيله لان العالم كله حيوانه وجماده مطيع لله فيسخر السحاب يسعى في بعض الامكنة ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويحوج فلانا الى فلان لينال منه نفعا والانسان وان صبر على الجوع لا بدله من الطعام فقد كان عبد الرحمن بن أبي نعيم لا يأكل في الشهر الا مرة فادخله الحجاج بيتا وأغلقه ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما ظانا أنه مات فوجده قائما يصلي فقال نصلي بغير وضوء فقال انما يحتاج الى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التي أدخلتني عليها وأسر الروم امرأة في زمن سيف الدولة فهربت ومشت مائتي فرسخ لم تأكل شيأ فقال لها سيف الدولة كيف قويت على المشي فقالت كلما جعت قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فاشبع وفي الحديث لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال لعائشة أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف نديم قال بالجوع والظمأ وقال أيضا ما من عمل أحب الى الله من الجوع والظمأ *(فائدة)* قال الزمخشري لو سئل أهل القبور ما سبب قصر آجالكم لقالوا التخمة ولقد أحسن القائل فيمن كثر أكله

يميت الطعام القلب ان زاد كثرة * كزرع اذا بالماء قد زاد سقيه

وأي لبيب يرتضي نقص عقله * بأكل لقيمات لقد ضل سعيه

(يا عبادي كلكم عار) كما نزل من بطن أمه محتاج الى الكسوة (الا من كسوته فاستكسوني) أي اسألوني الكسوة وهي اللباس (أكسكم) بفتح الهمزة وكسر السين وضمها أي أيسر لكم الاسباب المحصلة لها وعما نقل عن حكم عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ابن آدم أنت أسوأ بربك ظنا حين كنت أكمل الناس عقلا الا انك تركت الحرص حين كنت صبيا محجوبا ولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا

الله عليه وسلم تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذي وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر رواه الامام أحمد وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترفع عنه العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصي الله تعالى فلا ينكر ولا يغير رواه الاصفهاني وسئل صلى الله عليه وسلم عن خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر رواه أبو الشيخ وغيره اذا علم ذلك فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية والمراد الامر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته اذا لم يخف على نفسه أو ماله أو غيره مفسدة أعظم من مفسدة المنكر الواقع أو يغلب على ظنه أن المرتكب يزيد فيما هو فيه عنادا فان فقد شرط من ذلك سقط الوجوب لا ينكر الا ما يرى الفاعل تحريمه ولا يختص ذلك بسموع القول بل على المكلف أن يأمر وينهى وان علم بالعادة أنه لا يفيد فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا يشترط أن يكون ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه ان يأمر وينهى نفسه وغيره فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر العدالة بل قال الامام وعلى متعاطي الكاس ان ينكر على الجلاس وقال الغزالي يجب على من غصب امرأة للزنا أمرها بستر وجهها عنه قال الائمة ويترفق بالتغيير لمن يخاف شره وبالجاهل فان ذلك أدعى الى قبوله وازالة المنكر ويستعين عليه بغيره اذا لم يخف منه من اظهار سلاح وحرب ولم يمكنه الاستقلال فان عجز عنه رفع ذلك الى الوالي فان عجز عنه أنكره وليس له التجسس والبحث واقتحام الدور بالظنون بل ان رأى شيأ غيره فان أخبره ثقة عن

الخفي بمنكر فيه انتهاك حرمة يفوت تداركها كالزنا والقتل فاعمله ادا وجوبا وان لم يكن فيه انتهاك حرمة فلا اقتحام ولا تجسس
(تنبيه) ذكر العلماء من الاحوال التي تباح فيها الغيبة لمصلحة الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن
يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده ازالة المنكر فان لم يقصد ذلك كان حراما
وتباح الغيبة وان كانت محرمة

في ستة أحوال ✽ أولها التظلم فيجوز للمتظلم أن يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما
فيذكر أن فلانا ظلمني وفعل بي كذا أو أخذ لي كذا ونحو ذلك ✽ ثانيها الاستعانة على تغيير المنكر كما قدمناه ✽ ثالثها الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو فلان بكذا فهل له ذلك أم لا وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم عني وكذلك قوله زوجتي تفعل معي كذا وزوجي يفعل معي كذا فهذا جائز للحاجة ✽ رابعها تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود وذلك جائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة ومنها اذا شاورك انسان في مصاهرته ومشاركته وايداعه ومعاملته وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة ومنها أن تكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها اما بان لا يكون صالحا واما بان يكون
فاسقا أو مغفلا أو نحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولي غيره ممن يصلح عن
ونحو ذلك ✽ خامسها الفسق كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الاموال ظلما فيجوز ذكره بما يجاهر به
ويحرم ذكره بغيره من العيوب الا أن يكون لجوازه سبب ✽ سادسها التعريف فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالاعرج والاعمش
والاعرج والاعمى والاحول جاز تعريفه بذلك ويحرم اطلاقه على وجه التنقيص ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى وأدلة ما ذكر

قد أصبت رشدك وبلغت أشدك وذكر اللباس والطعام لشدة الحاجة اليهما اذ لا مندوحة عنهما بل
هما أصل من أمور الدين ويتكمل بهما استنافعه (يا عبادي انكم تخطئون) بضم التاء وكسر الطاء على
الاشهر أي تفعلون الخطيئة عمدا وروي بفتح التاء والطاء على وزن تفرحون ويقال خطئ اذا فعل ما يأثم
به فهو خاطئ ومنه انا كنا خاطئين ويقال في الاثم أيضا أخطأ فهما صحيحان قاله المؤلف وزعم بعضهم
انه لا يجوز أن يكون هذا من الرباعي لان الفعل من غير عمد وهو لا يؤاخذ به لحديث رفع عن أمتي الخطأ
والنسيان والكلام انما هو فيما فيه اثم بدليل فاستغفروني بخلافه من الثلاثي فانه يكون عن عمد
ونوزع بالاتسلم ان أخطأ منحصر في الفعل من غير قصد بل يأتي بمعنى الثلاثي أيضا أي تفعل
عمدا (بالليل والنهار) قدم الليل لشرفه واصالته لانه وقت العبادة والخلوة ولان الظلمة هي الاصل
والنور طارئ عليها بسترها ولان الشهور غررها الليالي وقوله بالليل والنهار من باب مقابلة الجمع بالجمع
أي يصدر منكم الخطأ لا دائما بل من بعضكم ليلا ومن بعضكم نهارا اذ الغالب أن العبد لا
الدهر كله في الخطايا (وأنا أغفر الذنوب جميعا) هو كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو عام
مخصوص بما عدا الشرك وما لا يشاء الله مغفرته لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وسبب نزول الآيتين ما روي عن ابن عباس قال أتى وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد أتيتك مستجيرا فاجرني حتى أسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت
أحب أن أراك على غير جوار فاما ان أتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله فأنزل
الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال قد فعلت هذا كله أنا في جوارك حتى أسمع
كلام الله فنزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا
أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فأنزل الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء قال فلعلي ممن لا يشاء الله أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فأنزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم الآية فقال نعم الآن لا أرى شرطا فاسلم وقوله وأنا أغفر الذنوب جميعا أورد الخبر
مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وعرف الذنوب بلام الاستغراق وأكدها بقوله جميعا المفيد كل
منهما العموم ليقوى الرجاء فلا يقنط أحد (فاستغفروني) أي اطلبوا مني مغفرة ذنوبكم وأصل الغفر
الستر وغفرت المتاع سترته والمغفر وقاية تستر الرأس في الحرب وغفران الذنب ستره (أغفر لكم) لقوله
صلى الله عليه وسلم لولا تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم فيذنبون ويستغفرون
فيغفر لهم قيل ومن لازم على هذه الاشياء السبعة عاش سعيدا ومات شهيدا أحدها أن يقول
ابتداء كل شيء بسم الله وعند الفراغ منه الحمد لله واذا رأى ما يكره قال لا حول ولا قوة الا بالله واذا
رأى ما يستعظم قال لا اله الا الله واذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون واذا أذنب قال
أستغفر الله واذا أراد أن يفعل فعلا قال ان شاء الله فينبغي للانسان أن يعود لسانه عليها وذكر
وهب بن منبه أن ابليس لعنه الله لقي يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام فقال يا يحيى

شهيرة ليس هذا محل الاطالة فيه *(تنبيه آخر)* ما تقدم من ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية أى اذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين وان تركه الكل أثم وامع المتمكن بلا عذر ولا خوف محله ما اذا كان فى موضع لا يعلم به غيره فيتعين *(خاتمة المجالس)* لا تعارض بين قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره الى آخره وبين قول الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم اذ معناه عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم واذا كان كذلك فمما كلف به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه فانما عليه الامر لا القبول اللهم وفقنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الخامس والثلاثون فى الحديث الخامس والثلاثين)

الحمد لله الذى خلق الانسان من طين وكتب سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وهو فى قرار مكين وأشهد أن لا اله الا الله الخالق المحيى المميت تبارك الله أحسن الخالقين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الناصح الامين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا آمين (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث عظيم الفوائد كثير العوائد (قوله لا تحاسدوا) أى لا يحسد بعضكم بعضا ومعنى الحسد تمنى

عن طبائع بنى آدم عندكم فقال ابليس أما صنف منهم فهم مثل الا معصومون لا نقدر منهم على شئ وصنف ثان فهم فى ايدينا كالكرة فى أيدى الصبيان وقد كفونا أنفسهم والصنف الثالث فهم أشد الاصناف علينا نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم يفزع الى الاستغفار فيفسد علينا ما أدركنا منه فنحن لا نيأس منه ولا ندرك حاجتنا منه (يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى) بضم الضاد وفتحها (فتضرونى) بحذف نون الاعراب فى جواب النفى (ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى) أى لا يلحقنى ضر ولا نفع فتضرونى أو تنفعونى قال الله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وما اقتضاه ظاهر الحديث من ان لضره ونفعه غاية لكن لا يبلغها العباد غير مراد بل هو مؤول بما ذكر من باب قوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر * وقوله على لاحب أى طريق لا يهتدى لمناره * أى لا ضب ولا انجحار ولا منار ولا اهتداء والمعنى هنا لا يتعلق بى ضر ولا نفع فتضرونى أو تنفعونى قال بعض الكاملين وفى قوله لن تبلغوا ضرى الخ اشعار بان ما تقدم من الهداية والاطعام والكسوة والغفران ليس لدفع ضر ولا لجلب نفع بل بمحض فضل (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم) سمى الانس انسا لظهورهم فانهم يؤنسون أى يبصرون وسمى الجن جنا لاجتنانهم قال فى شرح المقاصد والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل باشكال مختلفة ويظهر منها أحوال عجيبة والشياطين أجسام نارية شأنها القاء الناس فى الفساد والغواية اه والظاهر أن المراد كل منهما كما يدل عليه السياق (تتمة) قال المؤلف الجن موجودون وقد يراهم بعض الآدميين وأما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب ولو كانت رؤيتهم محالا لما قال صلى الله عليه وسلم فى الشيطان الذى تفلت عليه فى صلاته لقد هممت ان أربطه حتى تصبحوا تنظرون اليه كلكم ويلعب به غلمان المدينة وقال القاضى عياض قيل رؤيتهم على خلقتهم وصورهم الاصلية ممتنعة لظاهر الآية الا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم فى غير صورهم كما جاء فى الآثار قلت هذه دعوى مجردة فان لم يصح لها مستند فهى مردودة اه كلام المؤلف وجزم شيخ الاسلام بما جزم به المؤلف وقوله انسكم وجنكم بيان وتفصيل بعد اجمال (كانوا) كلهم متقاربرة (على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى) بضم الميم (شيأ) لفظ الترمذى ما زاد ذلك فى ملكى جناح بعوضة ولفظ ابن ماجه لم يزد فى ملكى جناح بعوضة اراد بأتقى قلب رجل واحد محمدا صلى الله عليه وسلم (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا) كلهم عصاة فجرة (على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيأ) ولفظ ابن ماجه ولو اجتمعوا وكانوا على أشقى قلب عبد من عبادى لم ينقص من ملكى جناح بعوضة أى لا ينقص ملكه بكفر الكافرين ولا بمعصية العاصين بل ملكه كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه وأراد بأفجر قلب رجل الشيطان وهو من الجن عند أكثر المتكلمين (يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا) وللترمذى وابن ماجه اجتمعوا (فى صعيد واحد) الصعيد وجه الارض وظاهرها أى ارض واحدة ومقام واحد (فسألونى فاعطيت كل انسان منهم مسألته

رمة يفوت تداركها ثمة أحاديث كثيرة وداء لا دواء له من أمراض القلوب العظيمة وهو يضر دينا ودنيا ولا يضر المحسود دينا ولا دنيا اذ لا تزول النعمة بحسد قط والا لم تبق نعمة لله على أحد حتى الايمان لان الكفار يحسدون ز والدعن أهله بل المحسود متنعم بحسد الحاسد دينا لانه مظلوم من جهته سيما ان أبرز حسده الى الخارج بالغيبة وهتك الستر وغيرهما من أنواع الايذاء فهذه هدايا تهدى اليه حسناته بسببها حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة مفلسا محروما من النعم كما حرم منها في الدنيا فعلم ان هذا دواء عظيم للحسد أعاذنا الله تعالى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم أخرجه أحمد والترمذي وقال صلى الله عليه وسلم الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه وقال لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا وقال لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك وفي الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر وفي حديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وروي ان موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما تعجل الى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال أ... من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشي بالنميمة وقال بعض السلف أول خطيئة عصي الله بها الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية ووعظ بعض الائمة بعض الامراء فقال اياك والـ

مانقص ذلك) الذي أعطيته (مما عندي) ولفظ الترمذي وابن ماجه من ملكي أي لان أمره بين ا
والنون اذا أراد شيأ قال له كن فيكون وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
عليه وسلم انه قال خزائن الله الكلام اذا اراد شيأ قال له كن فكان وليس المراد أن هناك قولا و
عليه الايجاد والمراد كناية عن وجوده في أسرع وقت عقب تعلق الارادة به فعبر عن ذلك السر
بزمن كن اذ لا يمكن أقل منه في القول ولا يستنكر العطاء الكثير مع عدم النقص فالنار والعلم يقتبس
منهما ولا ينقص منهما شيء بل يزيد العلم بالعطاء وقال القاضي قيد السؤال بالاجتماع في مقام واحد لان
تزاحم السؤال مما يضجر منه المسئول ويدهشه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (الا كما ينقص المخيط
بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية أي الابرة آلة الخياط (اذا دخل البحر)
بالدنيا أي بالنسبة الى رأي العين اذ هو في رأي العين لا ينقص من البحر شيأ فكذلك الاعطاء من
الخزائن الالهية لا ينقصها شيأ البتة وهذا ظاهر يخالف قول الخضر لموسى ما نقص علمي و
علم الله عز وجل الا كما ينقص هذا العصفور الذي رأياه يشرب من هذا البحر فان شرب العصفور
البحر لابد ان ينقصه شيأ وان قل والابرة يتعلق بها ما تبتل به الا انه بحسب الرؤية لا تنقص شيأ
ويحكى أن رجلا سأل ابن الجوزي عن شرب العصفور من البحر فقال أخذ شيء بضعه فيه وهذا جواب
على جهة التحقيق وقول الخضر لموسى على جهة التقريب والا فلو فرضنا الوجود موجودا و
العصفور منه واحدا انقصه بالضرورة لكن ليس ثم ما ينقصه ولفظ الترمذي الا كما لو مر أحدكم
فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ولفظ ابن ماجه الا كما لو ان أحدكم مر بشفة البحر فغمس فيه ابرة ثم
ونقص يستعمل لازما كنقص المال ومتعديا نحو نقصت زيدا حقه وهو هنا متعد لان المخيط اذا د
البحر نقص به (يا عبادي انما هي) الضمير راجع الى ما يفهم من قوله أتقى قلب رجل وأفجر
رجل وهي الاعمال الصالحة والقبيحة أو هي ضمير الشان يفسره (أعمالكم احصيها) أي
وأحفظها (لكم) بعلمي وملائكتي الحفظة لا لاحتياج لهم بل ليكونوا شهداء بين الخالق وخلقه ولذا
يقال يوم القيامة لبعض الناس كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا (ثم أو
اياها) أي أعطيكم جزاءها وافيا تاما خيرا كان أو شرا فحذف المفعول الثاني وهو المضاف وانقلب الضمير
المخفوض المتصل بالاضافة منصوبا منفصلا والتوفية اعطاء الحق على التمام والكمال وا
تكون في الآخرة لقوله تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أو في الدنيا أيضا لما روي انه صلى
عليه وسلم فسر ذلك بان المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم وا
يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسيئاته (فمن وجد خيرا) أي ثوابا ونعيما وحياة
هنيئة (فليحمد الله) تعالى على توفيقه للطاعات والاعمال الصالحة وعدل عن التكلم الى الغيبة كما في
أعطيناك الكوثر فصل لربك تجديدا لنشاط السامع واهتماما بذكر اسم الله دون الضمير و
لشانه وايقاظا للاصغاء (ومن وجد غير ذلك) أي شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الا
النطق

النطق بالكناية عما يؤذى أو يستهجن أو يستحيى منه أو اشارة الى انه اذا اجتنب لفظه فكيف فعله (فلا يلومن) بالنون للتحذير (الا نفسه) لتفريطه بكسبه القبيح المترتب عليه ذلك لان للعبد جزأ اختياريا وان كان بخلقه تعالى وايجاده على وفق ارادته والمعتزلة قالوا فلا يلومن الا نفسه مؤذن بان العبد هو الخالق لافعاله القبيحة ورد بما ورد شاهدا باسناد جميع الكائنات الى الله تعالى ابتداء فالمعنى هنا فلا يلومن الا نفسه حيث آثرت شهواتها على رضا خالقها فكفرت بانعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت ان يعاملها بمظهر عدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله (رواه مسلم) فى كتاب الادب ورواه أيضا أحمد والترمذى وابن ماجه عن صحابيه المذكور ولجلالته وعظم فوائده وكان أبو ادريس راويه عن أبى ذر اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما له

(الحديث الخامس والعشرون)

(عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه ان ناسا) هم فقراء المهاجرين كما بينه فى رواية البخارى عن حديث أبى هريرة وسمى منهم فى رواية أبى داود أبا بكر وفى رواية النسائى أبا الدرداء قال فى الفتح والظاهر ان أبا هريرة منهم وكذا زيد بن ثابت ولا تنافى بين رواية فقراء المهاجرين وعد زيد مع انه أنصارى لاحتمال التغليب (من أصحاب رسول الله) صلى الله عليه وسلم الاصحاب جمع صاحب وهو لغة من بينك وبينه مواصلة وان قلت وعرفا قال الحافظ ابن حجر من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما الى الآخر وان لم يكالمه ويدخل فيه رؤية أحدهما الآخر وهو أولى من قول بعضهم من رأى لانه يخرج ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد وقوله مؤمنا به يخرج من لقيه كافرا ثم أسلم بعد موته كرسول قيصر ومن لقيه مؤمنا بغيره فقط من الانبياء نقل وشيخ الاسلام ان فى كلام ابن حجر ما يدل على انه لقيه فى حال نبوته وحينئذ فيخرج من لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة كزيد بن عمرو بن نفيل وعده ابن منده فى الصحابة قال شيخ الاسلام ولا بد أن يكون لقى قبل وفاته ليخرج من لقيه بعدها كما وقع لابى ذؤيب خويلد بن خالد الهذلى واشترط شيخ الاسلام أيضا فى اللاقى أن يكون مميزا فيخرج عبد الله بن عدى بن الخيار الذى أحضر اليه عليه الصلاة والسلام غير مميز ومن حنكه من الاطفال كعبد الله بن الحارث بن نوفل وعبد الله بن طلحة الانصارى أو مسح وجهه كعبد الله بن ثعلبة بن ظفر فهؤلاء لهم رؤية وليس لهم صحبة وهو ظاهر كلام ابن أبى زرعة الرازى وأبى حاتم وأبى داود وجزم ابن قاسم تلميذ المحلى فى شرح جمع الجوامع بعدم اشتراط التمييز وبه جزم السهورى مصرحا بان فيه خلافا وأما من ارتد بعد صحبته فقضية مذهب مالك احباط العمل بمجرد الردة لانهم يرون احباط العمل بها فلا يسمى صحابيا الا اذا عاد الى الاسلام ولقى النبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبى سرح وقضية من لا يرى الاحباط الا بالموت كالشافعية انه يسمى صحابيا اذا عاد للاسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم كما فى الاشعث بن قيس فانه ارتد وأتى به أسيرا لابى بكر فعاد للاسلام فقبل منه وزوجه أخته والظاهر اشتراط رؤيته فى عالم الشهادة فلا

أول ذنب عصى الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فبحرصه أكل منها فأخرجه الله من الجنة ثم قرأ قال اهبطا منها جميعا الآية واياك والحسد فانه الذى حمل ابن آدم على ان قتل أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين وقيل كان السبب أيضا فى قتله له ان زوجته أخت القاتل كانت أجمل من زوجة القاتل أخت المقتول لان حواء ولدت لآدم عشرين بطنا فى كل بطن اثنان ذكر وانثى فكان آدم صلى الله عليه وسلم يزوج أنثى كل بطن لذكر بطن أخرى لا لذكرا بطنها فلما رأى قابيل ان زوجة أخيه هابيل أجمل حسده عليها حتى قتله وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت الاقل فرحه وقل حسده وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة وهوانا ونكالا وعن زكريا عليه السلام انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمتها بين عبادى ولبعضهم

ألا قل لمن بات لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله فى فعله * اذا أنت لم ترض لى ما وهب
فجازاك منه بان زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

(وقال غيره)

دع الحسود وما يلقاه من كمده * كفاك منه لهيب النار فى كبده
ان لمت ذا حسد نفست كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

(وللامام الشافعى رضى الله عنه)

تذكرت فى دهرى رخاء وشدة * وناديت فى الاحياء هل من مساعد فلم أر فيما ساءنى غير شامت * ولم أر فيما سرنى غير حاسد

يطلق اسم الصحبة على من رآه من الملائكة والنبيين واستشكل ابن الاثير مؤمنى الجن فى الصحابة دون مؤمنى الملائكة وهم أولى بالذكر من هؤلاء وأجيب بان الجن من جملة المكلفين الذين شملتهم الرسالة والبعثة فكان ذكر من عرف اسمه ممن رآه حسنا بخلاف الملائكة والظاهر أن عيسى يطلق عليه اسم الصحبة أيضا لانه رآه فى الارض (قالوا النبى) بالهمز من النبأ وهو الخبر وعليه ففعيل يحتمل أن يكون بمعنى مفعول اذ هو منبأ أنا الغيوب أو بمعنى فاعل أو مفعل اذ هو منبئ بما أطلعه الله عليه ويصح ترك الهمز فى هذين الوجهين تسهيلا وأما فى لغة من لايهمزه فهو مأخوذ من النبوة بفتح النون وهى ما ارتفع من الارض يقال نبأ الشئ اذا ارتفع فالمعنى على هذا أن النبى مرفوع الرتبة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لاتقولوا انبئ الله بالهمز بل قولوا انبى الله أى بلاهمز لانه قد يرد بمعنى الطريق فخشى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوى اسلامهم وتواترت به القراآت نسخ النهى عنه لزوال سببه (صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب أهل الدثور) الذهاب المضى ويستعمل فى المعانى والاعيان يقال ذهب فى الارض ذهابا مضى وذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب فى الدين مذهبا رأى فيه رأيا وأحدث فيه بدعة والدثور بضم المهملة والمثلثة جمع دثر بفتح فسكون كفلوس جمع فلس وهو المال الكثير قال الخطابى وقع فى رواية البخارى أهل الدور وجرى عليه صاحب المطالع وهو غلط والصواب الدثور هكذا رواه الناس كلهم (بالاجور) جمع أجر وهو مايعود على الانسان من ثواب عمله الدنيوى أو الاخروى والمراد هنا الثانى ولايقال الا فى النفع دون الضر بخلاف الجزاء وزاد فى رواية البخارى بالدرجات العلى والنعيم المقيم واحترز بالمقيم من العاجل فانه قل مايصفو وان صفا قليلا أعقبه الكدر والزوال وزاد البخارى فى الدعوات قال وكيف ذلك قالوا (يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم) زاد فى حديث أبى الدرداء ويذكرون كما نذكر (ويتصدقون بفضول أموالهم) أى باموالهم الفاضلة عن كفايتهم وقيدوا بذلك بيانا لافضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة بل قد تحرم لحديث كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت ولفظ البخارى فى الدعوات وأنفقوا من فضول أموالهم وليس لنا أموال ولمسلم فى الصلاة ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولانعتق وقولهم ذلك ليس حسدا بل تحسرا على مافاتهم من الصدقة والبر مما لايقدرون عليه ويقدر عليهم غيرهم لفرط حرصهم وقوة رغبتهم فى العمل الصالح ظنا منهم أن الصدقة لاتكون الا بالمال فارشدهم المصطفى الى ان بكل نوع صدقة حيث (قال) لهم جوابا عن ذلك تطمينا لخاطرهم وتقريرا لكونهم ربما ساووا الاغنياء (أوليس) الهمزة للانكار وليس بمعنى لا أى لاتقولوا ذلك فانه (قد جعل الله لكم ماتصدقون) بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية أصله تتصدقون فادغمت احدى التاءين فى الصاد بعد قلبها صادا وقد تحذف احداهما فتخفف الصاد وتحذف صلة تصدقون وهو الجار والمجرور للعلم به وقد روى انه عليه الصلاة والسلام قال من كان له مال فليتصدق من ماله ومن كان له قوت فليتصدق من قوته ومن كان له علم فليتصدق من علمه وعنه أيضا أفضل

ومن الحكمة الحسود لايسود أبدا والبخيل تاكل ماله العدا وقد وضع الحسد وضع الغبطة وهو محمود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لاحسد الا فى اثنتين أى غبطة أعظم من الغبطة بهاتين الخصلتين (حكاية) كان بعض الصلحاء يجلس بجانب ملك ينصحه ويقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسئ سيكفيك اساءته فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وأعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك فقال انه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك اذا قربت منه يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء للملك وقال له مثل قوله السابق احسن الى المحسن الى آخره كعادته فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك رائحة الثوم منه فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لايكتب بخطه الا جائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الذى سعى به فقال ماهذا الكتاب قال خط الملك الى بصلة قال هبه منى فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل فى كتابك انى أذبحك وأسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال مافعلت بالكتاب قال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له فقال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال اطعمنى ثوما فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسئ اساءته فتأملوا رحمكم الله تعالى شؤم الحسد وماجرى اليه تعلموا سر قوله صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة لاخيك فيعافيه

الصدقة صدقة اللسان قيل يارسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف والاحسان الى أخيك وتدفع عنه الكريهة وعنه أيضا تبسمك فى وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق صدقة وافراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة (ان بكل تسبيحة) أى قول سبحان الله ومعناه تنزيه الله تعالى عما لا يليق له من كل نقص فيلزم نفى الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل (صدقة) أى حسنة وعن خالد بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال خذوا جنتكم فقالوا يارسول الله من عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومنجيات ومعقبات وهى الباقيات الصالحات ومعنى قوله مقدمات انها تقدم صاحبها الى الجنة ومنجيات تنجيه من النار ومعقبات حافظات والباء فى قوله بكل تسبيحة سببية ويجوز أن تكون ظرفية مجازا فكأن التسبيحة لما كانت سببا لها جعلت ظرفا فتشبيهها بالظرف استعارة مكنية واثبات ما هو من خواص الظرف لها تخييل بانها من جنسه تناسيا للتشبيه كما شبه الجذع لتمكن المصلوب به فى ولأصلبنكم فى جذوع النخل استعارة مكنية وأثبت لها ما هو من خواصه تخييلا وقوله صدقة بالنصب اسم ان وبكل متعلق بجار ومجرور هو الخبر المحذوف تقديره لكم وليس بخبر لعدم الفائدة (وكل تكبيرة) أى قول الله أكبر (صدقة) فيه وما بعده وجهان كما قال ابن فرج الرفع على الاستئناف والنصب عطفا على صدقة وهو الاجود (وكل تحميدة) أى قول كل ما اشتق من مادة الحمد كالحمد لله وأحمد الله ونحمد الله وحمدت الله ونحو ذلك (صدقة) وتسمية هذا وما قبله وما بعده صدقة من مجاز المشابهة أى أجرا كأجر الصدقة فحذف كاف التشبيه للمبالغة ثم حذف أجرا فبقى أجر صدقة ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وأعرب باعرابه وقيل معناه انها صدقة على نفسه (وكل تهليلة) أى قول لا اله الا الله (صدقة) قالت أم هانئ بنت أبى طالب كنت آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله علمنى شيأ أقوله وأنا جالسة فقال قولى الله أكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة مجللة متقبلة قولى سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس فى سبيل الله قولى الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد اسمعيل تعتقيهم وقولى لا اله الا الله مائة مرة لا يدركها شئ ولا يسبقها وفى رواية أحمد والنسائى أنه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحى الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدى الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملى عليها فى سبيل الله وكبرى الله مائة تكبيرة فانها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللى الله مائة تهليلة ولا أحسب الا قال تملأ ما بين السماء والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا أن يأتى بمثل ما أتيت به وفى الحديث أيضا من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كان له خير من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مؤمن يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

الله تعالى ويثيبك (قوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشوا) النجش فى اللغة الاثارة والخديعة وفى الشرع الزيادة فى الثمن المدفوع فى العروض للبيع وان لم يساو القيمة أو كان لمحجور عليه ليغر غيره فيشتريه وهو حرام للايذاء وغش الغير حرام والبيع صحيح اذ المعنى فى النهى خارج عن البيع ولا خيار للمشترى لتقصيره ويختص الاثم بالعالم بالتحريم دون غيره (قوله ولا تباغضوا) أى لا تتعاطوا أسباب البغضاء فالبغض حرام الا فى الله تعالى فانه واجب ومن كمال الايمان كما قال صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان (قوله ولا تدابروا) أى لا يدبر بعضكم عن بعض معرضا عنه اذ التدابر المعاداة وقيل المقاطعة لان كل واحد يولى صاحبه دبره (تذنيب) قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وفى رواية لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وفى سنن أبى داود فمن هجره فوق ثلاث فمات دخل النار والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة ويجوز هجر المبتدع والفاسق ونحوهما ومن رجى بهجره صلاح دين الهاجر والمهجور وعليه يحمل هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك رضى الله عنه وصاحبيه ونهيه صلى الله عليه وسلم الصحابة عن كلامهم وكذا هجر السلف بعضهم بعضا (قوله ولا يبع بعضكم على بيع بعض) نهى صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع غيره أى قبل لزومه بانقضاء خيار المجلس أو الشرط بان يأمر المشترى بالفسخ ليبيعه مثله باقل من ثمنه وكذا يحرم الشراء على الشراء قبل لزومه بان يأمر البائع بالفسخ ليشتريه باكثر قال صلى الله عليه وسلم لا يبع بعضكم على بيع بعض رواه الشيخان عن ابن عمر زاد النسائى حتى يبتاع أو يذر وفى معناه الشراء على الشراء وروى مسلم من حديث عقبة بن عامر المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع

أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر والمعنى في تحريم ذلك ودولة لم بالنهي عنه الايذاء ولو أذن البائع في البيع على بيعه ارتفع التحريم وكذا المشتري في الشراء ولو باع أو اشترى دون اذن صح (قوله وكونوا عباد الله اخوانا) أي اكتسبوا ما تصيرون به كذلك من حسن المعاشرة وفعل الازلفات وترك المنفرات فتعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة ومعاشرتهم في المودة والملاطفة والتعاون على الخير مع صفاء القلوب والنصح

على كل حال (قوله المسلم أخو المسلم) معناه ما ذكر من حسن المعاشرة وغيره

والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (وأمر) نكره ايذانا بأن كل فرد من أفراده صدقة وكذا نهي ولو عرفه لاحتمل ان أل استغراقية أو عهدية فلا يفيد النص على ذلك وهو اما مجرور أو مرفوع لما سلف وعلى الثاني سوغ الابتداء به كونه عاملا في الجار والمجرور وكذا نهي (بالمعروف) عرفه اشارة لتعظيمه ولتقرره وثبوته وانه مألوف معهود في عرف الشرع (صدقة) بشروطه الآتية (ونهي عن منكر) نكره لتحقيره ولانه في حيز المعدوم والمجهول الذي لا تألف النفس فيه (صدقة) بشروطه الآتية ويدخل في الامر بالمعروف الامر بالايمان وباتباع السنة ويدخل في النهي عن المنكر النهي عن الكفر وعن البدعة وأخرهما عما قبلهما رعاية للترقي لوجوبهما لان فعل الواجب أفضل من غيره بل نقل امام الحرمين ان ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين [illegible] لحديث ورد فيه (وفي بضع) بضم فسكون يطلق ويراد به الفرج ويطلق ويراد به الجماع وارادة كل منهما هنا صحيحة وعلى الاول يكون على حذف مضاف تقديره وفي وطء بضع (أحدكم صدقة) اذا قارنته نية صالحة كاعفاف نفسه أو زوجته عن نظر أو فكر محرم أو قضاء حقها من معاشرتها بالمعروف المأمور به أو طالب ولد يوحد الله أو يكثر به المسلمون أو يكون له فرطا اذا مات اصبر عليه وقد كان عمر رضي الله عنه يتزوج المرأة لا قصد له فيها الا ارادة الولد للمكاثرة أو ليموت فيكون له أجره فعلم ان المباح يصير طاعة بالنية الصالحة وانما أعاد في هنا لان هذا النوع من الصدقة أغرب من الكل حيث جعل قضاء الشهوة ونيل اللذة بهذا الطريق صدقة وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته وعن زيد بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا زيد تزوج تزدد عفة الى عفتك ولا تتزوج خمسا الا شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا أما الشهبرة فهي الزرقاء البذية واللهبرة الطويلة المهزولة والنهبرة القصيرة الذميمة والهيدرة العجوز المدبرة واللفوت ذات الولد من غيرك رواه الديلمي في مسند الفردوس (قالوا) متعجبين من ذلك مستبعدين ان الانسان يفعل ما للنفس فيه حظ وفيه ثواب (أيأتي أحدنا شهوته فيكون له فيها أجر) أي بسببها كما في حديث في النفس المؤمنة مائة من الابل أو هي باقية على ظرفيتها مجازا جعلت الشهوة كالظرف له من حيث كونها منشأه وهو مرتب عليها كما في ولأصلبنكم في جذوع النخل (قال أرأيتم لو وضعها) أي شهوته (في حرام كان) قال الطيبي أقحم همزة الاستفهام على سبيل التقرير بين لو وجوابها تأكيدا للاستخبار في قوله أرأيتم (عليه وزر) أي اثم وجوابه محذوف كأنهم قالوا نعم فقال (فكذلك) أي فمثل حصول الوزر له بوضعها في الحرام حصول الاجر (اذا وضعها في الحلال كان له أجر) بالرفع والنصب كما في شرح مسلم والرفع ظاهر لان أجر اسم كان وله خبرها وأما النصب فتقديره كان ذلك الوضع أجرا (رواه مسلم) وفي رواية له فرجع الفقراء الى رسول الله

عام (قوله لا يظلمه) أي لا يدخل عليه ضررا لا يجوزه الشرع لحرمة ذلك ومنافاته الاخوة ولان الظلم للكافر حرام فالمسلم أولى والظلم يكون في النفس والمال والعرض وكل ذلك منهي عنه بدليل آخر الحديث قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة والاحاديث الواردة في ذم الظلم كثيرة شهيرة ولذا قيل في المعنى

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم ترجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الاشقياء (قوله ولا يخذله) أي بعدم اعانته ونصرته الجائزة مع القدرة عند الحاجة فاذا استعان به في رفع ظلم ونحوه لزمه اعانته اذا أمكنه من غير عذر شرعي لان من حق أخوة الاسلام التناصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لانتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولانتقمن ممن رأى مظلوما فقدر على أن ينصره فلم يفعل وقال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله أنصره ان كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصره وفي الحديث أيضا أمر بعبد من عباد الله تعالى أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى

صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا مشعر بتفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وبه قال الجمهور واختاره العسقلاني والسيوطي وهو الاصح لان الغني يؤجر من وجوه منها الشكر ومنها الصبر على ما يعطيه من الزكاة الواجبة ومنها الانفاق على من يلزمه وغير ذلك والفقير يؤجر من وجهين الصبر على الفقر مع الرضا والشكر والثاني تصرفه فيما لا بد منه من نفقة نفسه ومن يلزمه ولان الفقر مع الصبر هو أوائل أحواله صلى الله عليه وسلم والغنى مع الشكر هو آخرها وعادة الله الجارية مع أنبيائه ورسله انهم لا يختم لهم الا بافضل الاحوال فختمه لافضل خلقه بالغنى مع الشكر دليل على أنه أفضل من الفقر مع الصبر ولحديث سعد في الوصاية انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة ولحديث كعب ابن مالك حيث استشار في الخروج عن ماله كله فقال صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك وقال العز بن عبد السلام الفقير الصابر أفضل واليه ذهب جمهور الصوفية لخبر تعس عبد الدينار ولان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقير أكثر منه مع الغني وقال الداودي ان الذي أعطي الكفاف أفضل والكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى وان الفقر والغنى محنتان من الله يمتحن بهما من يشاء من عباده لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا وأما الحديث الذي أخرجه الترمذي اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا الحديث فهو ضعيف وعلى تقدير ثبوته فالمراد انه لا يجاوز به الكفاف وقيل متقابلان وقيل بالوقف ومحل الخلاف فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر بان كان اذا استغنى قام بجميع وظائف الغنى من البذل والاحسان والمواساة وأداء حقوق المال وشكر الملك الديان واذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر والقناعة وأما من يصلح حاله بالغنى فقط بان يؤدي حق الله في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر فالغنى أفضل اتفاقا ومن يصلح حاله بالفقر فقط بان يؤدي حق الله في حالة الفقر ولا يؤديه في حالة الغنى فالفقر أفضل اتفاقا فان قلت ما حقيقة الغنى وما المراد بالشاكر والصابر فالجواب كما قال الاقفهسي ان الغنى ما زاد على المحتاج اليه والغني الشاكر هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب والفقير الصابر هو الذي لا يشتكي فقره اه فقد بين أن الغنى ما زاد على الحاجة وبين الغني الشاكر بانه الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ولو قال بدل المندوب المطلوب ليشمل الواجب كان أولى وقوله ما زاد على المحتاج اليه يشمل ذلك حتى في اليوم فاذا حصلت له زيادة على المحتاج اليه في كل يوم كان غنيا في ذلك اليوم وفي اليوم الذي لا يحصل له فيه ذلك ليس بغني وقيل الغني الشاكر هو الذي لا يبقي مما يدخل عليه من المال الحلال الا ما يحتاج اليه حالا أو ما يرصده لاحوج ونحوه

(الحديث السادس والعشرون)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى) بضم السين وتخفيف

مارث جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه وأفاق قال علام جلدتموني قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره ودخل في قوله ولا يخذله الخذلان الديني والدنيوي فالديني كان يرى الشيطان مستوليا عليه في بعض أحواله أو أعماله فلم يعنه على الخلاص منه بوعظ ونحوه والدنيوي كان يرى شخصا يبطش به فلم يعنه عليه وجاء في رواية ولا يكذبه بضم الياء واسكان الكاف كما ضبطه النووي رحمه الله تعالى أي لا يخبره بامر على خلاف ما هو

عليه لانه غش وخيانة وأشد الاشياء ضررا كما ان الصدق أشدها نفعا وقد جاء في مدح الصدق وذم الكذب أخبار وآثار كثيرة شهيرة لا نطيل بذكرها وبالجملة فالكذب حرام كله وأما ما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات كما هو مذكور في حديث الشفاعة فالمراد التعريض وهو اللفظ المشار به الى جانب والغرض الى جانب آخر ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به وجاء في حديث الطبراني كل الكذب يكتب على ابن آدم الا ثلاثا الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على المرأة فيرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما وفي حديث في الاوسط الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما أو دفع به عن دين (قوله ولا يحقره) بالحاء المهملة والقاف أي لا يستخف به لان الله تعالى أكرمه ومن أكرمه الله تعالى لم تحجز اهانته

(قوله التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات) اي لان الصدر محل القلب الذي هو بمنزلة الملك للجسد اذا صلح صلح الجسد كله كما مر في محله وتكرار الاشارة للدلالة على عظم المشار اليه في الحقيقة وهو القلب (قوله بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم) أي يكفيه منه وقوله بحسب باسكان السين وفيه تحذير من الاحتقار قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية والسخرية النظر الى المسخور منه بعين النقص فلا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك وأفضل وأقرب وقد احتقر ابليس اللعين آدم عليه

السلام فباء بالخسران الابدي وفاز آدم بالعز الابدي وشتان ما بينهما فلا تحتقر أحدا ولو كان عبدك فربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك * (تنبيه) * مفهوم الجيران الكافر يجوز احتقاره واذلا حرمة له بالكفر واهانته على الله ومن يهن الله فما له من مكرم (قوله كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) جعل هذه الثلاثة كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره اليها لان الدم به حياته والمال مادة الدم فهو مادة الحياة والعرض قيام صورته المعنوية واقتصر على هذه الثلاثة لان ما سواها فرع راجع اليها لانه اذا قامت البدنية والمعنوية فلا حاجة الى غير ذلك (خاتمة المجالس) في ذكر شيء من ذم الغيبة قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الآية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذه الريح قالوا لا يا رسول الله قال هذه ريح الذين يغتابون الناس * وعن جابر أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها أشد من الزنا قالوا يا رسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل قد يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويصيح ثم قرأ قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة لها لذة في الدنيا وفي الآخرة تورد صاحبها النار وعن عكرمة ان امرأة قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما أفصح كلامها لولا أنها قصيرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة قالت ما قلت الا ما فيها فقال ذكرت أقبح

اللام وفتح الميم مع قصر الالف وهي في الاصل عظم يكون في فرسن البعير كما قال أبو عبيدة قال الجوهري والفرسن من البعير بمنزلة الحافر للدابة وقال بعضهم السلامى اسم لاصغر ما في البعير من العظام ثم عبر بها عن مطلق العظم من الآدمي وغيره وفي حديث عائشة رضي الله عنها خلق الانسان على ستين وثلاثمائة مفصل ففي كل مفصل صدقة وقال سهل بن عبد الله التستري في الانسان ثلثمائة وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك الساكن أو سكن المتحرك لم ينم وسلامى واحده وجمعه سواء عند الاكثر وقيل جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء (من الناس) أي من كل واحد من الناس (عليه) ظاهره الوجوب وليس كذلك بل هو مندوب وندبه كما قال ابن أبي جمرة بالاستقراء من خارج لا بالصيغة وذكر الضمير وان كانت سلامى مؤنثة باعتبار العظم والمفصل لا لرجوعه لكل كما قيل به لانها بحسب ما تضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ان كل نفس لما عليها حافظ وكل شيء فعلوه في الزبر وهي في الحديث هنا أضيفت لمؤنث فلو رجع اليها لانث (صدقة) شكرا له تعالى عليها لان تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده فيحتاج كل عظم منها الى صدقة عنه بخصوصه ليتم شكر نعمته اذ لو غير واحد منها عما هو عليه لاختل نظامه وتعطلت أحواله وتكدر عيشه وضاق ذرعه كما لو قصر الطويل أو طال القصير أو رق الغليظ أو غلظ الرقيق وخصت السلامى بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختص بها الانسان وتحيرت فيها الاوهام ولذا قال الله تعالى بلى قادرين على أن نسوي بنانه أن نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلا يمكن أن يعمل بها شيئا عما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل من فنون الاعمال دقها وجلها ولهذا السر غلب الصغار من العظام على الكبار وأيضا فالصدقة تدفع فبوجودها عن أعضائك يرجى اندفاع البلاء عنها فقد حكى انه كان رجل من قوم صالح قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يومئذ ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر واحتطب ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شيء قال فدعاه صالح وقال اي شيء صنعت اليوم قال خرجت ومعي قرصان فتصدقت باحدهما وأكلت الآخر فقال صالح عليه الصلاة والسلام حل حطبك فحله فاذا فيه أسود مثل الجذع عاض على جذر من حطب قال بهذا دفع عنك يعني بالصدقة وروي ان قصارا كان في زمن عيسى عليه السلام وكان يفسد على الناس أقمشتهم فسألوا عيسى أن يدعو عليه بالهلاك فاقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على رأسه فعجبوا من ذلك وأخبروا عيسى فطلبه فحضر برزمته فقال له افتح رزمتك ففتحها فاذا فيها ثعبان عظيم قد ألجم بلجام من حديد فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام ما صنعت اليوم من الخير فقال ما صنعت شيئا الا ان رجلا نزل الي من صومعته فشكا الي جوعا فدفعت له رغيفا كان معي فقال له عيسى ان الله قد بعث لك هذا العدو فلما تصدقت أمر الله ملكا فالجمه بهذا اللجام قال الطيبي وكل سلامى مبتدأ ومن الناس صفته وعليه صدقة الجملة خبر والراجع الى المبتدأ الضمير المجرور في الخبر (كل يوم) منصوب على الظرفية لاضافته

لاضافته الى الظرف ولما كان اليوم قد يعبر به عن المدة الطويلة المشتملة على الايام الكثيرة كما يقال في يوم صفين وهو مدة أيام وعن مطلق الزمان قليلا كان أو كثيرا ليلا كان أو نهارا كما في قوله تعالى كل يوم هو في شأن وقوله وآتوا حقه يوم حصاده وقوله يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وعن الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وعن مقابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ولما كان الاخير هو المراد بينها بقوله (تطلع) بضم اللام (فيه الشمس) حتى يصبح سليما من الآفات باقيا على الهيئة التي تتم بها منافعه وأفعاله فالصدقة في مقابل ما في تلك السلامى من النعم وفي بعض الآثار كم من نعمة لله عز وجل في عرق ساكن واذا كان ذلك في عرق فكيف بجميع العظام وقال وهب مكتوب في حكمة آل داود العافية الملك الخفي أي فهي النعيم المسؤول عنه يوم القيامة المعنى بقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وقيل صحة الجسم وشرب الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا وشكا شخص الى يونس بن عبيد ضيق حاله فقال له يونس أيسرك ان لك ببصرك مائة ألف درهم فقال الشخص لا قال فبيديك قال لا فبرجليك قال لا وعدد نعم الله عز وجل عليه فقال أرى عندك هذا وأنت تشكو الحاجة وأخرج ابن أبي الدنيا بسند فيه ضعف يؤتى بالنعيم يوم القيامة وبالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فلم تترك حسنة الا ذهبت بها ولما كان المتبادر من الصدقة صدقة المال بين انها لا تنحصر فيه بقوله (تعدل) أي ان تعدل لانه في محل رفع مبتدأ وخبره صدقة فحذفت ان فارتفع الفعل كما في قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق والاصل ان يريكم لانه في موضع رفع مبتدأ خبره من آياته أو أوقع الفعل فيه موقع المصدر مع قطع النظر عن ان ونظيره تسمع بالمعيدي خير من ان تراه أي سماعك (بين الاثنين) المتحاكمين او المتخاصمين أو المتهاجرين اذا كان حاكما أو مصلحا اذا نوى به رفع المنافرة بينهما ساعة وقوله بين الاثنين هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري بين الناس أخرج الاصبهاني أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة عدل ساعة خير وأفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها يا أبا هريرة جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة وفي الحديث ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين اذا تقاطعوا وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أفضل الناس عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة وما أحسن قول القائل

ان الفضائل كلها لو جمعت * رجعت بأجمعها الى شيئين

تعظيم أمر الله جل جلاله * والسعي في اصلاح ذات البين

(صدقة) عليهما لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الاقوال والافعال ومن ثم عظم فضل الصلح كما أشار له تعالى بقوله لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وجاز الكذب فيه مبالغة في وقوع الالفة لئلا تدوم العداوة (وتعين) فيه وما بعده ما مر في تعدل (الرجل) وصف طردي (في دابته) وفي معناها السفينة (فيحمل عليها أو يرفع له متاعه) أصلهما يتبلغ به المسافر (صدقة) متفق عليه قال الحافظ ابن حجر قوله فيحمل عليها أعم من انه يريد يحمل عليها المتاع او الراكب

ما فيها ثم قال من كف لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله عثرته يوم القيامة ومن ذب عن أخيه فحقيق على الله تعالى أن يعتقه من النار * قيل يؤتى العبد كتابه يوم القيامة فلا يرى فيه حسنة فيقول يا رب أين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقال له ذهب عملك كله باغتيابك الناس ويعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا باغتيابك به الناس وأنت لا تشعر وكما تحرم الغيبة يحرم استماعها واقرارها وهي ذكرك الانسان بما فيه مما يكره وينبغي لصاحب الغيبة ان يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس عسى أن يغفر الله تعالى له ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدكم أخاه المسلم بالسوء فليستغفر الله تعالى فانه كفارته (وحكي) أن فقيها من الفقهاء كان في مدرسة مع تلامذته فدخلت عليه امرأة وقالت أيد الله الشيخ لي مسئلة لا أجترئ أن أسألكها حياء منك لعظم الاثم وصعوبة الحال فقال لها سلي ولا تستحي من العلم قالت كنت نائمة ليلة من الليالي فجاءني ابني سكرانا فواقعني فحملت منه وولدت ولدا فتعجب القوم من ذلك فقال الفقيه أفتعجبون من ذلك وهذا أخف وأحب الي من الغيبة فان صاحب

وحمل الراكب أعم من أن يحمله كما هو أو يعينه في الركوب وقوله أو يرفع امتثالا من الراوي أو تنويع (والكلمة الطيبة) من نحو ذكر ودعاء لنفس والغير وثناء بحق وسلام عليه ورد وتشميت عاطس وشفاعة عند حاكم ونصح وإرشاد على الطريق نحو سلام عليكم حياك الله وإنك لمحسن وأنت رجل مبارك وقد أحسنت جوارنا وغير ذلك لأنه مما يسر السامع ويؤلف القلوب أو غير ذلك (صدقة) منه على نفسه لما فيه من سرور السامع واجتماع القلوب وقد ورد أنه إذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا أو عشر لأقلهما رواه في العوارف مرفوعا (وبكل خطوة) بفتح الخاء المرة الواحدة من المشي وأما بالضم فما بين القدمين وهو مبتدأ والباء زائدة (تمشيها) وفي رواية تخطوها (إلى الصلاة) والظاهر أن مثلها الاعتكاف والطواف وعيادة المريض وغير ذلك من وجوه الطاعات (صدقة) وفي الحديث إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالقانت أي القائم في الصلاة ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه وفيه أيضا أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى أي وإنما كان أعظم أجرا لما يحصل في بعد الدار عن المسجد من كثرة الخطى فإن قيل روى أحمد عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل البيت القريب من المسجد كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد فالجواب أن هذا في نفس البقعة وذاك في الفعل فالأبعد دارا مشيه أكثر وثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد واختلف فيمن قارب الخطى بحيث يساوي الخطى من داره بعيدة وإلى التساوي جنح الطبري والراجح عدم المساواة لكثرة المشقة في البعيد دون القريب (وتميط) بضم أوله وفتحه أي تنحي وتزيل يقال ماط الشيء وأماطه بمعنى أزاله حقيقة أو حكما بأن يترك القاذورة في الطريق لما رواه البيهقي في الشعب عن أنس أن رجلا رأى في النوم قائلا يقول بشر عائذ بن عمرو المزني بالجنة فلم يفعل فأتاه في الثانية فلم يفعل فأتاه في الثالثة فلم يفعل فأتاه في الرابعة فقال له لم ذلك قال إنه لا يلقي أذى في طريق المسلمين وكان عائذ لا يخرج من داره ماء إلى الطريق لا من مطهر ولا من غيره وكان إذا مات له سنور دفنه في داره ولا يخرجه اتقاء أذى الناس وكان عائذ هذا ممن بايع تحت الشجرة (الأذى) ما يؤذي المارة كقذر وشوك وحجر وحيوان مخوف ودعم جدار مائل لأنه نفع عام وقد روي أن رجلا رأى غصن شوك في الطريق فقطعه فشكر الله فغفر له (عن الطريق صدقة) منه على الناس والحيوان وعن أبي برزة قال قلت يا نبي الله علمني شيئا أنتفع به قال أزل الأذى عن طريق المسلمين كالشوك المؤذي والحجر الذي يتعثر به والحيوان المخوف ودعم الجدار ونحوه فإنه نفع عام وفي الصحيح أن رجلا ممن كان قبلكم رأى غصن شوك في الطريق فنحاه فشكر الله ذلك فغفر له ورأى رجل فرخا وقع من عشه فرده إليه فغفر الله له وآخر رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فسقاه فغفر الله له وامرأة رأت كلبا يلهث عطشا فأخرجت خفها فأخرجت له ماء فغفر الله لها وعكس ذلك المرأة التي دخلت النار في هرة لا هي ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض وصح في كل كبد رطبة أجر وفي رواية أحمد عن طريق المسلمين فعام على غيره لشرفهم وأخرت هذه لأنها دون ما قبلها كما يشير إليه خبر الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق قيل وتسن كلمة التوحيد عند إماطة الأذى ليجمع بين أعلى الإيمان وأدناه وحمل بعض الصوفية الطريق على القلب والأذى على الوساوس التي تعرض له وإماطتها دفعها عنه وهو تكلف بعيد وكذا حمل الأذى على أذى الظالم والطريق على طريقته تعالى وهو شرعه وأحكامه بل رواية وأدناها المذكورة صريحة في رد ذلك لأن الإماطة بهذا المعنى من أعلى الشعب لا من أدناها (رواه البخاري) في الصلح والجهاد (ومسلم) وفي بعض طرق مسلم يصبح على كل

سلامى

الزنا إذا تاب تاب الله عليه وصاحب الغيبة إذا تاب لم يتب الله عليه حتى يرضى عنه خصمه أخو إلى نحو في زمان إذا اجتمع فيه جماعة قلما يتذاكرون فيه العلوم الدينية والحكم والمواعظ وأحوال الآخرة بل أكثر حديثهم الغيبة والتملق والنفاق ومدح أنفسهم وجلسائهم بما ليس فيهم وذكر أحوال الدنيا والبحث عن أخبار أهلها والتفحص عما لا يلزمهم ولا يعنيهم في دينهم بل يضرهم نسأل الله تعالى العفو عنا أجمعين آمين

(المجلس السادس والثلاثون في الحديث السادس والثلاثين)

الحمد لله الكريم الحنان يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله لا إله إلا هو ذو الجلال والإحسان وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنجي قائلها من عذاب النيران وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي آخر الزمان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا في كل وقت وأوان (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا

سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى أى لأن الصلاة عمل بجميع الأبدان فتحرك المفاصل كلها فيها بالعبادة فإذا صلى العبد فقد قام عن كل عضو ومنسم بوظيفته وأدى شكر نعمته وكان وجه تخصيص الضحى بذلك من بين ركعتى الفجر وغيرها من الرواتب مع أنها أفضل من ركعتى الضحى تمحضها للشكر لأنها لم تشرع جابرة لنقص غيرها بخلاف سائر الرواتب فإنها شرعت جابرة لنقص متبوعها فلم يتمحض فيها القيام بشكر تلك النعم الباهرة والضحى لما لم يكن فيها ذلك تمحضت للقيام بذلك كذا قيل وفيه شئ والوجه ما قاله الحافظ العراقى أن الاختصاص بالضحى لخصوصية فيها وسر لا يعلمه إلا الله تعالى ورسوله وأخرج أبو داود والنسائى من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قاله حين يمسى فقد أدى شكر ليلته

(الحديث السابع والعشرون)

قال الشارح الهيتمى وهو فى الحقيقة حديثان لكنهما لما تواردا على معنى واحد كانا كالحديث الواحد فجعل الثانى كالشاهد للأول (عن النواس) بفتح النون وتشديد الواو وآخره سين مهملة (ابن سمعان) بكسر المهملة وفتحها واقتصار ابن الأثير على الكسر يدل على أنه أرجح ابن خالد بن عبد الله بن قريطة ابن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن عمر والكلابى العامرى (رضى الله عنه) كان ينبغى عن ما كان لأبيه وفادة والنواس من أهل الصفة ووقع فى مسلم أنه انصارى وحمل على أنه حليف لهم قال أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعنى من الهجرة أى العود إلى الوطن إلا الاسئلة التى ترد على المصطفى صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه فإقامته تلك السنة كانت مع عزمه على العود إلى وطنه لكنه أحب أن يتفقه فى الدين تلك المدة بسماع تلك الأسئلة التى ترد عليه صلى الله عليه وسلم وأجوبتها روى له سبعة عشر حديثا اقتصر مسلم منها على ثلاثة (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البر) بكسر الموحدة وهو كما قال الزمخشرى اسم جامع للخير وكل فعل مرضى وهو فى تزكية النفس كالبر بالضم فى تغذية البدن والفعل منه بر يبر على فعل يفعل كعلم يعلم (حسن الخلق) بضم اللام وسكونها أى التخلق مع الخلق وهو كما مر طلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى وقلة الغضب وأن يحب للناس ما يحب لنفسه وهذا راجع إلى تفسير بعضهم له بأنه الانصاف فى المعاملة والرفق فى المجادلة والعدل فى الأحكام والبذل والإحسان فى اليسر والإيثار فى العسر وغير ذلك من الصفات الحميدة وضده الجور والإثم ولذلك قابله به وقوله البر أى معظمه فالحصر مجازى كالحج عرفة والدين النصيحة وإن أريد بحسن الخلق التخلق بالأخلاق الشريفة والتأدب بآداب الله التى شرعها لعباده من امتثال أمره وتجنب نهيه كان الحصر حقيقيا وقد يطلق البر فى مقابلة العقوق فيكون عبارة عن الإحسان كما أن العقوق عبارة عن الإساءة ويطلق على الصلة ومنه بررت والدى بالكسر وخبر من أبر الناس بى قال أمك قال ثم من قال أبوك قال ثم من قال الأقرب فالأقرب وفى المثل أبر من فلحس وهو رجل من شيبان ذكر وأنه حمل أباه وكان كبيرا على ظهره فحج به وفيه أيضا أبر من العملس وهو أيضا رجل كان بارا بأمه وكان يحملها على عاتقه إلى حيث أرادت وبمعنى الجنة ومنه قوله تعالى لن تنالوا البر أى الجنة كما قال السدى وبمعنى الصدق ومنه بر فى يمينه أى صدق فيها وبمعنى القبول ومنه بر الله حجك وأبره أى قبله وبمعنى اللطف وحسن العشرة والصحبة ولين الجانب واحتمال الأذى ومنه قول عمر رضى الله عنه

بنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين

والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم بهذا اللفظ) اعلم وإخوانى وفقنى الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب (قوله من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا) أى أزال وكشف والكربة هى ما أهم النفس (قوله نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) أى مجازاة ومكافأة له على ما فعله وفى هذا وما يأتى ترغيب وحث على قضاء حوائج المسلمين وإعانتهم والتنفيس يكون بالاستعانة على كشف المهمات من مال أو جاه أو غيرهما وقد جاء فى قضاء حوائج المسلمين أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه المسلم حاجة فى الدنيا قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الآخرة أدناها المغفرة (قوله ومن يسر على معسر) أى بأى نوع كان من أنواع التيسير يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة إذ المجازاة من جنس العمل

وفيها في من أنظر معسرا أو تجاوز عنه أحاديث كثيرة منها ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه

ويقال بدل قوله بوجه طلق الخ فعل جميل وكلام لين ويعني الطاعة بسائر أنواعها الظاهرة والباطنة ومنه قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون وهذه الامور كلها تجامع حسن الخلق واذا قرن البر بالتقوى كما في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فسر البر بمعاملة الخلق بالاحسان والتقوى بمعاملة الحق بطاعته أو البر بفعل الواجبات والتقوى باجتناب المحرمات وقد روى الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن بسند حسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال معاذ ابن جبل آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعلت رجلي في الغرز يعني الركاب ان قال حسن خلقك مع الناس يا معاذ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ان حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار ولو كان القوم فجارا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم الايمان علم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يداري به الناس وقال عاصم بن المصطلق دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما فاعجبني سمته وحسن رؤيته فاثارني الحسد ما كان يجنه أي يخفيه صدري لابيه من البغض فقلت أنت ابن علي بن أبي طالب قال نعم فبالغت في شتمه وشتم أبيه فنظر الي نظر عاطف رؤف فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وأمر بالعرف فقرأ الى قوله فاذا هم مبصرون ثم قال خفض عليك استغفر الله لي ولك انك لو استعنتنا لاعناك ولو استرشدتنا لارشدناك قال فندمت على ما فرط مني فقال لا تثريب أي لا عتب عليك اليوم يغفر الله لك وهو أرحم الراحمين أمن أهل الشام أنت قلت نعم قال حياك الله وبياك وعافاك أنبسط الينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عندنا أفضل ظنك ان شاء الله تعالى قال عاصم فضاقت علي الارض بما رحبت ووددت انها قد ساخت بي ثم انسللت منه لواذا أي مختفيا مستترا بشيء وما على الارض أحب الي منه ومن أبيه (والاثم) يطلق ويراد به الذنب بسائر أنواعه وهو المراد هنا ويطلق ويراد به خصوص الخمر ومنه قوله

شربت الخمر حتى ضل عقلي * كذاك الاثم تذهب بالعقول

(ما حاك) بحاء مهملة وتخفيف الكاف من حاك يحيك ومنه قولهم ضربته فما حاك فيه السيف أي أثر وما يحيك كلامك في فلان أي ما يؤثر فيه وما يحيك الفأس في هذه الشجرة وفي بعض النسخ ما حك بتشديد الكاف وفي بعضها ما حاك بالتشديد من المحاكة (في النفس) وفي رواية في نفسك وفي رواية في صدرك والمعنى أثر القلب اضطرابا وقلقا فلم ينشرح له ولم يطمئن اليه والحائك الراسخ في قلبك الذي يهملك وجاء في بعض الروايات والاثم حزاز القلوب بتشديد الزاي أي يؤثر فيها كما يؤثر الحز في الشيء فهو بمعنى قوله هنا ما حاك في النفس وفي أخرى حواز بتشديد الواو من حاز يحوز أي غلاب على القلوب (وكرهت ان يطلع عليه الناس) لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك اذ لما شعور من أصل الفطرة بما تحمد أو تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فاوجبت فعلهما الحد والمراد بالكراهة هنا الدينية الجازمة لا العادية كمن يكره ان يرى آكلا لحياء أو بخل وغير الجازمة كمن يكره ان يركب بين المشاة تواضعا ونحو ذلك فانه لو رئي كذلك لم يبال والمراد بالناس وجوههم وأماثلهم لا رعاعهم ولذا نقل الشارح الاشبيلي عن صاحب الافصاح الناس معرف بالالف واللام فينصرف الى وجوههم وأماثلهم لا العوام وهل علامة الاثم مركبة من مجموع الامرين أو كل واحد منهما علامة مستقلة ومقتضى العطف

وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه أخرجاه في الصحيحين ومنها ما جاء عن أبي قتادة رضي الله عنه انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله عز وجل يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يحوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل فقال اني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر فاتجاوز عنه في السكة أو في النقد فغفر له رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله في ظله رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا

بالواو

بالواو الاول ومقتضى الرواية الآتية الثاني وعلى الاول فالفعل ان وجد فيه الامران كالزنا والربا فهو اثم قطعا وان انتفيا عنه كالعبادة فبر قطعا وان وجد فيه أحدهما احتمل البر والاثم فيكون من المشتبه والذي يتجه انهما متلازمان لان كراهة النفس تستلزم كراهة اطلاع الناس وعكسه وعموم الحديث يقتضي ان الهم بالمعصية الغير الجازم اثم لكن خص عمومه خبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به أو تتكلم فقوله ما لم تعمل به مثل أن توسوس له نفسه بالزنا مثلا فيزني وقوله أو تتكلم مثل أن توسوس له بالقذف فيقذف أو بالكذب فيكذب أو بالنميمة فينم (رواه مسلم) في كتاب البر والصلة من صحيحه (وعن وابصة) بالصاد (ابن معبد) بفتح الميم والموحدة ابن عتبة ابن الحرث بن بشير بن كعب بن سعد بن الحرث بن ثعلبة بن داود بن أسد بن خزيمة الاسدي يكنى أبا سالم ويقال أبا الشعثاء ويقال أبا سعيد (رضي الله عنه) قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة من قومه بني أسد بن خزيمة سنة تسع فاسلم ورجع الى بلاده ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة بفتح الراء ودمشق وعمر الى قرب التسعين وأعقب بالرقة ومات بها ودفن عند منارة جامعها (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل) استفهام تقريري حذفت همزته أي أجئت تسأل (عن البر) أي الحلال (قلت نعم) فيه معجزة كبرى له حيث أخبره بما في نفسه قبل أن يتكلم به وفي رواية أحمد وأنا أريد أن لا أدع شيأ من البر والاثم الا سألت عنه واذا عنده جمع فذهبت أتخطى الناس فقالوا اليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت دعوني أدنو منه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتاي ركبتيه فقال يا وابصة أخبرك بما جئت تسأل عنه أو تسألني قلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عن البر والاثم فقلت نعم قال فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك (قال) المصطفى صلى الله عليه وسلم (استفت نفسك) أي اطلب الفتوى من قلبك وعول على ما فيه (البر ما) أي شئ أو الذي (اطمأنت) أي سكنت (عليه) وفي رواية اليه (النفس واطمأن اليه القلب) لانه تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركب في الطبائع محبته والجمع بينه وبين النفس للتأكيد وهذا مطابق لقوله السابق البر حسن الخلق لان حسنه تطمئن اليه النفس والقلب وقد حكي ان أبا الحسين النوري لما وشي به وبجماعته الى الخليفة ببغداد وقيل له انهم زنادقة وأحضرهم وأمر بقتلهم فجاء السياف فبادر اليه النوري فسئل عن مبادرته فقال أوثر أصحابي بحياة لحظة فسأل القاضي الخليفة أن ينظر في أمرهم ويبحث عن حالهم فاذن فطلب القاضي منهم رجلا ليتكلم معه فتقدم اليه النوري فسأله عن مسائل فقهية فنظر عن يمينه ثم عن يساره ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه فاجاب بجواب صحيح فسأله القاضي عن التفاته واطراقه فقال سألتني عن تلك المسائل ولا علم لي بها فسألت ملك اليمين فلم يجبني ثم ملك الشمال فلم يجبني فسألت قلبي فاخبرني بما أجبت به فاخبر القاضي الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم (والاثم ما) أي شئ أو الذي (حاك في النفس) أي أثر فيها اضطرابا وفي الحديث الآخر ايا كم والحكاكة فانها المأثم (وتردد في الصدر) أي لم ينشرح له القلب والجمع بينهما للتأكيد أيضا (وان) وفي رواية ولو وهو غاية لمقدر دل عليه ما قبله أي فالتزم العمل بما في قلبك وان (أفتاك الناس) أي علماؤهم كما في رواية وان أفتاك المفتون أي قد أعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من أفتاك بمفارقته (وأفتوك) بخلافه فرخصوا لك فيه لانهم انما يطلعون على الظواهر لا السرائر والجمع للتأكيد كما في قوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم فاتى بالثاني تأكيدا للاول لزيادة التذكير قال الطيبي هذا شرط قطع عن الجزاء تتميما للكلام السابق وتقريرا له على سبيل المبالغة وقال غيره ان

كان له في كل يوم صدقة ومن أنظره بعد حله كان له مثله في كل يوم صدقة (قوله ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة) المراد بالستر ستر زلات ذوي المحرمات ونحوهم ممن ليس معروفا بالفساد والاذى قال صلى الله عليه وسلم من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة وقال صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض أخيه رد الله وجهه عن النار يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم من رمى مسلما بشئ يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال رواه أبو داود أيضا والاحاديث في ذلك كثيرة أما المعروف بالفساد والاذى فيستحب أن لا يستر عليه بل يرفع قضيته الى ولي الامر أيده الله تعالى ان لم يخف من ذلك مفسدة اذ الستر على مثله يطمعه في الايذاء والفساد وجسارة غيره على مثل فعله (نكتة) سمعت بعض مشايخي في الفقه رحمه الله.

وصلته معطوف على مقدر أي انه لم يقتلك الناس وان أقتولك وقوله وان أقتولك تأكيد وحكي عن بعض العارفين انه أتاه رجل يريد السلوك فادخله الخلوة وتركه أياما ثم دخل عليه فقال له كيف ترى صورتي عندك قال صورة خنزير فقال صدقت ثم تركه في الخلوة مدة ودخل عليه فسأله كذلك فقال صورة كلب ثم كذلك الى أن قال أرى صورة القمر ليلة تمامه فقال صدقت الآن كمل حالك وصلحت ان ترجع الى قلبك وان تستفتي نفسك وان أفتاك المفتون وأخرجه من الخلوة وماذاك الا لان النفس اذا كانت في رعونتها ووحشتها كانت كالمرآة الصدأة فاذا قابلتها الاشياء وقع المثال فيها معكوسا فاذا صقلت بالمجاهدة وزال عنها الصدأ ظهر مثال الاشياء مستويا من غير زيادة ولا نقص وجعلت تميز كل خاطر يقع فيها لصفائها وقوله وأفتوك توكيد لما قبله ولا يعارض قوله في الحديث السابق فمن اتقى الشبهات الخ فان مقتضاه انه ليس اثما وأجيب بان هذا محمول على ما اذا قويت الشبهة ويكون من باب تركه الاصل الظاهر يعني أصل الحلال لاجل الشبهة وتركها وما سلف محمول على ما اذا ضعفت الشبهة فيبقى على أصل الحل ويجتنب محلها ورعا وانما وحد الفعل الاول لاسناده الى ظاهر وجمع الثاني لاسناده الى ضمير أو الاصل ان الفعل انما يكون له فاعل واحد فان كان ظاهرا امتنع اتصال ضمير بالفعل لئلا يتعدد الفاعل فلا يسوغ نحو أفتوك الناس وأما وأسروا النجوى الذين ظلموا وعموا وصموا كثير منهم فمن باب البدل من الضمير لا من باب تعدد الفاعل لامتناعه الا في لغة أكلوني البراغيث وهي لغة ضعيفة وان لم يكن ظاهرا وجب اضماره لئلا يتجرد الفعل عن الفاعل وهو غير جائز (حديث صحيح) وفي نسخة حسن (رويناه) بالسند المتصل حال كونه (في مسند الامامين) الجليلين أبي عبد الله (أحمد بن) محمد بن (حنبل) بن هلال بن راشد المروزي قدمت به أمه من مرو وهي حامل به الى بغداد فولدته بها سنة مائة وأربعة وستين وكان يحفظ ألف ألف حديث ومات ببغداد ضحوة الجمعة في ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة ومسنده فيه أربعون ألف حديث وقيل ثلاثون بتكرر منها عشرة جمعه من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفا وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث قيل وما يدريك قال ذاكرته فأخذت عليه الابواب وقال الحارث بن عباس قلت لابن مسهر هل تحفظ أحدا يحفظ على هذه الامة أمر دينها قال لا الا شابا في ناحية المشرق يعني الامام أحمد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام انتهى علم الحديث الى الامام أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأبي بكر وقال عبد الرزاق أما يحيى بن معين فما رأيت مثله ولا أعلم بالحديث منه من غير سرد وأما ابن المديني فحافظ سراد وأما أحمد فما رأيت أفقه منه ولا أورع وقال الشافعي رضي الله عنه خرجت من بغداد فما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه

* (فائدة) * قال المناوي في طبقاته ارتجت الدنيا لموت أحمد بن حنبل وأغلقت بغداد لشهوده ومسحت الارض المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها فيها فقدر الناس بالمساحة ستمائة ألف وكان يقول لمبتدعة بيننا وبينكم الجنائز وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرة آلاف اه وفي حياة الحيوان حزر قدر من حضر جنازة أحمد بن حنبل من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس اه وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات أمر المتوكل أن يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على أحمد فبلغ مقام ألفي ألف وخمسين ألفا (و) أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي (الدارمي) نسبة الى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين (باسناد جيد) وفي نسخة حسن فان قلت ما حكمة قول المصنف أولا حديث

عليه يذكر هذه الحكاية في درسه بالجامع الازهر وهي أن رجلا نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له بالاثر قم من منامك فسافر الى بلدة كذا فسأل بها عن فلانة العداوي فاقرئه مني السلام وقل له انت رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة فلما استيقظ من منامه سافر اليه فوجده لم يعمل خيرا في نهاره فاعلمه بذلك وسأله عن عمله فقال له تزوجت بامرأة فلما دخلت بها ولدت عندي ولدا من أول ليلة فسترت عليها ولم أفضحها وأخذت الولد فخرجت به الى الجامع وجلست أنتظر الناس فلما حضروا للصلاة الصبح تسارعوا الى أخذ الولد فحلفت بالطلاق ما ياخذه الا انا فاخذته ورددته الى أمه فربته وسترت عليها فيا اخواني هذا هو الستر (قوله والله في عون العبد) أي بعونه وتأييده (ما كان العبد في عون أخيه) أي مدة كونه في عونه بالاعانة بما تيسر من أنواعها (تنبيه) كل هذا حث على فعل الخير اذ الخلق عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله كما ورد (تنبيه آخر) كما يستحب ستر الزلات يستحب ستر الابدان قال صلى الله عليه وسلم من كسا مؤمنا عاريا كساه الله من خضر الجنة أي من ثيابها الخضر وقال صلى الله عليه وسلم

صحيح وقوله هذا باسناد جيد فالجواب انه لا تلازم بين الاسناد والمتن فقد يصح السند أو يحسن لاستجماع شروطه من الاتصال والعدالة والضبط دون ان المتن لشذوذ فيه أو علة فنص المصنف أولا على صحة المتن بقوله هذا حديث صحيح وثانيا على صحة السند بقوله باسناد جيد

(الحديث الثامن والعشرون)

(عن أبي نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة (العرباض) بكسر المهملة وسكون الراء وموحدة وآخره معجمة وأصله الطويل من الناس وغيرهم الجلد المخاصم (ابن سارية) بسين مهملة ومثناة تحتية السلمي بضم ففتح من بني سليم بن منصور صحابي من أهل الصفة وهم كما قال النووي زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا يأوون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم في آخره صفة وهي مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون ففي وقت كانوا سبعين وفي وقت غير ذلك (رضي الله عنه) نزل الشام وسكن حمص وكان من البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه الآية وكان من المشتاقين الى الله تعالى يحب ان يقبض اليه يقول في دعائه اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني اليك روي ان معاوية أعطى المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك ان تأخذه وما كان له ان يعطيك وكأني بك في النار تحمله على عنقك فرده المقداد مات العرباض في فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك ابن مروان (قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب يقال وعظته فاتعظ أي قبل الموعظة (موعظة) مصدر ميمي وتنوينها التعظيم أي موعظة عظيمة وكانت هذه الموعظة بعد صلاة الصبح لما في رواية الترمذي وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة أي بالغ فيها بالانذار والتخويف لاجل ترقيق القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه في غير الجمع والاعياد امتثالا لقوله تعالى وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفيه ندب المبالغة فيها لان لها وقعا في النفس وتأثيرا في القلب اذا صدرت من قلب ناصح سليم من الادناس والقبائح فالواعظ ما لم يكن مقاله كفعاله لا ينتفع بوعظه ومنزلة الواعظ من الموعظ منزلة الطبيب من المريض فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تأكلوا كذا فانه مضر ثم رأوه يأكله عد سخرية فكذا الواعظ اذا أمر بما لم يعمله فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما يستحيل الطبع بما ليس منتقشا في الطابع يستحيل ان يحصل في نفس الموعوظ ما ليس في الواعظ وقد حكي ان العارف الكبير أبا مدين المغربي مكث في بيته عاما لا يخرج منه فاجتمع الناس ببابه وقالوا أخرج تكلم على الناس وانفعهم وألزموه فخرج فنفر منه عصافير على صدره بباب داره فرجع وقال لو صلحت للكلام عليكم ما فر مني الطير فقعد في بيته عاما آخر فأتوه فخرج فنزل الطير عليه في مجلس وعظه يضرب باجنحته ويضطرب حتى مات منه كثير ومات رجل من الحاضرين اهـ وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في ألف رجل ابلغ من قول ألف رجل في رجل (وجلت) بكسر الجيم أي خافت ومنه وقلوبهم وجلة من الوجل وهو الخوف من عذاب الله (منها) أي من أجلها ويصح كونها لابتداء الغاية (القلوب) وذلك لاستيلاء سلطان الخشية على القلوب وتأثير الرقة فيها وانزعاجها من ذكر الساعة وأهوالها والنار وعذابها يشهد لذلك قول جابر رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم (وذرفت) بذال معجمة وراء مهملة وفاء مفتوحة (منها) فيهما ما مر (العيون) أي سالت دموعها أو انصبت وكثر جريانها وأخره عما قبله لانه انما ينشأ عنه غالبا والعيون جمع كثرة

أيما مسلم كسا مسلما ثوبا كان في حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة وفي رواية خرقة وقال صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مسلما لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مؤمنا على عري كساه الله من استبرق الجنة والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة (مسئلة) يستحب لمن لبس ثوبا جديدا أن يتصدق بالثوب العتيق ذكره العلماء (قوله ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة) أي أرشده الى سبيل الهداية والطاعة الموصلين الى الجنة أو انه يجازى على فعله بتسهيل دخول الجنة بقطع العقبات الشاقة دونها يوم القيامة كالجواز على الصراط ونحوه وفيه حث على فضل العلم وطلبه وقد تظاهرت الآيات والاخبار والآثار وتواترت وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت على فضيلة العلم والحث على تحصيله والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه *فمن الآيات قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى وقل رب زدني علما وقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم فبدأ بنفسه وثني

وفيه اشارة الى ان تلك الموعظة أثرت فيهم وأخذت بمجامعهم ظاهرا وباطنا وذلك دليل على معرفتهم ومراعاتهم لربهم وفيه دليل على ان البكاء من خوف الله وعذابه محمود وقد قال عليه السلام ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت وقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع وقال عليه الصلاة والسلام ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان أبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على وجهي أحب الى من أن أتصدق بجبل من ذهب وقيل لعطاء السلمي ما تشتهي قال أشتهي ان أبكي حتى لا أقدر أن أبكي وفيه انه ينبغي للعالم ان يعظ الناس ويذكرهم ويخوفهم ولا يقتصر بهم على مجرد معرفة الاحكام (فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع) لعلهم فهموا ذلك من مبالغته في الموعظة واستقصائه فيها فوعظوا أن ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم وفيه جواز الحكم بالقرائن لانهم انما فهموا ذلك من توديعه اياهم بالابلاغ في الموعظة أكثر من العادة واحتمال انه عرض فيها بالتوديع كما عرض في الوداع بقوله فيها لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس بعيد بدليل قولهم كأنها قال الشراح لكن في بعض طرق الحديث ان هذه موعظة مودع وهي شاهدة بذلك الاحتمال (فأوصنا) بفتح الهمزة اي وصية جامعة كافية لمهمات الدين والدنيا وفيه استحباب استدعاء الوصية والوعظ من أهلها واغتنام أوقات أهل الخير والدين قبل فوتها (قال أوصيكم بتقوى الله) لانها زاد الآخرة وكافلة لمن تمسك بها بسعادة الدارين لما مر من انها امتثال الاوامر واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك ولذلك أوصى الله تعالى بها الاولين والآخرين لقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وأصلها وقيا بكسر أوله وقد تفتح من الوقاية قلبت الواو تاء كتراث أصله وراث والياء واوا والوقاية ما يستر الرأس فالتقي قد جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها من عزمه على تركها واستحضار علمه بقبحها وأنشد بعضهم

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ❊ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ❊ وانك لم ترصد كما كان أرصدا

(والسمع) ان حمل على ان المراد به الاصغاء الى كلامه ليتمكن من فهمه ومعرفته كان ما بعده تأسيسا لمغايرته له وان حمل على قبول المسموع وعبر عنه بالسمع لانه فائدته كان ما بعده تأكيدا واليه جنح الدكة والهيتمي (والطاعة) بالفعل والاعتقاد وهي الموافقة في الظاهر والباطن فيما يؤمر به وينهى عنه فان أطاع بظاهره دون باطنه فهو عاص وهذا في غير الاثم لحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وعطف السمع والطاعة على التقوى من باب عطف الخاص على العام تحقيقا له ونحل وزمان لاشتمال الوصية بتقوى الله على السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين وحكمة ذلك ترتب المبالغة الآتية وبعكس نحو اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وسأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فقال اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم (وان تأمر) وفي رواية وان استعمل (عليكم عبد) ولاحمد حبشي مجدع وللبخاري حبشي كأن رأسه زبيبة ولمسلم ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف وهذا لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان الائمة من قريش الناس تبع لقريش لان ولاية العبد قد تكون نائبة عن امام قرشي يشهد له حديث الحاكم لا تعص

بملائكته وثلث بأولي العلم دون غيرهم وناهيك بهذا شرفا وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس لهم درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فقصر خشيته فيهم وأعظم به شرفا لان معرفته تستدعي خشيته ❊ ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين رواه البخاري ومسلم وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم رواه سهل عن ابن مسعود وقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء أهل الجنة وخلفاء الانبياء وقالت عائشة رضي الله عنها اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عمرو بن دينار العلم أشرف الاحساب وفي حديث مكحول عن واثلة الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال لهم اني لم استودعكم حكمتي وأنا أريد عذابكم ادخلوا الجنة برحمتي وعن

قريش ابرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها ولكل حق فآتوا كل ذي حق حقه وان أمرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا وأطيعوا وقوله وان تامر عليكم عبد اما من باب ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا فهو لا تصح ولايته ونظيره من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة واما من باب الاخبار بالغيب وان نظام الشريعة يختل حتى توضع الولايات في غير أهلها والامر بالطاعة حينئذ ايثار لاهون الضررين اذ الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته أهون من ايثار الفتنة التى لا دواء لها ولا خلاص منها ويرشد الى هذا تعقيب ذلك بقوله (فانه) أى الشان (من يعش منكم بعدى (فسيرى اختلافا كثيرا) بين الناس في ظهور الفتن وفي ظهور البدع والظاهر ان هذا بوحى أوحى اليه فانه عليه السلام كشف له عما يكون الى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار كما صح في حديث أبي سعيد وغيره ويجوز ان يكون بنظر واستدلال ولفظ ابن ماجه اختلافا شديدا وقد كان ذلك فهو من معجزاته حيث أخبر عن غيب وقع واتيانه بالسين دون سوف يدل على قرب الرؤية وكان الامر كذلك فظهر فتنة عثمان وواقعة الجمل ومحاربة معاوية لعلى على الامارة ومحاربته للحسن عليهما فسلم الامر اليه لاجل اطفاء نار الفتنة وظهر أعظم الفتن وهى قتلة الحسين وظهر يوم موته من الآيات أن السماء أمطرت دما وان أوانيهم ملئت دما وأن السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم بالنهار واشتد الظلام حتى ظن أن القيامة قد قامت وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا ولم يرفع حجر الا وجد تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام فظهرت في السماء حمرة وقيل احمرت ثلاثة أشهر وقيل ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك بها وعن ابن سيرين ان الحمرة التى مع الشفق لم تكن حين قتل الحسين وفي الحديث النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لامتى فاذا ذهبت أصحابى أتى أمتى ما يوعدون معناه ان النجوم مادامت باقية فالسماء باقية فاذا انكدرت وتناثرت في القيامة ذهبت السماء فانفطرت وانشقت واذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون من الفتن والحروب واذا ذهبت أصحابى أتى أمتى ما يوعدون من ظهور البدع والحوادث في الدين (فعليكم بسنتى) أى الزموا التمسك بطريقتى وسيرتى القويمة التى أنا عليها مما أصلته لكم من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة والمباحة وما تقرر من ان معنى السنة الطريقة القويمة هو ما توافق فيه اللغة والشرع وتخصيصها بما طلب طلبا غير جازم اصطلاح حادث قصد وابه التمييز بينها وبين الفرض قال عبد الرحمن ابن زيد أتى ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فامتثل ونزع ثيابه (وسنة) أى طريقة (الخلفاء) جمع خليفة وهو كل من قام مقام غيره وانما أطلق على الصحابة ذلك لانهم خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحكام (الراشدين) جمع راشد وهو من عرف الحق واتبعه والغاوى من عرفه ولم يتبعه والضال من لم يعرفه بالمرة (المهديين) جمع مهدى وهو من هداه الله لاقوم طريق والراشدين المهديين لفظان مترادفان معناهما واحد يحتمل أنهما اسما مفعول أى الذين ارشدهم الله وهداهم ويحتمل أنهما اسما فاعل أى المرشدين الهادين لغيرهم وعام أريد به الخاص واللام للعهد والمعهود أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله تعالى عنهم فان ما عرف عن هؤلاء أو عن بعضهم أولى بالاتباع من بقية الصحابة اذا وقع بينهم الخلاف فيه وقد ورد أن رجلا حلف لا يطأ زوجته حينا فافتاه أبو بكر بان الحين الابد وعمر أربعون سنة وعثمان بانه سنة واحدة وعلى بانه يوم وليلة فعرض الرجل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فقال لابى بكر ما دليلك على ان الحين الابد قال

ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الله يباهى الملائكة بمداد العلماء كما يباهى بدم الشهداء وقال ابراهيم بن أدهم ما أظن ان الله تعالى يدفع البلاء عن أهل الارض الا برحلة أصحاب الحديث وقال الشافعى رحمه الله من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فانه حياة القلوب ومصباح البصائر وعن ابن عمر رضى الله عنه قال مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة والاخبار والآثار في ذلك كثيرة شهيرة لا تحصى وفيما ذكرته تذكرة لاولى الالباب ويرحم الله القائل

وكل فضيلة فيها سناء ... وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتد غير العلم ذخرا ... فان العلم كنز ليس يفنى

(قوله وما اجتمع قوم) أى جماعة (في بيت من بيوت الله) أى مسجد من مساجده (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة) أى الطمأنينة (والوقار) أى يخلق الله تعالى ذلك فيهم الا بذكر الله تطمئن القلوب (قوله وغشيتهم الرحمة) أى خالطتهم وعمتهم (وحفتهم الملائكة) أى جاءتهم وأحاطت بهم لاستماع كتاب الله تعالى والتبرك به تعظيما للتالين (وذكرهم الله فيمن عنده) من الانبياء والملائكة

قوله تعالى في حق قوم يونس ومتعناهم الى حين وقال لعمر ما دليلك على ان الحين أربعون سنة قال قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الانسان آدم ألقيت طينته على باب الجنة أربعين عاما وقال لعثمان ما دليلك على انه عام قال قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين وقال لعلي ما دليلك على انه يوم وليلة قال قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون فقال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وأمر الرجل أن يأخذ بقول علي تخفيفا له ومذهبنا وافق لما أفتى به عثمان وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا وقد تمت بولاية الحسن ستة أشهر وقال اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فخص من تقدم اثنين وقال لامرأة أتته سائلة وأمرها أن ترجع اليه فقالت فان لم أجدك تريد الموت فقال ائت أبا بكر فخص أبا بكر وقال التوربشتي وانما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم أنهم لا يخطئون فيما يستخرجونه ويستنبطونه من سنته بالاجتهاد ولانه عرف ان بعض سنته لا تشتهر الا في زمانهم فأضاف اليهم لبيان ان من ذهب الى رد تلك السنة مخطئ فأطلق القول باتباع سنتهم سدا للباب اه وقد ورد ان العول لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبي بكر الصديق وأول من نزل به ذلك عمر فقال لا أدري من أخر الكتاب فأؤخره ولا من قدمه فأقدمه ولكن رأيت رأيا فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمن عمر وهو أن يدخل الضرر على جميعهم فحكم بالعول ويقال ان الذي أشار عليه بذلك العباس ولم يخالفه أحد من الصحابة الا ابن عباس لكنه لم يظهر ذلك الا بعد موت عمر اجلالا له وهذا في حق التقليد المعرف في تلك الازمنة القريبة في زمن الصحابة أما فيما بعد ذلك فلا يجوز كما قال ابن الصلاح تقليد غير الائمة الاربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهم لان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها وخدمها تابعوهم وحرروها فرعا فرعا وحكما حكما (عضوا عليها) وحد الضمير لان سنتهم كسنته في وجوب الاتباع (بالنواجذ) بذال معجمة الانياب وقيل الاضراس أي عضوا عليها بجميع الفم لا بمقدمه باطراف الاسنان وهو كناية عن شدة التمسك بها لان النواجذ محددة اذا عضت شيئا نشبت فيه فلا يكاد يتخلص من قولهم نشب في الامر محمض أي متمسك (واياكم ومحدثات) بفتح الدال جمع محدثة (الامور) أي اتقوا الامور المخترعة في الدين المخالفة لسنن الخلفاء الراشدين واحذروها وكثيرا ما كان يتمثل الامام مالك بهذا البيت كما سلف

وخير أمور الدين ما كان سنة ❊ وشر الامور المحدثات البدائع

(فان) ذلك بدعة وان (كل بدعة ضلالة) وجاء في بعض روايات هذا الحديث فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال بعض المفسرين المغضوب عليهم أهل البدع وعن عطاء الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض فاتين ما هذه الصرخة التي أفزعتنا قال أمر نزل بي لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال لهم هل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا فاني سأطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي قبلها قال وهل وجدتم شيأ قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما وجدت قال أزين لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون أي لان صاحب البدعة يراه حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله وقد جاء في الحديث أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أي لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة وهو عام مخصوص بالبدعة المحرمة اذ البدعة تعتريها الاحكام الخمسة كما سبق فالمراد الكلية الاغلبية وفي بعض الروايات فان كل محدثة

لقوله تعالى فاذكروني أذكركم وقوله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه اذ مقتضاه أن يكون ذكرهم فيمن ذكر ان يذكرهم جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا اله غيره وفيه بيان فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وقد جاء في فضل تلاوة القرآن أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح حسن غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه قال أبو النضر يعني القرآن رواه الترمذي وقال غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند الله آخر آية تقرؤها رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا رواه أبو داود والحاكم

بدعة

بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وأخرج أبو نعيم أهل البدع شر الخلق والخليقة والخلق والخليقة مترادفان وقيل المراد بالاول البهائم وبالثانى غيرهم وأخرج غير أصحاب البدع كلاب النار وأخرج البيهقى وابن عاصم فى السنة أبى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته قال بعضهم واعلم ان أهل البدع ثمانية المعتزلة القائلون بان العباد خالقوا أعمالهم وبنفى الرؤية ووجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطون فى محبة على وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة المكفرة لمؤمن أذنب ذنبا كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلون بانه لا يضر مع الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق والنجارية الموافقة لاهل السنة فى خلق الافعال وللمعتزلة فى نفى الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العباد فرقة والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فرقة أيضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم فى النار والفرقة الناجية هم أهل السنة وقد ورد فى الحديث ستفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلهم فى النار الا فرقة واحدة وهى ما كان على ما أنا عليه وأصحابى (رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن) وفى نسخة حسن صحيح

(الحديث التاسع والعشرون)

(عن معاذ بن جبل) بالتحريك ضد السهل (رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله أخبرنى) وفى رواية أنبئنى (بعمل) التنوين فيه للتعظيم أو النوعية أى عمل عظيم أو معتبر فى الشرع فلا يرد ما قيل انه اذا جعل يدخلنى جواب الامر بقى بعمل غير موصوف والنكرة غير الموصوفة لا تفيد (يدخلنى الجنة) اما أن يجعل مرفوعا والجملة فى محل جر صفة لقوله بعمل أو مجزوما قال الطيبى وفى مثله مذهبان أحدهما مذهب الخليل وهو أن يجعل الامر بمعنى الشرط وجواب الامر جزاء والتقدير ان تخبرنى بعمل يدخلنى الجنة وفيه اقامة السبب الذى هو الاخبار مقام المسبب الذى هو العمل لان العمل هو السبب الا الاخبار والثانى مذهب سيبويه أن الجواب جزاء شرط محذوف تقديره أخبرنى بعمل ان عملته يدخلنى الجنة (ويباعدنى عن النار) وفى رواية أحمد انى أريد ان أسألك عن كلمة قد أمرضتنى وأسقمتنى وأحزنتنى قال سل عما شئت قال أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة لا أسألك غيره وفيه دليل على شدة اعتنائه بالاعمال الصالحة وعظيم فصاحته فانه أوجز وابلغ ولهذا حمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مسئلته واستعظمها وان الاعمال سبب لدخول الجنة ويشهد له قوله تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ولا ينافيه حديث البخارى لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته وفى رواية لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله لان العمل نفسه لا يستحق به أحد الجنة ما لم يكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله أو المراد به جنة خاصة أى تلك الجنة الخاصة الرفيعة بسبب الاعمال واما الدخول فبالرحمة أو ان الباء فى بما كنتم للابسة أى أورثتموها ملابسة لاعمالكم أى لثواب أعمالكم أو للعوض والمقابلة والمعطى لعوض قد يعطى مجانا لا السببية لان المسبب لا يوجد بدون السبب خلافا للمعتزلة القائلين بان العمل سبب لدخولها واما الباء فى حديث لن يدخل أحدكم الجنة بعمله فهى سببية ولا كلام *(فائدة)* أخرج الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال خرج من عندى خليلى جبريل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذى بعثك بالحق ان لله تعالى عبدا من عباده عبد الله عز وجل خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ذراعا والبحر المحيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تبض بماء عذب فتستنقع فى أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج كل ليلة رمانة يتعبد يومه فاذا أمسى نزل فاصاب من

غير ذلك من الاحاديث التى لا تحصى (قوله ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) أى لم يلحق به مرتبة أصحاب الاعمال والكمال مصداق ذلك قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله صلى الله عليه وسلم ائتونى بأعمالكم ولا تأتونى بأنسابكم ولان الله تبارك وتعالى خلق الخلق لطاعته فهى المؤثرة فى النفع لا غيرها فالاسراع الى العبادة انما هو بالاعمال لا بالانساب *(خاتمة المجلس)* فيما يتعلق بشئ من فضائل الذكر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال فاذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الى غير ذلك من الآيات الدالة على طلب الذكر وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة ومعناه من جاهد نفسه قليلا فى خدمتى تقربت اليه برحمتى ويسرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتى وحلاوة الانس

بذكرى قيصر محمولا بغداد كان حاملا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن

لوضوء وأخذ ثلث الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا قال
فنفعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله
عز وجل فيقول له الرب جل جلاله ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول رب بل بعملي فيقول الله تعالى
قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم
الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبدي النار فيجر إلى النار فينادي يا رب برحمتك ادخلني الجنة فيقول
ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيئا فيقول أنت يا رب فيقول ومن قواك
لعبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يا رب فيقول ومن أنزلك في جبل في وسط اللجة وأخرج لك الماء
العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة في السنة وسألته أن يقبضك ساجدا
ففعل فيقول أنت يا رب قال فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة ادخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت
يا عبدي فأدخله الله الجنة قال جبريل عليه السلام وإنما الأشياء برحمة الله يا محمد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمعاذ (لقد) اللام واقعة في جواب سؤال مقدر والتقدير والله لقد (سألت عن) عمل (عظيم)
لأن عظم الشيء بعظم الأسباب والنجاة من النار أمر عظيم فكيف مع دخول الجنة (وإنه) أي العمل
الذي يدخل الجنة ويباعد عن النار (ليسير على من يسره الله) تعالى عليه بتوفيقه وتهيئة أسباب
الطاعة وشرح صدره للسعي فيما يؤديه إلى السعادة الأبدية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
اعملوا ما شئتم فكل ميسر لما خلق له وبالجملة فالتوفيق إن ساعد على شيء تيسر وإن كان أثقل الجبال
(تعبد الله) عدل عن صيغة الأمر تنبيها على المأمور وكأنه سارع إلى الامتثال وهو يخبر عنه إظهارا
لرغبته في وقوعه والمراد بالعبادة النطق بالشهادتين ولما عبر بالعبادة احتاج أن يوضحها بقوله
(لا تشرك به شيئا) ومنه يا أيها الناس اعبدوا ربكم أي وحدوه وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
أي يوحدون ويحتمل أن العبادة هنا تتناول الإيمان الباطن والإسلام الظاهر قال تعالى فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا والأقرب الأول كما قال الحافظ ابن حجر
والعبادة كما قال شيخ الإسلام في شرح الرسالة القشيرية لها ثلاث درجات عليا ووسطى ودنيا فالعليا
أن يعمل العبد لله وحده امتثالا للأمر وقياما بحق عبوديته والوسطى أن يعمل لثواب الآخرة والدنيا
أن يعمل للإكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها وما عدا هذه الثلاث فهو من الرياء وإن تفاوتت أفراده
واللام في قوله للإكرام لام العاقبة والسلامة لام العلة والعمل لله فقط لكنه يؤول عند الاطلاع عليه
إلى الإكرام وذكر بعض المفسرين عن بعض العارفين ما حاصله إن العبادة لها ثلاث درجات أدناها أن
تعبد الله تعالى طمعا في الثواب وهربا من العقاب وهذا هو المسمى بالعبادة وأوسطها أن تعبد الله
لتتشرف بعبادته أو لتتشرف بقبول تكاليفه أو بالانتساب إليه وهذه أعلى من الأولى وأعلاها أن تعبده
لكونه إلها وخالقا ولكونك عبدا له وهذا ما ذكر على ما قاله شيخ الإسلام (وتقيم) بالرفع (الصلاة) وهو
وما بعده من عطف المغاير على المعنى الأول في تعبد وعليه فيكون قد ذكر له التوحيد وأعمال الإسلام
والخاص على العام على المعنى الثاني (وتؤدي الزكاة) وهي القدر المخرج من النصاب للمستحق وأتى
بالزكاة عقب الصلاة لأن الصلاة أعظم الطاعات البدنية والزكاة أعظم الطاعات المالية وقد كتب سلمان
إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فإني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط
قال له ماله امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين يديه
كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور

لله تعالى ملائكة سيارة
يتبعون مجالس الذكر
فإذا وجدوا مجلسا فيه
ذكر الله قعدوا معهم وحف
بعضهم بعضا بأجنحتهم
حتى يملؤوا ما بينهم وبين
سماء الدنيا فإذا تفرقوا
عرجوا وصعدوا إلى
السماء قال فيسألهم الله عز
وجل وهو أعلم بهم من
أين جئتم فيقولون جئنا
من عند عباد لك في الأرض
يسبحونك ويهللونك
ويحمدونك ويسألونك
قال وماذا يسألوني قالوا
يسألونك جنتك قال وهل
رأوا جنتي قالوا لا يا رب
قال فكيف لو رأوا جنتي
قالوا ويستجيرونك قال مم
يستجيروني قالوا من نارك
يا رب قال وهل رأوا ناري
قالوا لا قال فكيف لو رأوا
ناري قالوا ويستغفرونك
قال فيقول الله تعالى قد
غفرت لهم وأعطيتهم
ما سألوا وأجرتهم مما
استجاروا قال فيقولون
يا رب فيهم فلان عبد خطاء
وإنما مر فجلس معهم قال
فيقول الله تعالى وله قد
غفرت هم القوم لا يشقى
جليسهم وقال معاذ بن
جبل رضي الله عنه ما عمل
ابن آدم من عمل أنجى له
من عذاب الله من ذكر
الله وروي في الحديث
يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قيل وما رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر

(وتصوم)

(وتصوم) شهر (رمضان وتحج البيت) الحرام ان استطعت اليه سبيلا (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ألا أدلك) أي أرشدك وهو عرض متضمن للحث نحو هل أدلكم على تجارة الآية أي أعرض ذلك عليك فهل تحبه فقصد به التشويق الى ما سيذكر له ليكون أوقع في نفسه وأبلغ في ملازمته وأحث على استفراغه الافادته (على أبواب الخير) أي طرقه واسبابه الموصلة اليه ومن ثم جعلها أبوابا له لترتبه عليها تشبيها بامتعة في مكان له ابواب فهو استعارة مكنية تخييلية ثم الاضافة ان كانت بيانية كان المراد به الاعمال الصالحة التي يتوصل بها الى أعمال أكمل منها كما استفيد من تسميتها أبوابا فهو من المجاز البليغ لما فيه من تشبيه المعقول بالمحسوس وأوثر جمع القلة اشارة الى تسهيل الامر على السامع ليزيد تشوقه واقباله وان كانت بمعنى اللام كان المراد به الجزاء العظيم وبها جميع الاعمال الصالحة ويدل للثاني رواية ابن ماجه ألا أدلك على أبواب الجنة وللاول تخصيص بعض الاعمال بالذكر بقوله (الصوم) أي صوم النفل لان الفرض تقدم (جنة) بضم الجيم أي وقاية من استيلاء الشهوة والغفلة في العاجل ومن النار في الآجل قال الطيبي انما جعل الصوم جنة من النار لان في الجوع سد مجاري الشيطان كما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع فاذا سد مجاريه لم يدخل فيه فلم يكن سبب العصيان الذي هو سبب دخول النار وفي خبر النسائي الصوم جنة من النار كجنة أحدكم من القتال (والصدقة) أي نفلها لان فرضها مر ذكره (تطفئ) بضم أوله وهمز آخره أي تمحو وفي رواية تكفر (الخطيئة) بالهمز بوزن فعيلة وربما أسقطت الهمزة وشددت الياء والمراد الصغيرة المتعلقة بحق الله أما الكبيرة فلا يمحوها الا التوبة وأما حق الآدمي فلا يمحوه الا رضا صاحبه وورد ان امرأة جاءت الى حسان بن سنان فسألته شيأ فجعل ينظر اليها فاذا هي امرأة جميلة فقال يا غلام أعطها أربعمائة درهم فقيل له انها سألت ألف درهم فاذا أعطيتها أربعمائة درهم فقال لما نظرت الى جمالها خشيت أن تقع في معصية فأحببت ان أغنيها عسى ان يرغب فيها أحد فيتزوجها ووجه رجل ابنه في تجارة فقضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما فسأله أبوه هل اصابك في سفرك بلاء فقال له غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت مع جملة الناس واذا بشابين أخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بزائد على ذلك وأما منع الصدقة فيصير العزيز ذليلا وحكي ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين يديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه ونهره فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل فجلس يأكل في بعض الايام هو وزوجته وبين يديهما دجاجة واذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعي له هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع السائل الذي انتهره زوجها فقال لها زوجها أنا ذلك السائل (كما يطفئ الماء النار) اذا التقى عليها وأوثر استعارة لفظ الاطفاء لمقابلته بقوله كما يطفئ الخ ولان الخطيئة يترتب عليها العقاب الذي هو أثر الغضب المستعمل فيه الاطفاء وفيه استعارة تبعية لانه شبه اذهاب الصدقة للخطيئة بالاطفاء واستعاره له ثم اشتق منه الفعل أو تخييلية لانه شبه الخطيئة بالنار وأثبت له ما هو من لوازمها من الاطفاء وخصت الصدقة بذلك لتعدي نفعها لان الخلق عيال الله وهي احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال الشخص يطفئ غضبه وسبب اطفاء الماء النار ان بينهما غاية التضاد اذ هي حارة يابسة والماء بارد رطب فقد ضادها بكيفيتيه والضد يدفع الضد ويعدمه وانما قال الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة ولم يقل الصوم والصدقة والصلاة في جوف الليل بدون

اقعدوا ورحوا واذكروا من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه ويروى أن في الجنة ملائكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا فتر الذاكر فتر الملك ويقول فتر صاحبي قال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فلو تفرقوا لاخذت باعناقهم وفي الخبر المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه فانصرف الى منزله وليس عليه ذنب ويروى ان الله تعالى يطلع الى مجالس الذكر فيقول ملائكتي وسكان سمواتي انظروا الى عبادي قد اجتمعوا الى عبد من عبادي يتلو عليهم من آياتي ويذكرهم آلائي اشهدكم اني قد غفرت لهم اللهم اغفر لنا أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين

* (المجلس السابع والثلاثون في الحديث السابع والثلاثين) * الحمد لله الذي فطر الارض والسموات الكريم الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو

من السيآت وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خص أحبابه بالكرامات وأشهد أن سيدنا محمدا

ورسوله صاحب الآيات
الباهرات صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه
وذريته وأزواجه
الطاهرات (عن ابن
عباس رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يرويه عن
ربه تبارك وتعالى قال إن
الله تعالى كتب الحسنات
والسيآت ثم بين ذلك
فمن هم بحسنة فلم يعملها
كتبها الله عنده حسنة
كاملة وإن هم بها فعملها
كتبها الله عنده عشر
حسنات إلى سبعمائة
ضعف إلى أضعاف كثيرة
وإن هم بسيئة فلم يعملها
كتبها الله عنده حسنة
كاملة وإن هم بها فعملها
كتبها الله سيئة واحدة
رواه البخاري ومسلم في
صحيحيهما) اعلموا
إخواني وفقني الله وإياكم
لطاعته أن هذا الحديث
حديث عظيم يدل على
فضائل الله تعالى على
خلقه ورأفته بهم فهو رب
كريم وفضله عظيم
يضاعف الحسنات دون
السيآت وقال بعضهم
هو من الأحاديث الإلهية
نحو أنا عند ظن عبدي بي
المروي عن فضل الرب
سبحانه وتعالى (قال
صلى الله عليه وسلم إن الله
تعالى كتب الحسنات والسيآت) أي قدر مقادير تضعيفها في اللوح المحفوظ أي في علمه تعالى وأطلع

ما ذكر إشارة إلى اختلاف أنواع الخير فإن قلت ما إعراب ما ذكر فالجواب أن قوله الصوم مبتدأ
محذوف تقديره منها الصوم وقوله جنة خبر لمبتدأ محذوف أي وهو جنة وكذا قوله وا...
الخطيئة * وقد سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أي الصدقة أفضل قال الماء ألم تر إلى أهل
النار حين استغاثوا بأهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وروي أن سعدا أتى إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال أي الصدقة أعجب إليك قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد وفي رواية
أخرى أنه قال يا رسول الله إن أم سعد كانت تحب الصدقة أفينفعها أن أتصدق عنها قال نعم و
بالماء وروى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي بطريق
اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج فإذا كلب يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ
الكلب مثل الذي بلغت فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله فغفر له قالوا يا رسول
الله وإن لنا في البهائم أجرا قال في كل كبد رطبة أجر وفي رواية في كل كبد حراء أجر وورد أن امرأة كانت
بغية فرأت كلبا عطشانا فنزعت خفها وأماء فسقته فغفر الله لها وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ومن
سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها وإخفاء الصدقة أولى لقوله تعالى إن تبدوا
الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية ولما رواه أنس أنه عليه الصلاة
والسلام قال إن صدقة السر تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء ولذا كان علي بن الحسين يحمل الخبز
على ظهره بالليل ويتبع به المساكين ويقول إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب ولما مات
وجد في ظهره أثر سواد فقال الغاسل ما هذا فقيل إنه كان يحمل جراب الدقيق على ظهره و
لفقراء أهل المدينة وكان إذا أتاه سائل رحب به وقال مرحبا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة (فائدة) أخرج
الشيخان من جملة حديث طويل وإنك إن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في
في امرأتك وأخرج أحمد بإسناد جيد ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة أي إن كان مما لا بد منه لقصد التقوي
على الطاعة كما هو معلوم من القواعد الشرعية وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجك
فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وأخرج الطبراني بإسناد حسن من أنفق على نفسه
نفقة يستعف بها فهي صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي صدقة وهذا مفهوم لما قبله
وأخرج الدارقطني والحاكم وصحح إسناده كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهل بيته كتب له
صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله والله ضامن
إلا ما كان في بنيان أو معصية وفسرت وقاية العرض بما يعطى للشاعر وذي اللسان المتقى وأخرج
الطبراني في الأوسط أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله وأخرج الطبراني بسند صحيح كل
ما صنعت إلى أهلك فهو صدقة عليهم (وصلاة الرجل) خص بالذكر لأن السائل رجل ولأن الخير
غالب في الرجال إذ أكثر أهل النار النساء لا للاحتراز عن المرأة لإيهامه له في ذلك (بجوف الليل) أي في
وبها عبر في بعض النسخ وحروف الجر تتناوب أو لابتداء الغاية فيكون مبدأ الصلاة جوفه أو للتبعيض
أي صلاة بعد جوف الليل إذ هي فيه مطلقا أفضل منها في النهار لأن الخشوع والتضرع فيه أسهل
وأكمل وللإمام أحمد وقيام الرجل في جوف الليل يكفر الخطيئة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال ذلك رجل بال الشيطان في أذنه وأوحى
الله إلى داود يا داود كذب في محبتي من إذا جن ليله نام عني ولما قال الخليل لابنه يا بني إني أرى في المنام
أني أذبحك قال له يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه لو لم تنم ما أمرت بالذبح وقيل للحسن البصري ما بال

المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وعن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ويحصل فضل قيامه بصلاة ركعتين لخبر من قام من الليل ولو قدر حلب شاة كتب من قوام الليل وخبر من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات واختلف في فضل أجزائه والصحيح الذي دلت عليه الاحاديث انه ان جزأه نصفين فالنصف الثاني أفضل أو ثلاثا فالثالث أفضل أو اسداسا فالسدس الرابع والخامس أفضل وهذا هو الاكمل على الاطلاق لانه الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه أفضل الصلاة صلاة أخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ورؤى الجنيد بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات وفنيت العلوم ونفدت الرسوم وما نفعنا الا ركيعات كنا نركعها عند السحر وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال اني استحييت من الله ان أوصف بما ليس في من عبادته ولبعضهم

تغيرتمو عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتمو أن لا تحولوا عن الهوى * فحلتم عن العهد القديم وما حلنا
ليالي كنا نستقي بوصالكم * وقلبي الى تلك الليالي قد حنا

وقد اجتهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في قيام الليل كعثمان بن عفان رضي الله عنه فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل الا هجعة أوله وكان يجمع القرآن في ركعة وعبد الله بن عمرو بن العاص وكان زوجه أبوه امرأة من قريش ثم جاء اليها فقال كيف وجدت بعلك قالت خير الرجال لم يلبس لنا كساء ولم يعرف لنا فراشا وعبد الله بن حنظلة قال مولى له يقال له سعد لم يكن لعبد الله فراش ينام عليه انما كان يلقي نفسه هكذا اذا أعيا من الصلاة توسد رداءه وذراعه ثم يهجع قليلا وصفوان بن سليم كان أعطى الله عهدا انه لا يضع جنبه على الارض فلما نزل به الموت قيل له رحمك الله الا تضطجع قال ما وفيت بالعهد اذا فاسند وما زال كذلك حتى خرجت نفسه قال أهل المدينة وتثقبت جبهته من كثرة السجود وعروة بن الزبير كان يقرأ القرآن كل يوم نظرا في المصحف ويقوم به الليل فما تركه الا ليلة قطعت رجله ثم عاوده من الليلة المقبلة وسفيان الثوري كان يقول اذا جاء الليل هذه ليلتي التي أموت فيها فما ينام حتى يصبح واذا أصبح قال كذلك ويلبس الثياب الرقاق في البرد حتى يمنعه البرد من النوم وعامر بن عبد قيس كان اذا جاء الليل قال أذهب عني النوم حر النار فما ينام حتى يصبح وصهيب حكى الامام مالك عنه انه كان بمكة فقالت له امرأته أفسدت نفسك لما نهارك نائم وليلك قائم فقال يا مولاتي اذا ذكرت النار طار نومي واذا ذكرت الجنة استقر شوقي والسري السقطي كان ورده في الليل والنهار خمسمائة ركعة والامام أبو الحسن الاشعري أقام نيفا وعشرين سنة يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة وعبد العزيز بن أبي رواد كان يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول والله انك لين وفراش الجنة ألين منك فيدرجه ويصلي الليل كله وكان سيدي عبد الوهاب الشعراني قبل بلوغه ربما ختم القرآن في ركعة واحدة وكان أبو بكر كثيرا ما ينشد ويقول

الشوق والوجد في مكاني * قد منعاني عن القرار
في همما لا يفارقاني * فذا شعاري وذا دثاري

وكان سري السقطي ينشد ويقول

كتبته من الملائكة عليه فلا يحتاجون وقت الكتابة الى بيان مقدار ما يكتبونه ثم بين ذلك أي فصل الذي أجمله في قوله ان الله كتب الحسنات والسيئات رحمة لهذه الامة لما قصرت أعمارها بتضعيف أجور أعمالهم بقوله (فمن هم بحسنة) أي أرادها وصمم على فعلها (فلم يعملها كتبها الله) أي قدرها أو أمر الملائكة الحفظة بكتابتها (عنده) والعندية هنا للشرف (قوله حسنة كاملة) أي لا نقص فيها (قوله وان هم بها فعملها كتبها الله عنده) اعتناء بصاحبها وتشريفا له (عشر حسنات) ومصداق هذا قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل درجات التضعيف وقوله الى سبعمائة ضعف بكسر الضاد (الى أضعاف كثيرة) بحسب النية والاخلاص وكثرة النفع ونحو ذلك ومصداق ذلك قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء أي بعد السبعمائة وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقد جاء في رواية الترمذي من حديث أبي هريرة الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله وفي حديث أبي ذر يقول الله تعالى من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد على

لافى النهار ولافى الليل لى فرج ✽ فلا أبالى أطال الليل أم قصرا

لانى طول ليلى هائم دنف ✽ وبالنهار أقاسى الهم والكدرا

وعن على بن بكار قال لى بنذ أربعين سنة ما أحزننى الا طلوع الفجر وعن سيدى أحمد الرفاعى يقول

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم ✽ أنوح كما ناح الحمام المطوق

وفوقى سحاب يمطر الهم والاسى ✽ وتحتى بحار بالاسى تتدفق

فلا هو مقتول ففى القتل راحة ✽ ولا هو ممنون عليه فيعتق

وقوله وصلاة الرجل قال البيضاوى هو مبتدأ خبره محذوف أى كذلك يطفئ الخطيئة أو هى من أبواب الخير والاول أظهر لاستشهاده صلى الله عليه وسلم بالآية وهى متضمنة للصلاة والانفاق نقله الطيبى ثم قال والاظهر أن يقدر الخبر شعار الصالحين كما فى جامع الاصول ويفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين وهى أنهما كما أفادتا المباعدة عن النار تفيد هذه الادخال فى الجنة ويتم الاستشهاد بالآية لان قرة العين كناية عن السرور والفوز التام وهو مباعدة النار ودخول الجنة كما قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (ثم تلا) لفظ ابن ماجه ثم قرأ يعنى احتجاجا على فضل صلاة الليل ومدح فاعل ذلك قوله (تتجافى) أى تتنحى وترتفع وتنبو (جنوبهم) جمع جنب وهو ما تحت ابطه الى كشحه (عن المضاجع) أى مواضع الاضطجاع للنوم وهو الفرش لانه جمع مضجع بفتح الجيم وهو موضع الاضطجاع للنوم (حتى بلغ يعملون) وفى رواية الترمذى وابن ماجه حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون وذلك لما فيها من الثناء عليهم بهجر النوم وارتكاب مشقة السهر وطلبهم والخوف والاحتياج اليه تعالى والانفاق مما رزقهم المرتب عليه ما أخفى لهم من قرة أعين وجمهور المفسرين على أن ما فى الآية كناية عن كثرة النفل بالليل فانهم أخفوا من أعمالهم فجوزوا بما أخفى لهم من قرة أعين وانما يتم اخفاؤه بالصلاة فى جوف الليل فما قيل انه كناية عن الصلاة بين العشاءين يرده ظاهر سياق هذا الحديث وقد جاء أن الله تعالى يباهى بقوام الليل فى الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلم الليل حيث لا يراهم أحد غيرى أشهدكم انى قد أبحتهم دار كرامتى وجاء اذا جمع الله الاولين والآخرين نادى مناد بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادى مناد ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم ينادى مناد ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس وفى مسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل وفى بهجة ابن أبى الدنيا أن يحيى عليه الصلاة والسلام شبع ليلة فنام عن حزبه حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرا من دارى أو جوارا خيرا من جوارى وعزتى يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقا الى ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع ولالبست الجلود بعد المسوح ✽ (وحكى) الحافظ ابن رجب فى لطائفه عن بعض العلماء انه نام عن تهجده ليالى فرأى فى منامه رجلين وقفا عليه فقال أحدهما للآخر هذا كان من المستغفرين فترك (ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك برأس الامر) أى الدين أو العبادة أو الامر الذى سألت عنه (وعموده) أى الذى يعتمد عليه كعمود الخيمة (وذروة) بتثليث الذال المعجمة والكسر أفصح (سنامه) بفتح السين أعلاه لان سنام البعير ما ارتفع فى ظهره (الجهاد) لما فيه من مقاساة الاهوال وترك الاختلاط بالاهل والعيال وسقط منه هنا شطر ثابت فى أصل الترمذى لا يتم الكلام بدونه وكأنه انتقل نظره من سنامه الى سنامه اذ لفظ الترمذى بعد سنامه المذكور (قلت بلى يا رسول الله قال

ذلك (قوله وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة) أى اذا كان تركها من أجل الله تعالى (وان

هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) عملا بالفضل فى جانب الخير والشر ولم يقل عنده كالتى قبلها لعدم الاعتناء بها ومن ثم أكد تقليلها بواحدة المستفاد من الحصر فى قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقد جاء فى أحاديث المعراج الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل الى محل سمع فيه صريف الاقلام قال الله تبارك وتعالى ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة (تنبيه) كتابة الملائكة لما ذكر تكون باطلاع الله لهم على ما فى قلوبهم وقيل بل يجد الملك لمن هم بالحسنة رائحة طيبة وبالسيئة رائحة خبيثة وقيل غير ذلك وليعلم أن الله تبارك وتعالى يغفر حديث النفس وما همت بفعله ما لم تعمل أو تتكلم به لخبر الصحيحين ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به والهاجس هو ما يلقى فى النفس والخاطر وهو ما يجول فيها مغفوران أيضا بمعنى أنه لا يؤاخذ بشىء منهما كما لا يخفى

رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) فيحتمل ان السقط من الاصل الذي نقل منه المصنف ويحتمل أنه من بعض النساخ وفي قوله رأس الامر الاسلام الخ استعارة بالكناية تتبعها استعارة ترشيحية لانه شبه الامر المذكور بفحل الابل و بالبيت القائم على عمد وأحضر هذا التشبيه في النفس ثم ذكر مايلائم المشبه به وهو الرأس والسنام والعمود والمراد بالاسلام النطق بالشهادتين كما جاء مفسرا بهما في رواية أحمد وانما كان هو الرأس لانه لاحياة لشيء من الاعمال بدونه كما ان الحيوان لاحياة له بدون رأسه والصلاة العمود لانه الذي يقيم البيت و يهيئه للانتفاع به والصلاة هي التي تقيم الدين والجهاد هو ذروة السنام لان ذروة الشيء أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعة من حيث ان به يظهر الاسلام و يعلو على سائر الاديان (واعلم) انه اختلف في أفضل أعمال البر بعد الفرائض قال مالك وأبو حنيفة العلم ثم الجهاد لقوله صلى الله عليه وسلم ما جميع أعمال البر في الجهاد كنقطة في بحر وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وقال الشافعي أفضلها الصلاة فرضا ونفلا وقال أحمد أفضلها الجهاد وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الاعمال أفضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين وحمل على اختلاف أحوال السائلين لانه صلى الله عليه وسلم كان طبيب الاخلاق فرب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة على الصلاة فقال له الصلاة في أول وقتها ورب شخص كان الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد ورب شخص كان الغالب عليه ترك بر الوالدين فقال له بر الوالدين واختلاف الازمان فرب عبادة في زمن أفضل من غيرها أو ان من مقدرة أي من أفضل الاعمال وعن أبي أمامة الباهلي انه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة من غزواته فمر رجل بغار فيه شيء من ماء وحوله شيء من البقل فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار يشرب مما فيه من الماء و يصيب مما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا قال لو أني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان أذن لي فعلت والا لم أفعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بان أقيم فيه والتخلي عن الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة وروى الحاكم ان عثمان بن مظعون جاء الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال تحدثني نفسي بان أختصي فقال خصاء أمتي الصوم فقال تحدثني نفسي بأن أترهب في رؤس الجبال فقال ترهب أمتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة فقال أريد أن أسيح في الارض فقال سياحة أمتي الغزو في سبيل الله تعالى فقال تحدثني نفسي بأن أطلق امرأتي فقال المهاجر من أمتي من هجر ما حرم الله فقال تحدثني نفسي أن لا آكل اللحم فقال أنا أحبه وآكله وقد قال بعضهم

الجود بالمال جود فيه مكرمة * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قال الطيبي وانما خص هذه المرتبة بالباء والاولى بعلى لان هذه المرتبة أجمع وأشمل لان المعنى بامر الدين وهو مشتمل على أبواب الخير وعلى ما قبله من نحو تعبد الله الخ ولهذا أتى بالباء في المرتبة الثالثة الآتية وأكدها بكله لكونها أجمع منها وهذا الترقي ينبهك على جواز الزيادة في الجواب والسؤال ضربان حالي وتعليمي وحق الاول مطابقة الجواب من غير زيادة ولا نقص وحق الثاني أن يتحرى المجيب الاصوب كالطبيب الرفيق يتوخى ما فيه شفاء العليل طلبه أم لا ولما تكلم على جهاد الكفر أخذ يتكلم على جهاد النفس وقمعها عن الكلام فيما يؤذيها او يؤذي بها بقوله (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ألا أخبرك بملاك ذلك) الامر (كله) أي بما يملكه و يضبطه او بمقصوده وجماعه أو بما يقوم به بمعنى اذا وجدت كانت تلك الاعمال كلها على غاية من الكمال ونهاية من صفاء الاحوال لان الجهاد وغيره من أعمال

ولما تقدم في الحديث السابق

(فصل في قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد وما يتعلق بذلك) قال ابن العماد في كشف الاسرار قيل أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد حذف الاول لدلالة الثاني كقولهم قطع الله يده ورجل من قالها وقعيد بمعنى قاعد ثم قال واختلف في عدد الملائكة التي على كل انسان فقيل عشرون ملكا نقله الفاكهاني في شرح الرسالة عن المهدوي *وروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم كم من ملك على الانسان فذكر عشرين ملكا قال ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمين على الذي على يسارك فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أأكتب فيقول لا لعله يستغفر أو يتوب فاذا لم يتب قال نعم أكتب اراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله واقل استحياءه لقول الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان بين يديك ومن خلفك لقول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه

الطاعات غنيمة وكف اللسان عن المحارم سلامة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا والسلامة في نظر العقلاء مقدمة على الغنيمة (قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه) الباء زائدة مؤكدة والضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم أى أمسك النبي صلى الله عليه وسلم لسان نفسه بيده (ثم قال كف) من كفه منعه وفي رواية كفف وفي رواية امسك عليك أو عنك أوضمن كف معنى احبس والمعنى احبس عليك لسانك لا يؤذيك بالكلام (هذا) أى عن الشر فان آفته عظيمة ولذا قال الغزالي انه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذلا يتبين الكفر والايمان الا به وكما ابتدأوله القلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل وهذه خاصية لا توجد في الاعضاء فان كل عضو يقتصر على منفعته فمن أطلق عذبة اللسان ملكه الشيطان ولا ينجو من شره أن يلجمه بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل شئ يخشى عاقبته وأعصى الاعضاء من الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله اه وفي الحكمة لسانك أسدك اذا أطلقته فرسك وان أمسكته حرسك وكان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد فلما مات رؤى في المنام فقيل له ما الذى أورد لسانك قال قال لا اله الا الله فأوردني الجنة وفي الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال بعض الحكماء لا شئ أحق بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والاسنان ومع ذلك يكسر القفل ويفتح الابواب وقال بعضهم في الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها ألف أولها ان الصمت عبادة من غير عناء والثانى زينة من غير حلى والثالث هيبة من غير سلطان والرابع حصن من غير حائط والخامس استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادس اراحة الكرام الكاتبين والسابع ستر عيوبه لان الصمت كما قيل زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة وذكر عن الاوزاعى أنه قال المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقد قال أبو بكر بن خلف الاحمى

يموت الفتى من عثرة من لسانه ✽ وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمى برأسه ✽ وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وعثر المتوكل بالبساط فجلس وتمثل بهذين البيتين وقوله كف يحتمل عمومه وأخص منه الكلام بخبر لحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ويحتمل أنه من باب المطلق استعمل في الكف عن الشر فلا يبقى له دلالة على غير ذلك ومنشأ الاحتمالين أن الفعل يدل على المصدر هل يقدر المصدر معرفا فيعم أو منكرا فلا يعم كما كفف كفا أو على أن المصدر جنس فيعم أو لا فلا (قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به) اللام لتأكيد وهذا استفهام استثبات وتعجب واستغراب فدل على أن معاذا لم يكن يعلم ذلك ولا ينافي خفاء هذا عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حقه أعلمكم بالحلال والحرام معاذ اما بحمل ذلك على المعاملات الظاهرة بين الناس والمؤاخذة المذكورة في معاملة العبد مع ربه أو أنه انما صار أعلمهم بذلك بعد هذا السؤال وأمثاله من طريق التعلم (فقال ثكلتك) بمثلثة وكاف مكسورة ولام مفتوحة أى فقدتك (أمك) زاد ابن ماجه يا معاذ والثكل بسكون الكاف وفتحها فقد المرأة ولدها وليس المراد حقيقته من الدعاء بالموت بل هو من الالفاظ التى تجرى على ألسن المحاورات للتأديب والتنبيه من الغفلة كتربت يداك أو ان الموت لما كان يعم كل احد كان الدعاء كلا دعاء أو ان المراد ان قلت هذا كان الموت خيرا لك من الحياة (وهل) حرف استفهام انكارى بمعنى النفى

قد ملك الله وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على النبي أشرف الانام صلى الله عليه وسلم وملك على فيك لا يدع الحية ان تدخل فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمى فتنزل ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء وهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمى وابليس بالنهار وولده بالليل قال الفا كهانى ان قلت ان الملائكة التى ترفع عمل العبد في اليوم هم الذين يأتون غدا أم غيرهم قلت الظاهر انهم هم وان ملكى الانسان لا يتغيران عليه مادام حيا ويوضحه قول الملكين في الحديث المذكور أراحنا الله منه فبئس القرين والقرين المصاحب كما قاله ابن السكيت وهذا الدعاء انما يكون عند طول الصحبة والا فصحبة اليوم والساعة لا يسأل الراحة منها انتهى وقوله تعالى يحفظونه من أمر الله فيه أوجه حسنة أحدها ان من بمعنى الباء على من يحفظونه بأمر الله والثانى أن المراد يحفظونه من أمر الله بأمر الله على معنى يحفظونه من قضاء الله بقضاء الله وهو أحرى لهما بالحفظ وهذا كما قال عمر

النفي ومنه هل جزاء الاحسان الا الاحسان (يكب) بضم الكاف أي يلقي قال الطيبي مضارع كبه بمعنى صرعه على وجهه فانكب سقط على وجهه وهذا من النوادر فان ثلاثيه متعد ورباعيه لازم تقول كببت الشئ فأكب (الناس) أي أكثرهم (في النار) أي نار جهنم ثم (على وجوههم أو قال) شك من الراوي (على مناخرهم) جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها ثقبة الانف وليس في رواية البزار الا المتأخر بلا شك (الا حصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة من حصد الزرع اذا قطعه (ألسنتهم) أي ما تكلمت به من الاثم كالكفر والقذف والسب والنميمة وغير ذلك واضافة حصائد الى الالسنة من اضافة اسم المفعول الى فاعله أي محصودات الالسنة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان في تكلمه بذلك بحد المنجل الذي يحصد به الناس الزرع ففيه استعارة بالكناية من حيث تشبيه ذلك الكلام بالزرع المحصود واللسان بالمنجل ويتبعها استعارة ترشيحية لان الحصاد يلائم المشبه به دون المشبه والحصر في ذلك اضافي اذ من الناس من يكبه في النار عمله لا كلامه لكن خرج ذلك مخرج المبالغة في تعظيم جرائم اللسان كالحج عرفة أي معظمه ذلك كما ان معظم أسباب النار الكلام ولان الاعمال يقارنها الكلام غالبا فاخصه من ترتب الجزاء عليه عقابا وثوابا وفي المعجم الكبير للطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي وائل عن ابن مسعود قال ارتقى ابن مسعود الصفا فاخذ بلسانه فقال يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أكثر خطايا ابن آدم من لسانه وللشافعي رضي الله تعالى عنه

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه الترمذي) في جامعه (وقال حسن صحيح) لكن في الجامع زيادة على ما ذكره المصنف هنا ولفظه عن معاذ قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة فذكره

(الحديث الثلاثون)

(عن أبي ثعلبة) بفتح المثلثة (الخشني) بضم المعجمة الاولى وفتح الثانية وكسر النون نسبة الى خشينة مصغر بطن من قضاعة بن مالك بن حمير (جرثوم) بفتح الجيم والمثلثة بينهما راء مهملة وقيل جرثومة وقيل جرثم وقيل غير ذلك قال ابن رسلان والاكثر على ان اسمه جرهم بضم الجيم والهاء (ابن ناشم) بالنون والشين المعجمة ثم راء مهملة وقيل ناشب بباء موحدة في آخره وقيل لاسق بالقاف وقيل لاسر وقيل لاش والاكثر على ان اسمه ناشم بالنون ومعجمة مكسورة وميم ويقال جرثم بن الاشتر بن النضر ونسبه بعضهم الى لحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير وهو مشهور بكنيته كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وأرسله الى قومه فأسلموا ونزل الشام ومات أول امرة معاوية وقيل في امرة يزيد وقيل في امرة عبد الملك سنة خمس وتسعين والاول أكثر وكان يقول اني أرجو ان لا يخنقني الله كما أراكم تخنقون عند الموت فبينما هو يصلي قبض وهو ساجد (رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض) وافترض بمعنى (فرائض) أي أوجبها والزم العمل بها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ويرادفه الواجب الا في الحج فان الفرض ما لا ينجبر بالدم والواجب ما ينجبر به وفرق الحنفية بينهما بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي كالصلاة والزكاة والواجب ما ثبت بدليل ظني كالثابت بالقياس وخبر الواحد كصدقة الفطر وعند الشافعي الفرض والواجب بمعنى ثم الفرائض اما فرائض أعيان كالصلوات الخمس والزكاة

رضي الله عنه نفر من قدر الله الى قدر الله والثالث ان الوقف على قوله يحفظونه ومن أمر الله يتعلق بمحذوف التقدير ذلك الحفظ من أمر الله أي من قضائه قال الشاعر

أمام وخلف المرء من لطف ربه * كوالئ تنفي عنه ما هو يحذر

الكوالئ الحوافظ قال الله تعالى قل من يكلؤكم وقول الملك أراحنا الله منه هو دعاء لانفسهما بالتحول عن مشاهدة المعصية لانهم يتأذون بذلك ويحتمل أن يكون هذا في حق الكافر الذي لا يتوب ولا يستغفر فان المؤمن من عادته وغالب أمره الاستغفار لا سيما عند وقوع المعصية ويحتمل تعميم ذلك في سائر العصاة من الموحدين والكافرين ويكون دعاء عليهم بالموت وهو جائز قال الكرابيسي صاحب الشافعي في كتابه أدب القضاء لو دعا على غيره بالموت لم يعزر لانه دعا له بالخلاص من غم الدنيا قال وقد قال أبو الدرداء وقد قيل له ما تحب لمن تحب قال أحب أن يموت قيل وان لم يمت قال يقل ماله وولده ونقل الواحدي عن ابن مسعود انه قال والله ما من أحد الا والموت خير له لانه ان كان مؤمنا فان الله تعالى قال وما عند الله خير للابرار وان كان كافرا فان الله تعالى قال انما نملي لهم ليزدادوا اثما

والصوم أو كفاية كصلاة الجنازة ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (فلا تضيعوها) بالترك أو التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم وقد صح انه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة الاسراء قوما ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم ذلك فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة وما ظلمهم الله شيئا (وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية وسميت العقوبة حدا لكونها تحجز الفاعل عن المعاودة أى جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم عما لا يرضاه وقد ورد حد يقام فى الارض خير من مطر أربعين صباحا وتطلق الحدود على الوقوف على الاوامر كالمواريث المقدرة وتزوج الاربع والنواهى فلا تقربوا الفواحش والمراد الاول اذ لو حمل على الثانى لتكرر مع ما قبله وتكرر بعضه ما بعده ويصح ارادة الثانى ويكون ذكره مع ما قبله وما بعده من ذكر العام بعد الخاص وعكسه (فلا تعتدوها) أى لا تجاوزوها وقفوا عندها ومن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها موارد المهالك وجلد عمر رضى الله عنه فى الخمر ثمانين ليس فيه زيادة محظورة وان اقتصر صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فيه على أربعين لان الناس لما أكثروا من الشرب زمنه مالم يكثروه قبله استحقوا أن يزيد فى جلدهم تنكيلا وزجرا فكانت الزيادة اجتهادا منه لمعنى صحيح مسوغ لها ومن ثم قال على كرم الله وجهه ورضى عنه ان كلا من الزيادة وعدمها سنة أى لان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء بعمر خصوصا بقوله اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر وعموما بقوله عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين فى الحديث السابق (وحرم أشياء) كالميتة والدم وأكل مال اليتيم والربا (فلا تنتهكوها) أى لا تتناولوها ولا تقربوها قال الجوهرى انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل لان انتهاك الشئ تناوله وحكى عن بعض السلف انه قال رأيت المعاصى تزرى فتركتها مروأة فصارت ديانة وعن العوام بن حوشب انه قال نزلت مرة حيا والى جانب ذلك الحى مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت امرأة ترى تلك العجوز قلت مالها قالت تلك أم هذا قلت وما كانت قصته قالت كان يشرب الخمر فاذا أراح قالت له أمه اتق الله الى متى تشرب الخمر فيقول لها انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق بعد العصر كل يوم ينهق ثلاث نهقات ثم يطبق عليه القبر وعن بعضهم قال يارب أذنبت ولا تعاقبنى فاوحى الله الى نبى وقته قل لصاحب هذا الكلام عاقبتك ولم تشعر أعقوبة أشد من أن خليت بينك وبين مخالفتى وعن ابن شبرمة انه قال العجب ممن يحتمى من الحلال مخافة الداء ولا يحتمى من الحرام مخافة النار (وسكت عن) ذكر حكم (أشياء) فلم ينص على وجوبها ولا حلها ولا تحريمها الا انه تعالى سكت عنها حقيقة لان الكلام من صفاته القديمة المستمرة فلا ينقطع كلامه ولا يتناهى لان الانقطاع والتناهى من صفات الحدثات والله تعالى منزه عن ذلك (رحمة لكم) مفعول لاجله أى لاجل رحمته ورأفته بكم وتخفيفه عنكم حال كون ذلك (غير نسيان) لاحكامها اذ لا يضل ربى ولا ينسى وما كان ربك نسيا والنسيان ترك الفعل بلا قصد وبعد حصول العلم (فلا تبحثوا عنها) لان السؤال عما سكت الله عنه يفضى الى التكاليف الشاقة لان البحث عنها ان كان فى زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ربما أفضى الى تشديد بايجاب وتحريم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم لاجل مسألته وان كان فى غيره فهو من التعمق والتنطع والبحث عما لا ينبغى وقد قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والبحث لغة التفتيش ويفهم من سكوته رحمة انما مع النهى عن البحث عنها انه لا حكم قبل

واختلفوا فى موضع جلوس الملكين من الانسان فقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك قال البغوى ومثله عن الحسن البصرى وكان يعجبه أن ينظف عنفقته وروى أبو نعيم فى تاريخ أصبهان أنه صلى الله عليه وسلم قال نقوا أفواهكم بالخلال فانها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شئ أضر من بقايا الطعام بين الاسنان قال أبو طالب المكى فى تفسيره يروى ان الملك على ناب الانسان الذى يأكل به وقلم الملك لسان الانسان ومداده ريق الانسان قال وهذا تمثيل فى القرب والله أعلم بكيفية ذلك وأما الذى تكتب فيه الحفظة فدواوين من رق كما قال تعالى وكتاب مسطور فى رق منشور على أحد الاقوال فيه وقال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال البغوى وفى الآثار ان الله تعالى يأمر الملك بطى الصحيفة اذا تم عمر المرء فلا تنشر الى يوم القيامة والظاهر ان هذه الكتابة التى تكتبها الملائكة ليست بهذه الاحرف ويدل عليه ان الغزالى ذكر عن اللوح المحفوظ ان المكتوب فيه ليس بحروف قال وانما هو ثبوت المعلومات فيه كثبوتها فى العقل والله أعلم واختلفوا فيما يكتبه الملائكة

ورود الشرع وهو الاصح عند المحققين لان الحكم عند أهل السنة لا يكون الا بالشرع وقال أبو الزناد الاعرج على الاباحة لان الله تعالى خلق لنا ما في الارض جميعا فكل مالم يحرمه فهو مباح وقال الابهري على الحظر وحكمت المعتزلة العقل فان لم يقض أي كأكل الفاكهة فثالثها الصمم الوقف عن الحظر والاباحة (حديث حسن) بل صححه ابن الصلاح وقول أبي حاتم وأبي زرعة وابن مكحول لم يسمع من أبي ثعلبة معارض بقول ابن معين سمع والمثبت مقدم على النافي (رواه) الامام الحافظ علي بن عمر (الدارقطني) نسبة الى دارقطن محلة ببغداد

﴿(الحديث الحادي والثلاثون)﴾

(عن أبي العباس) وقيل أبي يحيى (سهل) وقيل سعد وما قاله المصنف أصح له ولابيه صحبة ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين (ابن سعد) بن مالك بن خالد بن ثعلب بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج (الساعدي) بكسر المهملة نسبة الى جده ساعدة بن كعب بن الخزرج كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وكان يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس عشرة سنة ومات سنة ثمان وثمانين وله مائة سنة وقيل احدى وتسعين بالمدينة وهو آخر من مات بها من الصحابة على قول وقيل جابر كما مر وأحصن سبعين امرأة وشهد قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين (رضي الله عنه) ينبغي عنهما لان والده سعد بن مالك صحابي أيضا روى له مائة حديث وثمانية وثلاثون اتفقا منها على ثمانية وعشرين وانفرد البخاري باحد عشر (قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلني) بضم الدال وفتح اللام مشددة (على عمل) هو فعل من الانسان مع قصد واختيار كما مر والمراد به عمل صالح (اذا عملته أحبني الله) محبة الله للعبد رضاه عنه واحسانه اليه لان المحبة ميل طبيعي وهو في حقه محال فالمراد غايتها (وأحبني الناس) لان محبتهم تابعة لمحبة الله فاذا أحبه ألقى محبته في قلوب خلقه لقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض (فقال ازهد) من الزهد بضم أوله وقد يفتح وهو لغة الاعراض عن الشئ احتقارا له وشرعا أخذ قدر الضرورة من المال المتيقن الحل فهو أخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وقيل ترك الدنيا عن قدره ولذا قال الطيبي لا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت وقيل تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت قال أبو يزيد ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ مر علينا حاجا فقال يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وقد تقدم هذا وقيل النظر الى الدنيا بعين الاحتقار فتصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها وقيل سلو القلب عن الاسباب ونفض اليد من الاملاك وقيل قصر الامل واليأس مما في أيدي الناس ومن ثم قال الضحاك انه قيل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى وقيل أن لا تأسى على ما فات من الدنيا ولا تفرح بما آتاك منها وقيل خلو اليد من الملك والقلب من الشبع وأحسن حدوده كما قال ابن القيم انه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا زهد العارفين وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما اذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول اليه تعالى والقرب منه وقال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف

على بني آدم فنقل البغوي عن مجاهد وأبو طالب عن الحسن وقتادة أنهما يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وأيد هذا القول بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قيل في التفسير ان الملائكة اذا صعدت بعمل العبد محا الله عنه المباحات وأثبت فيه الحسنات والسيآت لما روت أم حبيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله قاله أبو طالب وابن عطية وغيرهم يروى أن رجلا قال لبعيره حل فقال صاحب الحسنات ما هي بحسنة فأكتبها وقال صاحب السيئات ما هي بسيئة فأكتبها فأوحى الله تعالى الى صاحب الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه قال البغوي وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه ويوزر * روى البغوي بسنده الى أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر قال أبو طالب وروي أنه اذا كان الليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال تعالى الاقيلك واطرح

زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل فالزهد الفرض الزهد في الحرام وزهد السلامة الزهد في الشبهات والزهد الفضل الزهد في الحلال وعلى هذا فالزاهد في الحرام ليس زاهدا وقيل لا يسمى الا اذا انضم لذلك الزهد بنوعيه الاخيرين من ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحقق وقال الامام أحمد هو على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص وترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين وحكي عن جماعة من الصوفية انهم كانوا في موضع على التوكل فمضت عليهم مدة ولم يفتح عليهم بشيء فاتفق أن أحدهم خرج الى الوضوء فخطر ببال أحدهم ان في زاوية ذلك الفقير شيأ من الدنيا فنهض ففتشها فوجد فيها نصف درهم أسود فقال لأصحابه كيف يفتح علينا ومع صاحبنا شيء معلوم قد كتمه منا فأشاروا عليه بستره كما كان ثم دخل الرجل من الباب وجمع حوائجه لينصرف فقيل له لم تنصرف فقال لأنكم أخذتم ثم حتى قالوا وكيف قال لأني ادخرت ذلك النصف درهم لسببي وذلك ان الله اذا أحضر خلقه للحساب أتيت بذلك النصف درهم الاسود أضعه بين يديه وأقول هذا ما فتحت به علي من الدنيا واكتفي الحساب فاني لم يفتح علي من الدنيا بغيره فتعجبت الجماعة من ذلك وطابت قلوبهم (في الدنيا) باستصغارها والاحتقار لجميع شأنها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره اياها وتحذيره من غرورها في غير ما آية من كتابه نحو قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى صراط مستقيم وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى قال بعضهم وصفها بالمتاع لئلا يركنوا اليها وبالقلة ليهون عليهم تركها والدنيا عبارة عما احتواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الارض واختلف في الزهد وذم فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة والاولى أن دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته وكلام الامير بين أجناده وما أشبه ذلك دنيا بالنسبة لهم الا أن يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة وهذا لا يكاد يصح الا من موفق ثم الحامل على الزهد أشياء منها استحضار الآخرة ووقوفه بين يدي مولاه وشاهد ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في طريق اذ لقيه حارثة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت والله مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عرضت نفسي على الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة في الجنة ينعمون والى أهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى رجل نور قلبه بالايمان فلينظر الى هذا ومثل هذا تكون الدنيا سجنه كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل لبعض النساك ما بال أكثر النساك يحتاجون لما في يد غيرهم فقال لان الدنيا سجن المؤمن وهل يأكل المسجون الا من يد المطلق ومنها استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة الذل والتعب في تحصيلها وكثرة غمومها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الاراذل في تحصيلها وطلبها ومنها احتقارها عند الله تعالى ومن ثم قال الفضيل لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب بها لتقذرتها كما تتقذر الجيفة ومنها استحضار أنها وما فيها ملعون كما في الحديث الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله تعالى ومنها ان تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى في دار الكرامات وفي الاثر اذا كان يوم القيامة يجمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا

آحاده أعشاره فالاحاد السيآت والاعشار الحسنات والمعنى ان من عمل حسنة واحدة وعشر سيآت لم تغلب آحاده أعشاره لان الحسنة الواحدة تكفر عنه عشر سيآت ومن عمل حسنة واحدة واحدى عشرة سيئة فقد غلبت آحاده أعشاره فالويل له ان لم يعف الله تعالى عنه قال الواحدي في تفسيره روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يا رب قد قبضت عبدك فلان أين نذهب قال سمائي مملوأة من ملائكتي يعبدوني وأرضي مملوأة من ملائكتي يطيعوني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك في صحيفة عبدي الى يوم القيامة فهذا يدل على أن الحفظة اثنان وقوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا يدل على ان الحفظة أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار على ما ذكره المفسرون حيث قالوا سماها الله صلاة الصبح مشهودة لانها تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فهم أربعة اذا صعد ... ما لنا

ما الناس اليه اسعد به قوم وشقى به آخرون ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم (يحبك) بفتح الباء المشددة والاصل يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية مجزوم فى جواب الامر الذى هو وازهد فاسكنت الباء الاولى عند ارادة الادغام بنقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الحاء فاجتمع ساكنان فحرك الاخير لالتقائهما بالفتح تخفيفا (الله) لانه تعالى يحب من أطاعه ومر سليمان عليه الصلاة والسلام على بلبل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وفى الحديث ابن آدم اذا أصبحت معافى فى جسدك آمنا فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وسربك بكسر فسكون نفسك أو بفتح فسكون مذهبك وسلكك أو بفتحتين بيتك والعفاء الهلاك والدروس وذهاب الاثر وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل بالتحريك أردأ التمر ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضى الشهران ولا توقد فى أبياته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر أنه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير أخذه قوتا لاهله ودخل عمر بن الخطاب يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد أثر فى جنبيه فبكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ذكرت كسرى وقيصر عدوى الله فى الخز والقز والحرير والديباج وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال له أفى شك أنت يا ابن الخطاب أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى قال فهو كذلك وقام الحسن على قبر فقال ان أمرا هذا آخره لحقيق ان يزهد فى أوله وان أمرا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره وقال الحسن بن محمد الحريرى أسرع المطايا الى الجنة الزهد فى الدنيا وأسرع المطايا الى النار حب الشهوات وقال الجنيد ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات وقال أبو بكر الكتانى قال لى على بن سعيد رأيت فى النوم امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت حوراء فقلت زوجينى نفسك قالت أخطبنى الى سيدى قلت فما مهرك قالت حبس نفسك عن مألوفاتها وقال يحيى بن معاذ الرازى ترك الدنيا شديد وترك الجنة أشد منه وان مهر الجنة ترك الدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوى وفى رواية تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال سفيان بن عيينة الزهد ثلاثة أحرف زاى وهاء ودال فالزاى ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا بجملتها وأنشد بعضهم

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن * اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وسئل معروف الكرخى عن الطائعين بم قدروا على الطاعة قال باخراج الدنيا من قلوبهم قال الفضيل ابن عياض جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد وقد اتفق أن ابراهيم بن أدهم قال بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان الليل نزل ملكان فقال أحدهما للآخر من هذا فقال له الآخر ابراهيم بن أدهم فقال له الذى خفضت درجة من درجاته فقال له لم فقال انه اشترى بالبصرة تمرا فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره فرجع الى البصرة واشترى تمرا من الرجل ثم انه قلب تمره على التمر ورجع وبات فى بيت المقدس تحت الصخرة فلما كان فى بعض الليل نزل ملكان من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال له ابراهيم بن أدهم فقال له ذاك الذى رد التمر مكانه ورفعت درجته (وازهد فيما عند الناس) باعراضك عما فى أيديهم

اثنان حفظه اثنان لا يفترون اللهم وفقنا لطاعتك أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الثامن والثلاثون فى الحديث الثامن والثلاثين)

الحمد لله الذى خص أولياءه بالكرامة وجعلهم خلفاء لنبيه المبعوث بالرحمة والاستقامة وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها يوم الحسرة والندامة وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الشفيع المشفع فى عرصات القيامة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بالسلامة (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ أحب الى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى أعطيته وان استعاذنى لاعيذنه رواه البخارى) اعلموا اخوانى وفقنى الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو أصل فى السلوك والتقرب الى المولى تبارك وتعالى والوصول الى معرفته وهو من الاحاديث الالهية لانه من كلام الله تعالى رواه النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام

منها (يحبك) بفتح الموحدة المشددة كما سبق (الناس) لتركك لهم ما احبوه اذ قلوبهم اكثرهم مجبولة مطبوعة على حب الدنيا ومن نازع انسانا في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه واصطفاه والناس شامل للانس والجن فيستفاد منه أن الزاهد يحبه الانس والجن قال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع في دينارهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دينارهم فقال ما أحسن هذا وسال كعب الاحبار وهو بادي عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ما اذهب العلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه فقال يذهبه الطمع وشره النفس وطلب الحاجات الى الناس فقال صدقت وقال ابن عطاء الله الزهد فيما في أيدي الناس سبب لمحبة الخلق والزهد فيما سوى الله سبب لمحبة الخالق فمن أحب العطاء من الخلق دل على بعده من الله فالعطاء منهم حرمان والمنع منهم احسان وذكر الغزالي أن عيسى عليه السلام مر قبيل الصبح برجل نائم ملتف بعباء فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني يا روح الله وقد تركت الدنيا لاهلها قال فنم اذن حبيبي وقال أبو الحسن الشاذلي دخل علي بالمغرب بعض الكبراء فقال ما أرى لك كبير عمل فبم فقت الناس وعظموك فقلت بخصلة واحدة تمسكت بالاعراض عنهم وعن دينارهم وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الغنم فانها بركة انه ورد في بعض الآثار أن الخليل عليه الصلاة والسلام كان له أربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق من الذهب الاحمر زنته ألف مثقال فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك لان الدنيا جيفة وطالبها كلب فذوقتها لطالبها انتهى وذكر الشيخ زروق أن شعيبا كان في غنمه اثنا عشر ألف كلب قال صاحب الحقائق ان ابليس لما أخذت منه الدنيا اغتم لها وقارون لما أعطيها فرح بها فالذي اغتم لها صار ملعونا والذي فرح بها صار تحت الارض مسجونا ونبينا صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه لم يأخذها ولما ردها لم يغتم لها فصار الى ما صار وأنشد الشافعي

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ✽ وسيق الينا عذبها وعذابها

فما هي الا جيفة مستحيلة ✽ عليها كلاب همهن اجتذابها

فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ✽ وان تجتذبها نازعتك كلابها

✽(وفي كشف الاسرار)✽

كن زاهدا فيما حوته يد الورى ✽ تضحى الى كل الانام حبيبا

أو ما ترى الخطاف حرم زادهم ✽ فغدا ربيبا في الحجور قريبا

تورع عن سؤال الخلق طرا ✽ وسل ربا كريما ذا هبات

ودع زاهرات دنيا الاواقي ✽ تراها لا محالة ذاهبات

غيره

✽(ولابي عبيدة)✽

الرزق يأتي وان لم يسع صاحبه ✽ حتما ولكن شقاء المرء مكتوب

وفي القناعة كنز لا نفاد له ✽ وكل ما يملك الانسان مسلوب

وسئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال كنت يوما مع اخواني في بستان لنا وذلك حين حملت الاشجار بالثمار من ألوان الفاكهة فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت مولعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت رخيم وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة والعود بيدي ولا يجيبني الى ما أريده فاذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني الذي بيده وهو يقول ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى وكسرت العود وصرفت من كان عندي فقد كان هذا

ثم زبه عز وجل (قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا) اي اتخذه عدوا (فقد آذنته بالمد وفتح الذال المعجمة بعدها نون (بالحرب) أي أعلمته باني محارب له عنه بعد في الى مهلكه والولي فيه وجهان أحدهما انه فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح فعلى هذا هو من يتولى الله رعايته وحفظه فلا يكله الى نفسه لحظة كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين والوجه الثاني انه فعيل مبالغة من فاعل كرحيم وعليم بمعنى راحم وعالم فعلى هذا هو من يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيأتي بها على التوالي من غير أن يتخللها عصيان أو فتور وكلا المعنيين شرط في الولاية فمن شرط الولي أن يكون محفوظا كما من شرط النبي أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بولي بل هو مغرور مخادع كذا ذكره الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وغيره من أئمة الطريق رحمهم الله تعالى ✽(تنبيه)✽ قال الفاكهاني رحمه الله من حاربه الله أهلكه وقال غيره ايذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة كأكل الربا فانا الله تعالى من ذلك فمن والى أولياء الله تعالى أكرمه الله ومن عادى أولياء الله أهلكه الله

أول زهدى وتشميرى وقد قيل من سمى باسم الزاهد فقد سمى بألف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن فى الدنيا والآخرة والزهاد هم الملوك فى الحقيقة كما قال بعضهم

أرى الزهاد فى روح و راحة * قلوبهم عن الدنيا مزاحه
اذا أبصرتهم أبصرت قوما * ملوك الارض سيمتهم سماحه

وقال الحسن والله ما أعز الدراهم أحد الا أذله الله قيل أول ما ضربت الدراهم والدنانير رفعهما ابليس الى جبهته وقبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا ومن ثم قال بعضهم انهما زمة المنافقين يقادون بهما الى النار (حديث حسن) بل صححه الحاكم فى المستدرك (رواه) الحافظ الكبير أبو عبد الله ابن يزيد ابن ماجه) القزوينى صاحب السنن ولد سنة تسع ومائتين ومات يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين (وغيره) كالعقيلى وابن عدى والطبرانى والحاكم والبيهقى (بأسانيد حسنة) وهو أحد الاحاديث الاربعة التى عليها مدار الاسلام كما مر

(الحديث الثانى والثلاثون)

(عن أبى سعيد سعد) وقيل سنان والمشهور الاول (ابن مالك بن سنان) بن عبيد وقيل عبد بن ثعلبة ابن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الانصارى وزعم بعضهم ان خدرة هى أم الابجر (الخدرى) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ووهم من أعجم الدال نسبة الى جده خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج وقيل نسبة الى حى من اليمن أسلم أبو سعيد وبايع المصطفى صلى الله عليه وسلم على أن لا تأخذه فى الله لومة لائم واستصغر يوم أحد فرد فخرج فيمن يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من أحد فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن مالك فقال نعم بأبى أنت وأمى يا رسول فدنا منه وقبل ركبته فقال آجرك الله فى أبيك لانه قتل يومئذ شهيدا غزا أبو سعيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة غزوة أولها الخندق وكان من الرماة المشهورين وهو معدود من أهل الصفة روى عنه انه قال أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرا من الجوع فقالت امرأتى ائت النبى صلى الله عليه وسلم فاسأله فقد أتاه فلان فأعطاه وفلان فأعطاه فقلت لا حتى لا أجد شيأ فطلبت فلم أجد شيأ فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فأدركت من قوله من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله قال فما سألت أحدا بعده وما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم أهل بيت من الانصار أكثر أموالا منا وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة وأربعين وانفرد البخارى بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين توفى بالمدينة سنة أربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين وقيل ثلاث وستين والمشهور الاول وله أربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع (رضى الله عنه) ينبغى عنهما لان أباه كان صحابيا أيضا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر) خبر لا محذوف أى فى ديننا والخبر بمعنى النهى أى لا يضر أحد غيره (ولا ضرار) فعال بكسر أوله لا يجازيه على اضراره بل يعفو ويصفح أى لا يضر من لا يضره ولا يضر من يضره فالضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما يضر به الانسان غيره وينتفع هو به والضرار ان يضره من غير ان ينتفع وقيل بالعكس وقيل الاول نهى للشخص عن تعاطى ما يضر نفسه والثانى نهى له عن فعل ما يضر غيره وقيل الاول عبارة عن منع ما ينفع الغير والثانى عبارة عن فعل ما يضر به وقيل معنى الاول لا يضر الشخص أخاه فينتقص شيأ من حقه ومعنى الثانى لا يضار الرجل جاره بادخال الضرر عليه وقيل معنى الاول لا يلزمه الصبر على الضرر ومعنى الثانى لا يجوز له اضرار غيره وحينئذ فالجمع بينهما للتأسيس وقيل انهما بمعنى واحد جمع بينهما للتأكيد فكأنه قال لا تضر لا تضر

روى عن حاتم الاصم عن جماعة من أصحاب العلوم والهمم ان جرجيس نبى الله نبى من أنبياء بنى اسرائيل كان فى زمانه ملك كثير الفساد مصر على مظالم العباد فمنع الله تعالى عنه المطر حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرر فركب هذا الملك الكافر الظالم القادر فى عساكره حتى أتى الى جرجيس فوجده فى صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس فقال له يا جرجيس أنى أحملك رسالة الى ربك فقال له جرجيس وما ذاك قال تقول لربك يأتينا بالمطر والا آذيته أذية يسمعها سائر البشر فما منعنا المطر غيره قال فدخل جرجيس الى محرابه وقد خرس من خوف الله تعالى عن جوابه فجاءه جبريل بأمر الملك الجليل فقال له هات الرسالة التى معك على الوجه الذى قال لك فقال جرجيس انى أخاف من الله ذى الجلال عند مقال ذلك القول على ما قال فقال جبريل يا جرجيس قل كما قال هكذا أمر العزيز المتعال فقال جرجيس قال ان لم يأتنا بالمطر والا آذيته

أذية يسمعها سائر البشر فقال جبريل يا جرجيس ربك يقول لك قل له ماذا تؤذيه

والاول أولى لانه اذا دار الامر بين الحمل على التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى لاسيما في كلام الشارع عليه السلام وقوله ولا ضرار وفي بعض الروايات اضرار بالهمزة قال ابن الصلاح ولا صحة لها وبقية الحديث من ضار ضار الله به ومن شاق شق الله عليه وظاهر الحديث تحريم سائر أنواع الضرر الا ما قل منه وما كثر الا لدليل لان النكرة في سياق النفي تعم فيحرم على الشخص فتح كوة في جداره يطلع منها على عورات جاره أو احداث فرن أو حمام أو رحى أو معصرة لوجود الضرر بالدخان وصوت الرحى وما أشبه ذلك ولا يحرم عليه تعلية بنائه على جدار جاره وان ظلم عليه أبواب غرفه ومنع الشمس أن تقع في حجرته واذا انهارت بئر جاره وكان له فضل ماء فانه يجب عليه ارسال فضل مائه الى زرع جاره بشروط ثلاثة احدها أن يكون قد زرع على أصل ماء الثاني ان يشتغل باصلاح بئره الثالث ان يخشى على زرعه الهلاك (حديث حسن) لذاته وله طرق متعددة يرتقي بمجموعها الى درجة الصحة (رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما) كالحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه وظاهره ان الكل رووه من حديث أبي سعيد والامر بخلافه بل ابن ماجه رواه من حديث ابن عباس وعبادة (مسندا) وهو المتصل الذي لم يحذف من اسناده أحد (ورواه) امام الائمة وناصر السنة أبو عبد الله (مالك) بن أنس بن مالك ابن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث بن ذي أصبح وغيمان بالغين المعجمة مفتوحة والياء باثنتين من أسفله ساكنة ذكره غير واحد وخثيل بالخاء المعجمة مضمومة ومثلثة مفتوحة وياء باثنتين من أسفله ساكنة وقال أبو الحسن الدارقطني جثيل بالجيم وحكاه عن الزبير وأما من قال عثمان بن خثيل وابن حنبل فقد صحف وأبو عبد الله جد أبي مالك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المغازي كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بدرا وابنه مالك جد مالك كنيته أبو أنس من كبار التابعين وهو أحد الاربعة الذين حملوا عثمان ليلا الى قبره وغسلوه ودفنوه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم وفي رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالما أعلم وفي رواية أفقه من عالم المدينة وفي رواية من عالم المدينة وفي بعضها آباط الابل مكان اكباد الابل وقد ذكر السلف ان المراد به مالك لان طلبة العلم لم يضربوا اكباد الابل من مشرق الارض ومغربها الى عالم ولا رحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك وقال الشافعي مالك استاذي وعنه أخذنا العلم وما أحد أمن علي من مالك وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى واذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم لحفظه واتقانه وصيانته وقال العلم يدور على ثلاثة مالك والليث وسفيان بن عيينة وحكي عن الاوزاعي انه كان اذا ذكره قال عالم العلماء وعالم أهل المدينة ومفتي الحرمين وقال ابن معين مالك من حجج الله على خلقه امام من أئمة المسلمين مجمع على فضله واختلف في حمل أمه به فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن ومحمد بن الضحاك حملت به أمه ثلاث سنين وقاله بكار بن عبد الله الزبيري وقال نضجته والله الرحم قال ابن منذر وهو المعروف وروى عن الواقدي انها حملت به سنتين والاشهر انه ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقيل سنة اربع وتسعين في ربيع الاول في خلافة الوليد وقيل سنة تسعين وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وكان طويلا جسيما عظيم الهامة شديد البياض الى الصفرة حسن الصورة عظيم اللحية تامها تبلغ صدره ذات سعة وطول وكان يأخذ أطراف شاربه ولا يحلقه ولا يحفيه ويرى حلقه من المثلة وكان يترك له سبالين طويلين ويحتج بفعل عمر رضي الله عنه اذا أهمه أمر وقال بعضهم كان ربعة والاول أشهر وسأله رجل عن مسألة فبادر وابن القاسم فافتاه فاقبل عليه مالك كالمغضب وقال جسرت على ان تفتي يا عبد الرحمن يكررها عليه ما أفتيت حتى سألت أأنا أهل

فمضى جرجيس اليه وأعاد الرسالة عليه فقال للملك لا قدرة لي على أذيته الا من وجهة واحدة لاني ضعيف وهو قوي والعاجز وهو قادر ولهذا أوذي أحبابه ومن آذى أحباءه فقد آذاه فجاء جبريل فقال يا جرجيس قل له لا تفعل فنحن نأتيك بالمطر ثم حادت السماء بالسحاب وامتلأت الصحارى بالسيول من كل جانب مدة ثلاثة أيام باذن رب الارباب وأمر الله تعالى النباتات والزرع في تلك الايام الثلاثة أن يطلع فلما طلعت الشمس نظر الى الحياض مترعة والفلوات مشرقة مشعشعة والزروع الى صدر الانسان طالعة والرياض مورقة متنوعة فركب الملك وأتى الى باب جرجيس وهو في صومعته يكثر من التسبيح والتقديس فخرج اليه وقال يا هذا ما تريد مني لم لا تشتغل بملكك عني لا تحملني مثل تلك الرسالة فان فيها قطاعة في المقالة فقال يا نبي الله ما أتيت خربا بل سلميا وقد انفتح بصر الضعيف الاعمى فان من عمل الاحسان مع عدوه لاجل وليه يجب أن تسجد الجباه لعظمته واني أريد المصاحبة لتكون صفقتي رابحة فقد ظهر لي بان أسرار التوحيد لانه أنا أشهد أن لا إله الا الله ولا معبود بحق سواه واخواني دله هذا الحديث الاول

موضع

أن عدو ولي الله تعالى عدو الله تعالى فمن عاداه كان كمن حاربه نعوذ بالله تعالى من الانكار والحرمان واعلموا

موضع فلم تمكن قيل له من سألت قال الزهري وربيعة الراوي وذكر الدميري في شرح المنهاج أن امرأة غسلت ميتة فالتصقت يد الغاسلة بفرج الميتة فتحير الناس في أمرها هل تقطع يد الغاسلة أو فرج الميتة فاستفتي مالك فقال سلوها ما قالت لما وضعت يدها عليها فسألوها فقالت قلت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال مالك هذا قذف اجلدوها ثمانين تتخلص يدها فجلدوها ثمانين فخلصت يدها فمن ثم نودي لا يفتى ومالك بالمدينة وكان اذا جلس جلسة لم يتحرك عنها حتى يقوم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا فقال انما صبرت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري وكان يقول ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدري قال لا أدري وقال أحمد بن حنبل كان مالك مهابا في مجلسه لا يرد عليه اعظاما له وكان الثوري في مجلسه فلما رأى اجلال الناس له واجلاله للعلم أنشد

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة * فالسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال بشر الحافي من زينة الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك وكان كثيرا ما يتمثل الامام كما سلف بهذا البيت

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الأمور المحدثات البدائع

ولما قدم المدينة المهدي جاءه الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجالسهم استأذن فقال الناس اليوم يجلس مالك آخر الناس فلما دنا ورأى ازدحام الناس قال يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك فناداه عندي يا أبا عبد الله فتخطى الناس حتى وصل اليه فرفع المهدي ركبته اليمنى وأجلسه ثم أتى المهدي بالطشت والابريق فغسل يده ثم قال للغلام قدموه الى أبي عبد الله فقال مالك يا أمير المؤمنين ليس هذا من الأمر المعمول به ارفع يا غلام فأكل مالك غير متوضئ وقال القاضي عياض قال الشافعي قال لي محمد ابن الحسن رضي الله عنهما أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعني أبا حنيفة ومالكا فقال قلت على الانصاف قال نعم قال فقلت فأنشدك من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم فقال اللهم صاحبكم قال وقلت أنشدك الله من أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال فقلت أنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال الشافعي قلت فلم يبق الا القياس فعلى أي شئ نقيس قال في مختصر الدر قالت لي عمتي ونحن بمكة ورأيت في هذه الليلة عجبا قلت وما هو قالت كأن قائلا يقول مات الليلة أعلم أهل الأرض فحسبنا تلك الليلة فاذا هي الليلة التي مات فيها مالك ورأى عمر بن يحيى بن سعد الانصاري في الليلة التي مات فيها مالك قائلا يقول

لقد أصبح الاسلام زعزع ركنه * غداة ثوى الهادي الى ملحد القبر
امام هدى ما زال للعلم صائنا * عليه سلام الله في آخر الدهر

قال فانتبهت فكتبت البيتين على السراج واذا الصارخة على مالك رضي الله تعالى عنه واختلف في تاريخ وفاته انها كانت في ربيع الأول لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة وقيل لعشر مضت منه وقيل لأربع عشرة ولثلاث عشرة ولاحدى عشرة وقيل لاثني عشرة من رجب وغسله ابن كنانة وابن الزبير وابن يحيى وكاتبه حبيب يصب عليه الماء ونزل في قبره جماعة وأوصى أن يكفن في ثياب بيض ويصلى عليه في موضع الجنائز وبلغ كفنه خمسة دنانير قال ابن

أن التقرب الى الله تعالى اما بالفرائض واما بالنوافل وأحب القسمين الى الله تعالى الفرائض فلذلك قال (وما تقرب الى عبدي) الاضافة للتشريف (بشئ أحب الي مما افترضت عليه) عينا أو كفاية كأداء الحقوق والأمر بالمعروف وغير ذلك وانما كان الفرض أحب الى الله تعالى من النفل لأمور منها أنه أكمل من حيث أن الأمر به جازم متضمن الثواب على فعله والعقاب على تركه ومنها أن الفرض كالأصل والأساس والنفل كالفرع والبناء ومنها أن في الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد اليه واظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل (قوله وما زال عبدي) في رواية وما زال (يتقرب الي بالنوافل) من الصلاة وغيرها (حتى أحبه) بضم الهمزة وفتح الباء والمراد بفعل بعد أداء الفرائض ما يحصل به التقرب عادة من فعل الاحسان ونحوه واذا الله تعالى منزه عن الوصف بالقرب والبعد ومن ثم قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله قرب العبد من ربه يكون بالايمان ثم بالاحسان

القاسم مات مالك عن مائة مجلدة فضلا عن سواد ا (فى) كتابه (الموطا) وأنشد بعضهم

أقول لمن يروى الحديث ويكتب * ويسلك سبل الفقه فيه ويطلب
اذا شئت أن تدعى لدى الخلق عالما * فلا تعد ما تحوى من العلم يثرب
أتترك دارا كان بين بيوتها * يروح ويغدو جبرئيل المقرب *
ومات رسول الله فيها وبعده * بسنته أصحابه قد تأدبوا *
وفرق شمل العلم فى تابعيهم * فكل امرئ منهم له فيه مذهب
فخلصه بالسبك للناس مالك * ومنه صحيح فى المحس وأجرب
فبادر موطا مالك قبل فوته * فما بعده ان فات للخلق مطلب
ودع للموطا كل علم تريده * فان الموطا الشمس والغير كوكب
ومن لم يكن كتب الموطا ببيته * فذاك من التوفيق بيت مخيب
جزى الله عنا فى الموطا مالكا * بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب
لقد فاق أهل العلم حيا وميتا * فصارت به الامثال فى الناس تضرب
فلا زال يسقى قبره كل عارض * بمندفق ظلت غواليه تسكب

(مرسلا) وهو عند المحدثين ما حذف من اسناده الصحابى (عن عمرو بن يحيى) المازنى (عن أبيه) يحيى بن عمارة (عن النبى صلى الله عليه وسلم فاسقط) من السند (أبا سعيد) الخدرى (وله طرق) ضعيفة لكن (يقوى بعضها بعضا) لان الاسانيد الواهية اذا اجتمعت قوى بعضها بعضا وفى المثل

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق وبطش زائد
عزت فلم تكسر وان هى بددت * فالكسر والتوهين للمتبدد

(وقال آخر) لا تخاصم بواحد أهل بيت * فضعيفان يغلبان قويا

(الحديث الثالث والثلاثون)

(عن) حبر الامة مفسر التنزيل ومبين التأويل أبى العباس عبد الله (ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو) حرف امتناع لامتناع أى امتناع الشئ لامتناع غيره أى تقتضى امتناع الجواب لامتناع الشرط كما عليه جمهور النحاة أولما كان سيقع لوقوع غيره كما عليه امامهم سيبويه وعليه فلا اشكال لان دعوى رجال أموال قوم كان سيقع لوقوع اعطاء الناس بدعاويهم وكذا الاشكال على الاول أيضا وان وقع دعوى بعض الناس مال بعض سواء أعطوا بدعاويهم أم لا لان المراد بدعوى الرجال أموال قوم اعطاؤهم اياها ودفعها اليهم أى لو يعطى الناس بدعواهم لاخذ رجال أموال قوم وسفكوا دماءهم فوضع الدعوى موضع الاخذ لانه سببه ولاشك ان أخذ مال المدعى عليه ممتنع لامتناع اعطاء المدعى بمجرد دعواه وكذلك أخذ لما سيقع لو وقع اعطاء المدعى بدعواه ولا يقع بدون ذلك فصح معنا لو هنا على القولين قاله الشارح الهيتمى (يعطى الناس) المفعول الثانى محذوف أى الاموال والدماء (بدعواهم) أى لو كان كل من ادعى شيأ عند الحاكم يعطاه بمجرد دعواه بلا بينة (لادعى) جواب لو ورواية ابن ماجه ادعى بحذف اللام (رجال) جمع رجل وهو الذكر البالغ من بنى آدم وذكرهم لا لاخراج النساء بل لان الدعوى غالبا انما تصدر منهم أو من باب الاكتفاء بأحد القبيلين كسرابيل تقيكم الحر ويؤيده رواية لادعى ناس وأتى بصيغة الجمع للاشارة الى اقدام غير واحد على ذلك والدعوى كما قال ابن عرفة قول بحيث لو سلم أوجب لقائله حقا (أموال قوم) اسم جمع وشذ من جمعه على أقوام قيل يختص بالرجال لقوله تعالى لا يسخر قوم من

وقرب الرب من عبده ما يخصه به فى الدنيا من عرفانه وفى الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه وامتنانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق قال وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالاولياء قال الفاكهانى رحمه الله معنى الحديث أنه اذا أدى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى (قوله فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) قالوا المعنى كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع وبصره فى النظر ويده فى البطش ورجله فى المشى وقال بعضهم ويجوز أن يكون المعنى كنت معينا له فى الحواس المذكورة وقيل غير ذلك من الاقوال التى لا حاجة لنا بالاطالة بنقلها (قوله وان سألنى أعطيته) اى ما سأل (قوله وان استعاذنى) بالباء والنون اى طلب منى أن أعيذه مما يخاف لاعيذنه والمراد انه تعالى يتولى وليه فى جميع احواله بحسن تدبيره ويكلؤه بحسن رعايته كما قال الوليد *(فائدة)* قال بعضهم اذا أراد الله تعالى أن يوالى عبده

فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم أجلسه على كرسي التوحيد

قوم عنى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء فذكرهن دليل ظاهر على ان القوم لم يشملن وبه صرح زهير فى قوله

وما أدرى ولست أخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وسمى الرجال قوما لقيامهم بالمهمات وعظائم الامور وقيل يعم الفريقين اذ هم المراد فى نحو وكذبت قوم نوح ليس بارض قومى ورديان دخولهن هنا ليس لغة بل القرينة نحو التكليف فى الآية وحكمة التعبير برجال ثم قوم على الاول تفننا ودفع الكراهة تكرار أحدهما وعلى الثانى ان الغالب فى المدعى ان يكون رجلا اذ المرأة لا يليق بها حضور مجالس الحكام والمدعى عليه يكون رجلا أو امرأة (ودماءهم) قدم الاموال على الدماء هنا مع ان الدماء أهم وأعظم خطرا ولذا وردانها أول ما يقضى فيه بين الناس لان الخصومات فى الاموال أكثر وأغلب اذ أخذها أيسر وامتداد الايدى اليها أسهل ومن ثم ترى العصاة بالتعدى عليها أضعاف العصاة بالقتل على ان العطف بالواو لا يفيد ترتيبا وفى رواية الصحيحين لادعى ناس دماء رجال وأموالهم بتقدم الدماء عليها لشرفها وعظم خطرها على ان العطف بالواو لا يقتضى الترتيب (لكن) هى هنا للاستدراك وان لم تأت لفظا على قانونها من وقوعها بين نفى واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو وهى هنا بعد اثبات ولا نفى قبلها حتى يصح معنى الاستدراك الذى هو مؤداها لكنها جارية عليه بتقدير اذ المعنى لا يعطى الناس بدعواهم المجردة لكن بالبينة وهى على المدعى (البينة) فعيلة من البينات (على المدعى) لان جانب المدعى ضعيف لدعواه خلاف الاصل ولو كان فاضلا شريفا أو حقا خفيا والمدعى كما قال ابن عرفة من عريت دعواه من مرجح غير شهادة والمدعى عليه من اقترنت دعواه به والمرجح امامعهود كدعوى شخص على آخر وديعة أو عارية فيدعى ردها فمدعى الرد هو المدعى عليه لما عهد فى الشرع اذا الراد لا يحتاج لاقامة بينة واما أصل كدعى رق شخص فيجيب الآخر بالحرية فمدعى الحرية هو المدعى عليه لانها الاصل فى الناس وانما عرض لهم الرق بسبب السبى بشرط الكفر ومعنى كون البينة على المدعى أنه استحق بها الا انها واجبة عليه ثم ان الدعوى الصحيحة المسموعة هى أن يكون المدعى به معلوما محققا فلو قال لى عليه شئ لم تسمع دعواه وكذا لو قال أظن أن لى عليه كذا (واليمين على من) عبر بها دون الاول مع انه كان يمكن ان يؤتى باسم الفاعل فيهما أو بمن فيهما لان المدعى يذكر أمرا خفيا لتجرد دعواه عن المرجح والمدعى عليه يذكر أمرا ظاهرا لاقتران دعواه به ولاشك أن الموصول لاشتراط كون صلته معهودة أظهر من المعرف فاعطى الخفى للخفى والظاهر للظاهر ويحتمل ان يقال ان فى المدعى ضربا من التعريف المعنوى لظهوره واقدامه على الدعوى فاتى فيه بلام التعريف المناسب له والمنكر فيه ضرب من الابهام والتنكير لاستخفائه وتأخيره وكونه اذا سكت لا يترك فاتى فيه بمن اذ فيها ابهام شبيه بحاله وزعم أن ذلك سؤال دورى غير صحيح (أنكر) لان جانب المنكر قوى لموافقته للاصل فى البراءة والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعل القوى فى جانب الضعيف والضعيف فى جانب القوى وهو جانب المنكر تعديلا وهو توجيه حسن زاد الدارقطنى الا فى القسامة أى لان اليمين فيها على المدعى وكذا اليمين مع الشاهد الواحد فى جانب المدعى وكذا يمين المدعى اذا ردها عليه المنكر وكذا يخص بمسئلة الحيازة فان البينة لا تسمع من المدعى ولا تتوجه اليمين على من أنكر لحديث ابن المسيب وزيد بن أسلم من حاز شيئا عشر سنين فهو له وكذا الطلاق والنكاح والقذف فان اليمين لا تتوجه فيها على المنكر بمجرد الدعوى لورود المخصصات بها وقوله واليمين على من أنكر سواء كان المدعى بينه وبين المدعى عليه اختلاط أم لا فان لم يحلف لم يقض للطالب حتى يحلف اذا كانت الدعوى دعوى تحقيق وان كانت دعوى اتهام غرم المطلوب بمجرد نكوله فان قلت ما الحكمة فى أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر فالجواب ان جانب المدعى ضعيف

ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب وكشف له الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج من حسه ودعاوى نفسه ويحصل حينئذ فى مقام العلم بالله فلا يتعلم بالخلق بل بتعليم الله وتجليه لقلبه فيسمع ما لم يسمع ويفهم ما لم يفهم

(خاتمة المجالس) قال بعض العارفين علامة محبة الله تعالى بغض المرء نفسه لانها مانعة له من المحبوب فاذا وافقته نفسه فى المحبة أحبها لا لانها نفسه بل لانها تحب محبوبه اللهم تولنا فى جميع أمورنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس التاسع والثلاثون فى الحديث التاسع والثلاثين)

الحمد لله الذى اختص من مخلوقاته الانسان ورفع عنه بكرمه الخطا والنسيان وأشهد أن لا اله الا الله القديم المحمود بكل لسان وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله المؤيد بمعجزات القرآن صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته ذوى الولاية والاحسان

(عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطا والنسيان وما استكرهوا

قوله رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم

لغيره وقوله عن المرجحات وجانب المنكر قوى لموافقته الاصل في براءة ذمته اذ هو المعهود والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعلت الحجة القوية وهي البينة في الجانب الضعيف وهو جانب المدعى والحجة الضعيفة في الجانب القوى وهو جانب المنكر تعديلا *(فائدة)* قال بعض العلماء ان فصل الخطاب في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر *(نكتة)* في الحلية في ترجمة عكرمة قال كانت القضاة في زمن بني اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولي مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله تعالى لهم ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يسقي بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فقالا بيننا القاضي فجاآ الى القاضي الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال له احكم بان العجلة لي وقال بماذا أحكم قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهي لي فارسلها فتبعت الفرس فحكم له بها وأتى الى القاضي الثاني فحكم له كذلك وأخذ درة وأما القاضي الثالث فدفع له الملك درة وقال له احكم لي بها فقال اني حائض فقال الملك سبحان الله أتحيض الذكر فقال له القاضي سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها (حديث حسن) وصحيح أيضا كما ذكره المؤلف في موضع آخر وذكره غيره (رواه) الامام أبو بكر أحمد بن الحسين (البيهقي) بفتح الباء والهاء نسبة الى بيهق قرى مجتمعة بناحية نيسابور بلغت تصانيفه نحو الالف قال السبكي ولم يتفق ذلك لاحد واعتنى بجمع نصوص الشافعي وتخريج أحاديثها حتى قال امام الحرمين ما من شافعي الا وللشافعي عليه منة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وار بعمائة (وغيره هكذا) أي بهذا اللفظ المذكور (وبعضه في الصحيحين) اذ لفظهما كما في الجمع بين للحميدي عن ابن عباس لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه

(الحديث الرابع والثلاثون)

(عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى) أي علم سواء أبصر أم لا لان الرؤية بالبصر لا تشترط فهي قلبية وتصح كونها بصرية ويقاس غير المبصر على حكم المبصر والاول أشبه وهذا الحديث قاله أبو سعيد الخدري لما قام مروان يخطب العيد قبل الصلاة وقبلها فقال هل ترك ما هنالك فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو أدل دليل على أن أول من فعل هذا مروان لا عثمان ولا عمر اذ لم يصح ذلك لكن في الصحيحين عن أبي سعيد انه هو الذي جذب مروان حين رآه يصعد المنبر فرد عليه مروان بمثل ما رد على الرجل فيجوز أن تكون قصة أخرى (منكم) أي معشر المكلفين القادرين فخرج نحو صبي ومجنون وعاجز والخطاب لجميع الامة لا للحاضر فقط (منكرا) أي شيأ قبيحا قبحه الشرع قولا أو فعلا ولو صغيرة (فليغيره) أي يزيله وجوبا عينيا ان انفرد بعلمه وكفائيا ان شاركه غيره والوجوب بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة وله شروط الاول أن يكون عالما بذلك لئلا يعكس الثاني أن لا يؤدي نهيه الى مفسدة أعظم كنهيه عن زنا فيؤدي لقتل الثالث أن يكون مجمعا على تحريمه أو يكون مدرك القائل بحله ضعيفا كشرب النبيذ ونكاح المتعة الرابع أن يكون ظاهرا في الوجود فلا يتجسس على الناس ولا يقتحم الدور ولا يبحث عما خفي في كم ونحوه الخامس أن يعلم أو يظن انه يفيد وبانتفاء الشرط الاول ينتفي الجواز وبانتفاء الاخير ينتفي الوجوب ويبقى الجواز والندب ثم انه لا يشترط في النهي عن المنكر أن يكون المتلبس به عاصيا كقاتل الباغي المتأول وضرب الصبيان على فعل الفواحش وقتل الصائل من صبي أو مجنون اذا لم يمكن دفعهما الا به وعلم مما سبق ان التجسس غير مطلوب بل هو مذموم

تام النفع ومحل الاطالة في الامور التي تضمنها كتب الفقه لكن نذكر شرحه مختصرا على وجه لطيف فنقول (قوله ان الله تعالى تجاوز) معناه عفا (قوله لي عن أمتي) أي لاجلي (قوله الخطأ) هو نقيض الصواب قال الآمدي الخاطئ من أراد الصواب فصار الى غيره والخاطئ من فعل ما لا ينبغي مقصدا له حديث لا يحتكر الا خاطئ (قوله والنسيان) هو عدم الذكر للشيء لذهول أو غفلة له (قوله وما استكرهوا عليه) أي قهروا عليه فهذه الثلاثة مرفوعة عن هذه الامة كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ تقع في العبادات وغيرها كالطهارة والصلاة والصوم والحج والنكاح والطلاق والقتل والعتق وشرط الاكراه مذكور في كتب الفقه *(تنبيه)* قال الكلبي رحمه الله تعالى كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيأ مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة بحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب بحسب ذلك الذنب فأمر الله تعالى المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك بقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وقد نهى الله

منهيا

منهى عنه لقوله تعالى ولا تجسسوا واستثنى الماوردى من ذلك ما اذا أخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزنى بها فانه يجوز له فى مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدركه وأما العدالة واذن الامام فالمشهور عدم اشتراطهما الان يخاف من المفسدة فلا بد من اذن الامام وروى عن عمر رضى الله عنه انه أحس من رجل بالخناء وسور عليه فرآه على منكر فصاح عليه فقال الرجل يا أمير المؤمنين أنا عصيت الله فى واحدة وقد عصيته أنت فى ثلاث قال وما هن قال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا فقد نهى وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله باتيانها من أبوابها ودخلت غير بيتك من غير أن تستأذن وتسلم وقد أمر الله بذلك فقال له عمر صدقت واستغفر لنا فقال غفر الله لنا ولك يا أمير المؤمنين وذكر بعضهم أنه مشى عمر رضى الله عنه بالليل فرأى نارا فى بيت فأتى اليها فاذا قوم يشربون وشيخ بينهم فاقتحم عليهم وقال يا أعداء الله أمكن الله منكم فقال الشيخ ما نحن باعظم منك ذنبا يا أمير المؤمنين ان عصينا الله فى واحدة فقد عصيته أنت فى ثلاث فقال له عمر وما هن فقال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله باتيانها من أبوابها ودخلت بيتا غير بيتك من غير استئذان ولا تسليم وقد أمر الله تعالى بذلك فاحتشم عمر وقال صدقت استغفر لى فقال الشيخ غفر الله لنا ولك وقد كان الحسن البصرى يقول اياكم والتجسس فوالله لقد أدركت ناسا لا عيوب لهم فتجسسوا على عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوبا (بيده) لانها أبلغ فى تغييره كاراقة الخمر وتفكيك آلة اللهو والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب الى مالكه ونزع الحرير من لابسه فاذا احتاج الى اظهار سلاح أو حرب رفع الى السلطان وقد حكى أن شجرة كان يعبدها الناس فقصد رجل قطعها فلما شرع فى القطع جاء الشيطان وأراد منعه فلم يقدر الشيطان عليه فقال له أترك اقطع وأعطيك كل يوم كذا وكذا من الدراهم تجده فى فراشك فامتنع من القطع وصار يجد الدراهم يومين أو ثلاثة ثم فقدها فى اليوم الرابع فغضب وأخذ الفاس وتوجه الى الشجرة فلقيه الشيطان فى الطريق فتصارع معه فغلبه الشيطان لان فى المرة الاولى كان قصده خالصا لله تعالى وفى المرة الثانية الغاضب لاجل الدنيا (فان لم يستطع) الانكار بيده (فبلسانه) بأن يمنعه بالقول وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد والقول كصياح واستغاثة وتوبيخ وتذكير بالله وأليم عقابه مع لين واغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرآسة ولذا قال بعض العلماء من رأى عورة أحد فى الحمام ينبغى أن يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهى أن تقول له استر سترك الله وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر شرب الخمر بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب له حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها وحكى التاج السبكى عن أبيه انه كان يجتمع ببعض الامراء وكان الامير يلازم الحرير فقال يا أمير بكم الذراع من هذا فقال بدينار فقال فى الصوف ما يساوى كل ذراع منه دنانير ومماليكك وخدمك يشاركونك فى لبس الحرير ولا يليق بشهامتك أن يساووك فاعدل الى الصوف فانه أعلى وأغلى مع ما فيه من السلامة من العقاب الاخروى فاستحسن كلامه ولو قال له ابتداء هذا حرام لم يفد قال العارف ابن العربى لو كشف لولى أن فلانا يزنى بفلانة أو يشرب الخمر لزمه النهى ولم يسقط عنه لان نور الكشف لا يطفئ نور الشرع فشاهدته من طريق الكشف لا تسقط النهى عنه لانه تعالى تعبدنا بازالة المنكر وان شهدنا بكشفنا أنه محتم الوقوع وظاهر الحديث أنه يلزمه الامر والنهى وان كان هو لم يمتثل ذلك وبه صرح فى رواية الطبرانى من حديث أنس قلت يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نفعله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا

تعالى الامر أيضا ويسره على أمة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة له ولم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم من اليهود قال البغوى وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع أموالهم من الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الاثقال والاغلال روى سعيد بن جبير فى قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا أحمل عليكم ذنبا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا الى آخره قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين (فوائد) الاولى لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى ثم الى حيث شاء العلى الاعلى وأعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات كبائر الذنوب (الفائدة الثانية) قال النبى صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه (الفائدة الثالثة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفى عام وأنزل منه

بالمعروف وان لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله لانه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط أحدهما بترك الآخر ولهذا قيل للحسن فلان لا يعظ و يقول أنا أخاف أن أقول مالا أفعل وأينا يفعل بما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهى على الاجتناب لرفع الامر بالمعروف وتعطل النهى عن المنكر وانسد باب النصيحة التى حث الشارع عليها سيما فى هذا الزمان الذى صار التلبس فيه بالمعاصى شعار الانام ودثار الخاص والعام ولا يعارض هذا ما صح أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى النار قوما يدورون كما تدور الرحى فسأل جبريل عنهم فقال كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر و يفعلونه لان تعذيبهم انما هو على فعل المنكر لا انكاره ولا ينافى ما تقرر من الواجب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لانها محمولة على ما اذا عجز المنكر عن ازالة المنكر ولا شك فى سقوط الوجوب حينئذ على ان معناها عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم نحو ولا تزر وازرة وزر أخرى ومما كلفنا به الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاذا لم يمتثله المخاطب فلا عتب حينئذ لان الواجب الامر بالمعروف لا القبول (فان لم يستطع) الانكار بلسانه لوجود مانع كخوف فتنة أو على نفس أو عضو أو مال محترم (فبقلبه) أى فينكر بقلبه اذ لا تغيير بالقلب ويشبه هذا التركيب قوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب فان لم تستطع فمستلقيا لا يكلف الله نفسا الا وسعها أى وعلى حذف لفتها اذ نبأوما بارد السكن فيه انه من خصائص الواو الا ترى قول ابن مالك وهى انفردت بعطف عامل مزال قد بقى * معموله ومعنى الانكار بالقلب كراهة الفاعل للمنكر وظهور ذلك على جوارحه ان لم يخف على نفسه والعزم على انه لو قدر على تغييره بقول أو فعل وهذا واجب عينا على كل أحد بخلاف اللذين قبله فانهما قد يكونان فرض كفاية كما سلف وذكر الشيخ الشعرانى فى المنن عن سيدى ابراهيم المتبولى ان تغييره باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون وتغييره باللسان للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللسان فى قلب ذلك المنكر عليه فيرجع عن ذلك المنكر وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم ان يكونوا ناهين لغيرهم فيتوجه أحدهم بقلبه الى الله عز وجل فى تغيير ذلك المنكر فيكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه هذا هو التغيير حقيقة وأما قول الانسان اللهم ان هذا منكر لا أرضاه فليس فيه تغيير قلب اه والحق ان المراتب الثلاث تكون على واحد من الثلاثة فاول المراتب المقاتلة والجهاد فان عجز عن الجهاد أنكر باللفظ ليقبح ذلك المنكر عند فاعله وعند من يراه وان عجز بان خاف ضررا من قتل أو جرح أو اخراج من وطن فليقل اللهم ان هذا منكر لا أرضاه والله أعلم (وذلك) أى الانكار بالقلب (أضعف الايمان) أى الاعمال فلا يرد أن المنكر بالقلب قد يكون أقوى الناس ايمانا والايمان قد يطلق على الاعمال كما أطلق على الصلاة فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم لبيت المقدس أو المراد به الاسلام وهو على حذف مضاف أى أضعف خصال الاسلام أو باق على حقيقته والمراد أقل آثار الايمان وثمراته فى النفع واطلاق الايمان على المعنيين الاولين مجاز مرسل على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الايمان سبب للامتثال بالشرائع المأمور بها وانما كان الانكار بالقلب أضعف الايمان لان مجرد كراهته له بقلبه لا يحصل بها زوال مفسدة المنكر المطلوب زوالها فهو قاصر بخلافه باليد واللسان فانه متعد فانه كراهة وازالة وقد قيل التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة قال ابن الفاكهانى وأعجب ما فى زماننا ان الذين يظن بهم العلم والدين ممن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر متلبسون بمناكر ..

اثنين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن فى دار فيقربها شيطان وهذا كله لاجل محمد صلى الله عليه وسلم وكم أكرم الله تعالى أمته بكرامات لاجله عليه أفضل الصلاة والسلام

(ولنختم هذا المجلس اللطيف) بنكتة تشتمل على شئ من فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه السلام الالواح وجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال يارب ما هذه الامة المرحومة التى أجدها فى الالواح قال هم أمة محمد يرضون منى باليسير أعطيهم اياه وأرضى منهم باليسير من العمل ادخل أحدهم الجنة بشهادة أن لا اله الا الله قال فانى أجد فى الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرا محجلين قال يارب انى أجد فى الالواح أمة أرديتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفق حتى يقاتلون الدجال فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يصلون فى اليوم والليلة خمس صلوات فى خمسة أوقات تفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب

يجب انكارها عليهم شرعا ولقد أحسن من قال

بالملح يصلح ما يخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

وقال آخر

هذا الزمان الذى كنا نحاذره * فى قول كعب وفى قول ابن مسعود
دهر به الحق مردود بأجمعه * والجور فيه أذاع غير مردود
ان دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميتا ولم يفرح بمولود

(رواه مسلم) والنسائى

* (الحديث الخامس والثلاثون) *

(عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا) خطاب لكل من يتأتى توجيه الخطاب اليه وأصله بتاءين حذفت احداهما تخفيفا وكذا فيما بعده أى لا يحسد بعضكم بعضا وهو لغة وشرعا تمنى زوال نعمة الغير سواء تمنى انتقالها اليه أم لا وهو قبيح بالاجماع الا أن الثانى أقبح وأشد حرمة من الاول وبعضهم خصه بأن يتمنى ذلك لنفسه والحق انه أعم وهو مذموم وصاحبه مغموم وكفاه ذما انه يفسد الطاعات ويبعث على الخطيئات وهو الداء العضال الذى ابتلى به كثير من العلماء فضلا عن العامة حتى أهلكهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال الخشب ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وحسبك أن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمر بها من شر الشيطان ويكفيك فى قبحه انه أول ذنب عصى الله به لان ابليس لم يحمله على ترك السجود الا الحسد كما أن قابيل لم يحمله على قتل هابيل الا الحسد وجاء أن سبب حسده له أنه تزوج أخت هابيل التى تسمى لبودا وكانت ليست كجمال أخته أقليما التى تزوجها هابيل فكان من شريعة آدم ان اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهذا لا يخالف ما فى الآية الشريفة لانه جاء فى القصة أن آدم عليه السلام لما أمر قابيل أن يزوج اخته لهابيل فامتنع أمرهما أن يقربا قربانا الى الله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده وعلى هذا فيكون حسده بشيئين أخروى وهو ما فى الآية ودنيوى وهو جمال أخته التى تزوجها وجاء فى عدة أخبار وآثار أنه يأكل الحسنات أى يحرقها ويذهب أثرها كما تأكل النار الحطب أى اليابس وقال عبد الله بن عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ومن الحكمة ان الحسود لا يسود وقد روى ان ابليس أتى باب فرعون فقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال له فرعون أتعرف من فى الارض شرا منك ومنى قال من هو قال الحاسد وبالحسد وقعت فى هذه المحنة وأما حديث لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس فالمراد به الغبطة مجازا وهى ان يتمنى ان يكون له مثل ما للغير من غير ان يريد زواله عنه وقد قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا عند العرش فغبطه وقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشى بالنميمة والغبطة مباحة فى الدنيوى ومندوبة فى الاخروى وقال بعضهم

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
النار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد وفى معناه قال منصور الفقيه

الا قل لمن ظل لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الادب

انى أجد فى الالواح أمة يصومون لك شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يحجون لك البيت الحرام لا يقضون منه وطرا يعجون لك بالبكاء عجيجا ويضجون لك بالتلبية ضجيجا فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال فما تعطيهم على ذلك قال أعطيهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم قال يارب انى أجد فى الالواح أمة سفهاء قليلة أحلامهم يعلفون البهائم ويستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة الى فيه فلا تستقر فى جوفه حتى يغفر له فيفتتحوا باسمك ويختموها بحمدك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب فانى أجد فى الالواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة

اذا هم احدهم بالسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم

أساءت على الله في حكمه * اذا أنت لم ترض لي ما وهب

ولابي الطيب

وأظلم اهل الارض من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

ولبعضهم

دع المحسود وما يلقاه من كمده * يكفيك منه لهيب النار في كبده

ان لمت ذا حسد فرجت كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وفيه قال بعضهم

قل للحسود اذا تنفس طبعه * يا ظالما وكانه مظلوم

وقال بعضهم

ان الغراب كان يمشي مشية * فيما مضى من سائر الاحوال

حسد القطاة فرام يمشي مشيها * فاصابه ضرب من العقال

وروى انه صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل من الانصار أنه من اهل الجنة فبات عنده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لينظر عمله فلم يرله كبير عمل فقال له ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو الا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق ويحكى أن بعض الصلحاء كان يجلس بجنب ملك ينصحه ويقول له احسن الى المحسن باحسانه كفي المسيء فعله فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك وقال انه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك اذا قربت منه يضع يده على انفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء وقال للملك مثل قوله السابق أحسن الى المحسن باحسانه كفي المسيء فعله كعادته فقال الملك ادن مني فدنا منه ووضع يده على فيه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه مني فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل في كتابك أني أذبحك وأسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى أراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل للملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال الملك انه ذكر لي أنك تزعم اني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أطعمني ثوما فخشيت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفي المسيء اساءته كذا ذكره بعض الشراح وذكر في المستطرف أنه حكى ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم أحتل هذا البدوي أخذ بقلب أمير المؤمنين ويبعدني عنه فصار ذلك الوزير يتلطف بالبدوي حتى انتهى به الى منزله فطبخ طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع له ما رسم به أمير المؤمنين وخرج به من عنده فبينما هو بالباب فقال الوزير أين تريد فقال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان

أمتي قال هم أمة محمد قال يا رب اني أجد في الالواح أمة هم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يا رب اني أجد في الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلل ثلة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يمحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال موسى يا رب بسطت هذا الخير لاحمد وأمته فاجعلني من أمته قال الله تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلله الحمد والمنة على نعم أولاها ونسأله الموت على الاسلام في عافية بكل خير آمين يا رب العالمين

* (المجلس الاربعون في الحديث الاربعين) *

الحمد لله اللطيف الخبير مجيب دعوة المضطرين وراحم الضعفاء والمساكين فسبحانه وتعالى الحكيم القدير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا نظير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ما دام فريق في الجنة وفريق في السعير (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن

في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء

فقال الوزير ان هذا البدوي يحصل له مال جزيل فقال يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار فقال البدوي انت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأي افعل فقال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وركب الوزير وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده وسلم الكتاب للعامل فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تفكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما رؤي وان البدوي مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فسأل عن حاله فأخبر بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له الخليفة أنت قلت اني أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أحدث بشئ ليس لي به علم وانما كان مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به في بيته وأطعمه الثوم وما جرى له منه فقال له أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما أجرى اليه وتعلموا من قوله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك (ولا تناجشوا) بجيم وشين معجمتين من النجش وهو لغة الاغراء والاثارة يقال نجشت الصيد اذا أثرته لانه يثير الرغبات في المبيع ويغري عليها واصطلاحا الزيادة في المبيع لاجل غرور الغير وانما ذكره بصيغة التفاعل لان التجار يتعارضون في ذلك فيفعل هذا لصاحبه على أن يكافئه بمثله وهذا النهي لا يقتضي الفساد لانه خارج عنه غير لازم وتفسير النجش بما ذكر هو ما عليه الاكثر وقيل المراد في الحديث النهي عن اغراء بعضهم بعضا على الشر والخصومة حكاه القاضي وغيره وقال الاقليشي لا تناجشوا معناه لا يكن بينكم تنافر ولا تباعد والاصل في النجش تنفير الوحوش من مكان الى مكان فكأنه ينهى عن أن يسعى الانسان في تغير قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع بينهم استيحاش ولا تطمئن قلوبهم بالاستئناس الذي جعله الله سبب التحابب بين الناس (ولا تباغضوا) أي لا يبغض بعضكم بعضا أي لا تتعاطوا أسباب البغض لانه قهري كالحب لا قدرة للانسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه وهو النفرة من الشئ لمعنى مستقبح فيه ويرادفه الكراهة كقوله عليه الصلاة والسلام هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ثم هو بين اثنين اما من جانبيهما او من جانب احدهما وعلى كل فهو لغير الله حرام وهو محل الحديث وله واجب ومندوب كما قال تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقيل معناه لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين (ولا تدابروا) أي لا تتكلموا في أدبار اخوانكم بالغيبة والبهتان ويحتمل معناه لا تولوا أدباركم استثقالا بل ابسطوا وجوهكم وقيل من الادبار وهو الاعراض المؤدي الى التقاطع والمعاداة لان كل واحد يولي صاحبه دبره أي لا يعرض بعضكم عن بعض كراهية فيه ونفرة منه لانه يؤدي الى تضييع ما يجب من حقوق الاسلام من الاعانة والنصرة ونحوهما وقيل معناه لا تقاطعوا للابد من قولهم قطع الله دابره أي من بقي بعده وفي الحديث لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وفي رواية لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وأخذ منه العلماء ان السلام يرفع اثم الهجر وانشد بعضهم

هجرك لي يا سيدي مظلمه * فاستفت فيه ابن أبي خيثمه
فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبينا المبعوث بالمرحمه
ان صدود الخل عن خله * فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت منذ شهر لنا هاجر * فما تخاف الله فينا فمه

وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم جامع لانواع الخير وفيه الابتداء بالنصيحة والارشاد لمن لم يطلب ذلك وتحريضه صلى الله عليه وسلم على ايصال الخير لامته فان هذا الكلام لا يخص ابن عمر وحده (قوله قال) أي ابن عمر (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي) بفتح الميم وسكون النون والباء وهو مجمع العضد والكتف (فقال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (كن في الدنيا كأنك غريب) أي لا تركن اليها ولا تطمئن فيها لانك على جناح السفر منها الى وطن اقامتك وهو الآخرة كالغريب لا يستقر في دار الغربة ولا يسكن اليها بل لا يزال مشتاقا الى وطنه عازما على السفر اليه (قوله أو عابر سبيل) أي جائز طريق فالمسافر عابر في الطريق صارفا كل عزمه وقصده الى بلوغ مقصده غير ملتفت الى جزئيات الطريق ولا معرج عليها ولذلك قال بعضهم في المعنى

شعرا أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

وأخرج مسلم وغيره تعرض الاعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيأ الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وفي رواية تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيأ الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا وأخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي يطلع الله تعالى الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا المشرك أو مشاحن ووجه مغايرته لما قبله ان الشخص قد يبغض صاحبه عادة ويوفيه حقوقه وقد يعرض عنه لنحو تهمة أو تأديب وهو يحبه ومن هذا القبيل قول بعضهم لا يكتم الحب الا خشية التهم ولذا ورد ان عمر بن الخطاب قال لرجل لا أحبك فقال له يا أمير المؤمنين يحملك ذلك على أن تمنعني حقا هو لي قال لا قال فلا أبالي اذن فان الحب من شأن النساء (ولا يبع) بالجزم على النهي (بعضكم) أي معشر المتكلفين من المسلمين والذميين والتقييد بالمسلم في الاخبار للغالب خلافا لمن أخذ بمفهومه (على بيع بعض) لما فيه من تغيير القلوب بأن يقول لمشتري سلعة في زمن الخيار رد هذا البيع وأنا أبيعك مثلها بأنقص من ثمنها أو أجود منها بمثل ثمنها ومثله الشراء بأن يقول آخر للبائع في مدة الخيار افسخه وأنا أشتريه منك بأزيد (وكونوا عباد الله) منادى مضاف أي يا عباد الله بحذف حرف النداء (اخوانا) خبر كان زاد مسلم كما أمركم الله ونسبها الى الله لان الرسول مبلغ عن الله تعالى وهذه الجملة كالتعليل لما قبلها كأنه قال اذا تركتم التحاسد وما بعده كنتم اخوانا والا كنتم أعداء ومعنى كونوا اخوانا تعاطوا أسباب المودة واكتسبوا ما تصيرون به اخوانا من الامور المقتضية لذلك كابتداء السلام ورده وتشميت العاطس وعيادة المريض وتشييع الجنائز واجابة الدعوة والمعاونة على البر والتقوى وطلاقة الوجه والمصافحة والنصح وقد قيل لخالد بن صفوان أي الاخوان أحب اليك قال الذي يغفر زللي ويسد خللي ويقبل عللي وقال القرطبي كونوا كاخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة ولبعضهم

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وروى الترمذي تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدور والوحر بفتح الحاء المهملة الغش والوساوس وقيل الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل أشد الغضب (المسلم أخو المسلم) لانه يجمعهما دين واحد ومن ثم قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فهم كالاخوة الحقيقية وهو أن يجمع الشخصين ولادة واحدة من صلب أو رحم أو منهما والاخوة الدينية أعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرتها أخروية وثمرة تلك دنيوية (لا يظلمه) أي لا ينقصه حقه ويمنعه اياه لان الظلم حرام ومذهب للبركة فقد أخرج ابن مردويه الاصبهاني في الترغيب والبيهقي عن مجاهد عن ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخف من الناس حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فاذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث الملك نفسه بأخذها فلما كان الغد غدت البقرة الى مرعاها ثم راحت فحلبت فنقص لبنها على النصف وجاء مقدار خمس عشرة بقرة فدعا الملك صاحبها فقال أخبرني عن بقرتك أرعت اليوم في غير مرعاها بالامس وشربت من غير مشربها بالامس فقال ما رعت في غير مرعاها بالامس ولا شربت من غير مشربها بالامس فقال ما بال حلابها على النصف فقال أرى الملك هم بأخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة قال وأنت من أين يعرفك الملك قال هو كما قلت لك فعاهد الملك ربه أن لا يظلم

وقد جاء في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عمر رضي الله عنهما كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى واذا أصبحت نفسك فلا تحدثها بالمساء واذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن غناك لفقرك ومن حياتك لوفاتك فانك لا تدري ما اسمك غدا قيل أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان أردت لقائي غدا في حظيرة القدس فكن في الدنيا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحداني الذي في الارض والقفار ويأكل من رؤس الاشجار فاذا كان الليل أوى الى وكره فلا يغتر احد بالبقاء في دار الدنيا فان الحياة فيها في الحقيقة كزيارة ضيف أو سحابة صيف وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء والمعنى أن الشخص يجعل الموت بين عينيه فيسارع الى الطاعات ويغتنم الاوقات ويبادر الى استغراقها بالتقوى والعمل الصالح ويقصر الامل ويترك الميل الى غرور الدنيا فانه لا يدري متى يأتيه الموت فيرتحل الى الآخرة كالغريب أو عابر السبيل لا يدري متى يصل الى وطنه

ولا يأخذ البقرة فقعدت فرعت ثم راحت فحلبت فاذا اللبن قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة فاعتبر الملك وقال بينه وبين نفسه أرى الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة لاجرم لاعدلن فلأكونن على أفضل العدل ولبعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

(ولبعضهم)

اصبر على الظلم ولا تنتصر * فالظلم مردود على الظالم
وكن الى الله مظلوما فما * ربى على الظالم بالنائم

(ولا يخذله) أى لا يتركه لمن يظلمه ولا ينصره وقد قال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل له كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم قال العراقى بضم الذال المعجمة والخذلان ترك الاعانة والنصرة ذكره الطيبى والخذلان حرام سواء كان متعلقه دنيويا مثل ان يقدر على دفع عدو يريد أن يبطش به فلا يدفعه أو دينيا مثل أن يقدر على نصحه فيتركه (ولا يكذبه) بفتح ياء المضارعة وتخفيف الذال المكسورة وبضم فسكون والاول أشهر وأكثر بل اقتصر عليه الحافظ العراقى فى شرح الترمذى لكن اقتصر المؤلف على الثانى أى لا يخبره بأمر على خلاف ما هو عليه لانه غش وخيانة وفى الحديث اذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به رواه الترمذى وحسنه وينبغى لمن اضطر الى الكذب أن يعرض الى المعاريض ما أمكن حتى لا يعود نفسه الكذب وفى الخبران فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن أبى بكر انه كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فتلقاه العرب وهم يعرفونه ولا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون من هذا فيقول يهدينى السبيل فيظنون انه يعنى هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير وكان ابراهيم بن أدهم اذا طلب فى البيت يقول لخادمه قل له أنظره فى المسجد وقد ورد أن اعرابيا بايع النبى صلى الله عليه وسلم على ترك خصلة من الخصال المحرمة كالزنا والسرقة والكذب فقال النبى صلى الله عليه وسلم دع الكذب فصار كلما هم بزنا أو سرقة أو غيرهما قال كيف أصنع ان سألنى النبى صلى الله عليه وسلم فان صدقته حدنى وان كذبته فقد عاهدنى على ترك الكذب فكان تركه سببا لترك الفواحش كلها قال الشاذلى والكذب خمسة أقسام واجب لانقاذ مال مسلم أو نفسه وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ومندوب وهو الكذب للكفار أن المسلمين أخذوا فى أهبة الحرب اذا قصد بذلك ارهابهم ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبا لنفسها ومباح وهو الكذب للاصلاح بين الناس وتعقب ابن ناجى القسم الرابع بان السنة جوزت الكذب فيه له وقال قوم الكذب كله قبيح فقد سئل مالك رضى الله تعالى عنه عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطييبا لنفسهما فقال لا خير فى الكذب ولقد أحسن القائل

الصدق فى أقوالنا أقوى لنا * والكذب فى أفعالنا أفعى لنا
فهم يقولون هم أشياخنا * فالهم قد يفعلوا أشياخنا

(ولا يحقره) بياء مفتوحة وحاء مهملة وقاف مكسورة أى لا يستصغر شأنه ويضع من قدره بالترفع عليه ولا ينظره بعين القلة والاستصغار ومن ذلك أن لا يسلم عليه اذا مر به ولا يرد عليه السلام اذا بدأه هو به وهذا انما يصدر فى الغالب ممن غلب عليه الكبر والجهل ولا ينتقصه بالوقيعة فيه بالاستهزاء والسخرية به وذكر معايبه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبق فى محادثته لاحتمال أن يكون أفضل وأقرب عند الله منه وفى الحديث رب أشعث أغبر ذى طمرين أى ثوبين خلقين لا يعبأ به لو أقسم على الله لأبره وفى الحديث لا يحل لمسلم أن يشير أو ينظر الى أخيه بنظر يؤذيه رواه ابن المبارك فى كتاب الزهد ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار فقال له مالك لو تركت الخيلاء لكان أجمل لك فقال اما

وفى رواية لسقمك ومعناه اغتنم العمل الصالح فى أيام صحتك فان المرض قد يطرأ عليك فيمنعك منه فتقدم المعاد بغير زاد وقيل

تأهب للذى لا بد منه * فان الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زاد

فان قلت ورد أن العبد اذا مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما قلنا انه ورد فى حق من يعمل والتحذير الذى فى هذا الخبر فى حق من لم يعمل شيأ فانه اذا مرض ندم على ترك العمل وعجز لمرضه عنه فلا يفيده الندم (قوله وخذ من حياتك لموتك) أى اغتنم أيام حياتك لا تمر عنك فى سهو وغفلة فتندم بعد موتك حيث لا ينفعك الندم وقد ذم الله تعالى طول الامل فينبغى للعاقل اذا أمسى لا ينتظر الصباح واذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك وليكثر من ذكر الموت فان ذكره عون على الزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم كفى بالموت واعظا وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات وقال أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص

أتعرفني فقال والله أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقال أفلاطون لرجل جاهل معجب بنفسه وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة وقال في الأم عجبت لمن جرى مجرى البول مرتين يتكبر وروى أن رجلا قال لأمه اسقني فقال نعم قال إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ثم دعا بماء فتمضمض استقذارا لمخاطبته وقد حرم الله الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وأما حديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم فمعناه ليس منا من لم يعتقد أن الله جعله عظيما لكونه جعله محلا للعلم وصونا يستر ذله بحيث حظره عليه ومنعه منه كما ورد في الحديث إذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم والأدب أو ما هذا معناه وليس المراد بتعاظمه احتقار غيره ومن جملة احتقار المسلم اغتيابه وهو ذكرك إياه بما يكره وهي أي الغيبة محرمة بالإجماع إلا ما استثناه العلماء وقد جمع ذلك بعضهم في بيت فقال

تظلم واستغث واستفت حذر * وعرف بدعة فسق المجاهر

فذكر ستة ترخص الغيبة فيهم الأول التظلم لمن يظن أن له قدرة على إزالة ظلمه أو تخفيفه الثاني الاستغاثة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن قدرته على إزالته بنحو فلان يعمل كذا فازجره عنه الثالث الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان بكذا فهل يجوز له وما طريقي في خلاصي منه أو تحصيل حقي وقد روي عن هند أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وبني أفآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وبنيك بالمعروف فذكرت الشح ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر مثل أن يشتري مملوكا وعرف المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضررا على المشتري وكذلك المستشار في تزويج أو إيداع له أن يذكر له ما يعرفه على قصد النصح للمتزوج لا على قصد الوضيعة وإن علم أنه يترك التزويج مثلا بمجرد قوله لا تصلح لك فهذا الواجب فإن علم أنه لا يتركه إلا بالتصريح بالعيب فله أن يصرح به الخامس أن يكون الإنسان معروفا بما فيه نقص كالأعرج والأعمش والأعور والأصم والأقرع وقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف فإن أمكن تعريفه بعبارة أخرى فهي أولى ولذلك قيل للأعمى البصير عدولا عن النقص السادس أن يكون مبتدعا السابع أن يكون متجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلما فإذا ذكر منه ما يتظاهر منه فلا إثم لما ورد بسند ضعيف من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة فيه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاسق حرمة والمراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وظاهره أنه يجوز غيبته بما تظاهر به وإن كان لا يرضى ذلك وقد قال بعضهم لا يكن حظ المؤمن منك إلا ثلاث خصال إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تسره فلا تغمه وإن لم تمدحه فلا تذمه وقوله ولا يحقره وفي رواية ولا يحتقره وهي بمعناه وفي رواية بياء مضمومة وخاء معجمة ساكنة وفاء مكسورة يعني لا يغدره ولا ينقض عهده قال أنس قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له لكن قال والصواب المعروف هو الأول وهو الموجود في غير كتاب وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا للاختصاص به من كل وجه لأن الذمي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بنحو ترك دفع عدو عنه والكذب عليه وأما احتقاره من حيث الكفر القائم به فجائز قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم (التقوى ههنا) أي محل سببها الذي هو الخوف الحامل عليها القلب الذي في الصدر لا حقيقتها الذي هو الاتقاء من العذاب بفعل المأمور واجتناب المحظور وفي الحديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم

الذنوب ويزهد في الدنيا وسئل صلى الله عليه وسلم عن أكيس الناس فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشد استعدادا أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وكان عمر بن عبد العزيز لا يذكر في مجلسه إلا الموت والآخرة والنار وقال سفيان الثوري رأيت في مسجد الكوفة شيخا يقول أنا منذ ثلاثين سنة في هذا المسجد أنتظر الموت أن ينزل بي فلو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ومرض أعرابي فقيل له إنك تموت قال أين يذهب بي قالوا إلى الله قال فكيف أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه هذا حال من كان متهيئا للموت ولا يشتغل بالدنيا فأما من كان غافلا عن الآخرة حتى يأتيه الموت على غرة فإنما يجد لقدومه غما وحسرة (قال وهب) بن منبه ركب ملك من الملوك يوما فأعجبه ما هو فيه من زينة الدنيا وكثرة الغلمان والأعوان والملابس الحسان فامتلأ تيها وكبرا فبينما هو كذلك إذ جاءه شخص رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام فرسه فقال له أرسل اللجام فلقد تعاطيت أمرا عظيما فقال إن لي إليك حاجة أسرها إليك فأدنى إليه رأسه فساره وقال أنا

والكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ومعنى نظر الله مجازاته ويصح أن يراد بالتقوى هنا الاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب أي من اخلاص القلوب وقد تقدم في حديث اتق الله حيثما كنت أنها ترد لعدة معان (ويشير) رسول الله صلى الله عليه وسلم (الى صدره) ذهل ذلك (ثلاث مرات) من كلام الراوي (بحسب) باسكان السين ويستوي فيه الواحد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة رفعه على الخبرية فالاضافة لفظية بدليل الابتداء وان كان ما بعده نكرة فرفعه بحل الابتداء فقط فالاضافة معنوية ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أن بقاء حكم التحقير لماذا أحرام أم لا فقال (امرئ من الشر) أي كافيه منه (أن يحقر أخاه المسلم) بالنصب صفة لاخاه وكرره لحرمة المسلم ففيه تحذير شديد من احتقاره قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الى قوله الظالمون أي لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك ويحتمل ان المراد بعدم تصغير أي لا تحتقر غيرك فانه ربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك ولذا قال بعضهم

لا تهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعيب بعضكم على بعض واللمز بالقول وغيره والهمز بالقول فقط وروى عن ابن جريج ان الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان قال البيهقي وبلغني عن الليث انه قال اللمزة الذي يعيبك في وجهك والهمزة الذي يعيبك في الغيب ولا تنابزوا بالالقاب أي لا تنادوهم بما يكرهون من الالقاب من النبز وهو الطرح ونبه تعالى بقوله أنفسكم على دقيقة ينبغي التفطن لها وهي ان المؤمنين كلهم بمنزلة البدن الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله فمن عاب غيره ففي الحقيقة انما عاب نفسه ومعنى بئس الاسم الفسوق الخ أي من فعل واحدا من الثلاثة استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد أن كان كاملا (كل المسلم) مبتدأ واضافة كل هنا الى المعرفة دليل على جوازه خلافا لمن زعم انها لا تضاف الا الى نكرة (على المسلم حرام) يقال أحرم الرجل اذا اعتصم بحرمة تمنع عنه أي ان المسلم معتصم بحرمة الاسلام ممتنع به عمن أراده وقوله حرام خبر المبتدا (دمه) بدل بعض من كل (وماله) الذي خصه الله به وجعله ملكا له فلا يحل أخذه الا بحقه وقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن حميد الساعدي لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه (وعرضه) وقوله دمه الخ هذا هو المقصود من الحديث وما سبق كالتمهيد له وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لما أسري به مر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وجعل هذه الثلاثة كل المسلم لشدة احتياجه اليها واقتصر عليها لان ما سواها فرع عنها وراجع اليها ولما كانت حرمتها هي الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا وأخذ مال المرتد فيأ وتوبيخ المسلم تعزيرا ونحو ذلك (رواه مسلم) وهو حديث كثير الفوائد

* (الحديث السادس والثلاثون) *

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نفس) أي أزال وكشف وفرج من تنفيس الخناق أي ارخائه حتى يأخذ له نفسا (عن مؤمن) بنفسه أو ماله أو جاهه أو دعائه له بظهر الغيب وآثر ذكر المؤمن لشرفه ومزيد حرمته والا فالذمي كذلك وعبر هنا بمؤمن على ما في أكثر النسخ وفيما يأتي بمسلم اما للتفنن أو لان الكربة تتعلق بالباطن فناسب الايمان المتعلق به أيضا (كربة) أي شدة عظيمة لانها تهم النفس وتغم القلب من كرب التي للمقاربة لان الكربة تقارب أن

ملك الموت فتغير لونه واضطرب لسانه وقال دعني حتى أرجع الى أهلي وأودعهم فقال لا والله لا ترى أهلك أبدا فقبض روحه فوقع كأنه خشبة ثم مضى ملك الموت عليه السلام فلقي عبدا مؤمنا يمشي في الطريق فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي اليك حاجة وساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته عني والله ما من غائب أحب الي أن ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت اليها فقال والله ما من حاجة أحب الي من لقاء الله عز وجل قال فاختر على أي حالة أقبض روحك فقد أمرت بذلك فقال دعني أصلي واقبض روحي في السجود فصلى فقبض روحه وهو ساجد (خاتمة المجالس) حكي ان رجلا جمع مالا عظيما ثم صنع يوما طعاما لاهله وقعد على سرير وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه تنعمي فقد جمعت لك ما يكفيك فبينما هو كذلك اذ أقبل ملك الموت في زي المسكين فقرع الباب فخرج اليه بعض الغلمان فقالوا ما حاجتك فقال ادعوا الي سيدكم فانتهروه وقالوا مثلك يخرج اليه سيدنا قال نعم فخرجوا فأخبروا سيدهم بذلك فقال هلا ضربتموه فعاد فقرع الباب قرعا شديدا فخرجوا اليه فقال أخبروا سيدكم اني ملك الموت فلما سمعوه وقع

ترجى الروح فكانها شدة همها عطلت مجارى التنفس به وبه يعلم حكمة ايثار نفس على ربقة من ازال وكشف وفرج واخرج الطبرانى من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط يستضى بضوئهما عالم لا يحصيهم الا رب العزة وروى ابن بشكوال عن عبد الله ابن المبارك انه قال خرجت الى الجهاد ومعى فرس فبينا أنا فى الطريق اذ صرع الفرس فمر بى رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال تحب أن تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره وقال أقسمت عليك ايتها العلة بعزة الله وبعظم عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا اله الا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة الا بالله الا انصرفت قال فانتفض الفرس وأخذ الرجل بركابى وقال اركب فركبت ولحقت بأصحابى فلما كان غداة غد ظهر العدو واذا هو بين أيدينا فقلت له ألست صاحبى بالامس فقال بلى فقلت سألتك بالله من أنت فوثب قائما فاهتزت الارض تحته خضراء فاذا هو الخضر عليه السلام قال ابن المبارك فما قلت هذه الكلمات على عليل الا شفى باذن الله تعالى وذكر بعضهم أنه يقول لا اله الا الله العظيم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الله ربى لا شريك له يا من لا يغفر الذنوب الا هو يا من لا يعرف كيف هو الا هو يا من لا يعرف قدرته الا هو فرج كربتى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأكمل أدعية الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا اله الا أنت الله ربى لا أشرك به شيأ لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ويقرأ آية الكرسى وخواتيم البقرة وقال بعض الفضلاء من توسل بهذه السادة فى قضاء حاجة أو دفع كربة استجيب له وقد جرب ذلك وهم سعيد بن المسيب وأبو سليمان الدارانى وأبو جابر وسليمان التيمى ومالك بن دينار وبشر الرقاش وحبيب العجمى ويحيى البكاء وكهمس ورابعة العدوية قال التتائى فى شرح الجلاب ومن خطه نقلت ورأيت فى بعض المجاميع عن ابن عبد الرحمن كتبت هذه الاسماء وجعلها فى تربيت حاجت عنه المالكين وهى أويس القرنى معروف الكرخى أبو مسلم الخولانى عامر بن عبد قيس مسروق ابن الاجدع هرم بن حيان الاسود بن يزيد الربيع بن خيثم الحسن بن أبى الحسن البصرى وقد نظم بعضهم أسماء هؤلاء لقضاء الحوائج فقال

توسل الى الرحمن فى كل حاجة * تروم قضاها بالكرام ذوى الرشد
أويس ومعروف الربيع وهارم * يلى الحسن البصرى عامر ذو الرفد
أبو مسلم الخولان مسروق أسود * تمام السقاة الزاهدين ذوى المجد

(من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) مجازاة ومكافأة له على فعله بجنسه فان قيل قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا الحديث يدل على ان الحسنة بمثلها لانها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل بعشر كرب يوم القيامة فالجواب من وجهين أحدهما ان مفهوم عدد وهو لا يفيد حصرا بمعنى انه يمنع النقص ولا يمنع الزيادة الثانى ان كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على اهوال كثيرة وأحوال صعبة ومخاوف جمة وتلك الاحوال اما عشرة أو تزيد عليها وفى الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق فهم اللازم للزوم وذلك ان فيه وعدا بطريق اخبار الصادق

على التجميع للنار ودخل ملك الموت عليه السلام عليه فاحضر أمواله ونظر اليها فأخبر او تأسفا وقال اعلمتنى من مال أشغلتنى عن عبادة ربى فأنطق الله المال وقال لم تسبنى وقد كنت تدخل على الملوك بى وترد المتقين وقد كنت تنفقنى فى سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتنى فى سبيل الخير لنفعتك ثم قبض ملك الموت روحه وانصرف فنسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه وفضله ويوفقنا لما يحب ويرضى ويبعدنا عن الشرك به آمين والحمد لله رب العالمين

(المجلس الحادى والاربعون فى الحديث الحادى والاربعين)

الحمد لله الذى شرفنا بخاتم النبيين اذ كنا خير أمة أخرجت للعالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الامين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا آمين (عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به حديث حسن صحيح رويناه فى كتاب الحجة باسناد صحيح) اعلموا اخوانى وفقنى [illegible] ان

ان من نفس الكربة على المؤمن يختم له بالخير ويموت مسلما لان الكافر لا يرحم فى الدار الآخرة ولا ينفس عنه من كربه اوخص الجزاء هنا بكرب يوم القيامة وعمم فى الستر الآتى لان الدنيا لما كانت محل العورات والمعاصى احتيج الى الستر فيها وأما الكرب فهى وان كانت الدنيا محلا لها أيضا لكن لا نسبة لكربها الى كرب الآخرة حتى تذكر معها (ومن يسر) بابراء أو بهبة او صدقة أو نظرة الى ميسرة أو نحو ذلك بان يكون واسطة فى ذلك (على معسر) وهو من عليه دين وتعسر عليه أداؤه من العسر وهو الضيق والشدة (يسر الله عليه) أموره ومطالبه (فى الدنيا والآخرة) مجازاة له عليه بجنسه لانه احسان الى عيال الله تعالى وأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله وفى الحديث من انظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله وفى رواية وقاه الله من فيح جهنم وفى حديث حسن من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة وصح من أنظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة قبل ان يحل اجل الدين فاذا حل الدين فانظره بعد ذلك فله كل يوم مثلاه صدقة وروى الشيخان ان رجلا كان يداين الناس وكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله عز وجل فتجاوز عنه وفى أخرى الذى فاذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما تعسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك أخرج ابن أبى الدنيا انه عليه الصلاة والسلام قال من أراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن المعسر * (تنبيه) * ورد فى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع ونظمها بعضهم فقال

امام محب ناشئ متصدق * مصل وباك خائف سطوة الباس
يظلهم الله العظيم بظله * اذا كان يوم الحشر لا ظل للناس

وجاءت اخبار بالزيادة على ذلك كمن أنظر معسرا أو وضع عنه ومن أوفى دين الغارم ومن أعان مكاتبا ومن قتله اهل الكتاب على الاسلام ومن أعاد صلاته فى جماعة ومن مات غريقا فى البحر ومن طلب علما فادركه الموت دونه ومسبغ الوضوء فى وقت البرد ومن اشترى أمة فادبها واحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوجها ومن انفرد فى عصره بحفظ السنة ولامام المؤذن احتسابا ومن أخفى عمله الخير واذا ظهر عليه فرح واستبشر بتوفيق الله له ومن جامع يوم الجمعة من يحل جماعها واغتسل وراح للصلاة ومن ذهب ماشيا الى صلاة الجمعة ومن عاد عليه سلاحه فى الجهاد فقتله ومن أعجله فعل الخير عن لبس نعليه والماشى ليشيع الجنازة ومن شيع جنازة لاستحيائه من أهلها والمجاهد لاعلاء كلمة الله ومستمع قراءة القرآن والقارئ فى المصحف ومن قرأ القرآن فاعربه أى تفهمه وتدبره والعبد المؤدى حق الله وحق مواليه ومن جدد الوضوء على الوضوء من غير نقض للاول وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم والمتصدقة على زوجها مال الحلال ومن صدق فى تجارته ومن حسن خلقه ورجل تعلم القرآن فى صغره ويتلوه فى كبره ورجل يراعى الشمس لمواقيت الصلاة ورجل ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت عن علم وغير ذلك مما استوفاه الحافظ السخاوى فى كتابه المسمى بالخصال الموجبة للظلال حيث نقل فيه عن شيخه الحافظ ابن حجر ثلاث سبعات زيادة على السبعة المذكورة وأكملها هو اثنين وتسعين بتقديم التاء على السين ولا يبعد ان يدخل فى قوله من يسر الخ التيسير بالعلم مثل ان يقع فى مسئلة يحسن التخلص منها شرعا فيبين له حكمها او يهديه الى الصواب فيها فينشرح صدره لذلك بتخليصه منها

الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم نافع (قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم) أى لا يصدق فى ايمانه (قوله حتى يكون هواه) بالقصر يعنى ما يحبه ويميل اليه (قوله تبعا لما جئت به) أى من هذه الشريعة المطهرة الكاملة فلا يؤمن حتى يميل طبعه وقلبه الى ذلك كما يكون فى محبوباته الدنيوية التى جبلت النفوس على الميل اليها من غير مجاهدة واحتمال مشقة فيهوى بقلبه ويميل بطبعه الى ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الدين المشتمل على الايمان والاحسان والنصح لله تعالى ولرسوله ولكتابه وهى أمور جامعة لم يبق بعدها الا تفاصيلها التى فى ضمنها فمن كان هواه تابعا لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن (تنبيه) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بعض خطبه ومواعظه أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة الى معاصيكم وحاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ومهدوا لها قبل أن تعذبوا وتزودوا للرحيل قبل ان تزعجوا فانما هو موقف عدل واقتضاء حق وسؤال عن واجب ولقد أبلغ فى]

(ومن ستر مسلما) أى ستر عورته الحسية بان يرى عورة شخص بادية لعدم ما يسترها به فيعطيه ما يسترها به والمعنوية باعانته على ستر دينه كأن يكون محتاجا للنكاح فيتوسل له فى التزويج أو الكسب أو يتوسل له فى بضاعة يتجر فيها أو نحو ذلك وقوله ومن ستر مسلما أى ستر بدنه باللباس أو عيوبه بعدم الغيبة والذب عن معايبه قال ابن فرج الاردلى والمراد الستر على ذوى الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا بالاذى والفساد وأما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل ترفع قضيته الى ولى الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه فى الايذاء والفساد وانتهاك الحرمات أو جسارة غيره على مثل فعله هذا كله فى ستر معصية وقعت وانقضت اما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بانكاره عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تاخيرها فان عجز لزمه رفعها الى ولى الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة قال وأما جرحة الرواة والشهود والامناء على الصدقات والاوقاف والايتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا رأى منهم ما يقدح فى أهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه (ستره الله فى الدنيا والآخرة) بان لا يعاقبه على ما فرط منه وقال عليه الصلاة والسلام من رأى عورة فسترها فكأنما أحيا موؤدة رواه النسائى وأبو داود من حديث عقبة بن عامر زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد وقال عليه الصلاة والسلام لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة رواه الطبرانى (والله فى عون العبد) الواو للاستئناف وما عدا هذه والاخيرة للعطف وهو تذييل لما قبله لشموله لدفع المضرة وهو ما فى الاولين وجلب النفع وهو ما فى الثالث ولهذا عدل به عن سياق ما قبله من الشرطية الى الجملة الاسمية ليقوى حكمها بابتداء الخبر فيها على المبتدا (ما كان العبد) أى مدة دوام كونه (فى عون أخيه) بقلبه أو بدنه أو بهما أو مال أو غيرهما كجاهه كما اذا كان محتاجا الى النكاح فيزوجه أو الى مال فيشترى له بضاعة يكتسب فيها لان المجازاة من جنس العمل وتأمل قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله فى عين حاجته وهى النار وسببه ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قضى الاجل الذى بينه وبين شعيب استاذنه فى الرجوع الى مصر لزيارة والدته وأخيه هرون فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام فولدت امرأته فى ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة فالجاه السير الى جانب الطور الغربى الايمن فقدح زنده فلم يور فبينما هو من ايلة اذ أبصر نارا من بعد عن يسار الطريق من جانب الطور وقال السدى ظن انها نار من نيران الرعاة فاتاها فاذا هى شجرة خضراء النار من أعلاها الى أسفلها تتقد بيضاء كاضوأ ما يكون فدنا منها فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما وظن انه نار فاخذ من الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم يكن باسرع من خمودها كانها لم تكن فرفع رأسه الى فروعها فاذا خضرتها ساطعة فى السماء وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذى كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة وعن مجاهد ان مريم مرت فى طلبها لعيسى بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع من كسبهم البركة وأمتهم فقراء وحقرهم فى أعين الناس فاستجيب دعاؤها وقد ورد فى الحديث من سعى فى حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وبعث الحسن البصرى جماعة من أصحابه فى حاجة لرجل وقال لهم مروا بثابت البنانى فخذوه معكم فاتوا ثابتا فقال أنا معتكف فرجعوا الى الحسن فاخبروه فقال قولوا له يا أعمش أما تعلم ان مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا الى ثابت فاخبروه فترك اعتكافه وذهب معهم (ومن سلك) أى دخل (طريقا) قليلا من الطرق لان الارجل

الاعذار من تقدم فى الانذار فانظروا يا اخوانى الى هذا الحديث ما أعظمه واعملوا بما فيه وخالفوا هواكم فقد قيل
إن الهوى لهو الهوان بعينه
فاذا هويت فقد لقيت هوانا
وقال آخر
نون الهوان من الهوى مسروقة
فاذا هويت فقد لقيت هوانا
(نكتة) فى مخالفة الهوى قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد ذكر السرى السقطى رضى الله عنه فى قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا أى على الدنيا رجاء السلامة وصابروا على القتال فى سبيل الله بالثبات والاستقامة ورابطوا هوى النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة وفى كتاب الفرج بعد الشدة أن راهبا اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة فقال عالم المسلمين لا بد من قتله خوفا على المسلمين أن يفتنهم فقصده بسكين مسمومة فلما طرق بابه قال اطرح السكين يا عالم المسلمين فطرحها فدخل فقال له من أين لك نور المكاشفة قال بمخالفة النفس فقال هل لك فى الاسلام قال نعم أشهد أن

ونحوها

ونحوها اطرقه والطريق يذكر و يؤنث والجمع أطرق وطرق اه لكن جمعه على اطرق مخصوص بحالة التأنيث كما أن جمعه على أفعلة مخصوص بحالة التذكير وأما جمعه على فعل فهو في الحالتين والتنوين فيه للشيوع اذ النكرة في الاثبات تفيد العموم كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت (يلتمس) أي يطلب (فيه) أي في غايته أو بسببه أو فيه حقيقة لكنه نادر جدا فلا يحمل الحديث عليه (علما) شرعيا بأي سبب كان من التعلم والتعليم والتصنيف وقوله علما حصل أو لم يحصل لان الاعمال بالنيات ونكره ليتناول أنواع العلوم الدينية و يندرج فيه القليل والكثير (سهل الله به) أي بذلك السلوك على حذاء عدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل (طريقا الى الجنة) يحتمل في الدنيا بأن يوفق للاعمال الصالحة ويحتمل في الآخرة بأن يجازى على طلب العلم وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بحيث لا يرى من مشاق المواقف الشاقة من العقبات والجواز على الصراط ما يراه غيره وذلك بأن يسهل عليه الوقف في الحشر والجواز على الصراط وهذا أقرب لظاهر الحديث وقد روى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فو الذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب عالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له (وما اجتمع قوم) هم الرجال فقط أو مع النساء على ما فيه من الخلاف ويذكر ويؤنث مثل رهط ونفر قال الله تعالى وكذب به قومك وقال كذبت قوم نوح واستفيد من تنكيره ان كل قوم اجتمعوا على ما ذكر حصل لهم الاجر من غير اشتراط وصف خاص فيهم من علم أو صلاح أو زهد وكره الامام مالك الاجتماع على القراءة والذكر الا أن يكون كل واحد يقرأ لنفسه على انفراده أو يذكر وعليه حمل الحديث وما أشبهه من الاحاديث الدالة على الاجتماع على التلاوة والذكر (في بيت من بيوت الله) مما بنى لنيل ثوابه ورضاه من نحو مسجد ورباط ومدرسة وقوله من بيوت الله ليس قيدا اذ غيرها كهي لكنه خرج مخرج الغالب اظهارا لشرفها اذ العبادة فيها أفضل من غيرها (يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم) يحتمل أن يكون ذلك جملة واحدة كما هو الواقع في غالب البلاد ويحتمل ان يقرأ كل واحد منفردا شيأ منه وعلى هذا حمل امامنا مالك الحديث لكراهة الاجتماع على القراءة جملة واحدة وأصل الدراسة التعهد للشئ تدارسوا القرآن أي اقرؤه وتعهدوه وقوله يتلون الخ حال من قوم لتخصيصه (الا نزلت عليهم السكينة) فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمأنينة وكل ما يطمئن القلب به ويسكن وأيضا اسم ملك ينزل لتسكين الرعب والخوف اذ بذكره تعالى تطمئن القلوب لاضداد الحركة وقيل هي الرحمة واختاره القاضي عياض وفيه نظر لعطف الرحمة عليه المقتضى للمغايرة وأما السكينة في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية فقال ابن عطية قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انها ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وروى انه قال ريح حجوج سريعة المرور والحجوج كما قال الجوهري هي التى تلتوى في صوبها وقال مجاهد السكينة شئ يشبه الهرة له رأس كرأس الهرة وجناحان وذنب وقيل لها عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وقال وهب بن منبه عن بعض علماء بنى اسرائيل انها رأس هرة ميتة كانت اذا صرخت في التابوت بصراخ الهر أيقنوا بالنصر وقيل صورة هرة مع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزمت اعداؤهم وقال ابن عباس والسدى انها طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل انها روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شئ أخبرتهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبى رباح هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال النووي هي شئ من خلق الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة وقال السيوطي انها اسم ملك مخصوص وقيل هي شئ كان يلقى موسى فيه الالواح

لااله الاالله وأن محمدا رسول الله قال ما حملك على ذلك قال عرضت الاسلام على نفسي فابت فقتلتها (وحكى) أن عابدا من عباد بنى اسرائيل راودته امرأة عن نفسه فطلب منها ماء ليتطهر به ثم صعد الى موضع عال في القصر ورمى نفسه الى الارض فقيل لابليس هلا أغويته فقال ليس لى سلطان على من خالف هواه * وقال المرعشى رحمه الله كنت في مركب فكسر بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فعطشت المرأة فسألت الله ان يسقيها فنزلت علينا سلسلة فيها كوز ماء فنظرت الى رجل في الهواء فقلت له كيف جلست في الهواء قال تركت هواى لهواه فاجلسنى في الهواء وقال الشبلى رحمه الله لما قالت له الشجرة ياشبلى كن مثلى يرمونى بالاحجار وأرميهم بالثمار فقال لها كيف مصيرك الى النار قالت يميلى مع الهوا هكذا وهكذا وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدر على امرأة أو جارية حراما فتركها مخافة الله أمنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر وحرم عليه النار وأدخله الجنة (نكتة) قال أبو زرعة رأيت امرأة في الطريق فقالت هل لك في الاجر والثواب فتعود مريضا قلت نعم قالت ادخل دارى فدخلتها فغلقت الابواب فعلمت مقصودها فقلت اللهم

والعصا وقيل غير ذلك (وغشيتهم الرحمة) أي علتهم وسترتهم وشملتهم وغطتهم من كل جهة (وحفتهم الملائكة) أي احدقت وطافت بهم ورفرفت عليهم واحاطت بهم ملائكة الرحمة المنزلة لاستماع الذكر تعظيما له واكراما للذاكرين على غاية من القرب والملاصقة بهم بحيث لم يدعوا للشيطان فرجة يتوصل منها لهم ومنه حافة الطريق أي جانبه وقوله تعالى حافين من حول العرش أي مطيفين به وأما قوله كان بي حفيا أي لطيفا وقيل بارا (وذكرهم الله) أي اثنى عليهم أو أثابهم كما يقول الانسان لاخيه اذكرني في كتابك أو أثابهم كما قيل به في تفسير قوله تعالى فاذكروني اذكركم أي اذكروني بالطاعة اذكركم بالجزاء عليها والمتبادر الى الذهن الاول (فيمن عنده) من الانبياء والملائكة الكروبيين والروحانيين مباهاة بهم لقوله تعالى في الحديث القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فالعندية هنا عندية شرف ومكانة لا عندية مكان لاستحالته عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد اجتمع مالك بن دينار بالبهلول فقال أخبرني عن الاولياء فقال له البهلول هم الذين لا يلفظون بغير ذكر الله لفظة ولا ينظرون لغيره نظرة (ومن ابطا) من البطء نقيض السرعة أي من قصر (به عمله) يعني من أخره عمله السيئ أو تفريطه في العمل الصالح (لم يسرع به نسبه) أي لم ينفعه شرف نسبه ولم ينجبر نقصه به فلا يلحقه برتب أصحاب الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هي بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان أكرمكم عند الله اتقاكم فاخبر تعالى ان الفضل عنده بالتقى دون النسب وقوله صلى الله عليه وسلم ائتوني باعمالكم لا بانسابكم وأنشد الحريري

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

فان قيل قوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء يدل على ان شرف النسب ينفع فان المفسرين فسروه ان ذريات المؤمنين صغارا كانوا أو كبارا يلحقون بآبائهم في المراتب من غير ان ينقص من مراتبهم شيء وفي الحديث ان الله يرفع ذرية المؤمنين في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه اه ويؤخذ منه ان الاب اذا كان دون ولده في الدرجة انه يرفع في درجة ولده للعلة المذكورة فما وجه التوفيق بين هذا وما في الحديث هنا فالجواب ان المذكور في الآية الشريفة يكون في الجنة والحديث محمول على الصراط وفي لفظ الابطاء والاسراع اشارة اليه ويؤيده ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه احدا يقول يا رب ابطأت بي فيناديه يا عبدي عملك أو أن ما في الحديث هنا محمول على شرف النسب من جهة الدنيا (رواه مسلم) بهذا اللفظ وهو حديث جليل جامع لكثير من الفوائد

(الحديث السابع والثلاثون)

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه) ظاهره انه من الاحاديث القدسية المنسوبة الى كلام الله عز وجل نحو أنا عند ظن عبدي بي ويحتمل ان المراد فيما يحكيه عن فضل ربه أو حكمه أو نحو ذلك (تبارك) تفاعل فعل ماض لا يتصرف ولا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر ومعناه تعاظم وتقدس وهو جامع لانواع الخير ومخصوص بالباري سبحانه (وتعالى) أي تنزه عما لا يليق بعلي كماله الاقدس (قال ان الله) تعالى (كتب) من الكتابة وهي تنقيش ما في الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب الحروف (الحسنات) أي ما يتعلق به الثواب (والسيئات) أي ما يستحق فاعله العقاب والمراد أمر الحفظة بكتابتهما أو قدرهما في علمه على وفق الواقع ثم بين ذلك المكتب والضمير في قوله بين راجع الى الله تعالى ان قلنا انه من الاحاديث القدسية أي بين مقدارهما للكرام الكاتبين من التضعيف في الحسنات من عشرة أو سبعين أو سبعمائة أو غير ذلك

سوتوجهها فاسود في الحال فتحيرت وفتحت الابواب فلما خرجت من عنده قالت اللهم ردها كما كانت فعادت باذن الله تعالى * وقيل ان موسى عليه السلام قال يا رب خلقت الخلق وربيتهم بنعمتك ثم جعلتهم يوم القيامة في النار فقال يا موسى ازرع زرعا فزرعه وحصده ودرسه فاوحى الله تعالى اليه ما فعلت في زرعك قال رفعته قال هل تركت منه شيئا قال تركت ما لا خير فيه قال يا موسى كذلك أدخل النار من لا خير فيه نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه آمين *(خاتمة المجلس) حكي أن بعض الصالحين كان يعمل الاطباق فخرج يوما يبيعها فرأته امرأة فقالت ادخل منزلي حتى اشتري منك فدخل فغلقت الابواب وطلبت منه الفاحشة فقال أريد ماء أتطهر به فطلع الى سطح الدار ورمى نفسه فامر الله ملكا فحمله على جناحه الى الارض سالما فرجع الى زوجته فاخبرها بامره وكانا صائمين فقالت نطوي هذه الليلة ونحييها بالصلاة شكرا لله تعالى على السلامة من المعصية ولكن قد اعتاد الجيران أن يأخذوا نارا من التنور فان لم يروا نارا ظنوا أنا في ضيق فاوقدت التنور وقد خليت يجوز لنا أخذ نار فقالت يا فلانة أدركي الخبز الذي في

والتخفيف في السيئات أولنا في التنزيل أو إلى النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتمال الثاني أي فصل ذلك الذي أجمله في قوله كتب الحسنات والسيئات بقوله (فمن هم بحسنة) أي قصد فعلها لان الهم قصد الفعل والفاء تفصيلية لان ما ذكره مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة (فلم يعملها) بجوارحه وهو بفتح الميم (كتبها الله عنده) هذه عندية تشرف ومكانة لتنزهه تعالى عن عندية المكان وفي هذا رد لمقالة من زعم ان الحفظة انما تكتب ما ظهر من أعمال العباد وسمع من أقوالهم واحتجوا بما روى عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت لان أذكر الله في قلبي مرة أحب الي من ان أذكره بلساني سبعين مرة وذلك لان ملكا لا يكتبها وبشرا لا يسمعها واطلاع الملكين الموكلين بالعبد على الهم اما بكشف عن القلب وما يحدث فيه كما يقع لبعض الاولياء واما باعلام الله اياهما بذلك ويؤيده ما وقع في حديث ابن عمر فينادي الملك أكتب لفلان كذا وكذا فيقول يا رب انه لم يعمل فيقول انه نواه واما بريح تظهر لهما من القلب فريح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثة تمتاز بها (حسنة) لان الهم بالحسنة سبب الى عملها وهي خير وسبب الخير خير فالهم بها خير (كاملة) مفعول ثان باعتبار تضمين الكتابة معنى التصيير أو حال موطئة أي لا نقص فيها وليس المراد بكمالها مضاعفتها لان التضعيف مختص بالعمل ولو مر عليه أزمنة متعددة وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فان الله تعالى يكتب له حسنات بعدد تلك الازمنة (وان هم بها فعملها) بكسر الميم (كتبها الله عنده عشر حسنات) لانه أخرجها من الهم الى ديوان العمل فكتب له بها حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل ما وعد به من التضعيف وقد تضاعف مضاعفة أخرى (الى سبعمائة ضعف) بكسر الضاد أي مثل وقيل مثلين على حسب ما يكون فيها من خلوص النية وايقاعها في مواضعها التي هي أولى بها (الى أضعاف كثيرة) بحسب الزيادة في الاخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة ونحو ذلك وذكر بعضهم ان اختلاف المضاعفة باختلاف الاعمال فنوع يضاعف بعشرة أمثاله كسبحان الله كما يأتي بيانه ونوع بخمسة عشر كصوم يومين من الشهر لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاصي صم يومين ولك ما بقي من الشهر ونوع بعشرين ونوع بثلاثين لقوله عليه الصلاة والسلام من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة ونوع بخمسين لخبر من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف قال الغزالي وانظر ما المراد باعرابه هل المراد به عدم الخطأ في الاعراب والاتيان به مجردا أو الاول فقط وعد الحافظ السيوطي فيمن يؤتى أجره مرتين من قرأ القرآن باعرابه قال والمراد باعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراءة مع فقده ليست بقراءة ولا يثاب عليها اه وذكر الثعالبي رحمه الله تعالى تفسير الاعراب في حديث من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف الخ نحو ما تقدم عن السيوطي ومن هذا النوع حديث من قرأ القرآن بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة ونوع بخمسمائة لحديث صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة ونوع بسبعمائة وهو نفقة الاموال في سبيل الله قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ونوع بسبعمائة ألف لما رواه ابن ماجه أنه عليه الصلاة والسلام قال من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في

التنور قبل أن يحترق فخافت فوجدت فيه خبزا كثيرا فأكلا ثم قاما الى العبادة ودعيا الله تعالى أن يسوق لهما رزقا من غير عمل فسقطت عليهما جوهرة من سقف البيت ففرحا بذلك فلما ناما رأت المرأة في منامها الجنة ومنابر أهل الطاعة على أحسن حال ورأت منبر زوجها قد سقط منه جوهرة فلما استيقظت أخبرته وقالت ادع الله أن يرد الجوهرة مكانها فطارت في الحال وفي رواية أنه قال اللهم ارزقني رزقا يغنيني عن بيع الاطباق فنزل جراد من ذهب فقال اللهم ان كان من الدنيا فبارك لي فيه وان كان نصيبي من الآخرة فلا حاجة لي به فارتفع الجراد باذن الله تعالى اللهم وفقنا لما يرضيك عنا يا رب العالمين

(المجلس الثاني والاربعون في الحديث الثاني والاربعين)*

الحمد لله الذي انفرد باسمائه العظمى المختص بالرحمة والجبروت والملك الاعز الاحمى المتفضل بالعفو والمغفرة على عباده المذنبين فلم يؤاخذهم بتخيل ولا وهما وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس الذي وسع كل شئ رحمة وعلما وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المرسل الى الناس كافة عربا وعجما صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بقربه في الفردوس الاسمى (عن أنس رضي الله عنه

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك

بيته فله بكل درهم سبعمائة ومن غزا بنفسه في سبيل الله وانفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم وذكر الحطاب في حاشية الرسالة القيروانية أن الصلاة في جماعة اثنين وخمسين فان كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فبمائتي ألف وخمسين ألفا والله تضاعف لمن يشاء ونوع ألف ألف لقوله عليه الصلاة والسلام من دخل السوق فقال بصوت مرتفع لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة رواه الترمذي من حديث ابن عمر وقد قيل لابي هريرة أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة وقد روى عن ابن عباس أن التضعيف ينتهي لمن يشاء الله الى ألفي ألف قال ابن عطية وليس هذا بثابت الاسناد عنه وقال الشارح الهيتمي ومن الفضل أيضا أن الله تعالى اذا حاسب من له حسنات متفاوتة المقادير جازاه بأجر أرفعها كلا اله الا الله وحده لا شريك له الخ اذا قيلت في سوق مع رفع الصوت فان فيها ألفي ألف حسنة ومحو ألفي ألف سيئة ومناصب في الجنة لقائلها كما ورد فاذا كانت في حسنات عبد جوزي على سائر حسناته بأجرها كما قال تعالى ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وهذا بحسب مقداره عرفتنا والا ففضله تعالى لا يمكن أحد ان يحصره انتهى (وان هم بسيئة فلم يعملها) أي تركها امتثالا مع القدرة على فعلها (كتبها الله عنده حسنة كاملة) لانه انما تركها بعد ان هم بها خوفا من الله عز وجل ولذا جاء في بعض طرق الحديث انما تركها من جراي أي من أجلي وأما لو حال بينه وبينها مانع كان يذهب الى امرأة ليزني بها فيجد الباب مغلقا ويتعسر عليه فتحه فلا يكتب له حسنة ومثله من تمكن من الزنا فلم ينتشر أو طرقه من يخاف أذاه وحينئذ فان ترك السيئة امتثالا كتب له حسنة والا فلا (وان هم بها وفعلها كتبها الله له سيئة واحدة) قال الله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون وظاهر قوله واحدة أنه لا يكتب عليه الهم معها لكن مفهوم الحديث الذي رواه الشيخان خلافه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به فقضيته ذلك أنه اذا تكلم بما هم به كالغيبة أو عمله كشرب المسكر انضم الى المؤاخذة بذلك المؤاخذة بالهم واعتمده التقي ابن رزين وتناقض فيه كلام السبكي ورجح ولده ما يوافق كلام ابن رزين نعم ان جعل قوله في حديث النفس ما لم تتكلم أو تعمل به ليس له مفهوم فلا يقال انها اذا تكلمت أو عملت يكتب عليها حديث النفس لانه اذا كان الهم لا يكتب فحديث النفس أولى وافق الحديث الذي هنا الا ان فيه بعدا واستثنى بعضهم الحرم المكي فقال ان السيئة فيه تضاعف وفيه ما فيه واعلم أن ما يقع في النفس من قصد المعصية له خمس مراتب الاولى الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ به اجماعا لانه ليس من فعل العبد وانما هو وارد لا يستطيع دفعه الثانية الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع أيضا الثالثة حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أم لا وهو مرفوع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به الرابعة الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضا وفي هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فان الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه بخلاف الثلاث الاول فانه لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب الخامسة العزم وهو قوة القصد والعزم به قال بعضهم هو كالاقسام السابقة والمحكي عن المحققين المؤاخذة به وهو الصحيح وممن قال بذلك القاضي أبو بكر قال القاضي عياض في الاكمال عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين على ما ذهب اليه القاضي أبو بكر اه ويدل للمؤاخذة به حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه

ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة رواه الترمذي وقال حديث حسن) ﷺ اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم وهو من الاحاديث القدسية وليس له حكم القرآن لعدم تواتره كما في نظائره السابقة (قوله يا ابن آدم) نداء لم يرد به واحدا بعينه عدل اليه ليعم كل من يتأتى نداؤه وآدم عربي مشتق من الادمة وهي حمرة تميل الى السواد أو من أديم الارض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق آدم من أديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والسهل والحزن والطيب والخبيث وقيل أعجمي لا اشتقاق له (قوله انك ما دعوتني ورجوتني) أي انك مدة دعائك اياي بما ينفعك ومدة تأميلك اياي خير ما عندي (غفرت لك) أي سترت ذنوبك فلا أظهرها بالعقاب عليها (قوله ما كان منك) أي من الذنوب على تكرار معصيتك الشرك بالايمان

وغير الشرك بالاستغفار (قوله ولا أبالي) أي بما كان منك من الذنوب عظم ٢٦٣ أولم يعظم لان الدعاء مخ العبادة وقد جاء

ثم ان العزم على الكبيرة وان كان سيئة فهو دون فعل الكبيرة المعزوم عليها وتردد في ذلك القاضي
أبو بكر (رواه البخاري ومسلم بهذه الحروف) وهو حديث عظيم (فانظر) من النظر وهو كما قال
الجوهري تأمل الشئ (يا أخي) نداء استعطاف وشفقة ليكون أدعى الى الامتثال والقبول (وفقنا
الله) دعاء بالتوفيق لعزته اذ لم يذكر في القرآن الا مرة واحدة في قوله تعالى وما توفيقي الا بالله وأما
قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فهو من الموافقة وقوله وفقنا يحتمل أن يريد بالضمير
نفسه فقط أو هو وغيره وعلى الاول أتى بنون العظمة لانه يجوز للانسان تعظيم نفسه اذا بلغ درجة
التأليف كما نص عليه شراح الرسالة القيروانية وفي الحديث ليس منا من لم يتعاظم بالعلم والعالم أشبه
الناس بالجماعة وتقدم المراد به عند قوله ولا يحقره (واياك) بدأ بنفسه لانه يندب للانسان أن يقدم
نفسه في الامور الدينية ومن هذا يعلم أن قول بعض الناس وبدأ بكم بعد قول من قال تقبل الله منكم
ونحوه مخالفة للسنة قال أبو الحسن الشاذلي بعد أن ذكر انه يبدأ بنفسه في الدعاء ندبا ما نصه هذا في الدعاء
في الكتاب وأما ان كتب كتابا لغيره وأراد أن يدعو فانه يبدأ بالمكتوب اليه وقيل يبدأ بنفسه وقيل يخير
وجاء عن مالك رضي الله عنه انه قال ان كان المكتوب اليه أكبر من الكاتب بدأ به وان كان الكاتب
أكبر بدأ بنفسه وهي فائدة حسنة اهـ وقوله هذا في الدعاء في الكتاب أي في الكتاب الذي يؤلفه
وكذا اذا لفظ بالدعاء بغير كتاب كرب اغفر لي ولوالدي كما في الآية الشريفة فان قلت يرد على هذا قول
من سمع العاطس يرحمك الله فانه لا يبدأ بنفسه فالجواب عن ذلك من وجهين الاول انه لما كان وسيلة
الى دعاء الآخر له اغتفر ذلك الثاني أن الاول يحمل على من دعا لنفسه ولغيره والثاني على من دعا لغيره
وانظر ما المراد بكونه أكبر هل في السن أو في النسب أو في العلم والظاهر أن المراد في واحد منها وربما
يشعر به قوله صلى الله عليه وسلم لا توسع المجالس الا لثلاث لذي علم أو سن أو ذي نسب والظاهر أنه اذا
كان مساويا له يخير وذكر في العقيدة البرهانية أنه يقدم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد في الحديث
أن العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى عبدي وبك أبدأ فأي فضيلة يلتمس وراء هذه وهي كونه
مبدوأ به في الاجابة وقد يجمع بان ذلك بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى (الى عظيم لطف الله) قال
أهل اللغة اللطف بضم اللام واسكان الطاء واللطف بفتحهما لغتان فيه كما صرح به النووي وهو لغة
الرفق وصنوف البر كما في النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه أشار من قال هو اجتماع الرفق في
الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له ويطلق على الاقدار على الطاعة وهو بهذا المعنى
مرادف للتوفيق مفهوما وما صدقا ويطلق اصطلاحا على ما يقع به صلاح العبد آخرة بان تقع منه الطاعة
دون المعصية أي بدل المعصية وعليه فهو مرادف له ما صدقا لا مفهوما وقوله آخرة على وزن درجة
ومعناه انه اذا هم بالمعصية يحصل له اللطف فيوقع بدلها طاعة ولطف بضم الطاء بمعنى صغر ودق
(وتأمل هذه الالفاظ) النبوية (وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها) وشرف فاعلها (وقوله كاملة
للتوكيد) أي صفة مؤكدة (وشدة الاعتناء بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة
كاملة فأكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة واحدة فأكد تقليلها بواحدة) لان مفهوم الواحدة
مشعر بالقلة (ولم يؤكدها بكاملة فلله) دون غيره (الحمد) على هذا الفضل العظيم (والمنة)
أي النعمة المتقبلة من المن وهو الانعام مطلقا أو على ما يطلب ويطلق على تعداد النعم استكثارا لها وهو
غير محمود الا من الله قال الله تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان لانه
يمنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا قيل المنة تهدم الصدقة كما قال تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعضهم

ان الله يحب الملحين في
الدعاء والرجاء يتضمن
حسن الظن بالله تعالى
وهو يقول أنا عند ظن
عبدي بي وعند ذلك
تتوجه رحمة الله تعالى
على العبد واذا توجهت
لا يتعاظمها شئ لانها
وسعت كل شئ كما قال
تعالى ورحمتي وسعت
كل شئ (قوله يا ابن آدم
لو بلغت ذنوبك عنان
السماء) بفتح العين
المهملة قيل هو السحاب
وقيل عنان السماء
صفائحها وما اعترض
من اقطارها وقيل هو
ما عن لك منها أي ظهر
اذا رفعت رأسك والمعنى
لو قدرت ذنوبك أشخاصا
فملأت الارض والفضاء
حتى وصلت السماء ثم
استغفرتني غفرت لك
اياها وذلك لان الله تعالى
كريم والاستغفار استقالة
والكريم يقبل العثرات
ويغفر الزلات وهذا مثال
للتناهي في الكثرة وكرم
الله تعالى لا يتناهى
وحقيقة الاستغفار اللهم
اغفر لي ويقوم مقامه
أستغفر الله لانه خبر بمعنى
الطلب (قوله يا ابن آدم
لو أتيتني بقراب الارض
خطايا) بضم القاف
وكسرها لغتان والضم

أشهر ومعناه ما يقارب ملئها وقيل علوها (قوله ثم أتيتني لا تشرك بي شيئا) أي مت معتقدا توحيدي أي مصدقا بما جاءت به رسلي

وان امرأ اهدى الى صنيعة * وذكرنيها انه لبخيل

وما أحسن قول الزمخشري طعم "لا" لا أحلى من المن وهو أمر من "الا" لا عند المن وأراد بالا "لا" الاولى النعم وبالثانية الشجر المز وبالمن الاول ماذكر في قوله تعالى المن والسلوى وبالثاني تعديد النعم وروي عن علي كرم الله وجهه انه سئل عن الحنان المنان فقال الحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه والمنان هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال (سبحانه) وتعالى وهو مفعول مطلق أي أنزهه عن النقائص وهو علم للتسبيح لا يستعمل غالبا الا مضافا (لا نحصي) معشر الخلق (ثناء عليه) موفيا بحق نعمة من نعمه والثناء بتقديم المثلثة والمد والمشهور في اللغة قصر استعماله في الخير وا في الشر مجاز وأما بتقديم النون فلا يستعمل الا في الشر وذكر صاحب المصباح انه يستعمل فيهما وهو الصحيح (وبالله التوفيق الى مرضاته)

(الحديث الثامن والثلاثون)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال) علم بهذا انه من الاحاديث القدسية ووقع في حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل (من عادى) من المعاداة ضد الموالاة والمصادقة والعدو ضد الولي والانثى عدوة وهو من النوادر لان فعولا اذا كان بمعنى فاعل لا تلحقه التاء لاستواء المذكر والمؤنث فيه كصبور وجمعه عدا بضم أوله وكسره وعداة بالضم لا غير وفي رواية من أهان وفي رواية أحمد من آذى أي وأغضب بالقول والفعل (لي) متعلق بقوله (وليا) أي من أجل كونه وليا لله فانه جرى بين الصديق والفاروق خصومة و العباس وعلي وكثير من الصحابة ما جرى ولذا قال الكرماني قوله لي هو في الاصل صفة لقوله وليا لكن لما تقدم صار حالا والولي مأخوذ من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو ومنه كل مما يليك وهو فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله بالطاعة والتقوى من غير تخلل عصيان أو بمعنى مفعول لان الله والاه بالاحسان ومزيد الامداد ولم يكله الى نفسه لحظة وضابط الولي انه المواظب على فعل الطاعات واجتناب المنهيات المعرض عن الانهماك في اللذات فان قلت المعاداة لا تكون الا من جانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه وأجيب بأن المعاداة لا تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لابي بكر والمبتدع في بغضه السني فتقع المعاداة من الجانبين اما من جانب الولي فلله وفي الله واما من جانب الآخر فلما تقدم وكذا الفاسق المتجاهر يبغضه الولي لله ويبغضه الآخر لانكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته وأيضا المفاعلة قد تأتي للواحد كسافر وعافاه الله قال علي بن أبي طالب أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الجوع يبس الشفاه من الذوي وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قيل يارسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويتجه ان ذلك في الولي الكامل وأما أصل الولاية فتحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين اياك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم أولياء الله وان أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيئا فان الله تعالى يلقاهم بمثلها مغفرة *(تنبيه)* ولي ورد في القرآن لمعان الاول الولد كقوله تعالى في سورة مريم فهب لي من لدنك وليا يعني ولدا الثاني الصاحب من غير

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم سبب نزولها ان قوما قالوا يارسول الله هل يغفر لنا اذا أسلمنا ما كان منا من الكفر والقتل وغيره فنزلت قل ياعبادي قال ثوبان لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أرجى آية في القرآن وقيل غير ذلك وقد ذم الله تعالى من انقطع رجاؤه من فضل الله فقال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء حسن الظن بالله تعالى في قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت منها وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فامن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان وجنوده فانه يحسن لك المعاصي وربما يحرك الى ذلك برجاء عفو الله وكرمه * وقد جاء في سعة رحمة الله تعالى أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم لو أخطأتم حتى تبلغ

قرابة كقوله تعالى في بني اسرائيل ولم يكن له ولي من الذل الثالث القريب كقوله تعالى يوم لا يغني
مولى عن مولى شيأ أي لا ينفع الكافر القريب قريبه الكافر الرابع العصبة كما في قوله في سورة مريم
واني خفت الموالي من ورائي يعني العصبة الخامس الولاية في الدين كقوله تعالى في المائدة لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض السادس الولي الذي يعتقه كقوله تعالى في آل عمران
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (فقد آذنته) بالمد وفتح المعجمة بعدها نون أي
أعلمته والايذان الاعلام ونظيره قالوا آذناك أي أعلمناك واذ تأذن ربك أي أعلم فان لم تفعلوا فأذنوا
بحرب من الله ورسوله (بالحرب) أي أعلمته باني محارب له واللام في قوله بالحرب للجنس فينصرف الى
أكمله فان قلت المحاربة مفاعلة وهي لا تكون الا من الجانبين مع ان المخلوق في أسر الخالق فالجواب
ان هذا من باب المخاطبة بما يفهم فان الحرب ينشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب
الهلاك والله تعالى لا يغلبه غالب فكان المعنى فقد تعرض لاهلاكي اياه فأطلق الحرب وأراد به لازمه أو
أعمل به معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام واذا ثبت هذا في
جانب المعاداة ثبت ضده في جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله وفي الحديث القدسي أين
المتحابون بجلالي اليوم أظلهم تحت ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقوله من عادى لي وليا أي من أجل ولايته
وقربه من الله تعالى لا مطلقا فلا تدخل منازعة في محاكمة أو خصومة راجعة الى استخراج حق أو
كشف غامض لجريان نوع ما من الخصومة بين أبي بكر وعمر وبين علي والعباس وبين كثير من الصحابة
رضي الله تعالى عنهم مع ان الكل أولياء الله (وما تقرب الي) بتشديد الياء (عبدي) بالاضافة للتشريف
من التقرب وهو طلب القرب من غير تخلل معصية قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قرب العبد
من ربه يقع أولا بايمانه ثم باحسانه وقرب الرب من عبده ما يخصه في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة من
رضوانه وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق وقرب
الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالاولياء ووقع
في حديث أبي أمامة تحبب بدل تقرب (بشئ) أي عمل (أحب) يجوز فيه الرفع والنصب فالنصب على
انه صفة لشئ المجرور نابت فيه الفتحة عن الكسرة لانه لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل والرفع على انه
خبر لمبتدأ محذوف أي هو أحب (الي مما) موصولة أو موصوفة والعائد محذوف وفيه حذف مضاف
أي من أداء ما (افترضته عليه) عينا كان أو كفاية كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وأداء
الحقوق الى أربابها وبر الوالدين والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرف المهمة لان
الامر بها جازم فيتضمن أمرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها بخلاف النوافل لان الامر بها
غير جازم فيثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها ولذلك كانت الفرائض أكمل وأحب الى الله وأشد
تقربا وروي ان ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة وبالجملة فالفرض كالاس والنفل
كالبناء على ذلك الاس (وما يزال) بلفظ المضارع وفي رواية بلفظ الماضي (عبدي يتقرب الي) أي
يداوم على التقرب الي زيادة على ما افترضته عليه (بالنوافل) الزائدة على الفرائض أي تطوعات من
سائر أصناف العبادات من صلاة في الليل أو في النهار ولا سيما المؤكدات وصدقة أو حج تطوع أو
اصلاح بين الناس أو جبر خاطر بينهم أو اعانة مسلم أو تيسير على معسر أو نحو ذلك ولفظ الطبراني ولا
يزال عبدي يتحبب الي وفي رواية له لا يزال عبدي يتنفل الي (حتى أحبه) بضم الهمزة وفتح الموحدة ويجوز في حتى وجهان أحدهما ان تكون بمعنى الى والثاني ان تكون بمعنى كي التي للتعليل
(فاذا أحببته) بتقربه الي باداء الفرائض وكثرة النوافل حتى امتلأ قلبه من معرفتي وأشرقت عليه

خطايا كم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق بالفي عام في ورقة من ورق الجنة ثم وضعه على العرش ثم نادى يا أمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدي ورسولي أدخلته الجنة * وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا رسول الله قال جاءني جبريل عليه السلام وقال ان الله تعالى يستحي أن يعذب أحدا قد شاب في الاسلام فكيف لا يستحي من شاب في الاسلام أن يعصي الله تعالى * وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امرأة من السبي تسعى اذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه

أنوار ولايتي (كنت سمعه) السمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخ
يدرك بها صورة ما يأتي اليه بتموج الهواء (الذي يسمع به وبصره) البصر قوة رتبت
في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان متفرقتين الى العينين يدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة
الجليدية من أشباح الاجسام المتكونة (الذي يبصر) بضم أوله (به ويده التي يبطش) بفتح أوله
وكسر ثالثه أو ضمه والكسر أشهر (بها ورجله التي يمشي بها) زاد عبد الواحد عن عروة عن عائشة
أحمد والبيهقي في الزهد وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به فان قلت كيف يكون البارى
وعلا سمع العبد وبصره الخ فالجواب من أوجه أحدها على حذف مضاف أي كنت حافظ
سمعه فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره فلا ينظر الا ما يحل ابصاره وحافظ يده فلا يبطش
فيما لا يحل وحافظ رجله فلا يمشي بها الا فيما يحل المشي اليه اما ايجابا أو ندبا أو اباحة وهذا هو
ثانيها قال الفاكهاني يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لان
المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل انت رجائي بمعنى مرجوي وفلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى لا يسمع
ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا
فيه رضائي وحبي ولا يمشي برجله الا لذلك ثالثها كنت له في النصرة كسمعه وبصره ورجله ويده في
المعاونة رابعها قال أبو عثمان الحيري أحد أئمة الطريق معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه
في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي خامسها انه ورد على سبيل التمثيل و
كنت كسمعه وبصره في ايثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح سادسها
ان المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره الى آخره سابعها قد يكون عبر بذلك عن سرعة
اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة
وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وانه الغاية التي لا شيء وراءها
وهو أن يكون قائما باقامة الله تعالى له محبا بمحبته له ناظرا بنظره له من غير أن يبقى معه بقية تناط باسم
أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف والتحقيق انه مجاز وكناية عن نصرة الله لعبده
المتقرب اليه بما ذكر وتأييده واعانته وتوليته في جميع أموره حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة
الآلات والجوارح التي يستعين بها ولهذا جاء في رواية أخرى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي
يمشي أي أنا الذي أقدرته على هذه الافعال وخلقتها فيه فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه خلافا
للمعتزلة وزعم الاتحادية والحلولية ان الحديث على حقيقته وان الحق عين العبد أو حال فيه وضلا
مكفرا اجماعا ويردهم قوله في بقية الحديث ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه (ولئن)
بلام القسم (سألني) شيئا من أمور الدنيا والآخرة فحذف المفعول للتعميم وكذا فيما بعده (لاعطينه
ما سأل وقد كان العلاء بن الحضرمي في سرية فعطشوا فصلى وقال اللهم يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم
انا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ ولا تجعل لاحد فيه نصيبا غيرنا
فساروا قليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملؤا أوعيتهم ثم ساروا فرجع بعض أصحابه
الى موضع النهر فلم ير شيئا وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط وخرج قوم غزاة في سبيل الله تعالى وكان
لبعضهم حمار فمات الحمار وارتحل الناس فقام صاحبه وتوضأ وصلى وقال اللهم اني خرجت مجاهدا في
سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي وتميت وتبعث من في القبور فأحي لي حماري فقام
الحمار وضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فركبه ولحق أصحابه ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة فان قلت
جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا ولم يجابوا فالجواب ان الاجابة تتنوع فتارة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أرحم بعباده من هذه بولدها * وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال قال رجل لم يعمل
حسنة قط لاهله اذا
أنا مت فأحرقوني ثم ذروا
نصفي في البر ونصفي في
البحر فوالله لئن قدر الله
علي ليعذبني
عذابا لا يعذبه أحدا من
العالمين فلما مات الرجل
فعلوا ما أمرهم فأمر الله
تعالى البر فجمع ما فيه
وأمر البحر فجمع ما فيه ثم
قال لم فعلت هذا قال من
خشيتك يا رب وأنت أعلم
فغفر له * وعن أبي موسى
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا كان يوم القيامة
دفع الله الى كل مسلم
يهوديا أو نصرانيا فيقول
هذا فداؤك من النار
وأوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام أحببني
وأحبب من يحبني وحببني
الى جميع خلقي قال يا رب
كيف أحببك الى خلقك
قال اذكرني بالحسن
الجميل واذكر آلائي
واحساني وذكرهم ذلك
فانهم لا يعرفون مني
الا الجميل وكان أبو
عثمان يتكلم في الرجاء
كثيرا فرؤي في المنام بعد
موته فقيل له كيف
كان قدومك على الله
فقال أوقفني بين يديه
فقال ما حملك على ما فعلت فقلت أردت أن أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك * وروي أن

بعينه على الفور وتارة يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها (ولئن استعاذني) بالنون بعد الذال المعجمة وفي رواية بالباء الموحدة والاول أشهر واستعاذ بمعنى اعتصم واستجار (لأعيذنه) مما يخاف واللام موطئة للقسم ودخل قوم على الحسن البصري فشكوا الشيطان فقال خرج من عندي الساعة وشكا منكم وقال قل لهم يتركون لي دنياي أترك لهم دينهم وقد ورد أن الشيطان يغوص في باطن الانسان ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقي اليه الوسوسة ويدل لذلك ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه مجاريه بالجوع وقال عليه الصلاة والسلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات والارض واختلف العلماء في الجن هل لهم اطلاع على بواطن البشر ونفوذ فيها فالمشهور ان لهم ذلك وأنكر أكثر المعتزلة ذلك قال شرف الدين المرسي رحمه الله اعلم ان الذي يستعيذ العبد لاجله يجري مجرى ما لا نهاية له أولها الجهل ثانيها الفسق وثالثها المخالفات والآفات والمكروهات وفي الحديث ما منكم أحد الا وله شيطان قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم بفتح الميم وفي رواية بضمها فالاول من الاسلام والثاني من السلامة أي اسلم من كيده وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة وروت خولة بنت حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل وقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية انه حكي عن بعض السلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال أجاهده قال فان عاد قال أجاهده قال هذا يطول ولكن أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع قال أكابده وارده عليه جهدي قال هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك والمستعاذ منه الشيطان وأعوانه والنفس والهوى والدنيا واقتصر في الاستعاذة على الشيطان لان هذه الاشياء كلها من جنوده وأشياعه وأتباعه يصرفها في اغوائه ووسوسته ومما قيل في الاولياء

لي سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي * في ذكرهم عز وجاه

(رواه الامام البخاري) وهو أصل في السلوك الى الله تعالى والوصول الى معرفته ومحبته وطريقته

* (الحديث التاسع والثلاثون) *

(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز) أي عفا وسامح وصفح وفي رواية عفا لامتي عن الخطأ هنا بمعنى قبل (لي) أي لاجلي (عن أمتي) أي أمة الاجابة (الخطأ) هذا يرجع الى قوله تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به والخطأ بفتحتين مهموز مقصور والمراد به ضد العمد وهو ان يقصد شيئا فيخالف غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لزاعمه لان تعمد الاثم يسمى خطأ بالمعنى الثاني ولا يمكن ارادته وقد يمد وقرئ بهما قوله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ويطلق على الذنب أيضا قال أبو عبيدة خطئ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد وقال غيره خطئ في الدين وأخطأ في كل شيء عامدا أو غير عامد وقال الاموي الخاطئ من فعل ما لا ينبغي والمخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره وفي الحديث لا يحتكر الا خاطئ وفي رواية ان الله تجاوز لامتي عن الخطأ وهي أظهر ووجه الاولى أن تجاوز ضمن معنى ترك أي ترك لي عن

رجلا كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة له اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال ابراهيم بن أدهم خلا لي المطاف ليلة فكنت أطوف بالبيت وأقول اللهم اعصمني فهتف بي هاتف فقال يا ابراهيم كلكم تسألون الله العصمة فاذا عصمكم فعلى من يتكرم * وقال مالك بن دينار رحمه الله رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له ما لقيت بعد الموت فقال لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا قال فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم الا الكرم قبل منا الحسنات وعفا عنا السيئات وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد أيام فكانوا يرون ان قلبه قد انصدع * (خاتمة المجلس في التوبة) * قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية قال أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال القرطبي يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وقيل غير ذلك والاخبار والآثار في التوبة كثيرة * عن

أمتي الخطأ وقوله تجاوز لأمتي الخ أي عن الاثم فقط في الخطأ والخطاء يمد ويقصر وقرئ بهما في قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الآية لأن حكمه من الضمان لا يرتفع اذ الخطأ والعمد في أموال الناس سواء وأما عن النسيان والاكراه فتارة عن الاثم فقط لأن من حلف لا أفعل كذا ففعله ناسيا يحنث وكذا لو أكره على فعله حيث كانت الصيغة صيغة حنث وتارة عن الاثم والحكم معا كمن أكره على الطلاق والعتق لقوله عليه الصلاة والسلام لا طلاق في اغلاق أي اكراه وكذا على فعل المحلوف عليه حيث كانت الصيغة صيغة بر (والنسيان) بكسر النون وهو ترك التفكر بلا قصد بعد حصول العلم فان قلت اذا كان الخطأ والنسيان متجاوزا عنهم فما فائدة الامتنان الحكمة في الامر بالدعاء في قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فالجواب الامر للاستدامة وقد يطلق على الترك ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم ولا تنسوا الفضل بينكم ويطلق على التأخير كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها أي نؤخرها واختلف في الخطأ والنسيان المذكورين في قوله تعالى ان نسينا أو أخطأنا فقيل النسيان بمعنى الترك أي تركنا شيأ من طاعتك وقيل الذهول والخطأ عن المتعمد وقال ابن زيد المعنى ان نسينا المأمور أو أخطأنا في المنهي وقال عطاء جهلنا أو تعمدنا والمراد هنا الاول قال في المصباح ونسيت الشيء أنساه نسيانا مشترك بين معنيين أحدهما ترك الشيء على ذهول وغفلة وذلك خلاف الذكر والثاني الترك على تعمد وعليه ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تقصدوا الترك والاهمال ويتعدى الى ثان بالهمز والتضعيف ونسيت ركعة أهملتها ذهولا ورجل نسيان وزان سكران والفرق بين النسيان والسهو أن النسيان زوال عن الحافظة والمدركة لانه جهل بعد العلم والسهو زوال عن الحافظة فقط والفرق بين السهو والخطأ أن السهو ما يتنبه صاحبه بادنى تنبيه والخطأ ما لا يتنبه به ويقال الآتي به ان كان على جهة ما ينبغي فهو الصواب وان كان لا على ما ينبغي نظر فان كان مع قصد من الآتي به يسمى الغلط وان كان من غير قصد منه فان كان يتنبه بأيسر تنبيه فهو السهو والا فهو الخطأ والنسيان حالة تعتري الانسان من غير اختياره توجب غفلته عن الحفظ والغفلة ترك الالتفات بسبب أمر عارض وقيل الغفلة تكون عما لا يكون والسهو يكون عما يكون تقول غفلت عن هذا الشيء حتى كان ولا تقول سهوت عنه حتى كان وفرق آخر وهو أن الغفلة تكون عن فعل الغير تقول كنت غافلا عما كان من فلان ولا يجوز أن تسمى عن فعل الغير (وما استكرهوا عليه) أي من صدر منه الاكراه فلا يفسر من أكره على الردة ولا يصح اعتاقه ولا طلاقه ولا شيء من تصرفاته وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد خلافا لأبي حنيفة في الطلاق والحديث مخصوص بما اذا لم يكن محرم فان أكره بالقتل يجب القصاص على المكره والكره والمكره بالفتح أو بالزنا وغير ذلك ويجب العقوبة من أكرهته على كذا اذا حملته عليه قهرا والكره بالضم المشقة يقال قمت على كره بالضم أي على مشقة وبالفتح الاكراه يقال أقامني فلان على كره بالفتح اذا أكرهك عليه وقال الكسائي هما لغتان ومفهوم هذا الخبر ان الخطأ والنسيان والاكراه كان يؤاخذ بها أولا اذ لا تمتنع المؤاخذة بها عقلا فان الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتناول الذنوب لا يبعد أن يفضي الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعدنا التجاوز عنه رحمة وفضلا ومن ثم أمر الانسان بالدعاء به استدامة واعتدادا بالنعمة (حديث حسن رواه محمد بن ماجه و) أبو بكر (البيهقي وغيرهما) *(فائدة)* لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فجاء جماعة منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا من العمل ما لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه وان له الدنيا فقال لهم صلى الله عليه وسلم فلعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا

عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال خرجت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي كل هم ينقطع الا هم أهل النار فانه لا ينقطع وكل سرور ونعمة تزول الا سرور أهل الجنة ونعيمهم فانه لا يزول يا علي اذا أذنبت ذنبا فلا تؤخر التوبة الى الغد فان الى الغد مسافة بعيدة وهي مضي يوم وليلة وعسى أن لا تدرك الغد فتتوب وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام أتاه عند وفاته وقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بسنة قبلت توبته فقال يا جبريل السنة لامتي كثيرة فذهب جبريل عليه السلام ثم رجع فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال يا جبريل الشهر لامتي كثير فذهب ثم رجع فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بجمعة قبلت توبته فقال يا جبريل الجمعة لامتي كثيرة فذهب ثم رجع فقال ان الله تعالى يقرئك السلام

فلما زلقت بهم ألسنتهم واطمأنت اليها نفوسهم أنزل الله تعالى آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق بالكسب دون العزم كذا في أكثر التفاسير وفي بعضها أنها نسخت بهذه وأكثر المحققين من أهل الاصول على أن النسخ يكون في الاحكام دون الاخبار وهذا خبر

* (الحديث الاربعون) *

(عن ابن عمر) رضي الله عنه (قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي) بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف يروى بالتثنية والافراد وفيه مس المعلم بعض أعضاء المتعلم عند التعليم أو الموعوظ عند الوعظ لما يقال له فيكون أبعد لنسيانه وهذا كقول عبد الله بن مسعود علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد كفي بين كفيه وقد تقدم ما اليه كما فعل جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال له اقرأ وذلك لاحضار القلب والتنبيه والتذكير اذ محال عادة أن ينسى من فعل معه ذلك ويقال له معه وهذا لا يفعل في الغالب الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته عليه السلام لهما (فقال كن في) مدة اقامتك في (الدنيا كأنك غريب) في محل نصب خبر كن أي كن في الدنيا مشبها بالغريب الذي قاسى الذل والمسكنة في غربته وعلق قلبه بالرجوع الى وطنه أي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق بها الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه (أو عابر سبيل) أي طريق معطوف على غريب عطف خاص على عام وأو فيه بمعنى بل كما ذكره الجوهري وفيها معنى الترقي والمعنى كن في الدنيا كغريب بل عابر سبيل أي لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه فهو حث على احتقار الدنيا والفراغ عنها والزهد فيها ولا يأخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة فان الغريب منكمش متوحش لا يجد من يعرفه فينبسط اليه ويأنس به ولا همة عنده له الا الخروج من غربته الى وطنه وموضع اقامته لا يبالي أن يرى على خلاف عادته في ملبوسه ونحو ذلك ولا يحسد ولا يعادي ولا يحقد ولا ينافس أحدا في مجلس ولا غيره لقلة اقامته وكذا عابر السبيل أي المار في الطريق وهو المسافر اذ ليس له أرب الا فيما يعينه على سفره وقوله الى بلده واجتماعه بأهله فلا يتخذ في بعض المراحل دارا ولا مسكنا ولا بستانا ولا رحما ونحو ذلك لأمله بقلة اقامته في سفره ولو أمكنه الطيران لطار فيه ولا يعرج على شيء بما يكون سببا لرحيله ومعينا على سفره ووصوله الى وطنه وأيضا فالانسان انما وجد ليمتحن بالطاعة والمعصية ليكون مثابا أو معاقبا بدليل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قال ابن بطال ولما كان الغريب قليل الانبساط الى الناس بل هو متوحش منهم اذ لا يكاد يمر بمن يعرفه ويستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره الا بقوته عليه وتخفيفه من الاثقال غير متشبث بما يمنعه من سفره معه زاده وراحلته يبلغانه الى بغيته من قصده شبه بهما وفي ذلك اشارة الى ايثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف وكما لا يحتاج المسافر الى أكثر مما يبلغه الى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا الى أكثر مما يبلغه الى المحل اه وحينئذ فهو كعبد أرسله سيده في حاجة الى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أرسله سيده فيه ثم يعود الى وطنه ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه ودخل رجل على أبي ذر رضي الله تعالى عنه فقال يا أبا ذر أين متاعكم فقال ان لنا بيتا نوجه اليه متاعنا فقال لا بد لك من متاع ما دمت ههنا قال تعلم ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقال الحسن رضي الله عنه المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في غيرها ولهذا أوصى صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الآخرة كل يوم مرحلة وقال داود الطائي انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة

ويقول الله من تاب من أمتك قبل موته بيوم قبلت توبته فقال يا جبريل اليوم لامتي كثير فذهب ثم رجع فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك ان كانت هذه كثيرة فلو بلغت روحه الحلقوم ولم يمكنه الاعتذار بلسانه واستحيى مني وندم بقلبه غفرت له ولا أبالي * وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى أتى نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة انه قد جاء تائبا ومقبلا بقلبه الى هذه الارض وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فجاءهم ملك الموت في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا بين الارضين فالى أيهما كان أقرب فهو له

تقاسوا او جدوه أقرب الى الارض التي أراد بشبر فقبضته ملائكة الرحمة فيا اخواننا توبوا الى الله تعالى وقيل

يعني حتى ينتهي ذلك بهم الى آخر سفرهم فان استطعت ان تقدم كل يوم زادا للمسايرين يديك فافعل واقض ما أنت قاض من أمورك فكأنك بالرحيل وقد بغتك فكيف يركن الى الدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كما قيل

وما هذه الايام الا مراحل * تمر وتطوى والمسافر قاعد

وقيل

نسير الى الآجال في كل لحظة * وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الاماني باطل

وقال الشبلي من ركن الى الدنيا أحرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الآخرة أحرقته بنورها فصار ذهبا أحمر ينتفع به ومن ركن الى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث عائشة انه عليه الصلاة والسلام قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وقال عليه الصلاة والسلام مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه أبو نعيم والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه وأنشد بعضهم

أيا من له في باطن الارض حفرة * أتأنس بالدنيا وأنت غريب

وما الدهر الا كيوم وليلة * وما الموت الا نازل وقريب

وأنشد آخر

الموت في كل حين ينشر الكفنا * ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن الى الدنيا وزينتها * ولو توشحت من أثوابها الحسنا

أين الاحبة والجيران ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كاسا غير صافية * فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من جمع ستة خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة والهرب من النار عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال أيضا ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها لا يراها أحد الا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وروي في خبر انه يؤمر بها فتلقى في النار فتقول يارب أين أتباعي وأصحابي فيلحقون بها (وكان) عبد الله (ابن عمر يقول) في بعض وصاياه (اذا أمسيت) أي دخلت في وقت المساء (فلا تنتظر) بعمل من اعمال البر (الصباح) وهو أول ما يبدو من النهار (واذا أصبحت) دخلت في وقت الصباح (فلا تنتظر) بعمل من أعمال البر (المساء) لانه ربما يكون تأخيرها سببا لفواتها وعدم استدراكها وقدم المساء على الصباح لان في المساء النوم الذي هو أحد الوفاتين لقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ولان التراخي فيه أكثر والمراد اذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى الصباح واذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى المساء وانتظر الموت في كل وقت واجعله نصب عينيك وعقب به المصنف ما قبله لان ذلك الحث على ترك الدنيا وهذا الحث على تقصير الامل وذلك متوقف على هذا لانه المصلح للعمل والمنجي من أوقات التراخي والكسل وقد قيل لبعضهم ما قدر أملك في الدنيا فقال هل لمن نفسه في يد غيره أمل وكان محمد بن واسع اذا أراد النوم قال لاهله أستودعكم الله فلعلي لا أقوم من

ما من ليلة الا وتشرف البحار على الخلائق فتنادي يارب ائذن لنا فنغرق الخاطئين فيقول الله عز وجل ان كان العبيد عبيدكم فافعلوا بهم ما شئتم وان كانوا عبيدي فدعوهم فاذا مل عبدي من المعصية وأتى باب قبلته وان أتاني في جوف الليل قبلته أو في النهار قبلته فليس على بابي حاجب ولا بواب متى قال رب أسأت أقول عبدي غفرت * حكي انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم انه نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك تقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك اللهم ارزقنا التوبة النصوح يارب العالمين * وهذا آخر المجالس السنية في الاربعين النووية ونختمها بمجلس الختام فنقول بفضل الملك العلام *

(خاتمة الكتاب في مجلس الختام) * الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد الذي

نومي

نوى ولهذا جاء في الحديث لا يبيت أحدكم إلا ووصيته عند رأسه فلعله أن يبيت من أهل الدنيا ويصبح في أهل الآخرة فكم من مستقبل يوما أو عملا لا يستكمله قال أبو نصر بن ودعان قصر الامل أصل كل خير كما أن تطويله أصل كل شر فان من لا يقدر في نفسه انه لا يعيش غدا لا يسعى للكفاية غد ولا يهتم لها فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا ويكفيه كل شئ ومن قدر انه يعيش عشر سنين مثلا فانه يصير عبدا لهذه الاوصاف الذميمة ولا يكفيه شئ من الدنيا ولا يملأ بطنه وعينه الا التراب ولبعضهم

تبغي من الدنيا الكثير وانما ✽ يكفيك منها مثل زاد الراكب

لا تعجبن بما ترى فكانه ✽ قد زال عنك زوال أمس الذاهب

ولبعضهم

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا ✽ فانك لا تدري أتصبح أم تمسي

فليس الغنى عن كثرة المال انما ✽ يكون الغنى والفقر من قبل النفس

والحق انه سبب للزهد في الدنيا وقول بعض الشراح انه نفس الزهد فيها أراد به أن بينهما تلازما صيرهما كالشئ الواحد فمن قصر أمله زهد ومن طال أمله طمع ورغب في الدنيا وترك الطاعة وسوف بالتوبة ونسي الآخرة ومقدماتها من الموت وما بعده من الاهوال فيقسو قلبه ضرورة لأن رقة القلب وصفاءه انما يكون بذكر ذلك قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال ابن الجوزي اذا رأيت قبرا فوهمه قبرك وعد باقي الحياة ربحا وعن أبي زكريا التيمي قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقور فطلب من يقرأه فأتى بوهب بن منبه فقرأه فاذا فيه ابن آدم انك لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك فانما يلقاك ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك فبان منك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا أنت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ولبعضهم

اذا هبت رياحك فاغتنمها ✽ فان لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الاحسان فيها ✽ فما تدري السكون متى يكون

اذا ظفرت يداك فلا تقصر ✽ فان الدهر عادته يخون

(وخذ من) العمل من (صحتك) قبل أن يحال بينك وبينها (لمرضك) أي اغتنم العمل حال الصحة فانه ربما عرض للشخص مرض وسقم مانع منه فاذا كنت تعمل في حال الصحة جرى لك ثوابه في حال المرض لخبر ابن عساكر عن مكحول اذا مرض العبد أي الانسان المسلم يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم أي عن الضعيف ويقال لصاحب اليمين اكتب له أحسن ما كان يعمل فاني أعلم به لانه لم يحصل منه تقصير (و) خذ (من) العمل زمن (حياتك لموتك) أي اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك ما دمت حيا فان من مات انقطع عمله قال الله عز وجل فاستبقوا الخيرات وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين مستنزع مما ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (رواه البخاري) وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر

✽(الحديث الحادي والاربعون)✽

(عن) أبي محمد ويقال أبو نصر ويقال أبو عبد الرحمن (عبد الله بن عمرو بن العاصي) باثبات الياء وأكثر المحدثين يحذفونها وأقلهم يثبتها قال النووي والصواب جواز الوجهين قال بعضهم واثباتها يدل على

خلق الخلق فمنهم شقي وسعيد فهو ذا أقربه لحضرته وهذا أشقاه فهو بعيد أحمده وأسأله من فضله المزيد وأشكره شكرا مقرونا بالتهليل والتسبيح والتحميد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الولي الحميد وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله أفضل الرسل وأشرف العبيد الذي أخبر أن ميزان أمته ترجح يوم القيامة بشهادة التوحيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تفنى ولا تبيد وسلم تسليما كثيرا وبعد فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذه الآية العظيمة نزلت في الحشر والحساب والميزان والقيامة هي التي تعم الناس وتأتيهم بغتة وتأخذهم أخذة واحدة على غفلة في يوم جمعة في غير شهر معروف ولا سنة معروفة وأول يوم القيامة من النفخة الثانية الى استقرار الخلق في الدارين الجنة والنار وصدر يوم القيامة من الدنيا وآخره من الآخرة ومقدار ذلك اليوم كما قال الله تعالى في سورة السجدة في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أي في الدنيا وكما قال تعالى في سورة سأل في يوم كان مقداره خمسين

انه من العصيان و يدل له أن عمر بن الخطاب كان يناديه بقوله يا عاصي يا ابن العاصي وحذفها يدل على
انه من العوص وهو قرشي يلتقي مع النبي ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن
كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي واسم أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن سعد بن
سهم ولم يسلم عمرو الا بعد الحديبية لانه جاء في الحجر مع خالد بن الوليد وعثمان الحجبي وقال لولا
أمر محمد الا في ازدياد وأمر قريش في انتقاص ثم اتفقوا على الاسلام وقيل انه أسلم على يد النجاشي
ويلغز بها فيقال صحابي أسلم على يد تابعي وأما ان احتضر عمرو قال لولده عبد الله اني قبل الاسلام
لا أرفع طرفي الى النبي صلى الله عليه وسلم كراهية ولو مت على ذلك لدخلت النار وبعد الاسلام كنت لا أرفع
طرفي اليه حياء منه صلى الله عليه وسلم (رضي الله عنهما) أسلم قبل أبيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يفضله على أبيه وكان أبوه أكبر منه باثنتي عشرة سنة وقيل باحدى عشرة سنة وقيل بثلاث عشرة
وهو من أجل العبادلة وكان غزير العلم مجتهدا في العبادة وكان من زهاد الصحابة وكان يقول لا
تدمع عيني دمعة من خشية الله عز وجل أحب الي من أن أتصدق بألف دينار وكان يقول لو تعلمون
حق العلم لسجدتم حتى تتقصف ظهوركم ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم فابكوا فان لم تجدوا
فتباكوا وكان واسع الرواية قال أبو هريرة رضي الله عنه ما أحد أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مني الا عبد الله بن عمرو بن العاصي فانه كان يكتب ولا أكتب روي له عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبعمائة حديث اتفقا على سبعة عشر حديثا وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين
ورواية أكثر من ذلك وانما توعرت الطرق في الرواية عنه فكان ذلك سببا في قلة ما نقل
وكان عبد الله بن عمرو هذا قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة عنه في حالة الرضا و
فأذن له حتى كان يسمي صحيفته الصادقة ويقال انه حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل وكان
قد قرأ الكتب وكان يصوم النهار ويقوم الليل ورغب عن غشيان النساء وزوجه أبوه من قريش ثم
دخل عليها أبوه فقال لها كيف وجدت بعلك فقالت خير الرجال أو خير البعولة من رجل لم يفتش
لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا فأقبل عليه والده بعظه وقال له زوجتك امرأة من قريش فعضلتها ثم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه له فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له أتصوم النهار
قال نعم قال وتقوم الليل قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني أصوم وأفطر وأصلي و
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان مع أبيه الى أن توفي أبوه بمصر ثم انتقل الى الشام الى أن
توفي يزيد ثم انتقل الى مكة ومات بها وقيل مات بالشام وقيل مات بالطائف وقيل مات بمصر
أو سبع أو تسع وستين عن اثنين وسبعين أو اثنين وتسعين سنة وكان قد عمي في آخر عمره ولما حضر
الوفاة قال انه كان خطب مني ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبيه بالوعد فوالله لا ألقى
بثلث النفاق أشهدوا اني قد زوجتها له (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم)
ايمانا كاملا (حتى يكون هواه) بالقصر وهو مصدر هواه أي أحبه وشرعا ميل النفس الى خلاف
ما يقتضيه الشرع الى ما تحبه نفسه وقيل اليه وتدعو اليه شهوتها ويجمع على أهواء وأما الممدود
ما بين السماء والارض فجمعه أهوية وجمعهما قول بعضهم

سكن الهواء مع الهوى في أضلعي * فاستجمعت وسط الحشا نارات
فقصرت بالممدود عن وصل الظبا * ودرجت بالمقصور في أكفاني

(تبعا لما) أي لجميع ما (جئت به) من الاوامر والنواهي والغالب ان الهوى لا يطلق الا على الميل
الى خلاف الحق كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى وقد يطلق على مطلق الميل فيدخل فيه الميل

في الدنيا وقيل يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة نسأل الله أن يخففه علينا بمنه وفضله وليوم القيامة أسماء كثيرة تعددت أسماؤه لكثرة معانيه فمن أسمائه الساعة لوقوعها بغتة في ساعة لسرعة حسابها قال الله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ومن أسمائه القيامة لقيام الخلق كلهم من قبورهم اليها أو لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم القيامة يقوم أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه قال ابن عمر يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلثمائة سنة أو سميت بذلك لقيام الروح والملائكة صفا ومن أسمائه القارعة لانها تقرع القلوب بأهوالها والحاقة لانها كائنة من غير شك والغاشية لانها تغشى أبصار الخلائق بأهوالها حتى انهم لا يرون من عن يمينهم ولا من عن شمالهم بدليل لكل امرئ الآية ويقال هو دخان يخرج من النار
يغشى وجوه الخلائق والآزفة أي القريبة والواقعة لوقوع الامر في ذلك اليوم والخافضة لانها

تخفض أقواما بدخولهم النار بأعمالهم السيئة والرافعة لانها ترفع أقواما بدخولهم الجنة بأعمالهم الحسنة والطامة أى الغالبة لكل شئ وسميت بذلك لكثرة الاهوال والصاخة أى الصيحة التى تصخ الاذن فتورث الصمم ويوم الصيحة لصيحة اسرافيل فى الصور ونفخه فيه ويوم الزلزلة لتزلزل القلوب والاقدام ويوم الفرقة قال الله تعالى يومئذ يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير ومن أسمائه اليوم الموعود لانه ميعاد الخلق ومرصادهم وعد الله فيه قوما بالنجاة وقوما بالهلاك وقوما بالثواب وقوما بالعذاب ومن أسمائه يوم العرض قال الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية والاعمال تعرض فيه على الله عز وجل ومن أسمائه يوم الحشر للخلق بان يحييهم الله بعد فنائهم ويجمعهم للعرض والحساب ومن أسمائه يوم المفر قال الله تعالى يقول الانسان يومئذ أين المفر ومن أسمائه اليوم المعلوم قال الله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ٢٧٣ قيل ان الاولين من قبل آدم والآخرين من بعده وقيل ان الاولين من قبل محمد والآخرين من بعده الى يوم القيامة ومن أسمائه اليوم العسير لشدة الحساب فيه والمرور على الصراط ووزن الاعمال وزحمة بعضهم بعضا حتى يكونوا مثل السهام فى الجعبة وعلى كل قدم ألف قدم وقيل سبعون ألف قدم وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون منهم كمقدار ميل وهو المرود الذى يكتحل به فى العين ويزاد فى حرها بضعة وستون ضعفا وحرارة الانفاس وحرارة النار المحدقة بأرض المحشر وعرق الناس حتى يغوص عرقهم فى الارض مقدار سبعين باعا أو ذراعا على اختلاف الروايات ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم حتى ان السفن لو أجريت فى عرقهم لجرت ويقول الرجل يارب أرحنى ولو الى النار فهذا هو اليوم العسير (ونذكر بعض أهواله وأحواله كما ذكرنا بعض أسمائه) فنقول قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون واذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء وحشروا على أحوال فمنهم من يكسى ومنهم من يحشر عريانا ومنهم راكب وماش ومسحوب على وجهه ومنهم من يذهب الى الموقف راغبا ومنهم من يذهب خائفا ومنهم قوم تسوقهم النار سوقا وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دما لا يكون له طعام ولا شراب الا منه وجاء ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى وقال رسول الله صلى الله عليه

الى الحق وغيره ولا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتها الشهوانية المطبوعة عليها الا بمجاهدة ونصبر واحتمال مشقة حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت أحبت ما يحبه الله وحينئذ فقوله حتى يكون هواه تبعا لما جئت به أى بان يميل قلبه وطبعه اليه كميله لمحبوباته الدنيوية التى جبلت النفس على الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة أو بعض كراهة ما بل تهواها كما تهوى المحبوبات والمشتهيات فان من أحب شيأ اتبعه هواه ومال عن غيره اليه ووالاه ولذلك لم يقل صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يأتمر بما أمرته أو حتى يأتى بكل ما جئت به أو حتى يتبع ما جئت به ونحو ذلك لان المأمور بالشئ الملزم به أو المتبع له قد يفعله اضطرارا واعلم ان الهوى يميل الانسان بطبعه الى مقتضاه ولا يقدر على جعله تابعا لما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم الا كل ضامر مهزول اذ الهوى لغلبة الشهوة الطبيعية يملك الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الخميصة وقد يتغالى الشخص فى اتباعه حتى يجعله الهه قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أى هو به قال أبو الدرداء اذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فان كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وان كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح وفى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وفى رواية والفاجر بدل العاجز وعن سليمان بن داود ان الغالب لهواه أشد من الذى يفتح المدينة وحده وعن حذيفة بن قتادة قال كنت فى مركب فكسرت بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فمكثنا سبعة أيام فقالت المرأة أنا عطشانة فسألت الله تعالى أن يسقيها فنزلت عليها من السماء سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت فرفعت رأسى أنظر الى السلسلة فرأيت رجلا جالسا فى الهواء متربعا فقلت ممن أنت قال من الانس قلت فما الذى بلغك هذه المنزلة قال آثرت مراد الله على هواى فأجلسنى كما ترانى وعن وهب ابن منبه قال كان فى بنى اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى أن مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذا هما برجل يمشى فى الهواء فقالا يا عبد الله بأى شئ أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فطمت نفسى عن الشهوات وكففت لسانى عما لا يعنينى ورغبت فيما دعانى اليه ولزمت الصمت فان أقسمت على الله بر قسمى وان سألته أعطانى وعن عبد الواحد بن محمد الفارسى قال سمعت بعض أصحابنا يقول رأيت غرفة فى الهواء وفيها رجل فسألته عن حالته التى بلغته الى تلك المنزلة فقال تركت الهوى فادخلت فى الهواء وقال رجل للحسن يا أبا سعيد أى

وسلم ليس على أهل لا إله الا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا إله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وجاء ان النائحة تخرج من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من نار يدها على رأسها وهي تنادي واويلاه والذين يأكلون الربا يبعثون كالمجانين عقوبة لهم قال تعالى الذين يأكلون الربا الآية ويحمل مع كل واحد شيطان يخنقه ومن مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة فاذا جمع الله الخلائق أجمعين في صعيد واحد يمكثوا لا يتكلمون حفاة عراة غرلا مؤمنهم وكافرهم وحرهم وعبدهم وصغيرهم وكبيرهم وانسهم وجنهم وملائكتهم ووحوشهم وطيرهم حتى الذر والنمل قال الله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا فتناثرت النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر فتشتد الظلمة ويعظم الامر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتا عظيما منكرا فظيعا تدهش له الالباب وتخضع لشدته الرقاب ثم ينظرون الملائكة هابطين الى الارض فتنزل ملائكة سماء الدنيا فتحيط بالخلائق ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية كذلك حتى يكونوا سبع دوائر في كل دائرة ملائكة سماء ثم تسيل السماء فتكون كالمهل وهو النحاس المذاب فيطوي الله بعضها على بعض ثم تنهار وتذوب وتذهب حيث شاء الله وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون قدر ميل فيشتد الكرب من الزحام ويكثر العرق كما قال عليه السلام ان العرق يوم القيامة ليذهب في الارض سبعين ذراعا وانه ليبلغ الى أفواه الناس وآذانهم وجاء في حديث آخر ان الرجل ليغرق في عرقه الى شحمتي أذنيه ولو شرب من ذلك العرق سبعون بعيرا ما نقص منه شيء قالوا فما النجاة من ذلك يا رسول الله قال الجلوس بين يدي العلماء ويكون الناس في العرق يومئذ متفاوتين فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه أو أذنيه ولا ظل يومئذ الا ظل الله تعالى وهو ظل يخلقه الله تعالى في المحشر لا يكون فيه الا من أراد الله اكرامه فيقفون كذلك شاخصين الى نحو السماء قدر أربعين سنة وقيل سبعين سنة من سني الدنيا لا ينطقون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وقال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله وقال صلى الله عليه وسلم من أشبع جائعا أو كسا عاريا أو آوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلوى صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

الجهاد أفضل قال جهاد هواك وقال الاصمعي مررت بأعرابي به رمد شديد ودموعه تسيل فقلت ألا تمسح عينيك فقال زجرني الطبيب ولا خير فيمن اذا زجر لا ينزجر واذا أمر لا يأتمر فقلت أما تشتهي شيئا قال أشتهي ولكن أحتمي لأن أهل النار غلبت شهواتهم فلم يحتموا فهلكوا وقيل ليحيي بن معاذ من أصح الناس عزما فقال الغالب لهواه ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال لها البدر من أحسن الجواري وجها وأكمله فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية فقال أصلح الله الامير ما رأت عيناي قط أحسن منها فقال خذ بيدها فقال خلف ما كنت لأفعل ولا أسلب الامير وقد عرفت عجبه بها فقال خذها على علم مني بها فقال له فأخذ بيدها وخرج وهو يقول

لقد حباني وأعطاني وفضلني * من غير مسئلة مني سليمان * أعطاني البدر جودا في محاسنها
والبدر لم يعطه انس ولا جان * ولست عقابا سي عرفه أبدا * حتى يغيبني لحد وأكفان

ودخل الوليد بن يزيد بعض كنائس الشام فكتب في حيطانها اما أرى العيش غير أن تتبع النفس هواها خطأ أو صوابا فرأى ذلك عبد الله بن علي فكتب تحته

ان كنت تعلم حين تصبح آمنا * ان المنايا ان أقمت تقيم
فالزم هواك لما رضيت فانه * لا مثل ذلك في النعيم نعيم

ولبعضهم

رب مستور سبته شهوة * فتعرى ستره فانهتكا
صاحب الشهوة عبد فاذا * غلب الشهوة صار ملكا

وكان عبد الله بن حسن يطوف بالبيت فنظر الى امرأة جميلة فمشى الى جانبها ثم قال

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني * فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت له دع أحدهما تنل الآخر وقيل ان سبب ذلك ان عبد الله بن حسن لقي امرأة جميلة في الطواف فلما نظرت اليه والى جماله مالت نحوه وطمعت فيه واقبل عليها وأنشد البيت المذكور فتركته وانصرفت وقال الجنيد

اذا خالفت النفس هواها * صار داؤها دواها

وقال بعض الحكماء يا بني اعص هواك والنساء وأطع من شئت ويروى واصنع ما شئت وقال ابن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

ويقال ان هشام بن عبد الملك لم يقل في عمره الا بيتا واحدا

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة قيل وما يكفرها يا رسول الله قال الهموم في طلب المعيشة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا طال انتظار أهل الموقف طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الموقف والانتظار والكرب وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع فكان تعجبه فنهش منها نهشة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون بم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما بلغكم ألا ترون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك

ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وان يغضب بعده مثله وانه نهاني عن أكل الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى نوح عليه السلام فيأتون نوحا فيقولون له يا نوح أنت أول الرسل الى الارض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربنا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله أبدا وانه كان لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى ابراهيم عليه السلام فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم ابراهيم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وان يغضب بعده مثله ويذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى عليه السلام فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وتكليمه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى عليه السلام ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله

وقال غيره
ان الهوان هو الهوى قصر اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر
نون الهوان من الهوى مسروقة * وصريع كل هوى صريع هوان

ثم اعلم ان من كان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا كاملا وضده الكافر وهو من اعرض عن جميع ما جاء به ومنه الايمان واما من تبع البعض فان كان ما تبعه أصل الدين وهو الايمان دون ما سواه فهو الفاسق وعكسه المنافق (حديث صحيح رويناه) حالة كونه (في كتاب الحجة) في اتباع المحجة تأليف الفقيه الزاهد أبي القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني نزل دمشق ومنه هذا الكتاب في عقيدة أهل السنة (باسناد صحيح) وخرجه الطبراني عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو لكن زاد بعد ما جئت به لا يزيغ عنه قال ابن عبد البر وعقبة بن أوس مجهول

(الحديث الثاني والاربعون)

(عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم) أصله أأدم بهمزتين على وزن افعل لكنهم سهلوا الثانية بقلبها ألفا تخفيفا لاستثقال اجتماع الهمزتين وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل مشتق من الادمة بالسكون او الفتح وهو حمرة تميل الى سواد او من اديم الارض وهو ظاهر وجهها كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما و ورد عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ولا ينافي هذا ما ورد من براعة جماله وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثلث من جماله لان الجمال لا ينافي السمرة اذ سمرته بين البياض والحمرة واختلف في لفظه هل هو أعجمي أو لا فذهب أبو البقاء وغيره الى أنه ليس أعجمي وان منع صرفه للعلمية ووزن الفعل واشتقاقه مما ذكر يرد القول بانه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره وذهب الثعالبي الى أنه أعجمي وان منع صرفه للعلمية العجمة وصح انه كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسرياني وفي الحديث خلق الله آدم من أديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجزه وذكره وفخذيه من الارض السادسة وساقه وقدميه من السابعة ونقل أبو الحسن في شرحه لعقيدة الرسالة القيروانية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال رفعت تربة آدم من ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الارض السابعة شيء لان فيها نار جهنم اهـ وروي عنه أيضا انه قال خلقه الله تعالى من أقاليم

غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي
ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه لأحد غيري ثم يقول الله تعالى يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع
رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر وكما بين مكة
وبصرى وفي البخاري كما بين مكة وحمير فهذه أول الشفاعات لإراحة الناس من هول الموقف وهو المقام المحمود والمراد من الآية فعند
ذلك يظهر نور عظيم تشرق منه أرض المحشر وهو نور العرش فترتعد فرائص الخلائق ويتيقنون بأن الجبار عز وجل قد تجلى لفصل القضاء
فيظن كل أحد أنه هو المأخوذ المطلوب ٢٧٦ ثم يأمر الله تعالى جبريل ان يأتي بجهنم فيأتيها فيقودها فتهم تسطو على من عصى الله
فيقول لها يا جهنم أجيبي
خالقك ومليكك فتثور
وتفور وتشهق فتسمع
الخلائق لها صوتا عظيما
تنخلع القلوب منه فزعا
ورعبا ثم تزفر ثانية فيزداد
الرعب والخوف ثم تزفر
ثالثة فتخر الخلائق على
وجوههم وتبلغ القلوب
الحناجر وينظر المجرمون
من طرف خفي ولا يبقى
ملك مقرب ولا نبي مرسل
الا جثا على ركبتيه كما قال
الله تعالى وترى كل أمة
جاثية كل أمة تدعى
الى كتابها اليوم تجزون
ما كنتم تعملون ويتعلق
الخليل بساق العرش
ويقول يا رب لا أسألك
إسماعيل ولدي بل
أسألك نفسي ويتعلق
موسى بساق العرش
ويقول يا رب لا أسألك
هرون أخي بل أسألك
نفسي ويتعلق عيسى بساق العرش ويقول يا رب لا أسألك مريم أمي ولكن أسألك نفسي
ثم يتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فيأخذ بخطامها فيقول لها ارجعي وراءك مدحورة مدحورة فتقول يا محمد دعني فان لي عليك من سبيل
دعني أنتقم من أعداء ربي عز وجل فيأتي النداء من العلي من قبل الله سبحانه وتعالى أطيعي محمدا فترجع وراءها مسيرة خمسمائة
عام ثم يخرج منها ثلاثة أعناق الأول منها يقول أين من قال أنا الله فتلتقطهم من المحشر كما يلتقط الطير الحب ثم تدخلهم في جوفها ثم
يخرج العنق الثاني فيقول أين من قال ولد الله فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب ثم يخرج العنق الثالث فيقول أين من أكل رزق الله
وعبد غيره فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تبارك
وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير وضيع يا عبادي أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين

الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من تربة الدهنا وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة
المشرق ورجلاه من تربة المغرب وقال غيره خلق الله آدم من ستين نوعا من أنواع الأرض وطباعها
فجاءت أولاده مختلفي الألوان والطبائع قيل ولهذا المعنى أوجب الله في الكفارة اطعام ستين مسكينا
بعدد أنواع بني آدم ليعم الجميع بالصدقة وكان طوله ستين ذراعا والذراع ثمانية أشبار بهذا الشبر
هكذا ذكر والجملة الأشبار أربعمائة وثمانون شبرا وعاش آدم ألف سنة (انك ما دعوتني) ليلا
أو نهارا سرا أو علانية وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام دعائك اياي كما تقول لأحسنن اليك ما خدمتني
أي مدة دوام خدمتك اياي وغلط من جعلها شرطية والدعاء رفع الحاجات الى رفيع الدرجات ويقال
هو اظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع وهو بلا واسطة من خصوصيات هذه الأمة وأما الأمم
الماضية فكانت تفرق حوائجهم الى الأنبياء تسأل لهم الله تعالى وقد روى معمر عن قتادة أنه قال
أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقال لهذه الأمة ما جعل
عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي أنت شهيد على قومك وقال لهذه الأمة لتكونوا شهداء على
الناس وكان يقال للنبي سل تعط وقال لهذه الأمة ادعوني أستجب لكم واعلم ان المذهب المختار الذي
عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف ان الدعاء مستحب
قال الله تعالى ادعوني أستجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية والآيات في هذا كثيرة وأما
الأحاديث الصحيحة فهي أشهر من أن تذكر وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام في الفتاوى
الموصلية هل يعصي من يقول لا حاجة بنا الى الدعاء لأنه لا يرد ما قدر وقضي فأجاب من زعم انه لا يحتاج
الى الدعاء فقد كذب وعصي ويلزمه ان يقول لا حاجة بنا الى الطاعة والايمان لأن ما قضاه الله من
الثواب والعقاب لا بد منه وما يدري هذا الأخرق الأحمق ان الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا على
الأسباب ومن ترك الأسباب وبنى على ان ما سبق به القضاء لا يغير لزمه أن لا يأكل اذا جاع ولا يشرب
اذا عطش ولا يلبس اذا برد ولا يتداوى اذا مرض وأن يلقى الكفار بلا سلاح ويقول في ذلك كله ما قضاه
الله لا يرد وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل وقوله ما دعوتني أي ما دمت تعبدني أو تسألني لأن الدعاء قد ذكر
في القرآن بالعبادة والسؤال وقيل ما دعوتني (ورجوتني) لاجابة دعائك لأنه تعالى يقول أنا عند
ظن عبدي بي وعند ذلك تتوجه رحمة الله الى العبد واذا توجهت لا يتعاظمها شيء لأنها وسعت كل شيء
والرجاء

يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حججكم وتدبروا اجوابكم فانكم مسؤلون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم وقد قيل في المعنى مثل وقوفك يوم العرض عريانا * مستوحشا قلق الاحشاء حيرانا والنار تلهب من غيظ ومن حنق * على العصاة ورب العرش غضبانا اقرأ كتابك يا عبدي على مهل * فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا لما قرأت ولم تنكر قراءته * اقرار من عرف الاشياء عرفانا نادى الجليل خذوه يا ملائكتي * وامضوا بعبد عصى للنار شيطانا المشركون غدوا في النار يلتهبوا * والمؤمنون بدار الخلد سكانا فاول من يدعى للحساب الملائكة والرسل اظهار العدل واقامة الحجة على من كذب وزيادة تخويف للجاحدين فكيف تكون عقول الخلائق اذا عاينوا الملائكة والرسل قد دعاهم الله للحساب والسؤال ثم تقبل الملائكة على الخلائق وتنادي كل انسان باسمه من غير كنية يا فلان هلم الينا الى موقف العرض فمن المؤمنين من لا يحاسب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من هذه الامة سبعون ألفا بغير حساب وفي رواية مع كل واحد منهم سبعون ألفا وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفا قال أبو بكر فرأيت ان ذلك يأتي على أهل القرى ويصيب من حافات البوادي ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا يستره الله عن جميع الخلائق ويكلمه الله ويقرره بذنوبه ويقول سترت عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم ومن عصاة المسلمين من يشدد عليه الحساب حتى يستوجب العذاب فيشفع فيه من أذن الله له من الانبياء والاولياء قال صلى الله عليه وسلم لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر وروي ان من المؤمنين من يشفع في رجل واحد ومنهم من يشفع في رجلين ومنهم من يشفع في قبيلة على قدر درجاتهم ومن العصاة من لا يشفع فيه أحد فيأمر به الى النار وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ثم ان الله تعالى مع علمه باعمال العباد يظهر العدل ويقيم الحجة فينصب الموازين لوزن الاعمال كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية ويؤتى بالصحف التي كتبتها الملائكة على العباد فيخلق الله تعالى فيها ثقلا وخفة على قدر الاعمال ويؤتى بكل انسان فتوضع صحيفة

والرجاء بالمد لغة الامل واصطلاحا تعلق القلب بمرغوب في حصوله في المستقبل مع الاخذ في أسباب الحصول فان لم يأخذ في الاسباب فهو طمع ولذا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى ان مثل الراجي مع الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا أو ولدا وما زرع وما نكح قال عبد الله بن المبارك

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها * ان السفينة لا تجري على اليبس

ويطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى وارجوا اليوم الآخر ما لكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون عظمة الله وقال في عم يتساءلون انهم كانوا لا يرجون حسابا أي لا يخافونه ويصح ارادته أيضا وقد يستعمل الطمع بمعنى الرجاء كما في قوله تعالى والذي أطمع أن يغفر لي وأما الرجا بالقصر فهو الناحية ومنه رجا البئر أي ناحيته وهل الافضل للشخص تغليب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله عز وجل أو الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله تعالى أو ان كان عاصيا فالخوف أفضل وان كان مطيعا فالرجاء أفضل أو ان كان قبل الذنب فالخوف أفضل وان كان بعده فالرجاء أفضل أو ان كان صحيحا فالخوف أفضل وهو المختار عندنا ولكن الراجح عند الشافعية انه يكون رجاؤه وخوفه مستويين وان كان مريضا فالرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله ومن مقطعات شعر عبد القاهر بن طاهر

يا فاتحا لي كل باب مرتجى * اني لعفو منك غير مرتجي
فامنن علي بما ينيل سعادتي * فسعادتي خلو عامي تارتجي

قال الدميري وفي مروج الذهب عن فقير بن مسكين قال دخلت على الشافعي أعوده في مرض موته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولا أدري الى الجنة تصير روحي فاهنيها أم الى النار فاعزيها ثم قال

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

(غفرت لك ذنوبك) أي سترتها عليك بعدم العقاب عليها في الآخرة ويرادفه العفو ومقتضى كلام ابن عطية ان بينهما فرقا وهو أن الغفران لما لم يطلع عليه أحد والعفو لما اطلع عليه فانه قال في تفسير قوله تعالى واعف عنا أي فيما واقعناه وانكشف واغفر لنا استر علينا ما علمت منا قال بعضهم وهو بالتحكم

ليعطاه في كفة صحيفة سيئاته في كفة حتى يتبين له ولغيره رجحانها أو نقصانها وتطاير الصحف فيعطى كل عبد كتابا فيه جميع
أعماله يقرؤه ومن كان لا يكتب وقد قيل في معنى ذلك فكر بيوم تأتي الله فردا * وقد نصبت موازين القضا
وهتكت الستور عن المعاصي * وجاء الذنب مكشوف الغطا ثم يتعلق المظلومون بالظالمين هذا يقول تعالى وهذا يقول
ضربني وهذا يقول شتمني وسبني أو اغتابني أو استهزأ بي هذا يقول أخذ مالي وغشني في معاملة أو بخسني في وزن أو كيل أو شهد
علي بزور أو نظر الي نظر كبر أو احتقار فتفرق حسنات الظالم على المظلومين فاذا لم يبق له حسنة جعل على الظالم من سيآت المظلوم
حتى يستوفي كل ذي حق حقه فان الرجل ليأتي بحسنات كثيرة فتأخذها خصومه وتطرح عليه سيآت ما كان عملها فيقول ما هذه
فيقول لتسيآت من ظلمته وعن أبي ٢٧٨ هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس اذ رأيناه

ضحك حتى بدت ثناياه
فقيل له مم تضحك يا رسول
الله قال رجلان من أمتي
جثيا بين يدي ربي
عز وجل فقال أحدهما
يا رب خذ لي مظلمتي من
أخي فقال الله تعالى
أعط أخاك مظلمته فقال
يا رب ما بقي من حسناتي
شيء فقال يا رب فليحمل
من أوزاري وفاضت
عينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال ان
ذلك اليوم ليوم عظيم
يحتاج فيه الناس ان
يحمل عنهم من أوزارهم
ثم قال الله تعالى للطالب
حقه ارفع بصرك فانظر
الى الجنان فرفع بصره
فرأى ما أعجبه من الخير
والنعمة فقال لمن هذا
يا رب فقال لمن أعطاني
ثمنه قال ومن يملك ثمن
ذلك قال أنت قال بماذا

أشبه اهـ وقال بعضهم ان بين مفهوميهما بحسب الوضع عموما وخصوصا من وجه فان المغفرة
الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو ولا عكسه بان يحاسبه بذنبه على رؤس
الاشهاد ثم يعفو عنه أو يستره ويجازيه عليه اما بالنظر لكرم الله تعالى فهو اذا ستر عفا فبينهما
خصوص مطلق وكذا يقال في مقام الملاطفة الا كثير عفا الله عنه (ما كان منك) من المعاصي و
تكررت (ولا أبالي) أي لا أكترث بذنوبك ولو كثرت لانه تعالى لا حجر عليه فيما يفعل ولا
لحكمه ولا مانع لعطائه ومعنى لا أبالي لا يشتغل بالي به فان اجرام العباد في جنب رحمته كذرة بل
أقل منها فان قلت ثبت انه جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص شيأ وأيضا المطلوب ان كان
من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن منها لم يجز طلبه والا فالرضا بالقضاء باب الله الاعظم
والاشتغال بالدعاء ينافيه فالجواب الدعاء من شعار المرسلين ودثار الصالحين ودأب الصديقين (يا ابن
آدم) انك (لو بلغت) أي وصلت (ذنوبك) أي فرضتها اجراما (عنان السماء) بان ملأت ما بينها وبين
الارض والعنان بفتح العين المهملة وتخفيف النون السحاب الواحدة عنانة وهل هو اسم للسحاب
مطلقا أو بقيد كونه ممتلئا بالماء قولان وقيل العنان اسم لما عن لك من السماء أي ظهر لك اذا رفعت
رأسك اليها وروي أعنان السماء أي نواحيها وما اعترض من أقطارها كانه جمع عنن وأما العنان بكسر
العين فهو اسم لما تقاد به الدابة الاسفل للاسفل والاعلى للاعلى كالمثال بكسر اللام وبفتحها والجنازة
بكسر الجيم اسم للسرير الذي يحمل عليه الميت وبفتحها اسم للميت المحمول (تنبيه) نقل عن بعضهم
ان سماء الدنيا أفضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي قلت
قد ورد الاثر بخلافه أخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال سيد
السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها اهـ وههنا فوائد الاولى
أهل السنة والاشاعرة كما دلت عليه الاحاديث ان السحاب من شجرة مثمرة في الجنة والمطر يخرج تحت
العرش خلافا للحكماء والمعتزلة في أن منشأ المطر البحر وان السحاب أجسام ذوات خراطيم تأخذ الماء
من البحر الملح وتقصره الريح فيعذب * الثانية قال الحكماء الارض طبق واحد ومذهب الاشاعرة
ان الارض طبقات متفاصلة بالذات بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام كما وردت به الاخبار وعليه انما
جمعت السماء وأفردت الارض في بعض الآيات لان السموات مختلفة الاجناس بخلاف الارضين
لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم ان الحكمة في افراد الارض ثقل جمعها لفظا وهو أرضون

قال بعفوك عن أخيك هذا قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة الثالثة
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة والصحيح ان الميزان واحد
يوزن به الجميع وانما جمع لكثرة ما يوزن فيه من الاعمال وصفته في العظم مثل طباق السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة
الله سبحانه وتعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور
فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله سبحانه وتعالى بفضل الله تعالى وتطرح صحائف السيآت في صورة قبيحة في كفة الظلمة
فتخف بها الميزان كما يريد الله تعالى بعدله وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال يوضع الميزان يوم القيامة فلو وضعت فيه
السموات والارض لوسعهما فتقول الملائكة عند رؤيتها يا ربنا ما هذا فيقول الله سبحانه وتعالى هذا أزن به لمن شئت من خلقي

الآثب من المعتز والثه النور وضع الصراط على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر ويؤمر الناس بالجواز عليه فأول من
يجوز عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيمرون عليه أولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح ثم كالطير ثم كالخيل ثم عدوا ثم مشيا ومن الناس
من يزحف زحفا ومن الناس من يسحب سحبا فمنهم من يسلم ومنهم من يزل فيقع في جهنم ومنهم من تخطفه كلاليب وتلقيه في النار
ويسمع للواقعين في النار جلبة عظيمة وصياح شديد يدهش العقول والملائكة والانبياء كلهم يقولون اللهم سلم سلم ولا ينطق حينئذ
إلا الرسل وقد قيل في المعنى   اذا مد الصراط على جحيم ❊ تصول على العصاة وتستطيل   فقوم في الجحيم لهم ثبور ❊ وقوم في
الجنان لهم مقيل   وبان الحق وانكشف المغطى ❊ وطال الويل واتصل العويل   فاذا وقع الذين وجب عليهم العذاب في
النار وجاز الفائزون الناجون كلهم   ٢٨٠   وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهاية ما هم فيه من العطش
وما عاينوه من الاهوال ثم يذهب المؤمنون على الجنة فأول من يدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يدخل الذين لا حساب عليهم من هذه الامة من الباب الايمن قال بعض الحكماء اذا سيق أهل الجنة الى الجنة قال الله تعالى يا رضوان لا تنزلهم أنت في الجنان ولا تدعهم ينزلون بانفسهم فانهم لو نزلوا بانفسهم نزلوا كما تنزل الغرباء ولو أنزلتهم أنت نزلوا كما تنزل العبيد فلا تدعهم ينزلون نزلة الغرباء ولا تنزلهم أنت منزلة العبيد بل دعهم لأنزلهم أنا في مكان أنزلهم كما تنزل الارباب ليعلموا كرامتهم علي فاذا أتوا باب الجنة تسلم عليهم
الملائكة كما قال الله تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وجاء أن أهل الجنة على
قامة آدم عليه السلام ستين ذراعا على سن عيسى بن مريم عليه السلام ثلاث وثلاثين سنة على حسن يوسف عليه السلام على نغمة داود
عليه السلام على خلق محمد عليه الصلاة والسلام وعليهم أجمعين ❊ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سكن أهل الجنة في الجنة
بعث الله الروح الامين يقول يا أهل الجنة ان ربكم يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوروا ربكم على فناء الجنة التي ترابها المسك وحصباؤها
الياقوت والدر وشجرها الذهب وورقها الزمرد فيخرجون ثم يأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بذكر الزبور ثم توضع
مائدة الخلد أوسع ما بين المشرق والمغرب فيقول الله تعالى أطعموا أوليائي ويلقي عليهم شهوة سبعين طعاما فيأكلون ثم يقول الله
تعالى فكهوهم فيتفكهون بما لم يخطر على بالهم ثم يقول اسقوا أوليائي فيؤتون بالرحيق المختوم فيشربون ثم يقول اكسوهم فترفع
شجرة ورقها الحلل فيكسى كل واحد منهم سبعين حلة لا يشبه بعضها بعضا ثم ينادي يا أولياء الله هل بقي مما وعدكم ربكم شيء

على العود بعد مدة فهو مصر أيضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن أمسك ما غصبه مثلا ولم يرد
فهو قد أصر على ما فعل وزاد بعضهم في الشروط وقوع التوبة في وقتها وهو قبل الغرغرة لما رواه
الترمذي وحسنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي تبلغ روحه ا[لحلقوم]
وهي حالة النزع لان الغرغرة أن يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه ولا
على بامه هذا عند الاشاعرة وأما عند الماتريدية فانما يشترط عدم الغرغرة في الكافر دون ال
العاصي عملا بالاستصحاب في الموضعين وقبل طلوع الآيات كطلوع الشمس من مغربها ولا يشتر[ط]
التلفظ بالاستغفار لما رواه الحاكم وصححه لكن فيه ساقط ما علم الله تعالى من عبد ندامة على ذنب الا غفر
له قبل أن يستغفر منه خلافا للبلقيني القائل بانه لا بد أن يقول أستغفر الله من ذنبي ونحو ذلك و
لا يشترط مفارقة مكان المعصية خلافا للزمخشري ولا تجديد التوبة كلما ذكر المعصية خلافا للقاضي أبي
بكر الباقلاني وأما التوبة النصوح فانها أخص من ذلك لانها تكفر السيئات وتبدلها حسنات وما
اختلف فيها فقال بعضهم التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان
واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وهو قريب من قول بعضهم هي تقدم أربعة
الندم بالقلب والاستغفار باللسان واضمار أن لا يعود ومجانبة خلطاء السوء وقال أبو بكر الوراق هو
تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا وقال بعضهم أن يكون
لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال ذو النون علامتها ثلاثة قلة الطعام وقلة الكلام
وقلة المنام وقال فتح الموصلي علامتها ثلاثة مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظمأ وقال عمر
وأبي ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الكلبي
ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن (غفرت لك) وان تكرر الذنب والتوبة منه مرارا
في اليوم لو احد لان معاودة الذنب لا تبطل التوبة ومن ثم قال عليه أفضل الصلاة والسلام ما أصر من
استغفر أي تاب ولو عاد في اليوم سبعين مرة وأخرج الاصبهاني انه صلى الله عليه وسلم قال اذا [تاب العبد]
من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم ا[لقيامة]
وليس عليه شاهد من الله بذنب وتصح التوبة من الذنب ولو كان مصرا على الآخر وخالفت المعتزلة
فيهما ثم ان توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل قبوله قطعي أو
خلاف

فيقولون لا الا النظر الى وجه الله تعالى فيتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى فيخرون لله سجدا فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فانها ليست بدار العمل انما هى دار الثواب فينظرون الى الله تعالى ويقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فيقول الله تعالى أسكنتكم دارى ومكنتكم من وجهى فيأذن الله للجنة أن تكلمى فتقول طوبى لمن سكننى وطوبى لمن خلد فى فذلك قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب ثم يقال لهم تمنوا فيقولون نتمنى رضاك وقال أبو محمد الهروى اذا كان يوم القيامة ودخل أهل الجنة الجنة فيوم السبت الاولاد يزورون الآباء ويوم الاحد الآباء يزورون الاولاد ويوم الاثنين تزور التلامذة العلماء ويوم الثلاثاء تزور العلماء التلامذة ويوم الاربعاء تزور الامم الانبياء ويوم الخميس تزور الانبياء الامم ويوم الجمعة تزور الخلائق الرب جل جلاله سبحانه وتعالى فذلك قوله تعالى ولدينا مزيد فاذا استقر أهل الجنة فى الجنة بقيت آمالهم متعلقة بنجاة العصاة من المسلمين الذين دخلوا النار فيطلب الصالحون الشفاعة لهم من الرسل وقد وردت الاخبار المسندة الصحيحة أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يستأذن و يسجد بين يدى الله عز وجل فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط وقل يسمع لك واشفع تشفع فيقوم فيشفع ويقول يارب ائذن لى فى كل من قال لا اله الا الله فيقول الله تعالى وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لاخرجن منها من قال لا اله الا الله وقد ورد فى الصحيحين البخارى ومسلم ان العصاة من المسلمين يموتون فى النار ويحمل على أنهم يعذبون بقدر ذنوبهم فيكون غاية عذابهم فاذا وقعت الشفاعة أحياهم الله تعالى وقد جاء فى آخر من يخرج من النار أخبار كثيرة نقتصر منها على رواية ابن عباس رضى الله عنهما انه قال آخر من يخرج من النار من هذه الامة من يبقى سبعة آلاف سنة فى النار فيصيح أربعة آلاف سنة وفى ياالله ياالله ثم يصيح ألف سنة ياحنان يامنان ثم يصيح ألف سنة ياحى ياقيوم فيقول الله تعالى يامالك ان عبدا من عبادى يدعونى فى قعر جهنم فهل تعرف مكانه فيقول يارب أنت أعرف بمكانه منى فيقول الله تعالى انه فى وادى جهنم فى قعر بئر وفى البئر صندوق وهو فيه فيصيح مالك على النار فيموج بعضها فى بعض من هيبة مالك فيخرجه من النار فيقول ياشقى ان الله يدعوك فيقول لمالك أى العذاب أشد فى جهنم فيقول له السعير وسقر فيقول يامالك اجعلنى نصفين فالق نصفى فى السعير ونصفى فى سقر ولا تقدمنى بين يدى الله تعالى فيقول لابد من ذلك وهو بين يديه كالسمكة فى الشبكة فيقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى يا عبدى ألم أخلق لك سمعا وبصرا ألم أجعل لك كذا وكذا ألم أمنّ هذا وأشباهه فيغرق حياء من الله تعالى ويقول يارب النار أحب الى من هذا فيقول الله تعالى اذهبوا به الى النار فيلتفت ويقول يارب ما كان ظنى فيك هكذا فيقول الله عز وجل ما كان ظنك بى فيقول ظنى بك اذا أخرجتنى

خلاف بين أهل السنة والاصح كما اختاره امام الحرمين انه ظنى وكان سبب توبة الفضيل بن عياض انه عشق جارية فواعدته ليلة فبينما هو يترقى الجدران اليها اذ سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد آن فأواه الليل الى خربة وفيها جماعة من السابلة وبعضهم يقول لبعض ان فلانا يقطع الطريق فقال الفضيل أرانى بالليل أسعى فى معصية الله وقوما من المسلمين يخافوننى اللهم انى قد تبت اليك وجعلت توبتى اليك جوار بيتك الحرام وانما جاز الاستغفار على التوبة لان الاستغفار المطلوب هو الذى يحل عقد الاصرار و يثبت معناه فى الجنان لا مجرد التلفظ باللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة ولذا روى عن الحسن البصرى انه قال استغفارنا يحتاج لاستغفار لكن قال الغزالى لا نظن انه يذم حركة اللسان من حيث انها ذكر بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه وفى الحديث من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وفيه أيضا من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف (يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض) بضم القاف وكسرها والضم أشهر أى بقرب ملئها أو ملئها وهذا أبلغ مما قبله (خطايا ثم لقيتنى) أى حال كونك (لا تشرك بى شيأ) أى بذاتى وصفاتى وأفعالى أى مستمرا على الايمان لاعتقادك توحيدى والتصديق برسلى وبما جاؤا به (لاتيتك بقرابها) عبر به للمشاكلة والا فمغفرة الله أعظم وأوسع من ذلك (مغفرة) وفى خبر مسند أن رجلا يؤمر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت فاذا بلغ نصف الطريق التفت فاذا بلغ ثلثى الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله فيقول لم التفت فيقول لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك وربك الغفور ذو الرحمة فقلت لك تغفر لى فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ومن يغفر الذنوب الا الله فقلت لعلك تغفر لى فلما بلغت ثلثى الطريق تذكرت قولك قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فازددت طمعا فيقول الله عز وجل اذهب فقد غفرت لك (رواه الترمذى) فى الدعوات وخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس والترمذى بتثليث الفوقية

من النار لا تستدني اليها ثانيا فيقول الله تعالى صدق عبدي هل تدري لم أخرجتك من النار فيقول لا يارب فيقول الله تعالى انك قلت في يوم كذا في ليلة كذا مرة واحدة لا اله الا الله محمد رسول الله فاليوم أخرجتك من النار لاجل ذلك ثم يقول الله تعالى ادخلوه الجنة فيقول يارب ان الجنة قسمتها لانبيائك ولاوليائك ولا أجد لي فيها مكانا فيقول الله تعالى ان لك في الجنة مثل ما طلعت عليه الشمس وغربت سبع مرات قال فيغتسل في نهر يقال له الحيوان فيخرج منه ووجهه كالقمر ليلة البدر فيتمنى أهل النار أن يكونوا قائلين مرة واحدة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى ينجون من العذاب كما قال الله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (خاتمة الختم) عطاء بن واسع قسا قلبي علي مرة فاردت تهذيبه فتفكرت في ملكوت السموات والارض وفي الموت وما فيه وما بعده من أهوال ومن ور وصراط وميزان وحساب وأهوال يوم القيامة فكبر علي الامر وعظم واشتد جزعي وخوفي وبكائي ونحيبي فعرضت عملي على نفسي فلم أجد لي عملا يصلح للخلاص من شيء من ذلك فبكيت وازددت خوفا ونحيبا وجزعا قال فاصطنع له قبرا في بيته وحفره وصار كلما شغل عن العبادة ومجاهدة نفسه لحظة نزل في القبر وعفر وجهه في التراب واضطجع وجعل يبكي على نفسه ويذكر وحدة القبر وغربته وضيقه ويذكر مع ذلك قلة عمله وعجزه وتقصيره ويذكر مع ذلك أنه سيعرض ويحاسب وتوزن أعماله قيلا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية ثم يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت يرددها على نفسه مرات ثم يبكي ثم يرددها على نفسه فيقول قد رجعتك فاعمل فاشتد به الجزع هذا الامر دأبه دائما ثم خرج يوما الى المقابر فرأى مكتوبا على قبر هذه الابيات يا أيها الناس كان لي أمل * قصر بي عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه رجل * وأمكنه في حياته العمل ها أنا وحدي نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل فبكى وتواجد وعاهد الله أن لا يعود الى بيته وخرج هائما حتى مات رحمه الله تعالى * وقال بعضهم بينما أنا مار في سياحتي واذا أنا بصوت أسمعه وما أرى شخصه يقول يا عباد الله ان الجنة رخيصة فاشتروا وان الرب كريم فاقبلوا عليه فالتفت يمينا وشمالا فلم أر أحدا وانا به يقول عجبت من عاقل لبيب * يذهب بالفانيات عمره ويبذل المال في متاع * يفنى ويبقى عليه جمره بين يديه الغداة نار * ما يتقيها بشق تمره فيا اخواني أقبلوا بالقلوب اليه وقفوا بالخضوع والخشوع لديه فانه كريم ومدوا أنامل الرجاء الى بابه فانه رحيم وقولوا سبحان الله العظيم وبحمده سبحان الله العظيم (تم كتاب المجالس السنية في الاربعين النوويه) بحمد الله تعالى وعونه في سادس عشر شهر الله المحرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وسبعين وتسعمائة على يد مؤلفه الفقير أحمد الفشني الشافعي رحمه الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

وكتم السر أوضعها واعلام الذال (وقال حديث حسن صحيح) وأخرجه أبو عوانة في مسنده ا
حديث أبي ذر قال بعض الشراح وظهر أن معاني هذه الاحاديث كلها وان كثر تعدادها وتـ
مقدارها وعظم مجاها واشتمل على كل الشريعة المحمدية شماها ترجع الى تقوى الله تعالى في السر
والعلانية مع قصر الامل والزهد في الدنيا وترك مالا يعني من فضولها والشغل بذكر الله تعالى و
التخلق مع الخلق بما يقتضيه الشرع الشريف والانقباض عنهم فيما لا يعني وارادة الخير لهم بالباطن
ومساعدتهم بالظاهر فيما أمكن من ذلك وهذا آخر ما سهل الله تحصيله على حسب الا
الكريم المنان الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على النبي محمد وآله و
ومن والاه واني أستغفر الله عما يعلمه مني من الجراءة على شرح قول من لا ينطق عن الهوى مع قصوري
في هذه المادة وقلة سلوكي في هذه الجادة ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل جريمة وأن
يختم لنا بالحسنى ويمن علينا بالمطلوب الاسنى وان يشمل في ذلك جميع أهلنا ومشايخنا وأحبابنا ومن
أمن على هذا الدعاء ممن سمعه ومن دعا لنا بخير وكل المسلمين وقد قيل

يا من غدا ناظرا فيما جمعت وقد * أضحى يردد في أثنائه النظرا
سألتك الله ان عاينت من خطأ * فاستر على فخير الناس من سترا

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(يقول راجي عفو القريب المجيب خادم التصحيح ابراهيم الطاهري الحنفي)

الحمد لله الذي فطر الارض والسموات الكريم الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات
والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب القول الفصيح وعلى آله وأصحابه وكل من روى عنه حديث
حسن أو صحيح (وبعد) فقد تم بعونه تعالى طبع هذا الكتاب المستطاب بالمطبعة الازهرية المصرية
الكائن محلها بجوار الرياض الازهرية ادارة راجي عفو ربه العلي القادر (حضرة مصطفى بك شاكر
وأخيه) في آخر شهر شوال سنة ١٣٢٦ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

(سيدة مسلم)

(فهرست شرح العلامة الشبرخيتي على الاربعين النووية)

(تمت)

﴿فهرست كتاب المجالس السنية فى الكلام على الاربعين النووية﴾

﴿تمت﴾